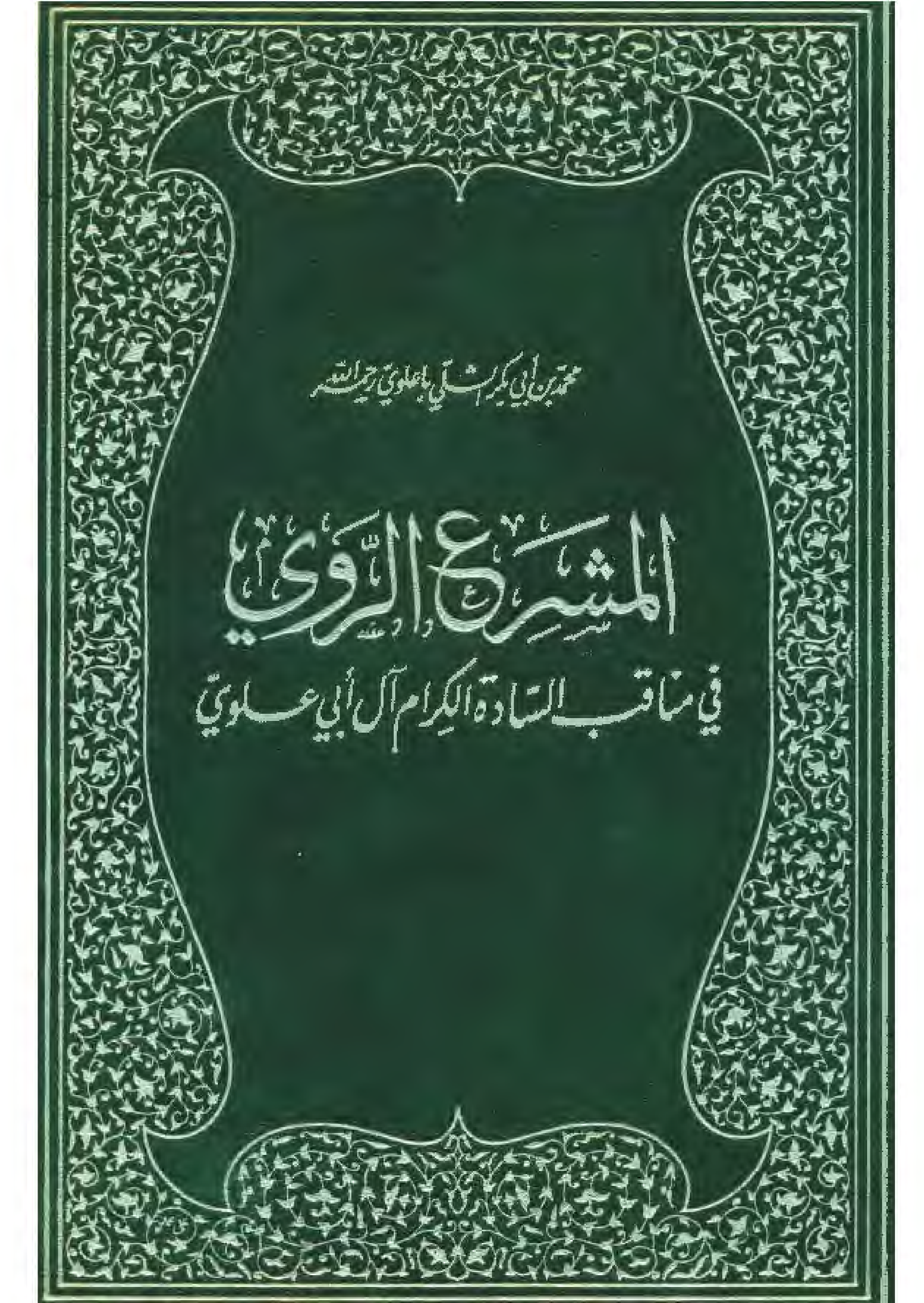

محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي رحمه الله
المشرع الروي
في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي

المشروع الروي

١

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المشرع الروي

في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي

تأليف

العلامة الجليل الحبيب العارف بالله تعالى

محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي رحمه الله

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

يشتمل هذا السفر الجليل المسمى: «المشرع الرَّوي، في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي»، على تاريخ وتراجم وسير أعداد من السادة العلويين(*) الحسينيين الذين جمعوا بين العلم والعمل والذين جعلوا ميزانهم الشريعة الاسلامية في أحوالهم الشخصية والاجتماعية، وما اتصل بتلك التراجم من مواضيع أخرى تاريخية وعلمية وتراجم أجدادهم الكرام، ابتداء من جدهم علوي بن عبيدالله وابائه الذين في سلسلة نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء، وأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعض آبائه وبعض الحروب الدامية التي خاضوها، ومصارع البعض منهم ومقاتلهم، كمقتل الامام علي ومصرع الإمام الحسين بإسهاب. ثم من فروع الإمام علوي بن عبيدالله المشار إليه - من هم على شرطه - وشرطه كما يقول بعض الشيوخ: هو الجمع بين الاتساع في العلوم وكمال الاستقامة، وقد جمع فيه نحواً من ثلاثمائة وعشرين ترجمة لثلاثمائة وعشرين شخصية من هذا الطراز، وفي بعض النسخ الخطية زيادة تراجم لما لا يقل عن عشر شخصيات كما رأيت نسخة منها بتريم ببعض مكتباتها أيام الطلب.

وعني المصنف في كتابه هذا بثبت مشائخهم وسلاسل أنسابهم والكتب

(*) ويقال لهم أيضاً: «بنو علوي» و«آل باعلوي» كما يطلق عليهم «العلويون» وهو اصطلاح خاص بسلالة علوي بن عبيدالله، ويقال أيضاً لسلالة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، جميعا، من أشراف وهم نسل الحسن وسادة وهم نسل الحسين، وهو اطلاق عام؛ ومن المعلوم أنهم ليسوا النصيرية الذين أطلق عليهم حديثاً «العلويين» بسوريا.

التي درسوها والعلوم التي تبحروا فيها من عقلية ونقلية وأدبيـة ورحلاتهم ومهاجرهم التي هاجروا إليهـا من حضرمـوت التي لم تتسع لهممهم العـالية ومراميهم الإصلاحية والاسلامية، فنشروا بتلك المهاجر الدعوة الاسلامية على وجههـا الصحيح في أنـدونيسيا والهنـد وشرق افـريقيا، وارتـادوا الحرمـين الشريفين، وكان فيهم من درَّس بهما، وتناسلوا بتلك المهاجر. فكان منهم خير خلف لخير سلف، وغطوا بعلومهم ومعارفهم ونزاهتهم وأخـلاقهم وشرف أنسابهم على علماء وفضلاء تلك الجهات المشار إليها، وكـانت لهم شعبية وجاذبية ومحبة بين أبنائها.

ونجد فيه شرحاً عن أسباب هجرة جدهم الذي سلكوا على منواله الإمام أحمد المهاجر بن عيسى النقيب سنة ٣١٧هـ وبعض بنيه وحفدته وبني عمومته وحاشيته ممن لا يقلون عن سبعين شخصية من البصرة إلى حضرموت عبر الحجاز فاليمن، ومن أهم تلك الأسباب التي ذكرها الحروب الدامية والفتن المنتشـرة كسواد الليـل المظلم في العـراق، كفتنة صـاحب الزنـج، والقرامطة، وتكلم عما أصيب به العلويون أثناء ذلك وقبله من الأذى والتحكك بهم من بني العباس واتباعهم وسجل قصيدة ابن المعتز التي هجا فيها أهل البيت ومطلعها:

ألا يـا لـعـين وتَـسـكـابهـا   تَشَكّي القـذى وبُكـاهـا بهـا

وقصيدة ابن الرومي التي رد بها على ابن المعتز وأولها:

ألا قـل لشـر عـبـيـد الآلـه   وطـاغـي قـريش وكـذابهـا
أأنـت تـفـاخـر آل الـنـبـي   وتجحـدهـا فـضـل أنسـابهـا

نجد هذا كله مفصلاً ومجملاً في هذا الكتاب إلى جانب ما يقوم به أولئك الرجال المترجم لهم من إصلاح ذات البين بين القبائل المتقاتلة، ومن فتح بيوتهم لقرى الضيف ومن تأسيس للمساجد وعمارة لها بالعلم والعبادة والصلاة والتلاوة والذكر، وتشييد معاهد لتدريس العلوم والمعارف ونشر الثقافة الإسلامية، كما أنه ضبط وفيات ومواليد اولئك المترجم لهم إلا النادر منهم وأشار إلى ما يتلقاه كل منهم أباً عن جد من التربية الإسلامية العالية والتهذيب الخلقي

الكريم، والشغف الشديد بطلب العلوم النافعة والمعارف المتنوعة والتسليك على الطرق المتبعة في عصورهم عصور التصوف المعتدل بما يشمله من مراعاة النهج على الشرع الشريف، وبما لا يخرج عن إطاره، كما قال الداعية الكبير الحبيب علي بن محمد الحبشي المتوفي عام ١٣٣٣هـ:

أب يتلقى عن أبيه وجده فيا لك من آبا كرام وأجداد

وهم يقولون دائمًا بلسان حالهم:

لسنا وإن أحسابنا كرمت يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

أو - فوق ما فعلوا -

ونجد في هذا الكتاب أيضاً جملة وافية من تاريخ حضرموت في العهود الاسلامية، وإمتناع بعض قبائل كندة عن دفع الزكاة، وحروب الأباضية، وفتك جيوش معن بن زائدة بأهل حضرموت، لّما قتلوا أخاه وهو عامل عليهم، كل هذا وأمثاله - مما جرى بعد - نجده باختصار، ولم يتعرض لتاريخ حضرموت الشهير قبل الاسلام والموغل في القدم أيام الدولة الحضرمية، والدولة المعينية، والدولة السبأية، والدولة الحميرية، ولو أنه تعرض لذلك وأسهب فيه وربط به تاريخها الإسلامي الذي تعرض له، وأفاض فيهمالكان مرجعاً من مراجع التاريخ العام الحضرمي واليمني الذي نحن اليوم بحاجة إلى المزيد منها، كما هو مرجع في تاريخ الشخصيات التي ترجم لها، ومع هذا، لا ننسى في هذا المقام كلامه عن جوانب من مآثر وآثار مدينة تريم التاريخية الشهيرة التي هي بمثابة عاصمة للمترجم لهم ولآبائهم، والتي يقول عنها في ترجمة معظم من ترجم لهم: «ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم»، حتى قال عن ذلك الكاتب الإسلامي الكبير المرحوم: شكيب أرسلان: لو كان عندي متسع من الوقت لألّفتُ كتاباً سميته: الحجر الكريم في من ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم. ولكنه - رحمه الله - لم يفته ان ينشر عنهم في كتابه «التعليقات على حاضر العالم الاسلامي».

ويبلغ عدد مساجدها التى ذكر كثيراً منها في هذا المؤلّف - ثلاثمائة

وستين مسجداً، بما يقارب أيام السنة الهجرية، لأنهم - رضي الله عنهم - لشغفهم بالعبادة يخطط كثير منهم إلى جنب بيته مسجداً، وقد تجتمع فيها بعد عدة مساجد في مسجد واحد، وبلغ بهذه المدينة في عصورهم الذهبية أنها كخلية نحل من تدارس العلوم وتلاوة القرآن وقراءة الأوراد والاذكار مما أكسبها القداسة والاحترام إلى عصور متأخرة من الزمن حتى قال قائلهم فيها: «شوارع تريم شيخ من ليس له شيخ»، وأنشد فيها العلامة الكبير والشاعر الشهير السيد أبو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب رحمه الله المتوفي سنة ١٣٤١هـ ١٩٢٢م:

إذا نحن زرناها وجدنا ترابها يفوح شذىً كالعنبر المتنفس
ونمشي حفاة في قراها تأدباً نرى أننا نمشي بواد مقدس

وله ولغيره كثير من الأشعار فيها إلى عصرنا هذا مما قاله زملائي ومما قلته مما لا يحتمل المقام ذكره، فصاحب هذا الكتاب أطال في أوصاف هذه المدينة ومعابدها وأوديتها ومساجدها وفضائل المساجد، واستشهد ببعض ما قيل فيها من الأشعار، ومنه قصيدة الشيخ العلامة الخطيب محمد بن أبي الحُب - بضم الحاء - المتوفى سنة ٦١١هـ بتريم التي مطلعها:

تجنب أرضك الوبأ الوخيم وجانب سوحك السدم السديم

وغيرها من أشعار حكمية وحُمينية - شعبية -

ونجد عَرَضَاً في هذا الكتاب ما يشير إلى اعمالهم الاقتصادية وبالأخص في المجال الزراعي وغراسة النخيل، ثم المجال التجاري والعمراني مما يؤسسونه ويقومون به بنيات حسنة وطبق ما يدعو إليه الاسلام.

وأرى أن من الانصاف - وإن كان الكتاب خاصاً بتراجم السادة العلوية - أن نذكر أن في الأسر الحضرمية وغيرها ممن زاملوهم وخالطوهم وممن في عصورهم، رجالاً كثيرين نسجوا على منوالهم ومشوا في نفس الطريق الذي مشى فيه العلويون المحظيون باحترام أولئك واعزازهم كسلالة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبدافع من حبهم لأهل بيته، وتعاونوا معهم على البر والتقوى والاخلاص لهذه الأمة الاسلامية، ونشر الدعوة إلى الله

بأقوالهم وأعمالهم، ونجد أسماء كثيرين من أبناء الأسر التي أشرنا إليها في ثبت المشائخ والمريدين المذكورين في هذا الكتاب، وفي مقدمتهم علماء المشائخ آل أبي فضل وآل الخطيب، وآل العمودي، وآل باوزير، وآل باجَّمال، وآل باعبَّاد، وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم.

وختم المؤلف كتابه بخاتمة مشتملة على انواع من الروابط التي تربط المريد بشيخه من إلباس خرقة - أي كساء - وتحكيم وغيرهما مما يندر العمل به اليوم، ولكنه يستحق التدوين ولو للإطلاع والاتساع على الأقل.

«أسلوب هذا المؤلف»

أما أسلوب هذا المؤلف فهو أسلوب عني فيه باستعمال فن البديع ومراعاة التسجيع طبقاً لما يراه المؤلف من التمشي مع كثير من المؤلفين من أبناء عصره ووطنه، ومع هذا فهو يعطي صورة للقارىء عن إطلاع واتساع مؤلفه رحمه الله، بما جادت به قريحته، وسال به قلمه من سجع غير متكلف في الأكثر، ومن شواهد علمية وأدبية وأبحاث قيمة مناسبة، لولا أنه اقتصر على ما يهتم به المعظم من أبناء البيئة الصوفية التي عاش فيها مما تقدم ذكره، وأغفل جوانب أخرى اجتماعية مرتبطة بحياة أولئك المترجم لهم، سياسية وعائلية فضلاً عن تحليل الشخصيات التي قل أن يلحظه المؤرخون في عصره وفي بيئته، وإنما عمد إلى حشد الكرامات التي حدثت لأولئك رحمه الله ورضي عنه، ولعله - لنفس السبب - لم يترجم لأحد من نسائهم العالمات الخيرات اللواتي لهن الفضل في تربيتهم وتعليمهم كزينب أم الفقراء، زوجة الفقيه المقدم وبنت عمه، وعائشة بنت المحضار، وبهية بنت الشيخ علي.

ولاحظ بعضهم على مؤلف هذا الكتاب عدم ترجمته لرجال في مستوى رجاله وعلى شرطه كعلي بن الفقيه المقدم، وشهاب الدين الأصغر، وعمر بن عبدالرحمن العطاس، وعمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم، ولا يسعنا إلا أن نعتذر له بقول الشاعر: لعل لها عذراً وأنت تلوم، وإذا كان التماس العذر له بالنسبة للملاحظات السابقة مقبولاً، فإنه قد يكون مرفوضاً بالنسبة لروايته الشطحات والكرامات المخالفة لظاهر الشرع الشريف، إلا أنها محدودة

ومعدودة ومؤولة ولو عند البعض، ومع ذلك فقد حذفت من هذه الطبعة هي وما اتصل بها مما لا يناسب نشره في هذا العصر، بناء على قرار الهيئة التي قامت بإعداد هذا الكتاب للطبع والنشر هذه المرة، لأسباب رأت وجاهتها بعد مداولة الرأي والبحث والموازنة بين الإثبات والحذف.

ومع هذا فقد وضعت تعليقات تشير إلى المواضع المحذوفة من الأصل حرصاً على الأمانة في النقل والنشر، وإرشاداً لمن أراد الاطلاع عليها هناك، وسيجد معظمها مما أشرت إليه من الكرامات التي ربما لا يرضى أصحابها بنشرها عنهم ولا بنسبتها إليهم، لأنهم أرفع مقاماً وأعلى مرتبة من أن يعولوا عليها، كما روي ذلك عنهم - رضي الله عنهم -، وأيضاً: فالمبدأ الذي يعتمدون عليه هو: «الاستقامة اعظم كرامة»، وقد اتصفوا بها فأغنتهم عما دونها من الكرامات.

ووجود هذه النقاط المنتقدة والملاحظات على (المشرع) لا ينقص شيئاً من قيمته ولا من قدر مصنفه - رحمه الله -:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

فالمشرع من كتب التراث المهمة، وقد سجل تاريخاً مجيداً نستفيد منه الكثير مما نحن بحاجة إليه من المعلومات الكثيرة المتنوعة، وإن كان بعضها يحتاج إلى مناقشة عند البعض مما لا يخلو عنه أي كتاب من أمثاله ﴿ولِكُلٍ وِجهةٌ هو مُوَلِّيها﴾

صدى هذا الكتاب

لما فرغ المصنف من تبييض أول نسخة منه، وتناقلها بعض النساخ كان له صدى عظيم في الأوساط العلوية والحضرمية والمهجرية، وأقبل على نسخه وقراءته طلَّاب العلم والمعرفة وعُشاق الاطلاع على كل جديد مفيد، حتى لقد أشار الامام عبدالله بن علوي الحداد المتوفي سنة ١١٣٢هـ على مريده العلامة الكبير أحمد بن زين الحبشي المتوفي سنة ١١٤٤هـ؛ بأن ينقل عن هذا الكتاب ويجمع لقطات منه، فامتثل أمره فكان ذلك حصيلة علمية تقع في نحو مائة

وثلاث وستين صفحة، ولما قدمها إلى شيخه الإمام الحداد أعجب بها وأمره أن يسميها: «المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الرَوي» وقد أثنى كل من الإمامين الحداد والحبشي على المصنِّف ومصنَّفه الثناء العاطر في المسلك المشار إليه.

ولما انتشرت الطباعة في البلاد العربية طبع المشرع أول طبعة بمصر عام ١٣١٩هـ، وجُلبت نُسخَهُ إلى حضرموت والجزيرة العربية، وأندونيسيا، وملايا، وشرق أفريقيا وغيرها.

ولم يأت بعده ما نسج على منواله إلا ما اشتهر من «ذيل المشرع» الذي ألفه العلامة الكبير عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس المتوفي بالقاهرة عام ١١٩٢هـ ١٧٧٨م، لكن - مع الأسف الشديد - لا يوجد من هذا الكتاب - الذيل - سوى نسخة واحدة خطية في بلدة «سورت» بالهند، فعسى أن يستيقظ بعض الغيورين على التراث فيقوم بنقله أو تصوير نسخ منه ثم نشره، كما نرجو أن يتم التعاون والتشجيع على التأليف في تاريخ رجالنا وأبطالنا بطريقة فنية وعلمية حتى لا يضيع تراثنا الثري، وحتى لا ينطبق علينا قول الشاعر:

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في جوارهم الصنيعا
إذا المجد الأثيل تداولته ... بناة السوء أوشك أن يضيعا

ترجمة المصنف

أما ترجمة مصنف هذا الكتاب - وهو السيد العلامة المؤرخ الفلكي محمد جمال الدين بن أبي بكر الشلي العلوي الحسيني -، فقد كفانا المؤنة فيها المصنف نفسه حيث ترجم لنفسه في كتابه هذا تحدثاً بالنعمة، وتأسياً بغيره من العلماء، وترجمته - التي لم يقل فيها غير الحق - تدل على علم جم وعمل به، وصلاح واستقامة وشهرة واسعة، وقد وضع نفسه آخر المحمدين في الجزء الثاني تواضعاً منه - رحمه الله ورضي عنه -، وقد ترجم له المحبي في كتابه:

«خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر[1]»، والزركلي في الأعلام[2]، وتوفي - رحمه الله - سنة ١٠٩٣هـ ١٦٨٢م بمكة المكرمة عن عمر يناهز الـ٦٣ عاماً هجرية و٦١ عاماً ميلادية، ولكن الأيام هي هي، رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به.

هذا ما أردت املاءه كمقدمة وجيزة لهذه الطبعة، وخير الكلام ما قل ودل

أملاه بجدة في محرم من عام ١٤٠١هـ ـ نوفمبر ١٩٨٠.

محمد بن أحمد الشاطري

---

(١) ج٣/ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ط، مكتبة خياط، بيروت.

(٢) ج٦/ص ٥٩ ـ ٦٠ ط، دار العلم للملايين، عام ١٩٧٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح بمعارف العوارف صدور أوليائه، وروّح بسماع صفاتهم الطيبة أرواح أهل وداده وأصفيائه، ومنّ على المؤمنين بالنعم المستدامة؛ إذ بعث فيهم رسولاً يهدي إلى موارد السلامة، وخص أهل بيته بأشرف المناقب والغرر، وفضلهم بعد النبيين على من سواهم من البشر، وحباهم بمزايا لم تبق لغيرهم فخراً ولم تذر. أحمده سبحانه على ما أفاض به علينا من جوده وأفضاله، وأشكره أن جعلنا من أمة نبيه وبحبوحة آله، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين. ﴿أما بعد﴾ فإن الفضائل وإن كانت كثيرة، وتطلع شموسها في سمائها المنيرة؛ فلا مرية عند ذوي الأفهام، أن أجلها الانتساب إلى سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وأنه لا أفضل ممن أنتمى إليه صلى الله عليه وسلم بصحبة أو نسبه، ولا أعلى من عترته وأهل بيته منزلة ورتبة، وكيف لا وقد قال الله تعالى تشريفاً لهم وتوقيراً ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمْ الرِجسَ أَهلَ البيتِ ويُطَهِّركُم تَطهيراً﴾؟ وأن السادة الأشراف بني علوي منحوا مراتب جليلة من صاحب الرسالة، وخصوا بعدم الشبهات، واعتقاد أهل الضلالة.

ولما كانت النفوس تتشوف إلى الاطلاع على علم الأخبار، وأحوال من مضى من الأخيار؛ أحببت أن أجمع في هذه الأوراق ما رقّ وراق، من أخبار هؤلاء السادة، وأحوالهم الخارقة للعادة، واعتمدت في ذلك على النقل من كتب أهل السابقة والفضل، (كالجوهر الشفاف في كرامات السادة الأشراف)

للشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب الأنصاري؛ فإنه أتى فيه بدرر فاخرة، من بحار زاخرة (والبرقة المشيقة في الخرقة الأنيقة) للشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أشار فيه إلى أنموذج مطرز وطراز مبرز * وكتاب (غرر البهاء الضوي في مناقب السادة بني علوي) للإمام المحدّث السيد محمد بن علي خرد با علوي جمع فيه نفائس الجواهر،وكم ترك الأوائل للأواخر * وكتاب (الترياق الواف بأخبار السادة الأشراف) للسيد عمر بن محمد بن أحمد باشيبان باعلوي * وكتاب (المنهل الصافي) للسيد عبدالله بن عبدالرحمن باهرون الشهير بالنحوي * وذكر السيد شيخ ابن عبدالله العيدروس في كتاب (العقد النبوي) من ذلك جملة وافرة بدورها عن المحاسن سافرة * وكذلك ولده ذو المفاخر الشيخ عبد القادر ذكر في مصنفاته جملة مستكثرة * جعلنا الله وإياهم ممن قال فيهم ﴿وجوهٌ يومَئذٍ مُسفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُستَبشِرَة﴾ * فاقتديت بمصنفيها أو اهتديت بأنوار من فيها * فهي العمدة في ذلك * ومنها يستمد من أراد ما هنالك * فليس لي في هذا الجمع إلا حسن الاختيار من كلامهم والتبرك بالدخول في نظامهم وما نحن معهم إلا كما قيل:

ومالي فيه سوى أنني أراه هوى وافق المقصدا
وأرجو الثواب بكتب الصلاة على السيد المصطفى أحمدا

نعم ضممت إلى ذلك ما استفدته من ترددي في البلاد، ومخالطتي للعباد، من أخيار أهل عصرنا السادة الحضارمة، الذين امتطوا غارب المجد وسنامه، ولا أذكر إلا من كثر في طريق القوم زاده، وكبر في العلوم مزاده، واستطردت من الأحاديث والأحكام، ما له بذلك مناسبة والتئام، ولا أذكر من نظمهم إلا اليسير لأن أكثرهم لم يتعاطاه رأساً، وبعضهم تعاطى ما لم يروا به بأساً، وما ذكرته من الأحاديث في هذا الجمع، فجميعها سالمة من الوضع، وحذفت منها الأسانيد؛ وإن كانت عند المحدّثين ألذ من الفالوذج، لأن جميعها في مظانه موجود، وعند المراجعة يحصل المقصود، ورتبته حسبما تخيلته الواهمة، على مقدمة وبابين وخاتمة، * فالمقدمة في فضل القرابة والآل، على سبيل العموم والاجمال*، والباب الأوّل في نسبهم الكريم، وتنقلهم في الأقاليم، واستقرارهم بمدينة تريم *، والباب الثاني، في تراجم أهل هذا البيت الطاهر،

ووصف حالهم وجمالهم الباهر، * والخاتمة في خرقتهم الشريفة، وما فيها من الأسرار اللطيفة، ولما اتسق على النمط المرضي سميته المشرع الروي، في مناقب بني علوي، والله أسأل مدد الاقبال والقبول، ونهاية السؤل والمأمول وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

﴿المقدمة﴾

(في فضل القرابة والآل على سبيل العموم والاجمال)

أعلم أن فضلهم أشهر من أن يذكر، وأوضح من أن يسطر، وقد أكثر العلماء رحمهم الله تعالى من ذلك في التصانيف، وأفردوهم بالتأليف، فلنذكر نبذة يسيرة على سبيل التبرك والتذكار، والاشارة لذي البصيرة إلى الاستبصار، ويحسن تقديم أصله عليه، ليكون كالغاشية بين يديه، وهو تزويج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة من علي كرم الله وجهها، ونسوق القصة على وتيرة واحدة، وإن كانت مأخوذة من أحاديث متعددة (فأقول) وبالله التوفيق، وأسأله الهداية إلى أقوم الطريق.

روى أصحاب السير عن أنس قال: خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة رضي الله عنها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل القضاء بعد، ثم خطبها عمر رضي الله عنه مع عدة من قريش كلهم يقول صلى الله عليه وسلم له مثل قوله لأبي بكر، فانطلقا إلى علي كرم الله وجهه يأمرانه أن يطلب ذلك قال علي فنبهاني لأمر، وقالت لعلي مولاة له قد خطبت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوّجك؟ فقال أو عندي شيء أتزوّج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوّجكها، ولقيه رهط من الأنصار فقالوا له لو خطبت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فخليق أن يزوّجكها فقال: كيف وقد خطبها أشراف قريش فلم يزوّجها؟ فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ليخطبها، فسلم وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هيبة وجلالة فأفحم ولم يتكلم، فقال: ما حاجة ابن أبي طالب؟ فسكت فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقال:

نعم فقال صلى الله عليه وسلم: مرحباً وأهلاً فخرج إلى الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال: لا أدري غير أنه قال مرحباً وأهلاً فقالوا: يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما قد أعطاك الأهل والرحب. وأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها إن علياً قد ذكرك، فسكتت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: لعلي هل عندك شيء تستحلها به؟ فقال: لا والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت بالدرع التي أسلحتكها؟ فقال: عندي والذي نفس علي بيده إنها الحطمية. (فأمره) صلى الله عليه وسلم ببيعها فباعها بأربعمائة وثمانين درهماً ثم جاء بها ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم، فقبض منها قبضة وقال: أي بلال ابتع لها طيباً ثم غشيه صلى الله عليه وسلم الوحي، فلما أفاق قال: أمرني ربي أن أزوّج فاطمة من علي، وأتاه صلى الله عليه وسلم ملك وقال: يا محمد إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك أني قد زوّجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى فزوّجها منه في الأرض، ثم قال صلى الله عليه وسلم لأنس: أخرج فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن وعدة من الأنصار، فدعاهم؛ فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم، وكان علي غائباً قال صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد، صلى الله عليه وسلم، إن الله تبارك اسمه، وتعالت عظمته، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام، وألزم به الأنام، فقال عزّ من قائل ﴿وَهوَ الّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكانَ رَبُّكَ قَديراً﴾ فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء، ويثبت وعنده أم الكتاب، ثم إن الله عزّ وجلّ أمرني أن أزوّج فاطمة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا أني قد زوّجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك عليّ).

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر، ثم قال انتهبوا فانتبهوا، فبينما هم ينتهبون إذ دخل علي كرّم الله وجهه، فتبسم صلى الله عليه وسلم في

وجهه، ثم قال إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أزوّجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت بذلك؟ قال: قد رضيت بذلك يا رسول الله، ثم إن علياً خرّ لله ساجداً شكراً فلما رفع رأسه قال له صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما، وأعزّ جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً.

قال أنس فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب، وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم لعلي هذا جبريل يخبرني أن الله عزّ وجلّ زوّجك فاطمة، وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك، وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت، فنثرت عليهم الدر والياقوت، فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن في أطباق الدرر والياقوت، فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة فلما كان بعدما زوّجه النبي صلى الله عليه وسلم: يا علي لا بد للعرس من وليمة فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة ورهن علي كرّم الله وجهه درعه عند يهودي بشطر شعير، قالت أسماء: وما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمة علي على فاطمة، وكانت آصعاً من شعير وذرة وتمر وحيس، ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يجهزوها، فجهزت بسرير مشرط ووسادة من أدم حشوها ليف، وخميلة وسقاء وقربة وجرتين وتور من أدم ومنخل ومنشفة وقدح ومسك كبش ورحاتين وملء البيت كثيباً أي رملاً، وأتى لهم بتين وزبيب، فلما كانت ليلة الزفاف أمر النبي صلى الله عليه وسلم أم أيمن أن تنطلق إلى بيته، وقال لعلي لا تحدث شيئاً حتى آتيك فجاءت فاطمة رضي الله عنها في بردين عليها دملوجان من فضة مزعفران بزعفران، ومعها أم أيمن ونسوة فقعدت في جانب وعلي في جانب، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ههنا أخي فقالت أم أيمن: أخوك وقد زوّجته ابنتك قال نعم، وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة ائتيني بماء، فقامت إلى قعب في البيت تعثر في ثوبها أو قال في مرطها من الحياء، فأتت فيه بماء فأخذه صلى الله عليه وسلم ومج فيه وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال لها تقدمي فتقدّمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال لها أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها وقال إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، وقال لها إني لم

آل أن أنكحتك أحب أهلي إلي، ثم قال لعلي ائتني بماء، وصنع بعلي كما صنع بفاطمة، ودعا له بما دعا لها به، ثم قال له صلى الله عليه وسلم: ادخل بأهلك على إسم الله والبركة، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سواداً وراء الباب، فقال من هذا؟ قالت أسماء . قال: أسماء بنت عميس؟ قالت: نعم. قال: أمع بنت رسول الله جئت كرامة لرسول الله؟ قالت: نعم. فدعا لها بدعاء قالت لأنه لاوثق عمل عندي ثم خرج، وقال لعلي دونك أهلك وأغلق عليهما الباب بيده، قالت أسماء فلم يزل صلى الله عليه وسلم يدعو لهما خاصة لا يشرك في دعائه لهما أحداً حتى توارى في حجرته صلى الله عليه وسلم، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم جمع الله شملهما، وأطاب نسلهما، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمة، وفي رواية وبارك لهما في شبليهما، وفي رواية شبريهما.

(قوله الحطمية) بالحاء المهملة سميت به لأنها تحطم السلاح وقيل بالمعجمة نسبة إلى خطمة ابن عبدالقيس.

وقوله في الخطبة أوشج به الأرحام، أي شبك بعضها في بعض يقال رحم واشجة أي مشتبكة.

وقوله وجمع شملكما، قال أبو الحسين أحمد بن سليمان: الشمل الجماع، وقال الجوهري: الشمل بالتحريك مصدر قولك شملت ناقتنا لقاحاً من فحل فلان شملاً إذا لقحت. قال وخرجه الدولابي وقال في شبليهما فإن صح فله معنى مستقيم، والظاهر أنه تصحيف والشبل ولد الأسد فيكون ذلك إن صح كشفاً واطلاعاً منه صلى الله عليه وسلم، فأطلق على الحسن والحسين شبلين وهما كذلك. اهـ.

قال السيد السمهودي: لم أر من تكلم على رواية شبريهما والذي يظهر لي أنه بمعنى قوله في تلك الرواية شبليهما يعني الحسن والحسين فقد جاء أن جبريل عليه السلام أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسميهما بأسماء ابني هرون عليه السلام شبرا وشبيرا؛ لأن علياً منه بمنزلة هرون من موسى، فقال صلى الله عليه وسلم إن لساني عربي، فقال حسناً وحسيناً.

واختلف في المهر فقيل كان مهرها الدرع ولم يكن إذ ذاك بيضاء ولا صفراء، وقيل كان مهرها أربعمائة درهم، وقيل أربعمائة وثمانين وهذا هو الأشهر.

ثم هذه القصة لا تنافي مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه من اشتراط القبول فوراً بلفظ التزويج أو النكاح، دون نحو رضيت، ومن اشتراط عدم التعليق لأنها واقعة حال فعلية محتملة أن علياً قبل فوراً لما بلغه، أو كان له وكيل حاضر، أو أنه لم يرد به العقد بل إظهار ذلك، ثم عقد معه لما حضرا، وأنه مخصوص بذلك، جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول فوراً على أن قوله إن رضي بذلك ليس تعليقاً حقيقياً؛ لأن الأمر منوط برضا الزوج؛ وإن لم يذكره فذكره تصريح بالواقع، وقوله قد رضيت يحتمل أنه أخبار عن رضاه بوقوع العقد منه، أو من وكيله، فالحاصل أنها واقعة حال محتملة لذلك كله.

وقد قال الشافعي رضي الله عنه: وقائع الأحوال إذا طرقها الاحتمال كساها ثوب الجمال، وسقط بها الاستدلال،

وكان تزوجه بها بالمدينة في رجب وقيل في صفر ثاني سني الهجرة وسنها يومئذ ثمانية عشر سنة، وقيل خمسة عشر ونصف وسن علي إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر وبنى بها في ذي الحجة، وقيل في صفر من السنة الثالثة.

﴿ولنشرع الآن﴾ في الآيات المتعلقة بهم، والأحاديث الواردة فيهم، واعلم أن العلماء بسطوا القول على ذلك أدلّة واحتجاجاً، ووسعوا المجال فيه مسالك، وفجاجاً، فيحسن أن نختصر، ونشير إلى بعضه على وجه الايجاز، والاختصار، ليكون ذلك أبلغ وأدعى إلى الاستحضار.

﴿**فمن الآيات**﴾ قوله تعالى ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيذهِبَ عَنكُم الرِّجسَ أهل البَيتِ وَيُطهِرَكُم تَطهيرا﴾.

قال العلماء: هذه الآية منبع فضائل أهل البيت، لاشتمالها على غرر مآثرهم، واعتناء الباري عزّ وجلّ بهم، حيث أنزلها في حقهم، وابتدأت بانما التي هي أداة الحصر لإفادة أن إرادته تعالى في أمرهم مقصورة، على ذلك.

لا تتجاوزه إلى غيره، وختمت بالمصدر مبالغة ليعلم أنه في أعلا مراتب التطهير، ودفعاً للتجوّز، ونكر ذلك المصدر إشارة إلى كونه نوعاً عجيباً ليس مما يعهده الخلق، وإلى التكثير والتعظيم بمعونة المقام، كما في قوله تعالى ﴿فَقد كُذِبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبلِكَ﴾ وقد ذهب بعضهم إلى عموم النكرة في سياق الامتنان، وإن كانت مثبتة، وأيضاً فيها إشارة إلى ما سيأتي في بعض الطرق من تحريمهم على النار. قال الشيخ محيي الدين بن عربي: هذه الآية تدل على أن الله شرك أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخَرَ﴾ قال: وأي وسخ، وقذر أوسخ من الذنوب، فدخل أولاد فاطمة كلهم، ومن هو من أهل البيت، مثل سلمان إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية في الغفران إلى آخر ما أطال به رحمه الله.

(ومنها) قوله تعالى ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيه أَجْراً إلا المودَّةَ في القُربَى﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، قال: «علي وفاطمة وإبناهما». أخرجه أحمد في المناقب، والطبراني في الكبير، وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في مناقب الشافعي، والواحدي في الوسيط، ويشهد له ما أخرجه الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس، قال: ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا، قال: المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم، وعن السدي أنه قال قوله تعالى إن الله غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم نقله عن القرطبي وغيره، ولا ينافي ذلك ما في البخاري عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى ﴿إلا المودَّةَ في القُربى﴾ قال سعيد بن جبير: قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم، فقال له ابن عباس: عجلت إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان فيهم قرابة، فقال ألا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. لأن ابن عباس إنما رد عليه لاقتصاره في تفسير الآية على ذلك، مع أن المقصود منها العموم، ولذلك لم ينسبه إلى الخطأ بل إلى العجلة، وملحظ ابن جبير أن الآية إذا أفادت الحث على المودة، والصلة والحفظ، لقرابته صلى الله عليه وسلم، كانت أدل بطريق الأولى على الحث على هذه الأمور بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم، وأراد ابن عباس بيان مسلك العموم، أي تودوني في قرابتي لكم.

ومعلوم أن من ذلك ودكم لقرابتي فإنه من جملة ودّي وهم قرابتكم أيضاً، كما أن ما ذهب إليه الحسن، من أن معنى الآية إلا التودد إلى الله، والتقرب إليه بطاعته لحديث في ذلك لا ينافي ما قاله ابن عباس وغيره، لأن من جملة مودّة الله تعالى مودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته.

(ومنها) قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبي يا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيه وَسَلِّموا تَسْلِيماً﴾ فقد صح لما نزلت قالوا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت. قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث. وفي بعض الروايات كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ ففي ذلك دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على الآل؛ مراد من الآية وإلا لما سألوا عن الصلاة على أهل البيت عقب نزولها، ولم يجابوا بما ذكر على أنه صلى الله عليه وسلم، أقامهم في ذلك مقام نفسه، إذ القصد من الصلاة عليه، أن ينيله مولاه عزّ وجلّ من الرحمة المقرونة بتعظيمه ما يليق به، ومن ذلك ما يفيضه عزّ وجلّ منه على أهل بيته، فإنه من جملة تعظيمه وتكريمه. ويؤيد ذلك ما يأتي في طرق أحاديث الكساء من قوله: صلى الله عليه وسلم «اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد» الحديث. وقوله: «اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك» الحديث. ويروى «لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء» تقولوا اللهم صل على محمد وتمسكوا بل قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد».

﴿تنبيه﴾

استفيد من الآية: إنّا مأمورون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اختلف العلماء في ذلك على عشرة أقوال، ومذهب الشافعي، أنها تجب حتى عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير، ووافقه جمع من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وفي سنتيها في الأوّل خلاف، والجديد المصحح سنها فيه، والثاني لا تسن لبنائه على التخفيف، ومنع بأنه لا تطويل في قولك اللهم صل على محمد، وأما الصلاة على الآل فلا تجب عند الشافعي، والجمهور، بل نقل كثير الاجماع على ذلك، لكن رد بأن فيه

رواية عن أحمد، ونقل عن الشافعي، وقال به من أصحابه أبو إسحق المروزي وغيره، أنها تجب في الأخير قال البيهقي: وفي الأحاديث الصحيحة دلالة له إذ الأمر للوجوب حقيقة على الأصح بل قيل تجب على إبراهيم. وأجيب بجوابين أحدهما أن الآية لم يذكر فيها الصلاة على الآل، وهي الأصل في الوجوب، والثاني وهو أحسن بل أصوب، أن جوابه صلى الله عليه وسلم ورد بزيادة ونقص فلا نوجب إلا ما اتفقت الروايات عليه وما زاد فهو من قبيل الأكمل وإسقاط الصلاة على الآل جاء في رواية للبخاري، في حديث أبي سعيد، وفي حديث أبي حميد المتفق عليه، وقد أشار الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى هذا المعنى بقوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم ... من لا يصلي عليكم لا صلاة له

وأما الصلاة على الآل في التشهد الأول، فقيل تسن واختير لصحة الحديث فيه، والصحيح سنها في الأخير دون الأوّل، لبنائه على التخفيف ومنع بأنه لا تطويل في قولنا وعلى آل محمد، قال النووي في تنقيح الوسيط في تصحيح الأصحاب في هذا نظر بل ينبغي أن يسن فيهما جميعاً أو لا يسنا فيهما، ولا يظهر فرق مع الأحاديث الصحيحة المصرحة بالجمع بينهما، واستظهره غير واحد، وأجيب بأن من القواعد أنه يستنبط من النص معنى تخصيصه، وهو هنا إنه يلزم من ندبها ندب بقية الكيفية، وفي ذلك تطويل التشهد الأوّل وهو خلاف المعروف، وأيضاً قد جرى قول بوجوب ذلك في التشهد الأخير، ففي ندبه في الأوّل قياساً نقل ركن قولي على قول وهو مبطل على قول، ولا شك أن الاحتياط للأبطال أولى وآكد، نعم لو فرغ المأموم قبل إمامه سن له الاتيان بها، كما أفتى به الشهاب الرملي خلافاً للشيخ ابن حجر.

﴿ومن الآيات﴾ قوله تعالى ﴿سَلامٌ عَلى آلَ يَس﴾ نقل جمع من المفسرين عن ابن عباس إن المراد آل محمد، وأكثر المفسرين على أن المراد الياس عليه السلام. (ومنها) قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعَاً﴾ أخرج الثعلبي في تفسيره عن جعفر الصادق، أنه قال: نحن حبل الله (ومنها قوله

تعالى ﴿وَقِفوهُم إنَّهُم مَسؤُولُون﴾ قال الواحدي مسؤولون عن ولاية أهل البيت. (ومنها) قوله تعالى ﴿أم يَحسِدونَ النَّاسَ عَلى مَا آتاهُم اللهُ مِن فَضْلِه﴾ أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر، أنه قال في هذه: نحن الناس، (ومنها) قوله تعالى ﴿ومَا كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهم وأَنتَ فِيهِم﴾ سيأتي في الأحاديث ما يشير إلى وجود ذلك في أهل البيت، وأنهم أمان لأهل الأرض. (ومنها) قوله تعالى ﴿وإنِّي لَغفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمنَ وَعَمِلَ صَالحاً ثُمَ اهتَدى﴾. قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية أهل البيت، بل جاء ذلك عن محمد الباقر أيضاً، (ومنها) قوله تعالى ﴿وَلَسوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَى﴾ أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس قال رضا محمد صلى الله عليه وسلم «أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار» وكذا قاله السدي، فهذه الآيات بعض ما أنزل الله تعالى في كتابه ونسأله سبحانه أن يجعلنا من جملة أحبابه.

﴿**وأما الأحاديث**﴾ فكثيرة، ولكن نشير إلى ما يهتدى به ذوو القلوب المنيرة، فما ورد في فضل النسب والسبب النبوي، قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي». وقوله صلى الله عليه وسلم: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي». وقوله صلى الله عليه وسلم: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي». وقوله صلى الله عليه وسلم: « إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي». وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، وإن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة». قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فتزوّجت أم كلثوم لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وأحببت أن يكون بيني وبينه سبب ونسب ولما خطبها إلى علي، اعتل بصغرها وقال: «أعددتها لابن أخي» يعني جعفراً فقال عمر والله إني ما أردت الباه ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي». وفي رواية والله ما على وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، وفي أُخرى، ما حملني على كثرة ترددي إليك إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا حسبي وسببي ونسبي وصهري». وفي أخرى، والله ما حملني على الالحاح على عليّ في بنته إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل سبب ونسب وصهر ينقطع إلا سببي وصهري وأنهما يأتيان يوم القيامة فيشفعان لصاحبهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله».

﴿ومما ورد في فضل الرحم﴾

ما صح أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع، بل ينفع حتى يبلغ جاوجكم؛ إني لأشفع فاشفع حتى من أشفع له فيشفع حتى أن إبليس ليتطاول طمعاً في الشفاعة». (وقوله جاوجكم) هما حيان من اليمن. وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا دنياه، حرمة الاسلام وحرمتي وحرمة رحمي». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله حرمات ثلاثاً من حفظهن حفظ الله أمر دينه ودنياه، ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيئاً. قيل وما هي يا رسول الله قال: حرمة الاسلام وحرمتي وحرمة رحمي».

﴿فضل القرابة﴾

قال صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل قلب امرىء مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي». وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله أوصاني بذي القربى.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحب الله أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحبني، ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي».

﴿فضل الآل﴾

قال صلى الله عليه وسلم: «حب آل محمد خير من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنة». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لله سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد». وقال صلى الله عليه وسلم: «معرفة آل محمد براءة من النفاق، وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

﴿فضل قريش﴾

قال صلى الله عليه وسلم: «أحبوا قريشاً فإن من أحبهم أحبه الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «قدموا قريشاً ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تتقدموا قريشاً فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلّموا منها فإنها أعلم منكم». وفي رواية «لا تغالوها أي لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه». وقال صلى الله عليه وسلم: «العلم في قريش». وقال صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا من قريش ودعوا فعلهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «فضل الله قريشاً بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم فضل الله قريشاً، أني منهم وأن النبوّة فيهم، وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين، وفي لفظ سبع سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش». وقال صلى الله عليه وسلم: «فضل الله قريشاً بسبع خصال فضلهم بأنهم عبدوا الله تعالى عشر سنين لا يعبد الله إلا قريشي، وفضّلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالم غيرهم، وهي لإيلاف قريش، وفضّلهم بأن فيهم النبوّة والخلافة، والحجابة، والسقاية». وقال صلى الله عليه وسلم: «أعطيت قريش ما لم يعط

الناس. أعطوا ما أمطرت السماء، وما جرت به الأنهار، وما سالت به السيول». وقال صلى الله عليه وسلم: «قوة رجل من قريش تعدّل قوة رجلين من غيرهم، وأمانة رجل من قريش تعدّل أمانة رجلين من غيرهم». وقال صلى الله عليه وسلم إن للقريشي قوة رجلين وقال صلى الله عليه وسلم: «شرار قريش خير شرار الناس» وقال صلى الله عليه وسلم: «خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس». وقال صلى الله عليه وسلم: «الناس تبع لقريش صالحهم تبع لصالحهم وشرارهم تبع لشرارهم». وقال صلى الله عليه وسلم «الناس تبع لقريش في الخير والشر». وقال صلى الله عليه وسلم: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام، إذا فقهوا». وقال صلى الله عليه وسلم: «قريش ولاة الأمر فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها، وإن أمرت عليكم قريش عبداً حبشياً مجدّعاً فاسمعوا وأطيعوا ما لم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه فإن خير بين إسلامه وضرب عنقه فليقدم عنقه». وقال صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما أن استرحموا رحموا، وإن استحكموا عدلوا، وإن عهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». ولهذا الحديث طرق، جمعها الحافظ ابن حجر في مؤلف سماه لذة العيش، في حديث طريق الأئمة من قريش، وقال صلى الله عليه وسلم: «قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله تعالى، فإذا عصيتموه بعث الله عليكم من يلحاكم كما يلحي هذا القضيب». وقال صلى الله عليه وسلم لقريش: «أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق إلا أن تعدلوا عنه فتلْحون كما تلحى هذه الجريدة وأشار إلى جريدة بيده». يقال لحوت الشجرة ولحيتها وألحيتها إذا أخذت لحاها، وهو قشرها، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لكم على قريش حقاً وإن لقريش عليكم حقاً ما حكموا فعدلوا، وائتمنوا فأدوا، واسترحموا فرحموا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة

الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «الولاة من قريش ما أطاعوا الله تعالى، واستقاموا لأمره». وقال صلى الله عليه وسلم: «لم يزل هذا الأمر في قريش ما بقي منها اثنان».

وقال صلى الله عليه وسلم: «يكون من بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش». وقال صلى الله عليه وسلم: «الملك في قريش والقضاء في الانصار والأذان في الحبشة والأمانة في الازد» يعني اليمن، وقال صلى الله عليه وسلم: «الخلافة في قريش والحكم في الأنصار والدعوة في الحبشة والجهاد والهجرة في المسلمين والمهاجرين». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الأمر في قريش لايعاديهم أحد إلا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين». وفي رواية «إلا أكبه الله تعالى على وجهه في النار» وقال صلى الله عليه وسلم: «قريش أفضل الناس أحلاماً، وأعظم الناس أمانة، ومن يرد قريشاً بسوء يكبه الله لفيه». وقال صلى الله عليه وسلم: «انظروا قريشا فخذوا من قولهم وذروا فعلهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «قريش خاصة الله تعالى فمن نصب لها حرباً سلب، ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة». وقال صلى الله عليه وسلم: «أن قريشاً أعفة صبر فمن يفل لهم الغوائل يكبه الله تعالى لوجهه يوم القيامة». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن قريشاً أهل أمانة فمن بغاها العواثر أي طلب لها المكايد كبه الله عز وجل لمنخريه» يقولها ثلاثاً. قال الطحاوي: هكذا قرأه علينا المزني أهل أمانة أي بالنون وإنما هو أمامة أي بالميم وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة». وقال صلى الله عليه وسلم: «حب قريش إيمان وبغضهم كفر». وقال صلى الله عليه وسلم في رجل أبعده الله تعالى إنه كان يبغض قريشاً وقال صلى الله عليه وسلم لقتادة بن النعمان: «لا تشتم قريشاً فإنك لعلك ترى منهم رجالاً أو تأتي منهم رجال يحقر عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتم لولا أن تطغى قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل». وقال صلى الله عليه وسلم: «من أهان قريشاً أهانه الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «من يرد هوان قريش يهنه الله تعالى». وقال صلى الله عليه وسلم: «أوّل الناس هلاكاً قريش. وأوّل قريش هلاكا أهل بيتي». وقال صلى الله عليه وسلم:

«أمان لأهل الأرض من الغرق القوس، وأمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش قريش أهل الله، فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس». وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اهد قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علمًا اللهم كما أذقتهم عذاباً فأذقهم نوالاً». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علمًا اللهم أذقت أوّل قريش نكالاً فإذق آخرها نوالاً». وقال صلى الله عليه وسلم: «عالم قريش يملأ». وفي رواية يسع طباق الأرض علمًا.

«فضل بني هاشم»

قال صلى الله عليه وسلم: «قال جبريل عليه السلام: قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد أفضل من بني هاشم، وقال صلى الله عليه وسلم يامعشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت الأبكم». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا بني هاشم إني سألت الله عز وجل أن يجعلكم رحماء نجباء وسألته أن يهدي ضالكم، ويؤمن خائفكم، ويشبع جائعكم». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا بني هاشم إني سألت الله تعالى أن يجعلكم نجباء رحماء وسألته أن يهدي ضالكم، ويؤمن خائفكم، ويشبع جائعكم، والذي نفسي بيده لا يؤمن أحد حتى يحبكم بحبي، أترجوا أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبدالمطلب». وقال صلى الله عليه وسلم: خير الناس العرب، وخير العرب قريش، وخير قريش بنو هاشم». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم قريشاً، ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خياراً من خيار».
وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار إلى خيار».
وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل، واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». وقال

صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى اصطفى كنانة من بني اسمعيل، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». وقال صلى الله عليه وسلم: «يقوم الرجل للرجل إلا بني هاشم فإنهم لا يقومون لأحد وقال صلى الله عليه وسلم يقوم الرجل لأخيه عن مقعده إلا بني هاشم فإنهم لا يقومون لأحد». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يقوم الرجل من مجلسه إلا لبني هاشم وقال صلى الله عليه وسلم: «بغض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق، وفي رواية بغض بني هاشم نفاق ولله در القائل».

لله من قد برا صفوة | وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من هاشم | محمد النور أبو القاسم

﴿فضل بني عبدالمطلب﴾

قال صلى الله عليه وسلم: «يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله تعالى أن يجعلكم جوداء، نجباء رحماء». وفي رواية نجداء بدل نجباء وهو من النجدة وهي الشجاعة. وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واتخذه خليلاً، واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل، ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزاراً، ثم اصطفى من ولد نزار مضر، ثم اصطفى من ولد مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشاً، ثم اصطفى من قريش بني هاشم، ثم اصطفى من بني هاشم عبد المطلب، ثم اصطفاني من بني عبد المطلب». وقال صلى الله عليه وسلم: «خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبدمناف، وخير بني عبدمناف بنو هاشم، وخير بني هاشم بنو عبدالمطلب، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «من أولى رجلاً من بني عبدالمطلب معروفاً في الدنيا فلم يقدر المطلبي على مكافأته فأنا أكافئه عنه يوم القيامة». وقال صلى الله عليه وسلم: «من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فعلي مكافأته غداً إذا لقيني». وفي رواية مَنْ صنع صنعة إلى أحد من خلف عبدالمطلب في الدنيا فعلي مكافأته إذا لقيني». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن لبني عبد المطلب عندي رحماً سأبلها ببلالها». وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحد حتى يحبكم لحبي أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبدالمطلب». وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى

يحبوكم لله ولرسوله أترجو مراد شفاعتي ولا يرجوها بنو عبدالمطلب وبقي له طرق» وقال صلى الله عليه وسلم: «نحن بنو عبد المطلب سادات أهـل الجنة».

﴿فضل أهل البيت﴾ قال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه إني تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به فحث فيه ورغب، ثم قال. وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس فإني يوشك أن أدعي فاجيب وقد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده أبداً كتاب الله طرفه بأيديكم وعترتي أهل بيتي أذكركم الله تعال في أهل بيتي، ألا إنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني أوشك أن أدعي فاجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني أوشك أن أدعي فاجيب وإني تارك فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم خليفتين. كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض سألت ربي ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي

عترتي» زاد الطبراني «إني سألت ربي ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولاتقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» وفي رواية «كتاب الله وسنتي» وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السنة مبينة له فاغنى ذكره عن ذكرها ولحديث التمسك، بذلك طرق كثيرة صحيحة وردت عن نيف وعشرين صحابياً في مواطن متعددة اعظاماً لقدرهما. قال صلى الله عليه وسلم: «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن تمسك بها اتخذ إلى ربه سبيلاً». وعن عمر رضي الله عنه قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخلفوني في أهل بيتي» وقال صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا أهلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون». وقال صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض». وقال صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس». وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ومثل حطة لبني اسرائيل». وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق» وقال صلى الله عليه وسلم: «إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة». وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». وفي رواية ومن تأخر عنها هلك وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا» وقال صلى الله عليه وسلم: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها سلم ومن تركها غرق» وقال صلى الله عليه وسلم: إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومَنْ تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل مَنْ دخله غفر له». وقال صلى الله عليه وسلم: «مثله يعني كتاب الله كمثل سفينة نوح عليه السلام مَنْ ركبها نجا ومثلهم يعني أهل البيت كمثل باب حطة مَنْ دخله غفر له الذنوب». وقال صلى الله عليه

وسلم: «استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أُخاصمكم عنهم غداً ومَنْ أكن خصمه أخصمه ومَنْ أخصمه دخل النار» أسنده المحب الطبري. وقال الحافظ السخاوي لم أقف له على أصل اعتمده وقال صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهلي بعدي». وقال صلى الله عليه وسلم: «إجعلوا أهل بيتي مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس والرأس لا يهتدي إلا بالعينين» وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أراد التوسل إلي وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل عليهم السرور» وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحب أن ينسأ له في أجله وأن يمتع بما خوّله الله تعالى فليخلفني في أهل بيتي خلافة حسنة فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره وورد علي يوم القيامة مسوداً وجهه» وقال صلى الله عليه وسلم: «إن مَنْ صنع إلى أهل بيتي يداً كافأته عليها يوم القيامة» وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صنع إلي أحد من أهل بيتي يداً كافأته يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم: «احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني بحب الله عز وجل واحبوا أهل بيتي بحبي». وقال صلى الله عليه وسلم: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه». وقال صلى الله عليه وسلم: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي وقال صلى الله عليه وسلم: «حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة عند الوفاة، وعند القبر، وعند النشر، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط»: وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً وقال صلى الله عليه وسلم ألا أذكركم الله في أهل بيتي. وقال صلى الله عليه وسلم: «لكل شيء أساس وأساس الاسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أهل بيته». وقال صلى الله عليه وسلم: «يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبهم كهاتين السبابتين» وقال صلى الله عليه وسلم: «أوّل من يرد على الحوض أهل بيتي ومن أحبني من امتي وقال صلى الله عليه وسلم أول مَنْ أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم مَنْ آمن بي واتبعني من اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم ومَنْ أشفع له أولاً أفضل وقال صلى الله عليه

وسلم: «إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإني سائلكم غداً عنهم» وقال صلى الله عليه وسلم: «الزموا مودتنا أهل البيت فإنه مَنْ لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا». وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وأن كرشي الأنصار فاعفوا عن مسيئهم، واقبلوا من محسنهم». وقال صلى الله عليه وسلم ألا إن عيبتي وكرشي وأهل بيتي الأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزا عن مسيئهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وأن كرشي الأنصار فاعفوا عن محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقال صلى الله عليه وسلم أهل بيتي والأنصار كرشي وعيبتي فاقبلوا عن محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن ائمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا من يوفدون». وقال صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي جمع فينا الحكمة أهل البيت». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله وعدني في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فاعطاني». وقال صلى الله عليه وسلم: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا». وقال صلى الله عليه وسلم: «الدعاء محجوب حتى يصل على محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته». وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يزول قدم عن قدم يوم القيامة حتى يسأل الله الرجل عن أربع عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاده، وعن ماله فيما كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه وفيما أبلاه وعن حبنا أهل البيت». وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا أهل البيت اختار الله لنا الدار الآخرة على الدنيا، وأن أهل البيت سيلقون بعدي بلاء وتشريداً حتى يأتي قوم من المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً، كما ملؤوها جوراً فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على

الثلج». وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا أهل البيت اختار الله تعالى لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً».
وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو امية وبنو المغيرة وبنو مخزوم».

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يبتذلون أهل بيتي فوالله إني لافضلهم أصلاً». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني». وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله ولرسوله». وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرىء الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتي.

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذويّ». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما لي اوذى في أهلي فوالله إن شفاعتي لتنال قرابتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما لي اوذى في أهلي فوالله إن شفاعتي لتنال قرابتي حتى إن صدا وحكمًا وسلهباً لتنالها يوم القيامة وصدا وحكمًا وسلهبا أحياء من أحياء اليمن». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي». وقال صلى الله عليه وسلم: «من أبغض أهل البيت فهو منافق». وقال صلى الله عليه وسلم: «حرمت الجنة على مَنْ ظلمني في أهل بيتي، وآذاني في عترتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبغضنا أهل البيت أحداً إلا أدخله الله النار». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار». وقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا رجل إلا أدخله الله النار». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد يوم القيامة بسياط من نار». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أبغض أهل

البيت حشره الله يهودياً، وإن شهد أن لا إله إلا الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أبغض أحداً من أهل بيتي حرم شفاعتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرم الجنة على مَنْ ظلم أهل بيتي أو قاتلهم، أو أعان عليهم أو سبهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «احبوا أهل بيتي واحبوا علياً مَنْ أبغض أحداً من أهلي فقد حرم شفاعتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سب أهل بيتي فإنما يريد الله والاسلام وقال صلى الله عليه وسلم: «لو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله تعالى وهو مبغض لأهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار».

(صفن من الصفن) وهو جمع القدمين. وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم ارزق مَنْ أبغضني وأهل بيتي كثرة الأموال والعيال». كني بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم، وأن يكثر عيالهم فيكثر شياطينهم، وقال صلى الله عليه وسلم: «أول الناس هلاكاً قريش وأوّل قريش هلاكاً أهل بيتي.

﴿فضل العترة﴾

قال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله تعالى وعترتي». وقال صلى الله عليه وسلم في مرض موته: «أيها الناس يوشك أن اقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة اليكم إلا أني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم: «كأني قد دعيت فأجيب إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله عز وجل وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى يا رسول الله قال: فإني سائلكم عن اثنين عن القرآن وعن عترتي».

وقال صلى الله عليه وسلم: «إني فرطكم على الحوض وإنكم تبعي، وإنكم توشكون أن تردوا علي الحوض فاسألكم عن ثقلي كيف خلفتموني فيهما». وقام رجل من المهاجرين فقال: ما الثقلان. قال صلى الله عليه وسلم: «الأكبر منهما كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به والأصغر عترتي فمن استقبل قبلتي، وأجاب دعوتي، فليستوص بهم خيراً». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم، وإني قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني أن يردوا على الحوض كتين أو قال كهاتين وأشار بالمسبحتين ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل

ووليهما لي ولي وعدوهما لي عدو». وقال صلى الله عليه وسلم: «اوصيكم بعترتي خيراً وأن موعدكم الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لم يعرف حق عترتي والأنصار فهو لأحدى ثلاث إما منافق أو لزنية وإما لغير طهر أي حملت به على غير طهر». وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لي، قال: ففعل وهو فاعله لكم ويفعله لمن بعدكم». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته ويكون أهلي أحب إليه من أهله وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لاحدى ثلاث إما منافق وإما لزنية وإما امرؤ حملت به أمه في غير طهر». وقال صلى الله عليه وسلم: «احفظوني في عترتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «ستة لعنهم الله تعالى ولعنتهم وكل نبي مجاب الدعوة الزائد في كتاب الله عز وجل، والمكذب بقدر الله ، والمسلط على امتي بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله، والمستحل حرمة الله تعالى وفي رواية لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك للسنة زاد في رواية والمستأثر فيها لقي». وقال صلى الله عليه وسلم: «ستة لعنهم الله ولعنتهم وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله تعالى والمكذب بقدر الله والراغب عن سنتي إلى بدعة والمستحل من عترتي ما حرم الله والمتمسك على امتي بالجبروت يعز من أذل الله ويذل من أعز الله، والمرتد اعرابياً بعد هجرتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبغض الآكل فوق شبعه والغافل عن طاعة ربه والتارك لسنة نبيه، والمحقر ذنبه والمبغض عترة نبيه، والمؤذي جيرانه». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ آذاني في عترتي فقد آذى الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «من آذاني في عترتي فعليه لعنة الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «اشتد غضب الله تعالى على مَنْ آذاني في عترتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «اشتد غضب الله ورسوله وغضب ملائكته على مَنْ أهرق دم نبي أو آذاه في عترته.

﴿فضل الذرية﴾

قال صلى الله عليه وسلم: «أربعة أنا شفيعٌ لهم يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في امورهم عند اضطرارهم والمحب لهم بقلبه ولسانه». وقال صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار». وفي رواية فحرّمها وذريتها على النار». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا فاطمة فقال علي كرم الله وجهه: لم سميت فاطمة يا رسول الله؟ قال: «إن الله تعالى قد فطمها وذريتها عن النار». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل فطم ابنتي فاطمة وولدها ومَنْ أحبهم عن النار». وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة: إن الله تعالى غير معذبك ولا ولدك». وقال صلى الله عليه وسلم لعلي: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول مَنْ أدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا، عن ايماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا». وقال صلى الله عليه وسلم: «أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذرياتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرياتنا وأشياعنا عن أيماننا وشمائلنا، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أوّل أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرياتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرياتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا». وقال صلى الله عليه وسلم: «أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذرياتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فابشر فإنك الأنزع البطين. وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل

ذريتي في صلب علي بن أبي طالب». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا وأشار إلى علي» زاد «في رواية إذا كان يوم القيامة دعى الناس بأسماء امهاتهم سترا لهم من الله تعالى إلا هذا وذريته فإنهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم» وقال صلى الله عليه وسلم: «كل بني آدم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «كل ولد آدم فإن عصبتهم لأبيهم إلا ولد فاطمة فأنا أبوهم وعصبتهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «كل ولد أب عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا عصبتهم وأبوهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «كل بني أنثى فعصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا أبوهم وعصبتهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «كل بني انثى عصبتهم أبوهم ما خلا بني فاطمة فأنا عصبتهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «لكل بني انثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم».

فهذا ما تيسر جمعه من الأحاديث والآيات مع اشتغال الفكر بحوادث الملمات، ونسأل الله تعالى ونتوسل إليه، بأوجه الشفعاء لديه، محمد صلى الله عليه وسلم أن يجعلنا ممن جعل حبهم أعز دخائر العقبى.

وقام بامتثال قوله تعالى ﴿قُلْ لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجْراً إلا المَوَدَةَ في القُربىَ﴾، ولا بأس بالاشارة إلى ما يستفاد من الأحاديث المذكورة، من الفروع والفوائد المسطورة، وإنما اخرتها ايثار البقاء تلك على نظمها الأطيب وسياقها المستعذب، فأقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق.

﴿أستفيد مما سبق مسائل * الأولى﴾

مـا اشتهر من وصفهم بـذوي القربى، والآل وأهـل البيت والعتـرة والذرية.

أما ذوو القربى، فقيل ما ينسبون إلى جدّه صلى الله عليه وسلم الأقرب، وهو عبدالمطلب من ذكر وانثى، وقيل جميع قريش وإليه ذهب ابن عباس وتبعه جماعة من تلامذته، وخالفهم أجلهم سعيد بن جبير، فقال علي وفاطمة وأبناهما ومرّ أنه لا تنافي. وأما الآل فأصله أهل أو أول ولا يضاف إلا إلى معظم كخبر جمله القرآن آل الله، وإنما قيل آل فرعون لتصوره بصورة العظماء ويضاف للضمير على الأصح لا لغير عاقل، ويدخل المضاف إليه في حكمه كقوله صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه: «انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة إلا بقرينة». كما لو ذكرا معاً نظير الفقير والمسكين، والمراد بهم عند الشافعي والجمهور مَنْ حرمت عليهم الزكاة وهم مؤمنو بني هاشم، والمطلب دون أخويهما نوفل وعبدشمس. لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما بنو هاشم وبنوا المطلب شيء واحد». كما سيأتي وإنما حرمت الزكاة عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما هي أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد». وكالزكاة كل واجب كالكفارة ومنها دماء النسك وكالأضحية الواجبة والجزء الواجب من ضحية التطوع، والمنذور لكن اعتمد السيد السمهودي حله لهم قال لأن المعنى في تحريم الزكاة عليهم وما ألحق بها من الكفارات، كون وضعها التطهير بخلاف النذر، فإن ذلك ليس وضعه وإلا لامتنع على العلوي أخذ ما نذر به صاحبه لعلوي، ولا قائل به، انتهى.

قال السيد عمر البصري ولعله أقرب إن شاء الله تعالى ويمكن أن يزاد

بعد قوله فإن ذلك ليس وضعه بل وضعه التقرب المشعر برفعة المصروف إليه المناسبة لعلو رتبتهم، نعم لو منعوا حقهم من خمس الخمس حوز الأصطخري اعطاءهم الزكاة، واختاره الهروي ومحمد بن يحيى وأفتى بـه شرف الـدين البارزي وغيره وحكاه الطحاوي عن أبي حنيفة وذهب صاحبه أبو يوسف إلى جوازها من بعضهم لبعض، وألحق بهم مواليهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «مولى القوم منهم»، وإنما لم يلحق بهم بنو أخواتهم مع صحة قوله صلى الله عليه وسلم: «ابن اخت القوم منهم». لأن أولئك لما لم يكن لهم أباً وقبائل ينسبون إليهم غالباً تمحضت نسبتهم لساداتهم فحرم عليهم ما حرم عليهم تحقيقاً لشرف موالاتهم، ولم يعطوا من الخمس لئلا يساووهم في جميع شرفهم، وقيل المراد بالآل بنو هاشم خاصة، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية عنه.

وقيل ذرية علي والعباس وجعفر وعقيل وحمزة وهم ورثته لو فرض أنه يورث. وبالغ بعضهم في الانتصار لهذا القول، فقال مَنْ فسر الآل بغير هؤلاء، فقد غلط وليس كما زعم، وقيل أزواجه وذريته، وقيل ذرية فاطمة خاصة، وقيل جميع قريش، وقيل جميع امة الاجابة، واختاره الأزهري وبعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم، لكن قيده القاضي حسين وغيره بالاتقياء منهم، ويؤيده قوله تعالى ﴿إنْ أَوْلياؤُهُ إلاّ المُتَّقُون﴾. وقوله صلى الله عليه وسلم: «آل محمد كل مؤمن تقي» وضعف بأن المراد بالصلاة عليهم الرحمة المطلقة، وهي تعم غير الاتقياء أيضاً والخبر المذكور سنده واه جداً والعبرة بالانتساب للآباء دون الامهات نعم شرف النسبة إليه صلى الله عليه وسلم السيادة يعم أولاد البنات مطلقاً، ﴿وأما أهل البيت﴾ فقيل النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل نساؤه، وإليه ذهب ابن عباس ومولاه عكرمة وقيل نساؤه وأهل بيت نسبه، وقيل بنو هاشم، وقيل بنو عبدالمطلب، وقيل آل علي وعقيل وجعفر والعباس، وقيل مَنْ اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بنسب أو سبب، وقيل مَنْ اجتمع معه في رحم وقيل علي وفاطمة وابناهما، وهو المعتمد الذي عليه جمهور العلماء، ويدل له ما في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم: خرج ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله تحته ثم الحسين فأدخله ثم فاطمة فأدخلها ثم علي فأدخله ثم قال: ﴿إنَّما يُريدُ اللهُ لِيذهبَ عَنكُم الرِّجسَ أهلَ البَيتِ وَيُطهِّرَكُم تَطهيراً﴾. وللترمذي

عن عمرو بن أبي سلمة، ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس». قالت ام سلمة: وأنا معهم يا رسول الله قال: «أنت على مكانك وأنت على خير» وفي رواية«أنت إلى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم». وللترمذي أيضاً وقال حسن صحيح عن ام سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم: جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضوان الله عليهم بكساء وقال: «هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أي بالتشديد (أي خاصتي) اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت ام سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال: «إنك على خير». وللدولابي عن ام سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ ثوباً فجلله فاطمة وعلياً والحسن والحسين وهو معهم ثم قرأ هذه الآية ﴿إنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أَهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾. قالت: فجئت أدخل معهم فقال: «مكانك إنك على خير» وللغساني في معجمه عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم عندنا منكساً رأسه فعملت له فاطمة خزيرة فجاءت ومعها حسن وحسين فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أين زوجك فاذهبي فادعيه». فجاءت به فأكلوا فأخذ كساء فأداره عليهم وأمسك طرفه بيده اليسرى ثم رفع اليمنى إلى السماء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي وخاصتي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدوّ لمن عاداهم». وفي أهل الكساء يقول الشاعر:

بابي خمسة هم جنبوا الرجس ... كرام وطهروا تطهيرا
من تولاهم تولاه ذو العر ... ش ولقاه نضرة وسرورا
وعلى مبغضيهم لعنة الله ... وأصلاهم المليك سعيرا

وقال آخر:

أعاذل ان كساء التقى ... كسائي كجبة أهل الكساء
سفينة نوح ومن يعتصم ... بحبلهم يعتصم بالنجاء

وأخرج الحافظ عبدالعزيز بن محمود بن المبارك بن الأخضر في معالم العترة النبوية عن أم سلمة أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته فاطمة رضي الله عنها بهدية ببريمة لها فيها عصيدة تحملها على طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال أين ابن عمك قالت هو في البيت قال فاذهبي فادعيه وائتني ببنيه، فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد وعليّ يمشي على آثارهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأجلسهم في حجره، وأجلس علياً عن يمينه وفاطمة عن يساره، قالت أم سلمة: فاجتذب كساء خيبرياً فلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم جميعاً وأخذ بيده اليسرى طرف الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه تعالى. وقال: «اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (قالها ثلاثا)» قلت: يارسول الله ألست من أهلك قال «بلى فادخلي الكساء» بعد ما قضى دعاءه لابن عمه وبنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم، فقوله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة «أنت على مكانك وأنت على خير» أشارة إلى أنها من بيت السكنى وكان القصد حينئذ أفراد من ذكر من بيت النسب تنويها بعظيم قدرهم. ولذا قال لها في الرواية الأخرى أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أي وهن داخلات بمقتضى سياق الآية، ولذا جاء في رواية لأحمد وأنا يارسول الله قال: «وأنت». (وفي راية أخرى) بلى إن شاء الله تعالى فأراد بهذا أنها من أهل بيت سكناه،وأراد بالأول من هو من بيت نسبه وليست منهم، وكذا قال صلى الله عليه وسلم لواثلة بن الأسقع «وأنت من أهلي» قال واثلة أنها لمن أرجى ما أرجوه، وقال صلى الله عليه وسلم: «سلمان من أهل البيت». وقال صلى الله عليه وسلم: «أسامة منا أهل البيت ظهر البطن». وفي الحديث أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله أمن أهل البيت أنا قال: «نعم» فعدّ هؤلاء منهم باعتبار صدق محبتهم وعظيم قربهم، وأشار المحب الطبري إلى أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم وبه يجتمع اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم وما جللهم به وما دعا به لهم وما أجاب به أم سلمة وواثلة والحاصل أن لأهل البيت إطلاقات أخصها انصرافه إلى بني هاشم والمطلب، والثاني شموله لأزواجه صلى الله عليه وسلم أيضاً وهو أعم من الأوّل، والثالث شموله لمطلق الذرية، كأولاد البنات وإن سفلن ولمطلق القرابة سواء

كان من قبل الرجال أم من قبل النساء، وهذا أعمّ من الأوّلين والرابع شموله للموالي أيضاً وهو أعم من الثلاثة.

﴿وأما العترة﴾ وهي بكسر العين المهملة وسكون المثناة الفوقية فقال في القاموس نسل الرجل ورهطه. وعشيرته الأدنوَن، أهـ. وقيل أهل بيته الأقربون والأبعدون لقول أبي بكر رضي الله عنه نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيضته التي تفقأت عنه، وقيل أن العترة تطلق لغة على الأقربين والأبعدين. وأشار صلى الله عليه وسلم بقوله: «أهل بيتي ليبين أن المراد بهم الأدنون وقيل الذرية ورجحه في شرح المهذب.

﴿وأما الذرية﴾ وهي بضم الذال المعجمة وقد تكسر فنسل الانسان من ذكر وأنثى، وقد تخص بالنساء والأطفال ومنه ذراري المشركين من الذرء وهو الخلق سقطت همزته لكثرة الاستعمال، وقيل من ذر[1] فرق وقيل من الذر وهو النمل الصغير لأنهم خلقوا أوّلاً مثله وعليهما فلا همزة فيه ويدخل فيهم أولاد البنات عند الأكثر ويدل له قوله تعالى ومن ذريته داود إلى قوله تعالى وعيسى، وقال أبوحنيفة لا يدخلون وهو رواية عن أحمد وأجمعوا على دخول أولاد فاطمة في ذريته صلى الله عليه وسلم خصوصية لهم.

---

(١) أي ذرٍّ بمعنى فرق من التفريق.

﴿المسئله الثانية﴾

ما ذكره أصحابنا أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن أولاد بناته ينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة، ومن ثم وقع من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من الالحاح على علّي رضي الله تعالى عنهما في ابنته كما مر واعتبروا ذلك في الأحكام كالوقف والوصيـة والكفاءة، فـلا يكافىء هاشمي غير شريف شريفة، ويصرف الوقف على أولاد النبي صلى الله عليه وسلم والموصى به إليهم لهم دون غيرهم، ولا يعتد بخلاف من منع ذلك من بني أمية، وقوله تعالى ﴿مـا كانَ مُحَمدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ إنما سيق لانقطاع حكم التبني قال السيوطي في العجالة ولم يذكروا مثل ذلك في أولاد بناته، فالخصوصية للطبقة العليا فقط فأولاد فاطمة الأربعة ينسبون إليه صلى الله عليه وسلم، وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما فينسبون إليـه، وأولاد زينب وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم عمر وعبدالله لا إلى الأم ولا إلى أبيها صلى الله عليه وسلم لأنهم أولاد بنت بنيه لا أولاد بنته، فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع في أن الولد يتبع أباه في النسب لا أمه،وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التي ورد الحديث بها وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين، أخرج الحاكم في المستدرك عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل بني أم عصبة إلا إبني فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما، وأخرج أبويعلى في مسنده عن فاطمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل بني أم عصبة إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصبتهما». فانظر إلى لفظ الحديث كيف خص الانتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون أختيهما لأن أولاد أختيهما إنما ينسبون لآبائهم، ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفاً إذا لم يكن أبوه شريفا ولو كانت الخصوصية عامة في

أولاد بناته، وإن سفلن لكان ابن كل شريفة شريفاً تحرم عليه الصدقة وإن لم يكن أبوه كذلك وليس كذلك كما هو معلوم، ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم بذلك لابني فاطمة دون غيرها من بناته لأن أختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعقب ذكراً حتى يكون كالحسن والحسين في ذلك وإنما أعقبت بنتاً، وهي أمامة بنت أبي العاص بن الربيع فلم يحكم لها صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها في زمنه فدل على أن أولادها لا ينسبون إليه لأنها بنت بنته وأما هي فكانت تنسب إليه بناء على أن أولاد بناته صلى الله عليه وسلم ينسبون إليه، ولو كان لزينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين في أن ولده ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم، هذا تحرير القول في هذه المسئلة.

وقد خبط جماعة من أهل العصر في ذلك ولم يتكلموا فيه بعلم ثم قال إن اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت سواء كان حسنياً أو حسينياً، أو علوياً من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب أو جعفرياً أو عباسياً، ولهذا نجد تاريخ الحافظ الذهبي مشحوناً في التراجم بذلك.

يقول الشريف العباسي الشريف العقيلي الشريف الجعفري الشريف الزينبي: فلما ولي الخلفاء الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط، فاستمر ذلك بمصر إلى الآن، قال في كتاب الألقاب الشريف ببغداد لقب كل عباسي، وبمصر لقب كل علوي، أهـ.

وقال الحافظ ابن حجر[٢] في التحفة في باب الوصايا الشريف المنتسب من جهة الأب إلى الحسن أوالحسين لأن الشريف وإن عم كل رفيع إلا انه اختص بأولاد فاطمة، رضي الله عنها عرفاً مطرداً على الاطلاق انتهى. ومثله السيد هو في الأصل من يفوق اقرانه وخصه العرف بأولاد الحسنين رضي الله عنهما في جميع الجهات الاسلامية من غير نكير.

---

(٢) المراد به أحمد بن حجر الهيتمي. والتحفة هي تحفة المحتاج شرح المنهاج لابن حجر المشار إليه. (الناشر).

﴿المسئلة الثالثة﴾

عظم الانتساب إليه صلى الله عليه وسلم، وتحريم أهل بيته على النار، وهو فائدة التطهير المذكور وغايته، إذ منه إلهام الإنابة إلى الله تعالى وإدامة الأعمال الصالحة، ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً، ولذا لم تتم للحسن رضي الله عنه عوّضوا عنها الخلافة الباطنه حتى ذهب كثير من القوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم وكانوا أول من يرد الحوض، وأول من يشفع لهم، ولا ينافيه ما صح أول من يرد الحوض فقراء المهاجرين الشعث لأن الأوّلية فيه إضافية، ولا ما ورد أيضاً «أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف».
لأنه من حيث البلدان وذاك من حيث ترتيب القبائل، فيبدأ من أهل البيت بأهل المدينة ثم أهل مكة، ثم الطائف وكذا قريش والأنصار، قال بعض العارفين ولا يظهر حكم هذه النسبة لأهل البيت إلا في الدار الآخرة فإنهم يحشرون مغفوراً لهم. قال الله تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهم وأزواجِهِم وَذُرِيَاتهم﴾ قال سعيد بن جبير: يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبي أين أمي أين زوجي، فيقال له لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لي ولهم فيقال لهم ادخلوا الجنة. وصح عن ابن عباس في قوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم أنه قال ترفع ذرية المؤمن معه في درجته يوم القيامة وإن كانوا دونه في العمل. وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يرفع ذرية المؤمن إليه حتى يلحقهم في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه وليس المراد المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظير قوله تعالى ﴿فَأُولَئكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهم مِنْ النَّبيين﴾ الآية وليس المراد أن يكونوا في درجة واحدة بل المراد بحيث يتمكن كل من رؤ ية

الآخر وملاقاته وما صح من قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وجاء في الآثار أن الله يرفع بالرجل الصالح عن أهله وولده وذريته ومن حواليه العذاب، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحبني وأحب هذين يعني الحسن والحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة». وفي رواية كان معي في الجنة ومن ثم كانوا أماناً لأهل الأرض وشبههم صلى الله عليه وسلم بسفينة نوح من ركبها نجا، وبباب حطة من دخله غفر له أي على الوجه المطلوب، وضرب صلى الله عليه وسلم مثلاً لاختصاصهم بأموره الظاهرة والباطنة بالعيبة والكرش، لأن العيبة ما يخزن فيه نفيس الأمتعة والكرش مستقر الغذاء، وسماهم كالقرآن ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما لأن الثقل محركاً يطلق لغة على كل شيء نفيس مصون إذ هما معدن العلوم الشرعية، والأسرار اللدنية، ولأن العمل بما يتلقى عنهما والعمل بواجب حرمتهما ثقيل، ومنه قوله تعالى ﴿أَنَّا سَنُلْقِي عَلَيكَ قَولاً ثَقيلاً﴾ ووقع الحث بالتمسك بهم وفيه إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك وإن من تأهل منهم للمراتب العلية والوظائف الدينية مقدم على غيره.

أخرج ابن عساكر من طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سمعت أبي يقول روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يقيض في كل رأس مائة سنة رجلاً من أهل بيتي يعلم أمتي الدين». وأخرج أبو اسمعيل الهروي من طريق حميد بن زنجويه قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول يروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يمنّ على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم أمور دينهم». قال تاج الدين السبكي في الطبقات وها هنا دقيقة ننبهك عليها فنقول لما لم نجد بعد المائة الثانية من أهل البيت من هو بهذه المثابة ووجدنا جميع من قيل أنه مبعوث في كل رأس مائة ممن تمذهب بمذهب الشافعي، علمنا أنه الإمام المبعوث الذي استقر الناس على قوله وبعث بعده في رأس كل مائة من يقرر مذهبه قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى وأقول أولاً أن الرواية المقيدة بقوله من أهل بيتي، وإن كانت غير معروفة السند فإن أحمد أوردها بغير إسناد ولم يوقف على

إسنادها في شيء من الكتب ولا الأجزاء الحديثية، إلا انها في غاية الظهور من حيث المعنى فإن القائم بهذا المنصب الشريف جدير بأن يكون من أهل البيت النبوي، وهو نظير قول من اشترط في القطب أن يكون من أهل البيت النبوي إلا ان القطب من شأنه غالباً الخفاء وعدم الظهور فإذا لم يوجد في الظاهر من أهل البيت من يصلح للاتصاف بالقطبية، حمل على أنه قام بذلك رجل منهم في الباطن وأما القائم بتجديد الدين فلا بد أن يكون ظاهراً حتى يسير علمه في الآفاق، وينتشر في الأقطار، ولا يمكن أن يقال في المائة السابقة لعل رجلاً من أهل البيت قام بذلك في الباطن لأن ذلك غير مقصود الحديث والحاصل أن الأوجه من حيث المعنى ان المناصب الثلاثة لا يقوم بها إلا رجل من أهل البيت منصب الخلافة الظاهرة وهي القيام بأمر الإمامة ومنصب الخلافة الباطنة، وهي القطبية ومنصب تجديد الدين على رأس كل مائة ولكن يبقى النظر في تحرير المراد بأهل البيت فإن أراد صلى الله عليه وسلم بقوله رجل من أهل بيتي أي من قريش كما هو المراد في الخلافة الظاهرة اتسع الأمر، وسهل وحينئذ فلا يعدم واحد من المذكورين ان يكون قرشياً وقد يكون أراد بذلك ما هو أعم من كونه من أهل البيت بالنسب أو بالولاء فقد صح أن مولى القوم من أنفسهم، وقد ألحق مولى آله صلى الله عليه وسلم بآله في تحريم الذكور.

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لموليين له حبشي وقبطي: «إنما أنتما رجلان من آل محمد». رواه الطبراني بسند حسن. ومن لطيف ما يورد هنا تقوية لذلك ما أخرجه ابن عساكر عن الحسن بن أبي الحسن قال: كان حي من الأنصار لهم دعوة سابقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا مات منهم ميت جاءت سحابة فأمطرت قبره فمات لهم مولى فقال المسلمون لننظر اليوم قوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم من أنفسهم فلما دفن جاءت سحابة فأمطرت قبره، وإن كان المراد ما هو أخص من ذلك احتاج إلى النظر فيه وقد اشترط بعضهم في القطب أن يكون حسينياً، والأرجح الاكتفاء فيه بمطلق أهل البيت كالخلافة الظاهرة، ثم إن ما ذكره ابن السبكي من التأويل ينبو عنه لفظ الحديث بلا شك فإن لفظه صريح في أن المبعوث نفسه رجل من أهل البيت، فكيف يكتفي في ذلك بكونه من غيرهم،

وهو متمذهب بمذهب من هو من أهل البيت هذا بعيد جداً فلا بد من أحد أمرين، إما عدم اعتبار هذا القيد لعدم ثبوت الرواية، وإما حمله على ما هو أعم من أهل البيت بالنسب أو بالولاء، وإما أن يقال يكفي كونه منهم من جهة الأم، وهذا الأخير هو الصحيح بل الصواب. انتهى.

وأما أهل البيت الذين هم أمان لأهل الأرض فالظاهر أن المراد بهم الأعم بدليل رواية وأمان اهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش، وحينئذ يحتمل أن المراد العلماء منهم الذين يهتدى بهم كما يهتدى بنجوم السماء، ويحتمل أن المراد أعم من ذلك فيدخل سائر أهل البيت وهذا هو الأظهر، لأن الله تعالى لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي صلى الله عليه وسلم جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، فإذا انقضوا طوى بساطها فألحق الله تعالى وجود أهل بيته صلى الله عليه وسلم بوجوده صلى الله عليه وسلم، وقد قال تعالى ﴿وَمَا كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهم وَأَنتَ فيهم﴾ وأما عالم قريش الذي يملأ الأرض علمًا فهو الإمام الشافعي رضي الله عنه كما قاله الامام أحمد والامام أبو نعيم وغيرهما ولا يمتري في ذلك إلا جاهل أو متعصب.

﴿المسئلة الرابعة﴾

وجوب محبتهم وتحريم بغضهم وندب توقيرهم وصلتهم لا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية، وقد أكثر السلف من ذلك، ففي البخاري عن الصديق رضي الله عنه أنه قال ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته، وقال رضي الله عنه والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلّي من قرابتي، وقال لأن أصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلّي من أن أصل قرابتي، وقال لفاطمة رضي الله عنها لما اعتذر من منعه ما طلبت من تركه النبي صلى الله عليه وسلم، لأن أصلكم أحب إلي من أن أصل قرابتي لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال عمر رضي الله عنه إن عيادة بني هاشم فريضة، وزيارتهم نافلة، ولما فرض للناس قالوا ابدأ بنفسك، فأبى وبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ أنه قال حفظا بصلاح أبويهما وما ذكر عنهما صلاحاً، وروي أنه كان بينهما سبعة أو تسعة آباء، ومن ثم قال جعفر الصادق احفظوا فينا ما حفظ العبد الصالح في اليتيمين، ودخل عبدالله بن الحسن المثنى على عمر بن عبدالعزيز فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ بعكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه، وقال اذكرها عندك للشفاعة فلامه قومه، فقال حدثني الثقة حتى كأني أسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها» وأنا أعلم أن فاطمة يسرها ما فعلت بإبنها وغمزت بطنه لأنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة ورجوت أن أكون في شفاعة هذا وقال رضي الله عنه: ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلّي

منكم ولأنتم أحب إليّ من أهل بيتي، ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة الإمام مالكا رضي الله عنه قال: أشهدكم أني جعلته في حل، وقال خفت أن أموت وألقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي، ولما قدم المنصور المدينة أقاده منه فقال والله ما ارتفع منها سوط إلا وقد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يعظم أهل البيت ويتقرّب بالانفاق عليهم، حتى نقل أنه بعث إلى بعض المستترين منهم اثني عشر ألف درهم دفعة واحدة. وكان يأمر أصحابه برعاية أحوالهم، واقتفاء آثارهم، والاقتداء بأنوارهم، وكان الامام أحمد إذا جاءه أحد منهم قدمه بين يديه ومشى خلفه ولمبالغة إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه صرح بأنه من شيعتهم، حتى نسبه الخوارج إلى الرفض فأجاب عن ذلك بقوله:

يا راكبا قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنيّ رافضي

﴿وقال رضي الله تعالى عنه﴾:

قالوا ترفضت قلت كلا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك ... حب إمام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضا ... فإنني أرفض العباد

﴿وقال له الإمام المزني إنك رجل توالي أهل البيت، فلو عملت أبياتاً في هذا الباب فقال﴾

وما زاد كتمانيك حتى كأنني ... برد السائلين لأعجم
وأكتم ودي مع صفاء مودتي ... لا سلم من قول الوشاة وأسلم

﴿وقال رضي الله تعالى عنه﴾

إذا نحن فضلنا عليا فاننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل

وفضـل أبي بكـر إذا مـا ذكـرتـه رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما بحبيهـا حتى أوسد في الـرمـل

وأعتقد أن مسيئهم مغمور في ضمن محسنهم واحذر أن تمني النفس في بغضهم بما يرمي به بعضهم من الابتداع، ومجابنة الأتباع، فهذا لا يخرجه من دائرة الذرية ولا النسبة النبوية، والولد العاق لا يمنع الارث والانتساب والظن الجميل بالصديق، والفاروق ونحوهم أن يعفو عمن وقع فيهم من أقارب حبيبهم صلى الله عليه وسلم، وإذا بلغ التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك ما مر عنه فكيف بالشيخين في أمر لا ضرر عليهما فيه إذ هما في حصن النبي صلى الله عليه وسلم وحماه الأعظم المنيع والضرر في ذلك خاص بقائله، بل قد لاحظ بعضهم تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عن آحاد أمته وأنشد.

من نـال مني أو علقت بذمتـه أبـرأتـه لله شـاكـر نـعـمـتـه
أأرى معتـوق مسلم يـوم الجـزا أو أن أسـوء محمـداً في أمتـه

والشفاعة أصالة لذوي الجناية، بل قال بعض الائمة لا يخرج أحد من أهل البيت من الدنيا حتى يطهر من الدنس المعنوي بمرض ونحوه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «تجاوزوا عن مسيئهم نعم محل ذلك في غير الحدود وحقوق الآدميين فمن أتى منهم بما يوجب حداً أقمناه عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق مثلاً فإنه يقيم الحد عليه، وإن تحققنا توبته وإنه مغفور له كماعز وأمثاله قال بعضهم نقيم الحد عليه على سبيل أن العبد يطهر رجل سيده من قذر، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم أقبلوا ذوي الهيآت عثراتهم إلا الحدود، وفي رواية زلاتهم وفسرهم الشافعي رضي الله عنه بمن لم يعرف بالشر قيل أراد أصحاب الصغائر، وقيل من ندم على الذنب ويتوب وفي عثراتهم وجهان صغيرة لا حدّ فيها أو أول زلة ولو كبيرة صدرت من مطيع، وكلام ابن عبدالسلام صريح في ترجيح الأول منهما فإنه عبر بالأولياء وبالصغائر. فقال: لا يجوز تعزير الأولياء على الصغائر، وزعم سقوط الولاية بها جهل، ونازعه الأذرعي في عدم الجواز، بل ظاهر كلام الشافعي يسن العفو أو لأن عمر رضي الله عنه عزر غير واحد من مشاهير الصحابة رضي الله عنهم وهم رؤوس الأولياء وسادات الأمة ولم ينكر أحد عليه.

قال القرطبي والأحاديث تقتضي وجوب احترام آله وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض التي لا عذر لأحد في التخلف عنها، هذا مع ما علم بأنهم جزء منه صلى الله عليه وسلم فإنهم فروعه الذين نشؤا عنه، ومن ثم قال القاضي عياض ما حاصله من سب أحداً من ذريته صلى الله عليه وسلم، ولم يقم قرينة على إخراجه قتل، والمراد بالارادة في قوله صلى الله عليه وسلم: «من يرد هوان قريش العزم والتصميم أو المبالغة أو يكون ذلك من خصائصهم فلا ينافي أن حكم الله تعالى المطرد في عدله أن لا يعاقب على مجرّد الارادة لأن من خصائص هذه الأمة عدم مؤاخذتها بما تحدّث به نفسها، قال صلى الله عليه وسلم «إن الله سبحانه وتعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل، وحكمة دعائه صلى الله عليه وسلم على من أبغضهم بكثرة المال والعيال أنه لا حامل على بغضهم إلا الميل إلى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد فدعا صلى الله عليه وسلم عليهم بذلك مع سلبهم نعمته فيكون نقمة عليهم بكفرانهم نعمة من هدوا على يديه، بخلاف دعائه صلى الله عليه وسلم لأنس وغيره بذلك فإن القصد كون ذلك نعمة عليهم فيتوصلون به إلى ما رتب عليه من الأمور الأخروية والدنيوية النافعة، وأفاد قوله صلى الله عليه وسلم تبعاً لسنتي ان مجرد محبتهم من غير اتباع سنتهم كما زعمته الرافضة[1] ونحوهم لا تفيد شيئاً.

تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

بل ربما يكون عليه وبالاً لا سيما إن أفرط وجره إلى بدعة، كتناول أحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أو تقديم أحد على الشيخين في الفضل والخلافة والمحبة، نعم من أحب المفضول لأمر دنيوي كقرابة لا منع في ذلك ولا ينافي ذلك كون أهل البيت أفضل منهما من حيث انهم بضعة منه صلى الله عليه وسلم، التي لا يعادلها شيء فقد توجد في المفضول مزايا لا توجد في الفاضل، فإن الأمانة التي في أبي عبيدة لم يخص أبو بكر بمثلها على أن هذا تفضيل لا يرجع لكثرة الثواب، وما أحدثه الرافضة ونحوهم من

(١) لعل استعمال المصنف في كثير من المواضع كلمة «الرافضة» بدلاً عن «الغلاة» مثلاً، انما هو جري على نمط من تلقى او نقل عنهم. (الناشر).

الندب، والنوح يوم عاشوراء زاعمين أن ذلك محبة لأهل البيت لأن المحبة الخارجة عن الشريعة عداوة في الحقيقة فهو من تزيين الشياطين، كما زينوا لقوم آخرين فاتخذوه عيداً فأظهروا الزينة كالخضاب، ولبس الجديد من الثياب، فصار هؤلاء لجهلهم يتخذونه موسمًا وأولئك لحمقهم يجعلونه مأتمًا، بل ينبغي الاسترجاع امتثالاً للأمر وإحرازاً لما رتبه الله عليه من الأجر وما قيل، أن فيه توبة داود واستواء السفينة ونجاة الخليل وفداء الذبيح ورد يوسف عليهم الصلاة والسلام وأمثال ذلك، فكله وضع الكذابين، كما بينه العلماء نعم ورد من طرق قوله صلى الله عليه وسلم من وسع على أهله وعياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته وقال صلى الله عليه وسلم: «من صام عاشوراء فكأنما صام السنة» . وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال: «صيام عاشوراء أحتسب على الله تعالى أن يكفر السنة التي قبله، وروي الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن كنت صائمًا شهراً بعد رمضان فصم المحرّم فان فيه يوماً تاب الله فيه على قوم، ويتوب فيه على آخرين» وفيه حث أكيد على تجديد التوبة وروى الحاكم «من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه» والكلام في من خص يوم عاشوراء بذلك بخلاف من فعل لحاجة أو عادة وعليه حمل ما روي أن بعض العلماء اكتحل يوم عاشوراء فعوتب في ذلك فأنشد،

وقائل لم كحلت عينك يو ... م استباحوا دم الحسين
فقلت كفوا أحق شي ... ء يلبس فيه السواد عيني

ولنختم هذه المقدمة بأمور أحدها يتأكد على أهل البيت خاصة وسائر الناس عامة، الاعتناء بتحصيل العلوم الشرعية، والتحلي بالأخلاق النبوية، والتخلي عن الصفات الدنية، فإن القبيح من أهل البيت أقبح منه من غيرهم، ولهذا قال العباس لابنه عبدالله رضي الله عنهما يا بني إن الكذب ليس بأحد أقبح من هذه الأمة أقبح منه بي وبك وبأهل بيتك يا بني لا يكون شيء مما خلق الله أحب إليك من طاعته ولا أكره إليك من معصيته، فإن الله عز وجل ينفعك بذلك في الدنيا والآخرة.

وقال الحسن المثنى إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين والله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين، وقال صلى الله عليه

وسلم: «إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها» وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك وإن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا وقال صلى الله عليه وسلم: «إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء إنما ولي الله وصالحو المؤمنين لكن لهم رحم سأبلها ببلالها[1]». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا بني كعب بن لؤي انقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدشمس انقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدمناف انقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سابلها ببلاها». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا بني هاشم لا يأتي الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على صدورهم وتأتون بالدنيا على ظهوركم لا أغنى من الله شيئاً». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أوليائي المتقون يوم القيامة وإن كان نسب أقرب من نسب لا تأتي الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم، فتقولون يا محمد فأقول هكذا وهكذا وأعرض بكلا عطفيه فإن قلت هذه الأحاديث تعارض الأحاديث السابقة في فضائهلم قلت لا تعارضها لأنه صلى الله عليه وسلم لا يملك شيئاً لا نفعاً ولا ضرا ولكن الله تعالى يملكه نفع أقاربه، بل وجميع أمته بالشافعة العامة والخاصة، فهو لا يملك إلا ما يملكه الله تعالى وإليه يشير الاستثناء في قوله غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها أي أصلها بصلتها، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: «لا أغنى عنكم من الله شيئاً». أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني به الله من شفاعة أو مغفرة ونحو ذلك، واقتضى مقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا أوفى الناس حظاً في باب التقوى، وخشية الله تعالى الخطاب بذلك مع الايماء إلى حق رحمه، ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لولا أن تطغى قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل وفي رواية لأخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب، وقيل ان هذه الأحاديث محمولة على من مات كافرا وقيل خرَّجت مخرج التغليظ والتنفير وقيل أن هذا كان قبل أن يعلمه الله بأنه يشفع عموماً،

---

(١) هذان الحديثان لا يخلوان من مطعن، وإنما أوردهما للحث على ترك الاعتزاز بالنسب.

وخصوصاً ولما خفي هذا الجمع عن بعضهم تأوّل حديث كل سبب ونسب على أن المراد أن أمته صلى الله عليه وسلم تنسب إليه يوم القيامة، بخلاف أمم الأنبياء لا ينسبون إليهم، حكاه وجهاً في أصل الروضة وردوه بما سبق عن عمر رضي الله عنه في إسناده إليه وبذكر الصهر مع السبب والنسب وبان في الأحاديث ما يقتضي نسبة غير هذه الأمة إلى أنبيائهم، ففي البخاري يجيء نوح عليه السلام وأمته الحديث، وأما قوله صلى الله عليه وسلم «أن أوليائي يوم القيامة المتقون» ﴿وإنمَّا وَلِّي اللهُ وَصَالِحُوا اُلمؤ مِنْين﴾ فلا ينفي نفع رحمه وشفاعته للمذنبين من أهل بيته كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل البكائر من أمتي نعم ينتفي عنهم بذلك الوصف بولاية الله ورسوله، وأعظم بها خسارة وإساءة أن يمنح الله العبد قرب النسب من أفضل خلقه، فيكفر هذه النعمة بتعاطي ما يسوؤه صلى الله عليه وسلم.

قال علي كرم الله وجهه الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسؤدد حق السؤدد لمن اتقى الله ربه، والكريم من كرم عن ذل النار وجهه وما أحسن قول امرىء القيس.

لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوماً على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

﴿الثـــاني﴾

ترك الفخر بالآباء والأحساب قال تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: «أكرم الناس عند الله أتقاهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أنسابكم هذه ليست بمنسية على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملأه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى فكفى بالرجل أن يكون بذياً بخيلاً فاحشاً». وقال صلى الله عليه وسلم: «الناس لحواء وآدم كطف الصاع لن يملأه إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إلا عن أعمالكم أكرمكم عند الله أتقاكم». وقال صلى الله عليه وسلم: «الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله عز وجل». وقال صلى الله عليه وسلم ليس أحد أكرم من أحد إلا بقتوى الله». وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «أنظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا ان تفضله بتقوى الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى خيركم عند الله أتقاكم» وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله أوحى إلّي أن تواضعوا حتى لا يفخر بعضكم على بعض». وقال صلى الله عليه وسلم: « المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى». وقال صلى الله عليه وسلم: «كرم المؤمن دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه». وقال صلى الله عليه وسلم من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعاظمها بآبائها. فالناس رجلان بر تقي كريم على الله تعالى، وفاجر شقي هين على الله تعالى، إن الله تعالى يقول ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم: «لا

تفخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده ما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية». وقال صلى الله عليه وسلم: «ليدعنّ الناس فخرهم في الجاهلية أو ليكوننّ أبغض إلى الله تعالى من الخنافس». وقال صلى الله عليهم وسلم: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون عند الله تعالى من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه (أي يدحرجه) إن الله تعالى قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». وقال صلى الله عليه وسلم: «آفة الحسب الفخر والعيبة (بكسر العين وضمها الكبر والتفاخر والجعل بضم الجيم واحد الجعلان بكسرها حيوان معروف كالخنفساء، وطف الصاع: قريب من ملئه أي بعضكم قريب من بعض في النقصان عن ملء الصاع ليس فيكم من يملؤه ولله در القائل.

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه   فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس   وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

ومما ينسب لمحمد بن الربيع الموصلي:

الناس في صور التمثال أكفاء   أبوهم آدم والأم حوّاء
فمن يكن منهم في أصله شرف   يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىءٍ ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً أبدا   الناس موتى وأهل العلم أحياء

وللإمام القطب القسطلاني رحمه الله:

إذا طاب أصل المرء طابت فروعه   ومن عجب جاءت يد الشوك بالورد
وقد يخبث الفرع الذي طاب أصله   ليظهر صنع الله في العكس والطرد

وأجاب الامام الحليمي عن الأحاديث التي وقع فيها الانتساب إلى الآباء أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الفخر، وإنما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم، ومن ثم جاء في بعض الروايات قوله ولا فخر فهو من التعريف بما يجب اعتقاده أو هو إشارة إلى نعم الله تعالى فهو من التحدث بالنعمة.

﴿الثالث﴾

ينبغي لكل أحد أن يكون له غيره على هذا النسب العظيم، والإعتناء بضبطه على الوجه المستقيم، ولم تزل أنساب أهل البيت مضبوطة على تطاول الأيام واحسابهم محفوظة عن أن تدعيها اللئام، وقد قام بتصحيحها في كل زمان من الأئمة علامون، ونهض لتنقيحها من الأئمة فهامون، يأثرها الخلف عن السلف، ولا يمترون فيمن حاز منهم نسبة الشرف مع أن وسامته على وجوههم لائحة، ونفحات أرجه من عرفهم فائحة.

ومن يقل للمسك أين الشذا كذبه في الحال من شمه

هذا والاستفاضة يثبت بها النسب المظنون، ومن انتسب إلى غير أبيه فهو ملعون، فقد قال صلى الله عليه وسلم من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وقال صلى الله عليه وسلم: »إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يريَ عينيه ما لم تريا، أو يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم» ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه الاكفر، ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوّأ مقعده من النار». وقال صلى الله عليه وسسلم: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة حرام عليه» ومن هنا توقف جماعة عن الدخول في الانتساب ثبوتاً ونفياً لا سيما نسب أهل البيت المطهر، والعجب من قوم يبادرون إلى اثباته بأدنى قرينة وحجة مموّهة يسألون عنها يوم القيامة، وقد شاع ذلك في هذا الزمان وتساهل الناس فيه تساهلاً شديداً وسلكوا فيه أمراً لا يراه أحد سديداً

وظهر الاسراف بكثرة الأشراف، وسلكوا في هذا الاتصاف قلة الإنصاف، وسارعوا إلى ثبوت هذه الأنساب، إلى من لا أمانة له على ما دون النصاب ولو كشف النقاب وزال الحجاب، لظهر لهم أنهم لم يسلكوا فيه بطريق الصواب، فيتعين ترك الانتساب إليه صلى الله عليه وسلم إلا بحق، ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص أولاد الحسن والحسين بلبس الثياب الخضر وسببه أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة فيهم فجعل لهم هذا الشعار لكون السواد شعار بني العباس، والبياض شعار سائر الناس، والأحمر مختلف في تحريمه، والأصفر شعار اليهود ثم اثنى عزمه وردّ الخلافة لبني العباس، فبقي ذلك شعار الأشراف لكنهم إختصروا الثياب إلى قطعة خضراء توضع على عمائمهم تسمى شظفة، قال الشهاب في الريحانة وهو لفظ محدث لم يذكره أهل اللغة، وكأنه بمعنى خرقة صغيرة من قولهم في شظف من العيش أي في قلة وضيق. انتهى.

ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن ثم في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسن أن يمتازوا عن الناس بعصائب خضر على العمائم. ففعل ذلك في أكثر البلاد، وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره، من ذلك قول الأعمى والبصير شارح الألفيه:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوّة في وسيم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب محمدبن ابراهيم الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر باعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصصهم بها ... شرفاً ليعرفهم من الأطراف

وقال الحافظ السيوطي: هذه العلامة ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة، وحظ الفقيه في ذلك إذا سئل أن يقول لبس هذه العمامة بدعة مباحة لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره، ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره، المنع منها لأحد من الناس كائناً من كان ليس أمراً شرعياً، لأن لناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة وليس لبس العلامة مما ورد به شرع فيتبع اباحة

ومنعا، أقصى ما في الباب أنه أحدث التمييز لهؤلاء من غيرهم فمن الجائز أن يخص ذلك بخصوص الأبناء المنتسبين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهم ذرية الحسن والحسين، ومن الجائز أن يعم في كل أهل البيت وقد يستأنس فيها بقوله تعالى﴿يا أيها النبيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المؤمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أدنىَ أَنْ يُعْرَفنَ فَلاَ يُؤذَيْنَ﴾. وقد استدل بها بعض العلماء على تخصيص أهل العلم بلباس يختصون به من تطويل الأكمام وإدارة الطيلسان، ونحو ذلك ليعرفوا فيجلوا تكريماً للعلم وهذا وجه حسن الله أعلم. انتهى.

وعلم النسب فن جليل، وهو من جملة فنون علم الحديث، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فان صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر (وفي رواية) في الأجل». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم والله أنه ليكون بين الرجل وأخيه الشيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكها.

﴿ومن فوائده﴾ معرفة نسب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن ينتمي إليه والتمييز بين بني عبد مناف وهاشمها، ومطلبها، وعبسيها، ونوفلها، وبين قريش من كنانة والأوس، والخزرج والعربي من العجمي، والمولى من الصريح.

﴿ومن فوائده الشرعية﴾ الخلافة والكفاءة وتجنب تزويج من تحرم عليه، والقيام بمن تجب عليه نفقته، ومعرفة نسب من يتصل به نسبه ممن يرثه، ومعرفة ذوي الأرحام المأمور بصلتهم ومعاونتهم وغير ذلك. وقد قال تعالى: ﴿وَجعلنَاكُم شُعوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا﴾ أي ليحصل التعارف بينكم فيرجع كل إلى قبيلته وقال مجاهد ليعرف بعضكم بعضا بالنسب كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي من قبيلة كذا، وأما حديث علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر، فقال الحافظ السخاوي في استجلاب ارتقاء العرف كلام: لا يثبت، ولذلك قال ابن عبدالبر: لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع، وجهل لا يضر، وقال ابن حزم أن فيه ما هو فرض على الكفاية وما هو

مستحب ثم فصل ذلك بما يطول إيراده. قال الحافظ ابن حجر: ويظهر حمل ما ورد من ذمه على التعمق حتى يشتغل به عما هو أهم منه وحمل ما ورد في استحسانه ما يعين على كثير من الفوائد. وقد رأينا أن في الاقتصار على ما ذكرنا كفاية والله سبحانه ولي التوفيق والهداية.

﴿الباب الأوّل في نسبهم الكريم
وتنقلهم في الأقاليم واستقرارهم بمدينة تريم﴾

(أعلم) أرشدنا الله وإياك للهداية، وأنقذنا من رزيات الغواية، أن نسب السادة الأشراف بني علوي مجمع عليه عند أهل التحقيق، متواتر عند أرباب التوفيق، مشهور عند العلماء الأعيان، مذكور في كتب أهل هذا الشأن، وقد اعتنى ببيانه، وواضح حججه وتبيانه، جمع كثيرون من العلماء وجمّ غفير من الفضلاء، لا سيما السيد الجليل علي بن أبي بكر، والإمام المحدث محمدبن علي بن علوي خرد، فانهما أطلقا سنان القلم في هذا المجال، وأطالا فيه من الاستدلال، والحامل لهما على بسط المقال مع أنه أشهر من الشمس وقت الزوال، وأوضح من البدر ليلة الكمال، خوف انكار حاسد متغافل، وغبي جاهل، أو أن ينكت بخبث طبعه في خفا، ويثقب بظفر حسده جلامد الصفا، بل ربما وقع بعض ذلك ممن ظهر عليه أثر الشقاوة، وختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة، ووقع لبعضهم في فهم هذه النسبة مزيد خلل، فاقدم على أمرليته عنه نكل، فزعم أن قولهم آل باعلوي يدل على أنهم من ذرية علي من غير الحسن والحسين، وقد وقع هذا أيضا لبعض أبناء الوقت، ممن كبه الخزي والمقت وهذا الزعم البارد، الذي لا يصدر إلا من جاهل معاند، مدفوع بأن هذا عرف لأهل الديار الحضرمية، وإن لم يكن من وضع العربية، فيلزمون الكنية الألف بكل حال على لغة القصر فيقولون لبني حسن باحسن، ولبني حسين با حسين، ولبني علوي باعلوي، وأنشدوا.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

ولقد أحسن البديع حيث يقول:

أراك على شفا خطر مهول ... بما أودعت رأسك من فضول
طلبت على تقدمنا دليلا ... متى احتاج النهار إلى دليل

وقال غيره:

ولا عيب فينا غير أن أصولنا ... لها سبب بالمرسلين وثيق
وأن ظلام الجهل يحمي بذكرنا ... وأنا بكل المكرمات حقيق

وما أحسن قول أبي العباس بن شيخ:

ولو كلما كلب عوى ملت نحوه ... أجاوبه إن الكلاب كثير
ولكن مبالاتي بمن صاح أو عوى ... قليل فإني بالكلاب بصير

ولا حاجة لنا بالتطويل في هذا القبيل فإنه أشهر من أن يشهر وأوضح من أن يسطر عند من سلك محجة الانصاف وأظهر حجة الحق التي هي أكمل الأوصاف، وقد ذكر علماء هذا الفنّ حكاية تشير إلى تفاصيل أصله، وتدل عليه بمختصر القول وفصله وهي أن السادة بني علوي لما استقروا بحضرموت أراد بعض أئمة ذلك الزمان أن يؤكد تلك النسبة المحمدية، والوصلة الأحمدية، فطلب منهم تصحيح نسبهم الشريف، وتحقيق شرفهم المنيف، بحجة شرعية وأدلة مرضية، والظاهر أن الحامل له بعض من عنده نزغة أباضية، أو شغفة شيطانية، فسافر الإمام شيخ الإسلام الحافظ المجتهد أبوالحسن علي بن محمد بن جديد إلى العراق وأثبت نسبهم وأشهد على ذلك نحو مائة عدل ممن يريد الحج ثم أثبت ذلك بمكة المشرفة، وأشهد على ذلك جميع من حج من أهل حضرموت، فقدم هؤلاء الشهود في يوم مشهود وشهدوا بثبوت نسبتهم المحمدية، وسلسلتهم النبوية، وجرت في ذلك اليوم أشياء أعجب بها كماته، وسلم الفضل لهم حماته، فعند ذلك انقشعت سحب الأوهام، وتبلجت غرة الشرف وأميط عنها اللثام، ولقد أحسن من قال من أهل الكمال:

وجحود من جحد الصباح إذا بدا ... من بعدما انتشرت له الأضواء
ما ذاك أن الشمس ليس بطالع ... بل إن عيناً أنكرت عمياء

وقد أشار رأس الرؤس، ومزيل كل هم وبؤس، الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس إلى من ذكر هذا النسب الشريف من العلماء وحققه من الفضلاء بقوله:

والجد سامي الذري بيت العلا علوي ... من حاز فخراً سما عن فخر كل ولي
وبالذي فارق الأوطان إذ فعلت ... حلالهم ما أبته بهجة الملل
أعني عبيداً فيالله من رجل ... في عصره ثم يالله من رجل
وأحمد ثم عيسى مع محمدهم ... أبنا العريضي عديم الضد والمثل
ثم العريضي عريض الجاه عمدتنا ... وذو العبادة بالأبكار والأصل
وجعفر الصادق المشهور من شهرت ... أوصافه في حلول الفوز بالقلل
والباقر المتقي من عصبة شرفت ... محمد الغوث عند الحادث الجلل
وبالملقب زين العابدين وبالـ ... ـبدرين والبرة الزهراء ثم علي
فإن أكرم خلق الله جدهما ... محمد سيد الأملاك والرسل
لله سبطا نبي من كمثلهما ... فقد أنيلا فخاراً غير منتقل
لنا إليهم ومنهم نسبة شرفت ... حقيقة حاد عنها كل ذي جدل
صحت وقالت بها الأعلام عن طرق ... من رام فيها محاجاتي فيبرزلي
فإن يكن لم يطق يوما مناظرتي ... وكان في قلبه خرق من العلل
فلينظرن تواريخ الكرام فقد ... صفت مشاربنا للنهل والعلل
فإنهم كلهم في كل ما جمعوا ... قالوا بتشريفنا في الأعصر الأول
كالأهدل الحبر من وافى بشهرته ... كيوان دع عنك مجرّ إدارة الحمل
والخزرجي واليافعي كذا الـ ... ـشيخ العواجي والشرجي لم يحل
وقاله ابن أبي الحب مع الجندي ... ولابن حسان قول قد شفا عللي
والعالم العلم الراوي الحديث ومن ... له جلال بأنوار الحديث جلي
إن كان نسبته يا صاح من حجر ... فذاك جوهر أهل العلم والعمل
قد أثبت الفخر في أنسابنا شرفاً ... فاسأل عن البحر لا تسأل عن الوشل
وفي طريقهم جاء ابن سمرة والـ ... ـشيخ العواجي فاعدل غير منعدل
أبو شكيل في نسج نسبتنا ... وشي تقاصر عنه الوشي في الحلل
ولابن كبن فيها حسن ترجمة ... كالدر يظهر حسن الدر حيث جلي
لها السخاوي بالمدح البديع سخا ... فيما تأنق بالتفصيل والجمل

كذا أبو الفضل في الأنساب فضلها … على سواها بلا ريب ولا زلل
وقال هذا أبوعباد عمدتنا … مقال من لم يصف في القول من خطل
محمد ابن أبي بكر فيالك من … حرحمى حرمات الدين عن جدل
وقال ابن أبي عيسى التريمي في … تاريخه فالشهاب القول عنه جلي
يا صاح من مثلنا فما ترى أحداً … ممن يسيرون ومن يعلو على الإبل
نحن الكرام بنو القوم الكرام إذا … جدنا عدلنا بصوب العارض الهطل
لنا السماح الذي عم الأنام معاً … كم أبدلت راحة الحصباء من المحل
لو أن للبحر أعياناً تشاهدنا … عد السماح اعتراه القبض بالخجل
لجدّنا من إله العرش منزلة … كقاب قوسين لم تدرك ولم تنل
وجدنا نظر الباري القوي ولم … يسبق إلى مثله قطعاً من الرسل
صلى عليه إله العرش ما صدحت … ورق على فنن بالنشرذي ميل
والآل والصحب والأتباع عن طرق … وناصريه بحد البيض والأسل

إذا علمت ذلك فاعلم أن جدهم الجامع لنسبهم هو الإمام فخر الإسلام ﴿السيد علوي جد بني علوي أبو محمد علوي﴾ شمس الدين شيخ المسلمين الطاهر الأصل والاحساب، والظاهر الوصف والأنتساب، السلالة النبوية رداؤه، والأصالة العلوية ابتداؤه وانتهاؤه، جمع بين كمالي الشرف والنسب، وجمالي المجد والحسب، وتصاعد في درج الشرف والسيادة، ولم يبق لغيره محلا للزيادة، وفاق في جميع الآفاق وخلف ذكرا باقياً ما سطرت فضائله في الأوراق، ولد رضي الله عنه بحضرموت ونشأ بها فحفظ القرآن وتلاه بالتجويد على المشايخ من أهل فنه واشتغل بطلب العلوم واتقن المعقول والمنقول، وسمع بحضرموت واليمن ومكة والمدينة ولم يزل في الطلب بالجد والاجتهاد مصحوباً من الله تعالى بالإرشاد والإمداد وتأدب بأبيه عبدالله وسلك منهاج طريقه وبرع في كثير من الفنون لا سيما التفسير والحديث والعربية وكانت الولاية لائحة عليه من زمان طفوليته، وأنوار الهداية ظاهرة من بشريته، وكان كثير المجاهدة والرياضة مع الورع التام والدين المتين وكثرة القيام والصيام والتظاهر بالنعمة في ملبسه ومأكله وكان كثير التصدق والإحسان للفقراء والأعيان مع اخفاء ذلك حتى عن عماله، بل لا يعلم ما تنفق يمينه من على

شماله، وحج بيت الله الحرام وحج معه أخوه جديد وجماعة من بني عمه وأقاربه وصحبه خلق كثير من طلبة العلم والمشايخ المعتقدين وتبعه خلق كثير من الفقراء والمنقطعين.

وحكى أن جملة من حج معه من أهل بلده ثمانون رجلاً سوى غيرها من سائر البلدان، ولم يدع أحداً منهم يتكلف شيئاً، وكان ينفق عليهم النفقة الطيبة، وأخذ جمالاً للمنقطعين، وخداماً لمباشرة الخدمة وتكلف الأكمل من وجوه العبادة كالتجرد للأحرام مع ضعف بدنـه والمبالغـة في سنن الحج، والصلاة لا سيما في أشياء قد هجرت، وحدّث بالحرمين باليسير وسمع عليه الأئمة وحصل لأهل الحرمين منه أفضال، وبر على جاري عادته واشترى لمن حج معه الهدايا ورجع إلى بلده ورجع من معه وكل منهم ذاكر لما يبهر العقل من الاحتمال والإحسان، وطلاقة الوجه ولين القول وحسن الأخلاق، وأرسل أخاه جديداً إلى العراق ليقبض ما لهم من الأموال، وكان علوي ممن رسخ في الدين والعلوم قدمه، وجرى بحيازة الفضائل وأشتات المحاسن قلمه، ونشر في معالم المعارف عمله وعلا في مراتب الفضل مقامه، ولما عاد إلى وطنه قصده الناس للأخذ عنه ففاضت عليهم بركاته، وعمتهم نفحاته، وهو أوّل من سمي بهذا الإسم وعلوي في الأصل (اسم لطائر معروف)[1] ولم يكن لعلوي إلا ابن واحد وهو محمد ولمحمد هذا ابن اسمه علوي ولعلوي هذا ابنان سالم ولا عقب له وعلي وهو المعروف بخالع قسم مذكور في تاريخ الجندي والخزرجي والأهدل، والسيد علوي صاحب الترجمة له اخوان، أحدهما الإمام بصري وهو شقيق علوي، ولد بالبصرة وكان طويل الباع في العلوم، واسع الرواية سمع من أبيه وأخيه علوي وتأدب بهما وتفقه على كثيرين وبرع في العربية والحديث والفقه وأفتى ودرس، وانتفع به كثيراً، وله مع ذلك الورع التام والزهد في المناصب والرياسة، وكان من أحسن الناس خلقاً، وخلقاً ومن أحسنهم سيرة وله ذرية مشهورون بسعة العلوم، وكان الغالب على ذريته

---

(١) هكذا في الأصل وهو خطأ مطبعي والصحيح نسبة لطائفة معروفة وهم اتباع الإمام علي كرم الله وجهه. ومن المعلوم أنهم ليسوا النصيرية الذين أطلق عليهم حديثاً «العلويين» بسوريا. الناشر.

العلوم الشرعية، وكان لهم حافتان في مدينة تريم حافة ديار آل العيدروس بقرب مسجد العيدروس، وحافة مسجد الحبوظي.

وثانيهما الإمام جديد بفتح الجيم وبمهملتين بينهما تحتيه وسمي جديداً لأنه ولد بحضرموت إشارة إلى أنه مما جدد لوالده من الأولاد بعد سفره من البصرة وأمه أم ولد كان عاملاً نبيل القدر سائر الذكر من أعلى أهل عصره أسناداً وأرفعهم في الأصلين عماداً، أخذ عن والده وأخويه وتأدب بهم، وسمع من خلائق لا يحصون بحضرموت واليمن والحرمين، والعراق، والإحسا، وظفار، وكان على دينه وفضله متفنناً في علوم الأدب مع التقوى والورع التام، وله ذرية اشتهر منهم جماعة بالعلوم والمعارف، وكان الغالب عليهم التفنن في سائر العلوم والاشتغال بأنواع العبادة، وكانت حافتهم المخصوصة بهم عند مسجدهم المعروف بمسجد بروم لكون السيد أحمدبن حسن بن محمدبن علوي بن عبدالله بن علوي بن الشيخ عبدالله باعلوي المعروف ببروم، عمره كله عمارة أكيدة بعد أن أخربه وأحدث له جوابي وذلك سنة تسعة عشر وألف ولم أقف على تاريخ وفاته ولا وفاة أخويه علوي وبصرى، وتوفي الثلاثة بقرية سمل بضم المهملة وفتح الميم وهي على نحو ستة أميال من مدينة تريم سميت باسم الذي اختطها، وما يعرف الآن إلا قبر علوي وقيل أن جديداً انتقل ببيت جبير.

اولئك الناس إن عدّوا وإن ذكروا ومن سواهم فلغو غير معدود
لو قلد الدهر ذا عزٍ لعزته كانوا أحق بتعمير وتخليد

وكانت رياسة العلم والفضل في الديار الحضرمية لبني بصرى، ثم انقرضوا في أثناء القرن السادس وانتقلت الرياسة لبني عمهم جديد بن عبدالله، ثم انقرضوا على رأس المائة السادسة.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

ولم تدرك لهذين القبيلتين من العمائر والبنيان لتقادم الأزمان ودوران الدوار وما أظرف قول القائل:

هذي منازل أقوام عهدتهم في ظل عيش أنيق ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا إلى القبور فلا عين ولا أثر

ولم أقف على تاريخ استوفى ذكر مناقبهم وصفاتهم ومعرفة مواليدهم ووفاتهم، وكم لهؤلاء من الفضائل والمحاسن والفواضل ذهبت بمضي السنين، ولم تقيد بالتدوين ومضت الأعصار والحقب ولم يدونها أحد في الكتب، وسيأتي ترجمة من وقفت على ترجمته منهم في الباب الثاني إن شاء الله تعالى، وللسيد علي بن أبي بكر والمحدث السيد محمد بن علي خرد والعلامة محمد بن أحمد بن أبي الحب والقاضي الفاضل عبدالرحمن بن حسان، والعالم الأديب محمد بن أحمد باغثير بالغين المعجمة، وغيرهم من الأدباء قصايد طنانة ومقطوعات مطربة اشتملت على بعض فضائلهم الكثيرة، ومناقبهم المنيرة، حذفتها خوف الاطالة ولقد أحسن من قال:

فأولئك السادات لم تر مثلهم	**عين على متتابع الأحقاب**
زهر الوجوه كريمة أحسابهم	**يعطون سائلهم بغير حساب**
كانت تعيش الطير في أكنافهم	**والوحش حتى ينس كل سحاب**
وكفاهم أن النبي محمداً	**منهم فمدحهم بكل كتاب**

فرحم الله تعالى تلك الأرواح الطاهرة، ومتعها بالنظر إلى وجهه في الدار الآخرة، واختص الذكر المخلد والثناء المنضد ببني علوي بن عبدالله بن أحمد فطبقوا الأرض، وعم نفعهم الطول والعرض، ذكرهم باق على صفحات الزمان. معلوم عند القاصي والدان، وهؤلاء الثلاثة أعني بصرياً وجديداً وعلوياً بنو عبدالله السيد الإمام شيخ مشايخ الاسلام كنز السر المصون، وفاتح أغلاق العلم المكنون، سلطان الوجود، بحر الكرم والجود، وكانت ولادته بالبصرة ونشأ بها في عز غزير وسعد كثير وخيرات واسعة، وطلب العلوم النافعة أخذ عن والده وتأدب به وسمع الحديث من كثيرين وتفقه بآخرين، واختلف إلى المؤدبين العارفين بعلوم الأدب، وصحب جماعة من أكابر الصوفية وعاد إلى مكة المشرفة وحج بيت الله الحرام سنة سبع وسبعين وثلثمائة، وفي ذلك العام حج الإمام الشيخ أبوطالب المكي، فاجتمع به وأخذ عنه مؤلفاته، وسمع منه مروياته، وكرع من حياض فوائده، وتقلد بدرر قلائده، وعرف أبوطالب كمال فضله، واعترف برفعة درجته في العلم ومحله، وسمع أيضاً بالعراق واليمن وكان من حفاظ الحديث وكمل حاله في الفرق والجمع وزكا

سره في الجمع وجمع الجمع ذكره جماعة من علماء الأنساب في كتبهم وترجمه غير واحد من المؤرخين، وأطال ترجمته في الياقوت الثمين، وأخذ عنه جماعة من فضلاء عصره وتخرج به كثير من أهل قطره، ومصره وكان ممن علا في التواضع والخضوع مقاله وفعاله، وسما في محاسن الصفات حاله، فكأن من عظيم تواضعه أن يستحسن تصغير اسمه فسمى نفسه عبيدالله، وأمر أصحابه به أن ينادوه بذلك حتى عرف به، وكان مستجاب الدعاء واشتهر بذلك فكان من أتى اليه ودعا له حصل له مطلوبه، لا سيما أرباب العلل والأمراض. وله في ذلك حكايات كثيرة وكان ذا مال واسع واقتنى أرضاً ونخلاً كثيراً وكان أحب أمواله إليه النخيل، وإذا أدرك ثمر عام تصدق بجميع ما بقي من تمر العام الذي قبله من تمر وحب، ويقول هذا شكر نعمة هذا وكان ينفق على كثيرين جواداً، وامتدحه كثيرون من الشعراء والأدباء من أهل زمانه وكان يجيزهم أجزل المجازاه، ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وتوفي بقرية سمل، كما يأتي وقبره بها معروف يزار ويتبرك به ورثاه جماعة من الأدباء وللمتأخرين عنه فيه مدائح كثيرة مذكورة في مظانها في كتبهم ولا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها.

﴿وعبدالله هذا ﴿هو ابن أحمد بن عيسى الإمام﴾

شيخ الإسلام المهاجر من الأوطان إلى رضا الرحمن، المشار إليه في عصره الوحيد في دهره محيي السنة بعد اندراسها ومثبت قواعدها وأساسها أفضل أهل العراق على الإطلاق، وأحقهم بالتقدم بالاستحقاق بالاتفاق تحلي مع محتده الشريف ومفخره المنيف بفضل باهر، وأدب ظاهر وحظ من الفضائل والفواضل وافر، وكان منفرد بلطائف السيادة معتمد المواقف والوفادة، كان مع هذه الفضائل من أكمل العباد، وأجل الزهاد، صحيح العقيدة ذا سيرة حميدة وكان له في الوعظ لسان فصيح، ومن ثم لما استولى أخوه الإمام محمد بن عيسى على أقاليم العراق أتى إليه ووعظه موعظة عظيمة بألفاظ فصيحة جسيمة ولم يزل به كذلك حتى ترك ذلك، وزهد فيما هنالك ورغب في الدار الآخرة، اتباعاً لسلفه أولى المناقب الفاخرة، وكان للسيد أحمدبن عيسى بالعراق جاه كبير ومال خطير، ودنيا طويلة عريضة وكانت تلك الأحوال لم تخطر له على بال بل كان مشتغلاً بالعبادة والدين وإرشاد الغاوين، وكانت مخايل السعادة من صغره عليه لائحة، ولوائح النجابة تقدمه في الأعمال الصالحة ثم أشرق الله سبحانه وتعالى شمس نور الولاية على بصيرة قلبه، وجلا مرآة جوهرلبه، فظهر له بنور الولاية الربانية والمشاهدة العرفانية، ما سيحدث في الديار العراقية من الفتن الدينية والدنيوية، فجمع أهله وقرابته وزهدهم في الدنيا وحظوظها الزائلة، ورغبهم في الأخرى ونعمها الآجلة وشاورهم في النقلة والانطلاق، من اقليم العراق. وأشار عليهم بالاتحال، والسفر والانتقال، وقال وجبت الهجرة من هذه الديار لما حدث فيها من الابتداع والأشرار، فقبل إشارته من أراد الله سعادته فارتحل عنها وتبعه من بني عمه اثنان أحدهما جد السادة بني الإهدل، والثاني السيد الجليل الشهير بالقديمي، وتبعه من أولاده عبدالله وتخلف عنه بالعراق ولده

محمد على أموالهم هناك واستمر بالبصرة إلى أن توفي بها وله عقب بها ذكره السيد ابن عنبة في كتابه الشهير، قال ومن عقبة أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عيسى المعروف بالعلال رواه شيخنا وكان له أولاد منهم أبوالقاسم المعروف بالنفاط لكونه يتجر بالنفط، وله بقية أولاد ببغداد. انتهى وسيأتي ذكر بقية ترجمته.

﴿وأحمد هذا هو ابن عيسى﴾ وهو الإمام الكبير العلم الشهير العارف بالله تعالى صحب والده محمداً وتأدب به وسمع وحدث، وتفقه في الدين وكان فصيحاً بليغاً مقبولاً عند الخاص والعام، وله عند الملوك فمن دونهم القبول التام، وكانت سيرته سنية وعقيدته سنية وكان يدعى الأزرق لزرقة، كانت بعينيه وكان أبيض اللون وبياضه يميل إلى الحمرة وهو أفضل الألوان لأنه لون النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال علي كرم الله وجهه إن لون النبي صلى الله عليه وسلم أبيض مشرب وفي رواية مشرب بحمرة ولهذا كان يلقب السيد عيسى بالرومي وكان يسمى النقيب لأنه كان نقيباً على الأشراف والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم وضمينهم، ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، النقيب لأنه لما مات نقيب بني النجار أبو أمامة أسعد بن زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم نقيباً غيره بعده وقال أنا نقيبكم، فكانت من مفاخرهم وكان كثير الزواج ولهذا كثر أولاده فكان له ثلاثون ابنا وخمس بنات، وتوفي بالبصرة ولم أقف على تاريخ وفاته ولا وفاة والده محمد.

﴿وعيسى هذا هو ابن محمد﴾ السيد الكامل العالم العامل، المتفق على جلالته وعلمه وورعه وزهادته وكانت ولادته بالمدينة الشريفة ونشأ بها وصحب أباه وتأدب به ولم يزل تحت كنف أبيه فلم يفارقه إلى أن انتقل والده، ولم تطب له الإقامة بالمدينة بعد موت أبيه فارتحل إلى العراق، وسكن البصرة وتديرها واغتبط به أهلها وليس بأوّل من بان عن وطنه وارتحل ممن انتحى العلم وانتحل، والأديب لا نسب بينه وبين محل فخير البلاد ما حله ومحله حيث حل، وأحبوه وعرفوا منزلته وأجلوه لما رأوا ما اتصف به من صفات الكمال، ومكارم الأخلاق والأعمال، وأحلوه المحل الأرفع اللائق بأمثاله وكان

مقبول الشفاعة، والغالب عليه الزهد في الدنيا ورياستها وكان ورعاً سخياً لا سيما اطعام الطعام باذلاً نفسه للخاص والعام ذكره، ابن عنبة والعمري وغيرهما، وترجمه جماعة من المؤرخين ومدحه كثير من الشعراء وأثني عليه جماعة من العلماء ولم يزل على أحسن الأحوال إلى أن اختار الله له الانتقال من دار الزوال إلى حضرة الكبير المتعال رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه وإيانا دار القرار.

﴿ومحمد هذا هو ابن علي العريضي﴾

أبو الحسن ذو الشرف الشامخ، والمجد الباذخ، والعلم الراسخ، الجامع بين الرواية والدرايه البالغ في الديانة إلى أقصى الغاية، ذكره الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام وفي الميزان، وفي الكاشف عن أسماء الرجال.

وذكره شيخ الاسلام والحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في التقريب وغيره ووصفوه بأجلّ الصفات وخرج له الامام أحمد في مسنده وأسند له الامام الترمذي في كتاب السنن حديثاً في حب آل محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك القاضي عياض في كتاب الشفاء وترجمه الامام عبدالله بن أسعد اليافعي في تاريخه، وذكره في غيره وذكره السيد أحمد بن عنبة في كتاب عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب والامام أبو الحسن العمري، والسيد علي السمهودي في جواهر العقدين، وغير هؤلاء روى الامام علي العريضي عن أبيه جعفر الصادق وأخيه الكاظم والامام المجتهد سفيان الثوري وغيرهم وروى عنه ابناه محمد وأحمد، وحفيده عبدالله بن الحسن بن علي وابنُ ابنِ أخيه الامام اسمعيل بن محمد بن إسحق بن جعفر الصادق، والامام أحمد البزي صاحب القراءة وسلمة بن شبيب ونصر بن علي الجهضمي وغير هؤلاء وطال عمره حتى ألحق الأجداد بالأحفاد، وسمع الناس منه طبقة بعد طبقة وهو أصغر أولاد أبيه وأطولهم عمراً، وذكر السيد أحمد بن عتبة أن الإمام محمد الجواد ابن الامام علي الرضا ابن الامام موسى الكاظم دخل. على الامام علي العريضي فقام له وأجلسه في موضعه ولم يتكلم بحضرته حتى قام وخرج، فقال له أصحابه أتفعل هذا وأنت عم أبيه فضرب بيده على لحيته وقال إذا لم ير الله تعالى هذه الشيبة أهلاً للإمامة أراها أنا أهلاً للنار، قال بعضهم

وهذا القول يدل على أنه يرى رأي الامامية وفيه نظر، وكانت ولادته بالمدينة المنورة ونشأ بها وصحب أباه وتأدب به وسمع منه ولازمه إلى أن انتقل والده ثم سكن العريض بضم العين المهملة وفتح الراء وسكون التحتية آخرها ضاد معجمية تصغير عرض وهي قرية على أربعة أميال من طيبة المشرفـة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام، استمر متوطناً بها إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، وكان قبره قد اندرس فأظهره سيدنا وشيخنا السيد زين بن عبدالله باحسن وهو الآن معروف يزار، ويتبرك به ولشعراء عصره وأدباء دهره ومن بعدهم فيه وفي آبائه وأجداده قصايد طنانات، ومقاطيع بديعات، مذكورة في محالها من التواريخ.

﴿وعلي العريضي هذا هو ابن الامام جعفر الصادق﴾ له ألقاب كثيرة والصادق أشهرها لقب به لصدقه، ويُكنى أبا عبدالله وقيل أبا اسمعيل أمه فروة القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأم فروة أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق ولهذا كان الصادق يقول ولدني الصديق مرتين، ولد بالمدينة الشريفة سنة ثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقين من ربيع الأوّل، ونشأ بها وصحب أباه، وتأدّب به وروى عن عمه زيد بن علي وجدّه لأمه القاسم بن محمد ولم يرو عن جدّه زين العابدين وقد أدركه وهو مراهق، وروى عن عروة بن الزبير وعطاء ونافع والزهري وابن المنكدر وعبيدالله بن أبي رافع، قال الحافظ الذهبي والظاهر أنه رأى سهل بن سعد وغيره من الصحابة وروى عنه ولداه موسى الكاظم وعلي العريضي والأئمة مالك وأبو حنيفة والسفيانان وابن جريج وشعبه، وسليمان بن بلال والدراوردي وابن أبي حاتم وابن إسحق وحاتم بن اسمعيل ويحيى القطان وخلق كثير وعن أبي حنيفة، قال ما رأيت أفقه من جعفر لما أقدمه المنصور بعث إلي فقال يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيىء له من مسائلك الصعاب فهيأت له أربعين مسئلة ثم بعث إلى المنصور فأتيته وجعفر جالس عن يمينه، فلما أبصرتهما داخلني من الهيبة لجعفر ما لم يداخلني للمنصور ثم قال يا أبا عبدالله أتعرف هذا؟ قال: نعم. هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها قد أتانا ثم قال يا أبا حنيفة لتسأل أبا عبدالله فابتدأت أسأله فكان يقول في المسئلة أنتم تقولون فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ونحن نقول كذا

وكذا حتى أتيت على أربعين مسئلة، وله كلام نفيس جامع في علم التوحيد والحقائق والمعارف وغيرها، وقد ألّف تلميذه جابر بن حيّان كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل وهي خمسمائة رسالة ونقل عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في البلدان وكان يقول سلوني قبل أن تفقدوني، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي مثل حديثي، ودخل عليه الامام أبو حنيفة يوماً فقال يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس في دين الله لا تفعل فإن أول من قاس أبليس، قال: إنما اقيس فيما لم أجد فيه نصاً فقال: لا بأس إذاً.

ودخل عليه سفيان الثوري فرأى عليه ثوباً من خز فقال: إنك من بيت نبوّه لا يلبسون هذا فقال ادخل يا ثوري يدك فأدخلها فإذا تحته مسح من شعر خشن، ثم قال: يا ثوري أرني ما تحت ثوبك هذا الغليظ فإذا تحته قميص أرق من بياض البيض فخجل سفيان وكان يقول نلبس الجبة لله والخز لكم فما كان لله تعالى أخفيناه وما كان لكم أبديناه، ومن كلامه رضي الله تعالى، عنه: الفقهاء أمناء الرسُل ما لم يأتوا أبواب السلاطين فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم وقال: إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق وقال: لا زاد أفضل من التقوى ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضر من الجهل، ولا داء أدوى من الكذب، وقال إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه، وقال: إذا بلغك عن أخيك ما تكرهه فاطلب له العذر إلى سبعين عذراً فإن لم تجد له عذراً فقُل لنفسك لعل له عذراً لا تعرفه، وقال: إذا بلغكم عن مسلم كلمة فاحملوها على أحسن ما تجدون، فإن لم تجدوا فلوموا أنفسكم، وقال: لا تأكلوا من يد جاعت ثم شبعت، وقال: إذا أذنبت فاستغفر فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال قبل أن تخلقوا وإياكم والاصرار على ذنب، وقال: من استبطأ رزقه فليكثر من الاستغفار وسعى به عند المنصور فقال للساعي: أتحلف قال نعم فقال جعفر أحلفه يا أمير المؤمنين بما أراه فقال حلّفه فقال: له، قل برئت من حول الله وقوته، والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا فامتنع الرجل ثم حلف فما تم كلامه حتى مات مكانه فقال المنصور لجعفر لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة المأمون الغائلة ثم انصرف فلحقه الربيع بجائزة سنية وكسوة حسنة. وللحكاية تتمة

ووقع نظيرها ليحيى بن عبدالله المحض ولأخيه موسى الجون، وسأله الرشيد عن سرّ تلك اليمين فروى له حديثاً عن جده علي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يحلف بيمين يمجد الله فيها إلا استحيا من عقوبته، وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته إلا عجّل الله العقوبة قبل ثلاث». ولما بلغه قول الحكم بن عباس الكلبي في عمه زيد بن علي.

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة　　فلم نر مهدياً على الجذع يُصلب

قال اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك فافترسه الأسد، ومن مكاشفاته أن بني هاشم أرادوا أن يبايعوا محمداً وابراهيم ابنّي عبدالله المحض بن الحسن المثنّ، وذلك في أواخر دولة بني مروان وضعفهم فأرسلوا لجعفر الصادق فلما حضر أخبروه وبسبب اجتماعهم فأبى فقالوا مدّ يدك لنبايعك فامتنع وقال والله إنها ليست لي ولا لهما وإنها لصاحب القباء الأصفر والله ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم ثم نهض وخرج، وكان المنصور العباسي يومئذٍ حاضراً وعليه قباء أصفر فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا وسبق إلى ذلك والده كما يأتي.

قال الليث بن سعد حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صلّيت العصر رقيت أبا قبيس، وإذا برجل جالس يدعو فقال يا رب حتى انقطع نفسه قم قال: اللهم يا حي يا حي حتى انقطع نفسه، ثم قال: اللهم إني أشتهي العنب فاطعمنيه اللهم وأن بردى قد خلقا فاكسني، فوالله ما استتمّ كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوأة عنباً وليس على الأرض يومئذٍ عنب وإذا ببردين موضوعين لم أر مثلهما في الدنيا فأراد أن يأكل، فقلت أنا شريكك لأنك دعوت وأنا أؤمن فقال تقدم وكُل فأكلت عنباً لم آكل مثله قط ما كان له عجم فأكلنا ولم تتغير السلة، فقال لا تدخر ولا تخبىء شيئاً ثم أخذ أحد البردين ودفع إليّ الآخر فقلت أنا في غنى عنه فاتزر بإحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه فلقيه رجل بالمسعى فقال اكسني يا ابن بنت رسول الله صلىّ الله عليه وسلم مما كساك الله فدفعهما إليه فقلت للذي أعطاه البردين من هذا قال: جعفر بن محمد وعن سالم بن أبي حفصة قال دخلت على

جعفر بن محمد أعوده وهو مريض فقال: اللهم إني أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما اللهم إن كان في نفسي غير هذا فلا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وسالم هذا ثقة غير أنه شيعي غال يبغض الشيخين، وقال له جعفر يا سالم أيسب الرجل جده أبو بكر رضي الله عنه. جدي وما أرجو من شفاعة علي شيئاً إلا وأرجو من شفاعة أبي بكر مثله، وعن العباس الهمداني لما أردنا السفر من المدينة أتانا جعفر بن محمد فقال إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فابلغوهم عني من زعم اني إمام مفترض الطاعة فأنا منه بريء ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر فأنا منه بريء، وعن معاوية بن عمار الذهبي قال سألت جعفر بن محمد عن القرآن فقال ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تعالى وقيل له أن قوماً يزعمون أن من طلّق ثلاثاً بجهالة رد إلى السنة يجعلونها واحدة ويروونها عنكم، فقال معاذ الله ما هذا قولنا من طلق ثلاثاً فهو كما قال الحافظ الذهبي وقد كذبت عليه الرافضة ونسبت إليه أشياء لم يسمع بها، كمثل كتاب الجفر وكتاب اختلاج الأعضاء وكذبت عليه وعلى آبائه أحاديث هو بريء من عهدتها وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد الرافضة[1] عصمتهم، وكان يصلح للخلافة لسؤدده وعلمه وفضله وشرفه، وتوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين للنصف من رجب سنة ثمان وأربعين ومائة مسموماً على ما حكي ودفن بالبقيع في قبة أهل البيت في القبر الذي فيه أبوه وجده وعم جده الحسن بن علي رضوان الله عليهم فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه وأعلاه قدراً عند الله.

---

(١) راجع التعليق على هذه الكلمة ص ٢٣. (الناشر).

﴿وجعفر هذا هو ابن محمد الباقر﴾

الامام الكبير العلم الشهير ذي الفضل الواسع، والذكر الشاسع، ولد بالمدينة الشريفة يوم الجمعة ثالث صفر سنة سبع وخمسين قبل قتل الحسين بثلاث سنين، فعلى هذا لم يسمع من جده الحسن ولا من عائشة رضي الله عنهم مع أن روايته عنهما في سنن النسائي فهي منقطعة ويكنىّ أبا جعفر، ولقب بالباقر لتبقره في العلم وهو توسعه فيه، وفيه يقول القائل:

يـا بـاقـر العلم لأهـل التقـى وخـير مـن لبـى عـلى الأجبـل

يقال بقر الشيء إذا شقه ومنه سمي الأسد باقراً لبقره بطن فريسته وقد أظهر رضي الله عنه من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكـام واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة، وفاسد الطوية والسريرة، روى عن جدية الحسن والحسين وعائشة، وأم سلمة، وابن عباس، وابن عمر وأبي سعيد وجابر وسمرة بن جندب، وعبدالله بن جعفر وأبيه وسعيد بن المسيب، وطائفة آخـرين، وروى عنه ابنـه الصادق وأخـوه زيد وابـراهيم بن أدهم وعمرو بن دينار والأعمش وربيعة الرأي وابن جريج والاوزاعي وقرة بن خالد ومحول بن راشد وحرب بن شريح والقاسم بن الفضل الحدادي وآخرون، وقد عده النسائي وغيره من فقهاء التابعين بالمدينة، وهو أحد الاثنى عشر الذين يعتقد الرافضة عصمتهم ولا عصمة إلا للأنبياء، وكفاه شرفاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبدالله أقرئه عني السلام ففي الفصول المهمة عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، قال: رسول الله صلى الله عليـه وسلم: «يا جابر يوشك أن يلحق بولدي ابن ولدي الحسين اسمه اسمي يبقر العلم بقراً فإذا رأيته فاقرئه مني السلام قال جابر فأخر الله تعالى مدتي حتى

رأيت محمد الباقر فأقرأته السلام من جدّه عليه السلام، وكان يطعم أخوانه وأصحابه الطيب ويكسوهم الثياب الفاخرة ويقول ما حسنة الدنيا إلاّ صلة الاخوان والمعارف، وكان يعطى الألف مع كثرة عياله وتوسط حاله ودخل هشام بن عبدالملك المسجد الحرام متكئاً على سالم مولاه فقال له سالم يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي في المسجد المفتون به أهل العراق، فقال اذهب إليه وقُلْ له يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة، فقال رضي الله عنه: يحشر الناس على مثل قرص نقي فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ الحساب، فعلم هشام أنه قد ظفر به وقال: الله أكبر إرجع إليه، وقل ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ فقال رضي الله عنه: هم في النار أشغل ولم يشتغلوا إلى أن قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَو مِّمَا رَزَقَكُمْ الله﴾ فسكت هشام، وعن أبي بصير قال كنت مع محمد بن علي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ دخل المنصور وداود بن سليمان قبل أن يفضي الملك لبني العباس فجاء داود إلى الباقر فقال له: ما منع الدوانيقي أن يأتي قال فيه جفاء، فقال الباقر: لا تذهب الأيام حتى يلي أمر هذا الخلق فيطأ أعناق الرجال ويملك شرقها وغربها، ويطول عمره فيها حتى يجمع من كنوز المال ما لا يجمعه غيره، فأخبر داود المنصور بذلك فأتى إليه وقال ما منعني من الجلوس إليك إلا إجلالك وسأله عما أخبره به داود فقال هو كائن، قال وملكنا قبل ملككم قال نعم قال: ويملك بعدي أحد من ولدي، قال: نعم، قال مدة بني أمية أطول أم مدتنا قال مدّتكم أطول وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعبون بالكرة بهذا عهد إلى أبي، فلما أفضت الخلافة إلى المنصور تعجب من قوله وكان رضي الله عنه يحب أبا بكر الصدّيق ويبالغ في مدحه، ويقول: من لم يقل له الصدّيق فلا صدّق الله له قولاً، وكان يقول إني بريء من مبغض الشيخين أبي بكر وعمر ولو أني وليت لتقربت إلى الله تعالى بدماء من يكرههما، والله إني لأتولاهما وأستغفر لهما وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاها، قال ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة سألت أبا جعفر وابنه عن أبي بكر وعمر فقالا يا سالم تولّهما، وابرأ من عدوّهما فإنهما كانا أمامي هدى قال الحافظ الذهبي وإسناد هذا صحيح، وابن فضيل وسالم من أعيان الشيعة الصادقين، وله رضي الله عنه كلمات

كثيرة في السلوك والمعارف لا يحتمل ذكرها هذا المحل كقوله: ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخل من الكبر، ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج ليس شيء مميل الاخوان أليك مثل الاحسان إليهم. بئس الأخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً أعرفَ المودة في قلب أخيك بماله في قلبك وكان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة، ولم يزل على الحال الأكمل إلى أن توفي إلى رحمة الله سنة أربع عشرة ومائة، وقيل سنة سبع عشرة وقيل ثمان عشرة ومائة وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه، ودفن في البقيع في قبة أهل البيت في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه وهو رضي الله عنه.

﴿ابن علي زين العابدين﴾

الامام الثابت له بالآثار المتواترة ما شوهد بالأعين الناظرة، وغرر مناقبه وفضائله على صفحات الأيام ظاهرة وأندية مجده وفخره زاهرة باهرة، ولد يوم الخميس خامس شعبان سنة سبع أو ثمان وثلاثين من الهجرة النبوية بالمدينة الشريفة، ونشأ بها ويُكنى أبا الحسين وقيل أبا محمد وقيل أبا بكر ولقب بزين العابدين لكثرة عبادته، وكان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، ويلقب بالسجاد لكثرة سجوده، واختلف في اسم أمه، قال في الصفوة أمه أم ولد اسمها غزالة، وقال في شواهد النبوة اسم أمه شهر بانو بنت يـزدجرد من أولاد أنوشروان العادل. وفي حياة الحيوان قال ابن خلكان كانت أمه سلامة بنت يزدجرد، آخر ملوك الفرس، ويقال له ابن الخيرتين لقوله صلى الله عليه وسلم: «لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش وخيرته من العجم فارس، قال الزمخشري في ربيع الأبرار أن الصحابة لما أتوا المدينة بسبي فارس في خلافة عمر رضي الله عنه كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فأمر ببيعهن فقال علي أن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهنّ فقال كيف الطريق إلى بيعهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم بهن من يختارهنّ فقومن فأخذهن علي كرم الله وجهه ودفع واحدة منهن لعبدالله بن عمر واخـرى لولـده الحسين واخرى لمحمد بن أبي بكر الصدّيق فأولد عبدالله من التي أخذها سالماً وأولد الحسين زين العابدين وأولد محمد بن أبي بكر ولده القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة قال الأصمعي وكان أهل المدينة يتجنبون السراري حتى فشا فيهم هؤلاء الثلاثة وفاقوا أهل المدينة علماً وصلاحاً وورعاً وفضـلاً فرغبت النـاس في السراري، انتهي.

وعليّ هذا هو الأصغر وأما علي الأكبر فإنه قتل مع الحسين، وكان علي هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة ومعه سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه كان مريضاً نائمًا على فراش، فلم يقتل، وفي حياة الحيوان استبقي لصغر سنّه لأنهم قتلوا كل من أنبت كما يفعل بالكفار قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ولعنه.

وجاء عن جابر رضي الله عنه: قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم الحسين في حجره وهو يلاعبه فقال: «يا جابر يولد له مولداً اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فاقره مني السلام، وكان يقول لأشياعه آحبونا حب الاسلام فإنه ما برح بناحبكم حتى صار علينا عاراً وكأنه أشار إلى ما وقع له مع عبدالملك بن مروان، فإنه حمله مقيداً من المدينة ووكل به من يحفظه، فدخل عليه الامام ابن شهاب الزهري لوداعه، فبكى، وقال وددت أني مكانك فقال أتظن أن ذلك يكربني لو شئت لما كان، وأنه ليذكرني عذاب الله تعالى ثم اخرج رجليه من القيود ويديه من الغلّ، ثم قال لا زلت معهم على هذا يومين من المدينة، قال فما مضت أربع ليال إلا وقد قدم الموكلون من المدينة يطلبونه، فما وجدوه فسألت بعضهم، قال: إنّا نراه متبوعاً إنه لنازل ونحن حوله نرصده إذ طلع الفجر فلم نجده ووجدنا حديده، قال الزهري فقدمت بعد ذلك على عبدالملك، فسألني فأخبرته فقال قد جاءني يوم فقده الأعوان، فقال لي ما أنا وأنت فقلت أقم عندي، فقال لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة، وكتب إلى الحجاج بن يوسف (أما بعد) فانظر دماء بني عبدالمطلب فاجتنبها فإني رأيت آل أبي سفيان لما ولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلاً، وبعثه الحجاج سراً وقال له أكتم ذلك فكوشف به الامام علي حين كتابته فكتب إلى عبدالملك (أما بعد) فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجّاج سراً في حقنا بني عبدالمطلب بكذا وكذا وقد شكر الله لك ذلك. وبعث به مع غلامه في يومه، فلما وقف عبدالملك عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجاج، ومخرج الغلام موافق لخروج رسوله للحجاج فسر بذلك وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة وسأله الدعاء، ولما

حجّ هشام بن عبدالملك قبل أن يلي الملك فطاف بالبيت فجهد أن يقبل الحجر فلم يقدر فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام إذ أقبل زين العابدين من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً فلما بلغ إلى الحجر تنحّى له الناس حتى قبله، فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام: لا أعرفه. فقال الفرزدق ولكني أعرفه. قال الشامي من هو يا أبا فارس فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
تكاد تمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم
من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى عن بدر غرته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً وعظّمه ... جرى بذلك في لوحه القلم
فليس قولك من هذا؟ بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان فلا يعروهما العدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه إثنان حسن الخلق والكرم
حمال أثقال أقوام إذا قدموا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يغترم
ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهّد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالإحسان فانقشعت ... عنه الغباية والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجا ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم
أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأوّلية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا ... والدين من بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام القصيدة غضب وحبس الفرزدق بعسفان، ولما بلغ زين العابدين امتداحه أرسل إليه باثني عشر ألف درهم، وقال اعذر أبا فراس لو كان عندنا أكثر من هذا لوصّلناك فردّها وقال يا ابن بنت رسول الله ما قلت الذي قلت إلا غضباً لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم وما كنت لأرزأ عليه بشيء، فقال شكراً لله لك ذلك غير أنّا أهل بيت إذا أنفذنا أمراً لم نعد فيه، فقبلها وجعل يهجو هشاماً ومنه قوله:

أتحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبُها
تقلب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعيناً له حولاء باد عيوبها

فبعث فأخرجه.

وكان رضي الله عنه كثيرالثناء على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وكان كثير الخوف وربما سارت الريح فيخر مغشياً عليه، ولما حجّ وقال لبيك اللهم لبّيك سقط مغشياً عليه، وكان إذا توضأ يصفر لونه وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فيقال له مالك فيقول أما تدرون بين يدي من أقوم، ومن أناجي، ووقع حريق في بيت وهو يصلي فيه فلم يشعر به، وقال ألهتني عنها النار الأُخرى وتلكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب ثم ردّه يده وقال آه من القصاص، وتلكأت مرة أُخرى فأناخها وأراها القضيب، وقال لتنطلقنّ أولاً لأفعلن فانطلقت وما تلكأت بعدها، وكان عظيم الهُدى والسمت، قال صلى الله عليه وسلم إن الهُدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزأ من النبوّة وكان شديد التواضع يستقي ماء طهوره بيده،

ولا يعينه أحد على طهوره، وكان إذا قيل له أن فلاناً وقع فيك أتاه وتلطف به، وقال له إن كان ما قلت في حقاً فأنا أسأل الله أن يغفر لي وإن كان باطلاً فالله تعالى يغفره لك، وسبّه رجل وبالغ في سبّه، وكان الامام يتغافل عنه فقال له الرجل إياك أعني، فقال وعنك أغضي، وخرج يوماً من المسجد فلقيه رجل فشتمه فسارت إليه العبيد والموالي فقال لهم مهلاً على الرجل، ثم أقبل وقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر مما ظهر لك ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل فألقى عليه خميصته التي عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل يقول أشهد أنك من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل له لم لا تسبّ من سبّك فقال هو يسبني بما يعرف ولست أعرف فيه شيئاً أسبّه به وكان يقول ما يسرني بنصيبي من الذّلّ حمر النعم، وكان هشام بن اسمعيل والي المدينة يؤذيه ويسبّ علياً على المنبر فلما عزله الوليد أمر أن يوقف للناس فقال هشام والله ما أخاف إلا من علي بن الحسين فإنه يسمع قوله، فأوصى على أصحابه ومواليه أن لا يتعرضوا لهشام، ثم مر علي في حاجته فأعرض له فناداه هشام الله أعلم حيث يجعل رسالاته، وكان فصيحاً بليغاً له من المنثور والمنظوم ما يقصر عنه أكابر البلغاء، وتعجز عنه ألسن الفصحاء ومن شعره رضي الله عنه:

إني لا كتم من علمي جـواهـره	**كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا**
وقـد تقـدم في هـذا أبـو حسن	**إلى الحسـين وأوصى بعده الحسنـا**
يـا رب جوهـر علم لو أبـوح به	**لقيـل لي أنت ممن يعبـد الـوثنـا**
ولا استحل رجال مسلمـون دمي	**يـرون أقبـح مـا يـأتـونـه حسنـا**

وقارف الزهري ذنباً استوحش منه وهام على وجهه، فقال لـه زين العابدين يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك، فقال الزهري الله أعلم حيث يجعل رسالاته فرجع إلى أهله وماله.

ومن كلامه رضي الله عنه ضل من ليس له حلم يرشده، وذل من ليس له سفيه يعضده، ومنه أربع ذلهنّ ذلّ البنت ولو مريم، والدين ولو درهم، والغربة ولو ليلة، والسؤال ولو كيف الطريق، فقد الأحبة غربة، عجبت لمن

يحتمي من الطعام لمضرته، كيف لا يحتمي من الذنب لمعرّته، إياك والانتهاك بالذنب فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه، من ضحك مج من عقله مجة علم، لا تصحبنّ خمسة، ولا توافقهم في طريق، لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة فما دونها. فقيل وما دونها فقال يطمع فيها ولا ينالها، ولا بخيلاً فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، ولا كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد، ولا أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع، ومنه لا يصطحب إثنان على غير طاعة الله إلا وتفرّقا على غير طاعة الله تعالى، ومنه عبادة الأحرار إنما تكون محبة لله تعالى لا رغبة ولا خوفاً، ليس بصاحبكم من إذا افتتحتم كيسه بغير إذنه وأخذتم منه تكدر ولم ينشرح، إن الله تعالى يحب المؤمن المذنب التوّاب،

ويروى أنه كان حزيناً متفكراً إذ دخل عليه رجل حسن الثياب، طيب الرائحة، فقال: له ما لي أراكَ حزيناً أعلى الدنيا تحزن! فهي رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر، فقال: ما عليها أحزن وإنها كما تقول فقال علام حزنك؟ فقال: أتخوّف من فتنة ابن الزبير، قال فضحك ثم قال: يا علي هل رأيت أحد خاف الله فلم ينجه! قال: لا، قال: هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قال: لا فاختفى عنه، وإذا قائل يقول ولا يرى شخصه هذا الخضر عليه السلام، ومناقبه كثيرة لا تحصر، وإحصاء فضاله يتعذر والقصايد والمقطوعات في مدحه كثيرة شهيرة، فلا نطيل بذكرها، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة اثنتين وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين مسموماً سمّه الوليد بن عبدالملك، ودفن بالبقيع في قبة أهل البيت في القبر الذي قبر فيه عمه الحسن السبط رضي الله عنهم، وخلف أحد عشر إبناً، وسبع بنات ولم يبق على وجه الأرض حسيني إلا من نسله، وروى عن علي كرّم الله وجهه أنه قال بقية السيف أنمى عدداً وأكثر ولداً وشوهد ذلك في ولد زين العابدين وولد المهلب قتل مع الحسين رضي الله عنه عامة أهل بيته ولم ينج منهم إلا ابنه علي، فأخرج الله من نسله الكثير الطيب، وقتل يزيد بن المهلب وإخوته وذراريهم ثم من سلم منهم مكث نيفاً وعشرين سنة لا يولد فيهم أنثى ولا يموت منهم غلام، ولكن لم يعقب من أولاد الامام زين العابدين إلا ستة منهم الامام زيد

الذي تنسب إليه الزيدية كان إماماً جليلاً من الطبقة الثالثة من التابعين وكان يدخل على هشام بن عبدالملك فيقع بينه وبين جلسائه فيفحمهم الامام زيد حتى يخجل هشام بين جنده، وفي عز مملكته وقال له أنت زيد المؤمل للخلافة وأنت ابن أمة فقال له زيد إن الأمة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية لما بعث الله نبياً هو ابن أمةٍ وجعله أبا العرب، وأبا خير الأنبياء وهو اسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام، فكانت أمه مع أم اسحق كأمي مع أمك، وما تقصيرك برجل أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده علي بن أبي طالب، فلما خرج قال زعمتم أن أهل هذا البيت قد انقرضوا لعمر الله ما انقرض قوم هذا خلفهم، ودخل عليه وعنده يهودي يسبّ النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يسبّ آله فانتهره زيد، وقال أما والله لئن تمكنت منك لأختطفن روحك فقال هشام يا زيد لا تؤذ جليسنا، فخرج قائلاً من استشعر حب البقاء استدثر الذل إلى الفناء فهاج إلى الخروج على هشام وتابعه من أهل الكوفة خمسة عشر ألف مقاتل وتابعه جماعة من الأئمة منهم الامام أبو حنيفة وأيده بمال وعند مبايعتهم قال له داود بن علي بن عبد الله بن عباس: يا ابن عمي لا يغرنك هؤلاء من نفسك، ففي أهل بيتك أتم العبر، وفي خذلانهم إياهم كفاية، ولم يزل به حتى شخص إلى القادسية فتبعه جماعة يقولون له ارجع فأنت المهدي، وأقام مخفياً أمره والناس يأتونه من الأمصار ثم أذن بالخروج فخرج أواخر المحرّم سنة إحدى أو إثنتين وعشرين ومائة وخرج معه من الفقهاء والقراء خمسة آلاف في زي لم ير الناس مثله ثم خذله الذين بايعوه وقالوا للإمام جعفر الصادق، فقال أين الناس فقيل احتبسوا في المسجد فقال لا يسعهم عند الله خذلاننا فعاد إليهم وأمرهم بالخروج فأبوا وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين لينصروه فقال بل أتولّاهما فقالوا إذا نرفضك، فقال إذهبوا فأنتم الرافضة، فسمّوا بذلك من حينئذٍ وأقبلت جيوش هشام عليهم يوسف بن عمر الثقفي أمير العراق فحمل عليهم الامام زيد وهو يقول:

ذل الحياة وعزّ الممات وكلاً أراه طعاماً وبيلا
فإن كان لا بد من واحد فسيري إلى الموت سيراً جميلا

فقتل فيهم مقتلة عظيمة، فلم ينجع ذلك فيهم شيأ ودخلوا الكوفة فتفرقت أصحابه عنه فلم يتأثر بذلك وحاربهم يوم الاربعاء والخميس وقتل

كثيراً من فرسانهم، وحال المساء بين الفريقين فانصرف زيد مثخن بالجراحات وقد اصيب آخر يوم الجمعة بنشابة في جبينه فجيء بحجام فنزعها فمات لوقته ودفن في قناة واجري عليه الماء لئلا يعرف قبره، ثم مضى الحجام إلى يوسف بن عمر ودله على قبره فنبشه وبعث برأسه وصلب جثته على جذع نخلة عرياناً، فنسجت العنكبوت على عورته لوقته فلم يرها أحد فكان ذلك من باهر كراماته، واستمر مصلوبا خمس سنين حتى ظهر ولده يحى بن زيد بخراسان، ووقعته مشهورة، كتب الوليد بن يزيد إلى عامله بالكوفة أعمد إلى عجل أهل العراق فحرقه ثم أنسفه في اليم نسفاً ففعل ذلك، ورؤي صلى الله عليه وسلم مستنداً إلى جذعه المصلوب عليه وهو يقول للناس أهكذا تفعلون بولدي، فلما ولي السفاح أمر بنبش قبر هشام فوجد بحاله ما فقد منه إلا أنفه لأنه طلي بالصبر فأقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار، وأمر بامرأة هشام فشدخ رأسها بالعمد وقطع ثدياها وقتلها قصاصاً في ام ولد، أو زوجة كانت لزيد فعلوا بها كذلك ثم استخرجوا سليمان من أرض دابق فلم يجدوا إلا صلبه وأضلاعه، فحرقوها ونبشوا قبور بني امية بقنسرين وحرقوهم، ثم حفر عن عبدالملك بدمشق فلم يجدوا إلا عظماً واحداً ووجدوا خطاً أسود بالطول في لحده، وتتبعوا قبورهم في جميع البلدان وحرقوا ما وجدوا منهم، ولما ورد على السفاح الخبر بهذه المذكورات خر ساجداً الله تعالى، وقال الحمد لله قتلت بالحسين بن علي على مائتين من بني امية، وصلبت هشاماً بزيد وقتلت مروان بأخي ابراهيم

وعلى زين العابدين هذا هو ابن الحسين السبط بضم الحاء تصغير الحسن وهو السعيد الشهيد السبط ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكنى أبا عبدالله ولد بالمدينة يوم الثلاثاء الرابع أو الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبشين أملحين وأعطى الفخذ وحلق رأسه، وتصدق بزنة الشعر فضة، ثم طلا رأسه بيده المباركة بالخلوق كما فعل ذلك بأخيه الحسن رضي الله عنهما، قال علي كرم الله وجهه كنت احب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن اسميه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن فلما ولد الحسين هممت أن اسميه حرباً فسماه صلى الله عليه وسلم الحسين وقال: «سميت ابنى هذين باسم ابنى هرون شبر وشبير» وقال صلى الله عليه وسلم سمى ابراهيم ابنه

شبرا وشبيرا واني سميت الحسن والحسين كما سمى هرون ابنيه وقال صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين من اسماء أهل الجنة ما سمت العرب بهما في الجاهلية، وأما اللذان كانا باليمن فهما حسن وحسين بفتح الحاء وكسر السين وقال صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط». وقال صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيفا أهل الجنة وليسا بمعلقين». وقال صلى الله عليه وسلم: «احب أهل بيتي الحسن والحسين». وقال صلى الله عليه وسلم: «هذان ابناي وابنا بنتي اللهم إني احبهما فأحبهما واحب مَنْ يحبهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحبني وأحب هذين وأحب أباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة». وقال صلى الله عليه وسلم: «هذان ابناي مَنْ أحبهما فقد أحبني ومَنْ أبغضهما فقد أبغضني وقال صلى الله وعليه وسلم من أجنبي فليحب هذين وقال صلى الله عليه وسلم إن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومَنْ أبغضهما فقد أبغضني». وقال صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة: وقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة: «أما رأيت هذا العارض الذي عرض لي هو ملك لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم عليّ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». وقال صلى الله عليه وسلم ابناي الحسن والحسين سيد أشباب أهد الجنة وأبوهما خير منهما وقال صلى الله عليه وسلم، أما حسن فله هيبتي وسؤددي، وأما حسين فله جرأتي وجودي، وقال صلى الله عليه وسلم «صدق الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُم وَأَوْلادُكمْ فِتْنَة﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما». وقال صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة عيسى بن مريم ويحي بن زكريا وقيل له صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب إليك قال: الحسن والحسين». وكان صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء ذات ليلة، فكان إذ سجد ركب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه رفعا رفيقاً، ثم إذا سجد عادا فقيل ألا نذهب بهما إلى امهما فبرقت برقة، فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا على امهما، ومشي صلى الله عليه وسلم على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول: «نعم الجمل

جملكما ونعم العدلان أنتما». واعترك الحسن والحسين فقال صلى الله عليه وسلم: «أيها حسين خذ حسناً فقال علي كرّم الله وجهه: يا رسول الله أعلى حسين تواليه وحسن أكبر فقال صلى الله عليه وسلم هذاجبريل يقول: أيها حسين». وقال صلى الله عليه وسلم: «حسين مني وأنا منه أحب الله مَنْ أحب حسيناً الحسن والحسين سبطان من الأسباط». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحبني فليحب حسيناً». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» وأشار إلى حسين وسجد صلى الله عليه وسلم فجاء الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه حدث أمر فلما قضى صلاته قال إن ابني هذا ارتحلني، فكرهت أن اعجله حتى يقضي حاجته.

﴿تنبيه﴾

في قوله صلى الله عليه وسلم وأبوهما خير منهما حجة لما عليه أهل السنة أن الخلفاء الأربعة أفضل من أهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا يعادلها وصف علم ولا عمل وبه وجه قول بعضهم بتفضيل الحسنين على غيرهما أي من حيث تلك البضعة الشريفة، وإن كان غيرهما أفضل ممن ذكر أفضل منهما علماً وعملاً ومعرفة، واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم « سيدا شباب أهل الجنة» بأنهما ماتا غير شابين وبأن الجنة ليس فيها شاب لأن الوارد أن جميع أهل الجنة يكونون على خلقة أبناء ثلاث وثلاثين سنة ثم يدخلونها كلهم وهم مستوون في هذا السن الذي هو سن الكهولة وأعدل الاسنان وأشرفها، ولذا اختير كونهم عليها وحينئذ فليس في الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ، فأي شباب هما سيداهم واجيب بأن المراد بالشباب الذين ماتوا شباباً فهما سيدا هؤلاء من غيراستثناء وأما الكهول والشيوخ فإنهم قد يسودانهم وهو الأكثر وقد لا كالخلفاء الأربعة رضي الله عنهم. والحاصل أنهما سيدا شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيهم تفصيل فلذا ذكر الشباب فقط وأضافهما إلى الجنة باعتبار أنه يقال لمن هو في حال شبابه وقد كتب سعبد هذا من شباب أهل الجنة أي من الموصوفين الآن بكونهم من الشباب، وكونهم من أهل الجنة وحينئذ اتضحت حكمة الشباب وحكمة

اضافتهم إلى الجنة، واتضح أنه لا يحتاج إلى استثناء الأربعة الخلفاء فضلاً عن الأنبياء، واتضح أن في هذا من المدح لهما ورفعة قدرهما وبيان تمييزهما ما لا يخفى عظيم وقعه، أدرك رضي الله عنه في حياة جده صلى الله عليه وسلم سبع سنين، وحفظ عنه وروى عنه صلى الله عليه وسلم وعن أبويه وخاله هند بن أبي هالة، وروى عنه أخوه الحسن وابنه علي وحفيده محمد الباقر وبنته فاطمة بنت الحسين، وعكرمة والشعبي والفرزدق وهمام وطلحة بن عبيد الله العقيلي، وقد خص النبي صلى الله عليه وسلم ما حصل للحسين من القتل بالاخبار عنه، فقال صلى الله عليه وسلم: لقد دخل على البيت ملك لم يدخل علي قبلها، فقال لي إن ابنك حسيناً هذا مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فاخرج تربة حمراء وقال صلى الله عليه وسلم: «إن ملك القطر استأذن ربه أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له فقال لأم سلمة «املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد» قالت: وجاء الحسين رضي الله عنه ليدخل فمنعته فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى منكبه وعاتقه، فقال الملك للنبي صلى الله عليه وسلم: «أتحبه» قال: نعم فقال: ان امتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها ام سلمة فصرتها في خمارها. قال ثابت: بلغنا أنها كربلاء، وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله، فقال له الملك: «أتحبه» قال: «نعم» قال: إن امتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به، فجاءه بسهلة أو تراب أحمر فأخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها، وفي رواية نحو هذا إلا أن فيها أن الملك جبريل وزاد في آخره فشمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «ويح كرب وبلاء» وقال: «يا ام سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن ابني هذا قد قتل». فجعلتها ام سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها وتقول أن يوما تحولين دماً ليوم عظيم.

وعن أسماء بنت عميس قالت: «عق النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسين يوم سابعه وجعله في حجره، فبكى صلى الله عليه وسلم قلت: فداك أبي وامي مم بكاؤك فقال النبي: «هذا يا أسماء تقتله الفئة الباغية من امتي لا أنالهم الله شفاعتي يا أسماء لا تخبري فاطمة فإنها قريبة عهد بولادة». وعن

ام سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم نائماً في بيتي فجاء حسين رضي الله عنه يدرج فقعدت على باب فأمسكته مخافة أن يدخل فيوقظ، وثم غفلت فدب فدخل فقعد على بطنه صلى الله عليه وسلم قالت «فسمعت نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجئت فقلت: يا رسول الله والله ما علمت به». فقال: «إنما جاءني جبريل عليه السلام وهو على بطني قاعد فقال لي: أتحبه قلت: «نعم»، قال: إن امتك ستقتله ألا اريك التربة التي يقتل بها قال فقلت: «بلى» قال: فضرب بجناحه فأتاني بهذه التربة. قالت: وإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول: يا ليت شعري مَنْ يقتلك بعدي وفي رواية: «إن جبريل كان عندي آنفاً فقال: إن امتك ستقتله بعدك بأرض يقال لها كربلاء تريد أن اريك تربته يا محمد فتناول جبريل من ترابها فأراه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إليه، قالت ام سلمة فأخذته فجعلته في قارورة فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دماً وفي رواية ثم قال يعني جبريل ألا اريك تربة مقتله فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قارورة فلما كان ليلة قتل الحسن سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلا حسينا ابشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموس وحامل الانجيل

قالت فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً، وكان لعائشة رضي الله عنها مشرفة فكان صلى الله عليه وسلم إذا أراد جبريل عليه السلام لقيه فيها فرقبها مرة وأمر عائشة أن لا يطلع إليه أحد، فدخل حسين فرقاه ولم تعلم حتى غشيهما، فقال: جبريل مَنْ هذا. قال: «ابني» فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله في فخذه فقال جبريل: سيقل تقتله امتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «امتي» قال: نعم. وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يقتل فيها، فأشار جبريل بيده إلى الطف بالعراق، فأخذ منه تربة حمراء فأراه اياها، ولما مر علي كرم الله وجهه بكربلاء في سيره إلى صفين وحاذى نينوى قرية على الفرات فوقف ونادى صاحب مطهرته، أخبرنا أبا عبدالله ما يقال لهذه الأرض فقال: كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت:

ما يبكيك فقال: «كان عندي جبريل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء، ثم قبض جبريل قبضة من تراب فشمني ايها فلم أملك عيني أن فاضتا، ولما مر على موضع قبر الحسين فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وها هنا موضع رحالهم، وها هنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

وحاصل ما ذكره أهل السير في ذلك أنه لما استخلف يزيد سنة ستين كتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عتبة وابن أبي سفيان أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة، وأن يأخذ على الحسين وابن الزبير وجماعة سماهم أخذاً شديداً ليس فيه رخصة، فأرسل إلى الحسين وعبدالله بن الزبير ليلاً وأتى بهما فقال: بايعا فقالا مثلنا لا يبايع سراً ولكنا نبايع على روؤس الاشهاد إذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى مكة، وذلك لليلتين بقيتا من رجب فعلم به أهل الكوفة، فكتب إليه وجوههم، أنا قد حبسنا أنفسنا عليك فأقدم علينا فنحن في مائة ألف، فقد فشا فينا الجور وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة رسوله، ونرجو أن يجمعنا الله بك على الحق، وينفي عنابك الظلم، وتواترت كتبهم إليه فعزم على المسير فنهاه ابن عباس رضي الله عنهما وقال له أن أهل الكوفة قوم غدر قتلوا أباك وخذلوا أخاك فإن عصيتني فاترك أولادك ها هنا فلم يجبه، فبكى وقال: واحبيباه وعن ابن عباس قال: استأذنني الحسين في الخروج فقلت: لولا أن يزري ذلك بك وبي لقلت بيدي في رأسك قال فكان الذي قال: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن يستحل بي، قال فذاك سلاً نفسي عنه وقال له عبدالله بن الزبير: تأتي قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك. فقال الحسين لأن أقتل بموضع كذا وكذا أحب إلي من أن يستحل بي. يعني الحرم وفي رواية أنه قال لابن الزبير أن أبي حدثني أن لها كبشاً بها يستحل حرمها فما أحب أن أكون ذلك الكبش ولأن أقتل خارجها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجها بشبر، وجاءه ابن عمر وكان بمال له أي بأرض فلحقه على مسيرة يومين ولامه على المسير وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة وإنكم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لن ينالها ولا ولايتها أحد منكم، فارجع فأبى فاعتنقه وقبل

بين عينيه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل وقد كان فيما قاله الحسن عندما احتضر لأخيه الحسين: أبى الله أن يجعل فينا أهل البيت النبوة والدنيا والخلافة والملك فاياك وسفهاء أهل الكوفة أن يستخفوك، فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص، يا أخي إن أباك حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر، ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه ووليه أبو بكر رضي الله عنه، فلما حضرت الوفاة أبا بكر تشوق لها أيضاً فصرفت عنه إلى عمر فلما قبض عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدهم، فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان فلما هلك عثمان بويع له ثم نوزع حتى جرد السيف، وطلبها فأصفا له شيء منها واني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء الكوفة، وقدتذكر ذلك الحسين ليلة قتله، فكان يترحم على أخيه الحسن، ولما بلغ أخاه محمد الحنفية مسيره وكان يتوضأ وبين يديه طست فبكى حتى ملأه من دموعه ولم يبق بمكة إلا مَنْ حزن لمسيره، فسار الحسين في سبعين فارساً ومعه نيف وثلاثون من أهل بيته رجالاً ونساءً وصبياناً وقدم أمامه مسلم بن عقيل فنزل الكوفة وبايعه منهم اثنا عشر ألفاً وقيل أكثر وتغافل عنه أميرها النعمان بن بشير فبلغ يزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد ابن أبيه قد وليتك الكوفة مع البصرة وإن الحسين قد سار إلى الكوفة فاحترز منه، واقتل مسلم بن عقيل. فقدم عبيد الله من البصرة وقتل مسلم بن عقيل وبعث برأسه إلى يزيد فشكره وحذره من الحسين، وأمره أن يحبس على الظنة ويأخذ على التهمة ولقي الحسين الفرزدق الشاعر مقبلاً من الكوفة فقال له بين لي خبر الناس فقال: أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وروي أن الحسين أنشد.

فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة ... فإن ثواب الله أعلا وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت انشئت ... فقتل امرىء في الله بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسمًا مقدراً ... فقلة حرص المرء في الكسب أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

وفي اسد الغابة أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأمرني بأمر فأنا فاعل ما أمر وسار وهو غير عالم بما جرى لمسلم بن عقيل حتى كان على ثلاث من القادسية تلقاه الحر بن يزيد التميمي على ألف فارس من أصحاب ابن زياد أخرجهم عيناً على الحسين، فنصحه الحر وقال له ارجع فما تركت لك خلفي خيرا ترجوه وأخبره الخبر، وقدوم ابن زياد واستعداده له فهمّ بالرجوع فقال له اخوة مسلم بن عقيل والله لا نرجع حتى نصيب ثارنا أو نقتل فقال لا خير في الحياة بعدكم، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد، فعدل إلى كربلاء فنزل بها في خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل وقيل أكثر، ولما نزل قال: ما اسم هذه الأرض فقيل كربلاء، فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض كرب وبلاء، ولقد مر أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه فوقف وسأل عنه فاخبر باسمه فقال ها هنا محط ركابهم وههنا مهراق دمائهم، فسئل عن ذلك فقال نفر من آل محمد صلى الله عليه وسلم ينزلون ههنا ثم أمر باثقاله فحطت في ذلك المكان وكان ابن زياد قال لعمر بن سعد بن أبي وقاص: اكفني هذا الرجل فقال له: اعفني. فقال: لا أعفيك قاتله وإلا عزلتك وكان قد ولاه على الري وخراسان فأجابه لمقاتلته، وسار في ستة آلاف ومنعوا الحسين وأصحابه من الماء ثلاثة أيام، ثم بعث عمر إلى الحسين رضي الله عنه يطلب الاجتماع به في خلوة لكراهته قتاله فاجتمعا فقال عمر مَنْ جاء بك قال أهل الكوفة قال أما عرفت ما فعلوا معكم، فقال من خادعنا في الله انخدعنا له، فقال عمر فقد وقعت الآن فما ترى فقال، دعوني أرجع فاقيم بمكة أو المدينة أو ببعض الثغور وفي رواية قال ألا تقبلون مني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله من المشركين، كان إذا جنح أحد للسلم قبل منه قالوا لا، قال: فدعوني أرجع قالوا لا قال فدعوني آتي أمير المؤمنين وفي أخرى قال يا عمر اختر مني ثلاث خصال إما أن تتركني أرجع كما جئت فإن أبيت هذا فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده، فيحكم فيّ ما رأى فإن أبيت هذه فسيرني إلى ثغر الكفارة فاقاتلهم حتى أموت، فأرسل عمر إلى ابن زياد بذلك فهم ابن زياد أن يسيره إلى يزيد، فقال له شمر بن ذي الجوشن لا إلا أن ينزل على حكمك فقال نعم ما رأيت وكتب إلى ابن سعد أني لم أبعثك لتكون شفيعاً له عندي فإن نزل على حكمي ووضع يده في يدي

فابعث به وإن أبى فاقتله وأصحابه واوطيء الخيل صدره وظهره ومثل به، وإن أبيت فاعتزل عملنا وسلمه إلى شمر بن ذي الجوشن، ودفع الكتاب إلى شمر وقال إن فعل ما أمر به وإلا فاضرب عنقه وأنت الأمير على الناس فلما وصل شمر قال له ابن سعد لا أهلاً بك ولا سهلاً بالأبرص لقد ثبطته عما كان في عزمه وبعث إلى الحسين فأخبره، فقال: والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة أبداً فخرج الحر بن يزيد في ثلاثين رجلاً من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون منها شيئاً. فتحولوا مع الحسين ثم رجعوا إليه وناداه عبدالله بن حصين يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً، فقال الحسين اللهم اقتله عطشاً فكان يشرب الماء ولا يروي حتى مات عطشاً، ودعا الحسين بماء يشربه فرماه رجل يقال له وزعة بسهم فأصاب حنكه، فحال بينه وبين الماء فقال اللهم اظمئه فكان يصيح من الحر في بطنه ومن البرد في ظهره وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكانون ويقول اسقوني فيؤتي بالإناء العظيم فيه السويق والماء واللبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه، ويقول اسقوني أهلكني العطش، فيسقى كذلك إلى أن أنقد بطنه كانقداد البعير وناداه شمر الساعة ترد الهاوية فقال الحسين الله أكبر أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت كأن كلباً ولغ في دماء أهل بيتي» وما أخالك إلا اياه، وكان أكثر الخارجين لقتاله الذين كاتبوه وبايعوه، ولما حمل عليهم وسيفه مصلت أنشد يقول:

أنا ابن علي الحبر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم مَنْ مشى ... ونحن سراج الله في الناس يزهر
وفاطمة امي سلالة أحمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

وثبت ثباتاً باهراً مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه، ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول، ولما استحر القتل بأهله فإنهم ما زالوا يقتلون واحداً بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على خمسين صاح الحسين أما

ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ خرج يزيد بن الحارث الرساحي من عسكر أعدائه راكباً فرسه وقال يا ابن رسول الله لئن كنت أول مَنْ خرج عليك فإنني الآن من حزبك لعلي أنال بذلك شفاعة جدك ثم قاتل حتى قتل، فلما فني أصحابه وبقي بمفرده حمل عليهم وقتل كثيراً من شجعانهم، فحمل عليه جمع كثيرون منهم حالوا بينه وبين حريمه فصاح كفوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء فكفوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجرح فسقط على الأرض، فحزوا رأسه رضي الله عنه فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأكرمه الله تعالى بالشهادة يوم الجمعة في يوم عاشوراء عام احدى وستين، وفي اسد الغابة لما قتل الحسين أمر عمر بن سعد نفراً فركبوا خيولهم وأوطأوا الحسين، وقتل معه من بنيه وبني أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً، وقيل أحد وعشرون منهم ولداه على الأكبر والأصغر وعبدالله، واخوته على الأصغر ومحمد وعتيق وأبو بكر وعثمان وجعفر والعباس الأكبر وابن أخيه قاسم بن الحسن وأولاده عمه محمد وعون ابنا عبدالله بن جعفر، وابناه عبد الله وعبدالرحمن وكان عدة من قتل اثنين وسبعين والذي قتل الحسين رضي الله عنه سنان بن انس النخعي، وقيل شمر بن ذي الجوشن وكان أبرص أجهر ثم تمم عليه حولي بن يزيد الاصبحي من حمير حزَّ رأسه، وقيل قاتله رجل من مذحج ووضع رأسه بين يدي ابن زياد وأنشد قاتله:

املأ ركابي فضة وذهبا ... فقد قتلت السيد المحببا

كذا في أسد الغابة، وفي الاستيعاب:

إني قتلت الملك المحجبا ... قتلت خير الناس أماً وأباً
وخيرهم إذ يذكرون نسباً ... ومَنْ يصلي القبلتين في الصبا

فغضب ابن زياد من قوله وقال له إذا علمت ذلك فلم قتلته والله لا نلت مني خيراً ولألحقنك به ثم ضرب عنقه وجعل ينكت بقضيب على ثنايا الحسين ويقول ما رأيت مثل هذا حسناً وكان عنده انس بن مالك فبكى، وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد رأيته صلى الله عليه

وسلم يقبل موضع قضيبك، وقال زيد بن أرقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين هذين الشفتين، ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فقال زيد لاحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعد الحسن والحسين على فخذيه ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: «اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين». فكيف كانت وديعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد، ثم نهض وهو يقول أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، والله ليقتلن خياركم ويستعبد شراركم فبعداً لمن رضي بالذلة والنار، ثم أن ابن زياد جهز علي بن الحسين ومن معه من حرمه إلى يزيد بن معاوية وهو يومئذ بدمشق مع شمر بن ذي الجوشن في جماعة فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون ويتحيون بالرأس فبينما هم كذلك إذ خرجت من الحائط يد فكتبت بدم.

أترجو امة قتلت حسينا شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس ووجد هذا البيت في كنيسة من كنائس الروم بالعربية فسئلوا مَنْ كتب هذا قالوا ما ندري، وقال راهب إنه مكتوب قبل أن يبعث نبيكم بخمسمائة، وكانوا إذا نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من الصندوق فوضعوه على رمح وحرسوه إلى وقت الرحيل، فوصلوا منزلاً فيه دير راهب، ووضعوا الرأس على الرمح مستنداً إلى الدير فرأى الراهب نوراً من الرأس إلى السماء فسألهم عن الرأس، فقالوا رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نبيكم قالوا: نعم. قال: بئس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكناه أحداقنا، ثم قال هل لكم في عشرة آلاف دينار ويكون الرأس عندي الليلة قالوا وما يضرنا فأخذ الرأس فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي إلى الصبح وقال: لا أملك إلا نفسي وأنا أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمد رسول الله، ثم خرج عن الدير وصار يخدم أهل البيت فلما أرادوا يقتسمونها وجدوها خزفاً وعلى أحد جانبي الدينار مكتوب ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمّاَ يَعْمَلُ الظَّالِمِونَ﴾. وعلى الثاني ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾. الآية.

﴿ولما وصلت﴾ الرأس الشريفة إلى يزيد دمعت عيناه وقال رحمك الله يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام لعن الله ابن مرجانة قد زرع لي العداوة في قلب البر والفاجر، أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه، ثم قال يرحم الله أبا عبدالله وتمثل بقول القائل.

يفلق هاماً من رجال أعزة	**علينا وهم كانوا أعق وأظلما**

ثم أمر بالذرية فادخلوا دار نسائه وكان إذا حضر طعامه دعا علي بن الحسين وأخاه عمر فأكلا معه ثم وجه الذرية صحبة علي بن الحسين، ووجه معهم ثلاثين فارساً إلى المدينة الشريفة، ولما وصلوا إلى المدينة لم يبق بها أحد إلا خرج وضج بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب كاشفة وجهها ناشرة شعرها تصيح واحسيناه وأخواتاه وأهلاه وأمحمداه ثم قالت:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم	**ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم**
بأهل بيتي وأولادي أمالكم	**عهد أما أنتم توفون بالذمم**
ذريتي وبني عمي بمضيعة	**منهم أسارى وقتلاً ضرّجوا بدم**
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم	**أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم**

وقال سراقة الباهلي رضي الله عنه:

عين ابكي بعبرة وعويل	**واندبي إن ندبت آل الرسول**
سبعة منهم لصلب علي	**قد ابيدوا وخمسة لعقيل**

وأوردها ابن عبدالبرفي الاستيعاب بلفظ تسعة بتقديم الفوقية على السين في الأول وبدل خمسة ووقف سليمان بن قتيبة بفتح القاف وتاءين فوقيتين وهي امه على مصارعهم فبكى وقال:

وإن قيل الطف من آل هاشم	**أذل رقاباً من قريش فذلت**
مررت على أبيات آل محمد	**فلم أرها أمثالها حين حلت**
فلا يبعد الله الديار وأهلها	**وإن أصبحت منهم بزعمي تخلت**
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة	**لفقد حسين والبلاد اقشعرت**
وقد اعولت تبكي السماء لفقده	**وأنجمها ناحت عليه وصلت**
وكانوا لنا غيث فعادوا رزية	**لقد عظمت تلك الرزايا وجلت**

ووجد حجر عليه مكتوب

لا بد أن ترد القيامة فاطمة　　وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه　　والصورِ في يوم القيامة ينفخ

ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم: «تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم الحسين فتعلق بقائمة من قوائم العرش، فتقول يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدي فيحكم الله لابنتي ورب الكعبة». وبكت ام سلمة وقالت: رأيت الآن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه ولحيته التراب وهو يبكي (فقلت) ما يبكيك يا رسول الله قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً». وقال ابن عباس رضي الله عنهما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه أو يتتبع فيه شيئاً فقلت: بأبي وامي يا رسول الله ما هذا قال: دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فوجدوه قتل ذلك اليوم. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إني قتلت بدم يحى بن زكريا سبعين ألفاً واني قاتل بدم الحسين بن علي سبعين ألفاً قيل هذه العدة بسبب دم الحسين، لا تستلزم كونها عدة العسكر القاتلين له فإن فتنته أفضت إلى تعصبات فجميع مَنْ قتل من قتلته ومن المتعصبين لهم في سائر الأزمان فهم ممن قتل بسبب دمه، ثم إن أهل المدينة نقضوا بيعة يزيد لسوء سيرته وقتله الحسين، وقد هاجت الفتنة فأخرج مَنْ كان بالمدينة من بني امية وجرت فتن كبار، واقتتل الناس على الملك، وانتقم الله تعالى من ابن زياد وأصحابه.

ففي سنة خمس وستين سار سليمان بن صرد الخزاعي الصحابي رضي الله عنه في أربعة آلاف والمختار بن عبيد الثقفي والتفت إليه الشيعة يطلبون بدم الحسين، وندموا على ما فعلوا مع الحسين، وقالوا مالنا توبة إلا أن نقتل أنفسنا في طلب دمه وافترقوا فرقتين، فأما المختار وطائفة فملكوا الكوفة والعراق وأما سليمان بن صرد ومَنْ معه فقصدوا الشام لأن ابن زياد لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة إلى الشام فانتمى إلى مروان بن الحكم فخرج إليهم ابن زياد في ثلاثين ألفاً فاقتتلوا ثم قتل سليمان وافترقوا ثم هلك مروان

فسكن ابن زياد الموصل فجهز المختار ابراهيم بن الأشتر النجعي في ثمانية آلاف لقتال عبيد الله بن زياد فقتل عبيدالله وقتل معه من الامراء حصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع وتمزق عسكر الشام، وكانوا أربعين ألفاً وأباد قتلة الحسين بأقبح القتلات ولم يبق أحد من الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين مع عمر بن سعد وخص عمر وشمر بمزيد نكال وأوطأ الخيل صدره وظهره كما فعل بالحسين وقضى الله أن قتل عبيدالله بن زياد على الفرات أيضاً يوم عاشوراء سنة سبع وستين، وبعث ابراهيم بن الأشتر برأس ابن زياد إلى المختار وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعث به ابن الزبير إلى علي بن الحسين، وعن عمارة بن عمير لما جيء برأس ابن زياد وأصحابه نصبت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليه وهم يقولون قد جاءت فإذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري ابن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تقيأت، ثم قالوا قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً وألقيت رؤوسهم في موضع رأس الحسين وأصحابه، ونصب رأس ابن زياد في مكان ما نصب فيه رأس الحسين ثم ألقاه وأصحابه في اليوم الثاني في الرحبة مع الرؤوس وكان ما فعله ابن زياد من نصبه لرأس مسلم بن عقيل على الخشب أول شيء فعل في الاسلام.

وعن عبد الملك بن عمير قال لقد رأيت في هذا القصر يعني قصر الكوفة عجباً دخلت على ابن زياد وهو على سرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس وعليه رأس الحسين، ثم دخلت على المختار فوجدت رأس ابن زياد كذلك، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فيه فوجدت رأس المختار عنده كذلك ثم دخلت على عبدالملك فيه فوجدت رأس مصعب كذلك فاخبرته بذلك فقال لا أراك الله الخامس ثم أمر بهدمه وقد شكر الناس المختار لانتصاره لأهل البيت لكنه أنبأ في آخر أمره عن خبث وكذب على أهل البيت، بل زعم أنه يوحى إليه، وكان علي بن الحسين يلعنه ويقول كذب على الله وعلينا، وكان يزعم أن محمد بن الحنيفة رضي الله عنه هو المهدي، وكان يلقب بكيسان وإليه تنسب الطائفة الكيسانية وأظهر الله تعالى آيات بينات في الدلالة على عظيم النقمة ممن أساء إلى أهل البيت واجترأ عليهم فقد أظلمت الدنيا يوم قتله ثلاثة أيام واشتد الظلام حتى ظنوا أن القيامة قامت وضربت

الكواكب بعضها بعضاً، وكسفت الشمس ورؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر في الشام إلا رؤى تحته دم عبيط، وصارت الورس التي في عسكرهم رماداً حملها جمال من اليمن، فوافى بها قتل الحسين، ومن هذا القبيل ما سبق من تحول الدنانير خزفا ووجدوا في تفل الحسين رضي الله عنه ذهباً فأرادوا صوغه، فلما دخل النار صار بعضه ذهباً وبعضه نحاساً واحمرت السماء ثم ظهرت الحمرة في السماء ولم تر قبل ذلك، قال ابن الجوزي لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل بذلك على غضبه وانه امارة السخط، والحق سبحانه ليس بجسم فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق، وذلك دليل على عظيم الجناية، قال: ولما أسر العباس يوم بدر فسمع النبي صلى الله عليه وسلم أنينه فما نام تلك الليلة فكيف لو سمع أنين الحسين رضي الله عنه، ولما أسلم وحشي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «غيب وجهك عني فإني لا أحب أن أرى من قتل الأحبة هذا». والاسلام يجب ما قبله فكيف بمن ذبح الحسين أو أمر ولما سمع شيخ كبير أن من أعان على قتل الحسين لم يمت حتى يصيبه بلاء فقال: أنا ممن شهده وما أصابني أمر أكرهه فقام إلى السراج ليصلحه فثارت النار فأصابته فجعل ينادي النار النار حتى مات.

وحكي أن شيخاً حضر قتله فقط فعمي فسئل عن سببه فقال: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم حاسراً عن ذراعيه وبيده الكريمة سيف وبين يديه نطع ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه، ثم لعنه وسبه بتكثيره سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى. وعلق شخص رأس الحسين في لبب فرسه فرؤى بعد أيام ووجهه أشد سواداً من القار فقيل له كنت أنضر العرب وجها فقال ما مرت علي ليلة من حين حملت تلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعي، ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني فصرت كما ترى ثم مات على أقبح حالة ورأى شخص النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وبين يديه طشت فيها دم والناس يعرضون عليه فيلطخهم حتى انتهيت إليه، فقلت ما حضرت فقال قد هويت فأومأ باصبعه فأصبح أعمى وقال ما يسرني أن لي بعماي حمر النعم، وقال بعضهم قتل الله الفاسق الحسين فرماه بكوكبين في عينيه فعمي.

وكان رجل من الشام يلعن عليا وأولاده فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مناماً طويلاً وإن الحسن شكاه إليه فلعنه، ثم بصق في وجهه فصار موضع بصاقه خنزيراً وصار آية للناس، وابتلى بعضهم بالعطش فكان يشرب ولا يروى، وبعضهم طال ذكره حتى كان يلويه على عنقه كأنه حبل، وعن الإمام ابن شهاب الزهري أنه قال لم يبق من قتلة الحسين أحد إلا وعوقب في الدنيا إما بالقتل أو العمى، أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة، وعن أم سلمة قالت سمعت الجن تنوح على الحسين في الليلة التي قتل فيها، وقالت ما سمعت نوح الجن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليلة قتل الحسين. فقالت للجارية: اخرجي فاسئلي فوا الله ما أرى ابني إلا قد مات، فخرجت فقيل لها أنه قد قتل فقالت أوقد فعلوا ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، ثم بكت حتى غشي عليها، ولما بلغ الحسن البصري قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه، ثم قال واذل أمه قتل ابن بنت نبيها ابن دعيها والله ليردن رأس الحسين إلى جسده ثم لينتقمن له جده وأبوه من ابن مرجانه، وسأل رجل ابن عمر عن دم البعوض يكون في الثوب أطاهر هو أم نجس، فقال له: من أين أنت قال من أهل العراق فقال انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعته يقول هما ريحانتاي من الدنيا، ولما بلغ ابن الزبير خطب بمكة وقال ألا إن أهل العراق قوم غدر فجرة ألا وإن أهل الكوفة شرارهم، دعوا حسيناً ليولي عليهم ويقيم أمرهم ويعيد معالم الإسلام، فلما قدم عليهم ثاروا عليه فقتلوه قالوا له أما أن تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد فيوافيك رأيه فاختار الوفاة

الكريمة على الحياة الدميمة، فرحم الله حسينا وأخزى قاتله، ولعن من أمر بذلك ورضي به، وأنشد الشافعي رضي الله عنه:

تأوّب همي والفؤاد كئيب ... وأرق عيني والرقاد غريب
ومما نفا نومي وشيب لمتي ... تصاريف أيام لهن خطوب
تزلزلت الدنيا لآل محمد ... وكادت له صم الجبال تذوب
فمن يبلغن عني الحسين رسالة ... وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم فإن قميصه ... صبيغ بماء الارجوان خضيب
نصلي على المختار من آل هاشم ... ويغزى بنوه إن ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمد ... فذلك ذنب لست منه أتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي ... وحبهم للشافعي ذنوب

ولما اجتاز ابن الهبارية الشاعر بكربلاء بكى على الحسين وأهله وقال بديهاً:

أحسين المبعوث جدك بالهدى ... قسمًا بكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في ... تنفيس كربك جهد بذل الباذل
وسقيت حد السيف من أعدائكم ... علا وحد السمهري الذابل
لكنني أخرت عنك لشقوتي ... فبلابلي بين العرى وسائلي
هبني حرمت النصر من أعدائكم ... فاقل من حزن ودمع سائل

ثم نام مكانه فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له: أبشر يا فلان جزاك الله خيراً فقد كتبك الله فيمن جاهد بين يدي الحسين.

واعلم أن أهل السنة اختلفوا في كفر يزيد بن معاوية فقالت طائفة أنه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور أنه لما جاءه رأس الحسين رضي الله عنه جمع أهل الشام وجعل ينكت رأسه بالخيزران وينشد أبيات ابن الزبعري.

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

الأبيات المعروفة وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر، وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين، وانما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين وحمله آل الرسول صلى الله عليه وسلم سبايا على أقتاب الجمال، وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه ورده الرأس إلى المدينة وقد تغير ريحه، ثم قال وما مقصوده إلا الفضيحة واظهار الرأس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج أليس بإجماع المسلمين أن الخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية، وأضغان بدرية، لاحترم الرأس لما وصل إليه وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل الرسول صلى الله عليه وسلم انتهى.

ونقل في كتابه المسمى بالرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد جواز لعنه عن العلماء الورعين منهم الإمام أحمد فإنه قال لم لا تلعن من لعنه الله في كتابه فقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾. فهل يكون فساد أعظم من القتل انتهى.

وصنف القاضي أبو يعلى كتابا ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد ثم ذكر حديث «من أخاف أهل المدينة ظلمًا أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». ولا خلاف أن يزيد غزا المدينة بجيش وأخاف أهلها انتهى والحديث الذي ذكره رواه مسلم والجيش المذكور وقع سنة ثلاث وستين، وسببه أن أهل المدينة لما طردوا منها عامله وغيره من بني أمية بعث إليهم مسلم بن عقبة المري ويسمى مسرفاً لاسرافه في القتل بالمدينة، وبعث معه اثني عشر ألفاً فيهم الحصين بن نمير السكوتي، وقيل الكندي ليكون على العسكر إن عرض لمسلم موت فإنه كان عليلاً فأمر يزيد مسرفاً إذا بلغ المدينة أن يدعوهم إلى طاعة يزيد ثلاثة أيام فإن أجابوا وإلا قاتلهم، وإذا طغوا عليهم أباحها ثلاثا ثم يسير إلى مكة لقتال ابن الزبير، وقال له يا مسلم لا تردن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوّهم فنزل الجيش بالحرم بظاهر المدينة وخرج إليهم أهل المدينة وأميرهم عبدالله بن حنظلة بن الراهب وهو غسيل الملائكة، فدعاهم مسلم ثلاثاً إلى البيعة ليزيد على أنهم خول له إن شاء باع وإن شاء عتق فذكر له بعضهم البيع على كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه، فلم يجيبوا فقاتلهم وانهزم أهل

المدينة، وقتل أميرهم عبدالله وأباح المدينة ووقع من القتل والسبي والفساد ما هو مشهور حتى فض ثلثمائة بكر، وقتل من الصحابة من المهاجرين والأنصار والتابعين نحو ألف وسبعمائة وقتل من أخلاط الناس نحو عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، وانتهك المسجد النبوي، وبالت الدواب في أرجائه وخلت المدينة من سكانها، وبقيت ثمارها للوحوش والطيور، وولدت ألف امرأة من غير زوج حتى كن يقال لأولادهن أولاد الحرة وذلك لثلاث يقين من ذي الحجة، ثم سار مسلم بهذا الجيش إلى مكة لقتال ابن الزبير فمات بقرب قديد، بعد أن قدم على عسكره الحصين بن نمير فسار الحصين حتى بلغ مكة لأربع بقين من المحرّم سنة أربع وستين، وتحصن ابن الزبير وأصحابه في المسجد حول الكعبة، وضربوا فيه خياماً وكان الحصين وأصحابه على أبي قبيس وبعضهم على الأحمر، ونصب المنجنيق على أبي قبيس، وكانت حجارته تصيب الكعبة الشريفة فتوهنت، ثم أصابتها النار فاحترقت واحترق فيها قرن الكبش الذي فدى به اسمعيل بن ابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام إلى أن جاء نعي يزيد، وكان موته منتصف ربيع الأول سنة أربع وستين، وذكروا أن خروم الإسلام العظام أربعة الأوّل قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين، الثاني قتل الحسين بالتاريخ المتقدم، الثالث وقعة الحرة المذكورة، وهاتان الواقعتان في زمن يزيد الأولى فاتحته، والأخرى خاتمته، الرابع قتل ابن الزبير وصلبه، ولما دخل الحجاج على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تكلمت عليه ثم قالت إن رسول الله صلى الله عليه سلم حدثنا أن «في ثقيف كذاباً ومبيراً». فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه وقام عنها ولم يراجعها فهذه القبائح التي صدرت من يزيد تدل على كفره. وهي مصداق قوله صلى الله ليه وسلم: «لا يزال أمر أمتي قائمًا بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد» ورواه بعضهم بدون تسميته لأنهم كانوا يخافون من تسميته وضرب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه من وصف يزيد بأمير المؤمنين عشرين سوطاً، وقال آخرون لا يجوز لعن يزيد إذ لم يثبت عندنا ما يقتضيه وبه أفتى الغزالي وأطال في الانتصار له والمتولي وابن الصلاح وصاحب الأنوار وهو الموافق لقواعد الشافعية فقد صرحوا بأنه لا يجوز لعن شخص بخصوصه، إلا أن علم موته على الكفر

كأبي جهل وأبي لهب، وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنه حتى الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه لأن اللعن الطرد عن رحمة الله تعالى، المستلزم لليأس منها وذلك لا يليق إلا بمن علم موته على الكفر بخلاف غيره لاحتمال أن يختم له بالحسنى ولو سلمنا أن يزيد أمر بقتل الحسين وسربه لأنه حيث لم يكن عن استحلال وكان عنه لكن بتأويل ولو باطلاً فسق لا كفر على أن أمره بقتله وسروره لم يثبت صدوره عنه من وجه صحيح، بل كما حكى هذا عنه حكى عنه ضده كما تقدم وأشار بعضهم إلى الجمع بأنه أظهر الأوّل وأخفى الثاني، وأجابوا عما استدل به أحمد من قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذينَ لَعَنَهم اللهُ﴾ وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم «وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» بأنه لا دلالة فيهما على جواز لعن يزيد بخصوصه وإنما الذي دل عليه جواز لعن من قطع رحمه، أو من أخاف أهل المدينة ظلما وهذا جائز اتفاقاً واتفقوا على جواز لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله، أو أجازه أو رضي به، كما يجوز لعن شارب الخمر ونحوه من غير تعيين.

وقال جماعة من المحققين أن الطريق القويم في حقه التوقف في شأنه وتفويض أمره إلى الله تعالى لأنه لم يثبت موجب واحد من الأمرين المتقدمين والأصل أنه مسلم فلا يتعرض لتكفيره أصلاً قال ابن الصلاح فليس من شأن المؤمنين سب يزيد ولعنه وإن صح أنه قتله أو أمر بقتله، وقد ورد في الحديث أن لعن المسلم كقتله وقاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك وإنما ارتكب عظيما وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء.

والناس في يزيد ثلاث فرق، فرقة تتولاه وتحبه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به مسلك سائر ملوك الاسلام وخلفائهم غير الراشدين وهذه الفرقة هي المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين ويعلم قواعد الشريعة المطهرة جعلنا الله من خيار أهلها انتهى.

ووقع لابن العربي المالكي ما يقشعر منه الجلد فانه قال لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جده الآمر بسله على البغاة وقتالهم والبيعة سبقت ليزيد

ويكفي فيها بعض أهل الحل والعقد وبيعته كذلك لأن كثيرين أقدموا عليها مختارين لها، هذا مع عدم النظر إلى استخلاف أبيه له أما مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة أحد من أهل الحل والعقد على ذلك ورده العلماء بأن هذا إنما هو بعد استقرار الأحكام وانعقاد الإجماع على تحريم الخروج على الجائر المتأخر عن زمن الصحابة والسلف رضي الله عنهم، أما قبل ذلك فكان الأمر منوطاً بالإجتهاد، واجتهاد الحسين رضي الله عنه اقتضى وجوب جواز الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصم عنها الآذان، ولأن يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه، ولذلك خرج عليه ابن الزبير كجماعة امتنعوا منها وهربوا بل قوله صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا يقتل بأرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره» صريح في رده لاسيما على رأي من كفره كأحمد ونظير ذلك حال معاوية مع علي والحسن رضي الله عنهم قبل نزوله فإنه كان متغلباً باغياً عليهما، لكنه قبل استقرار الأمر وتمهيده ومن ثم كان غير آثم بل له أجر واحد على اجتهاده ويدل لذلك أن عمر بن عبدالعزيز ضرب من نال من معاوية ثلاثة أسواط، مع ضربه لمن سمىٰ ابنه يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطاً كما مر وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبه، ولعنه فله فيه أسوة بالشيخين وعثمان وأكثر الصحابة رضي الله عنهم، فانه لا يصدر إلا من أحمق جاهل، وكان مع أبي هريرة رضي الله عنه علم من النبي صلى الله عليه وسلم في أمرهما، فإنه كان يدعو اللهم أني أعوذ بك من رأس الستين وامارة الصبيان، فاستجاب الله له وتوفاه سنة سبع وخمسين وتوفي معاوية سنة ستين وكذلك استجاب الله دعوة معاوية رضي الله عنه فانه ليم على عهده ليزيد فخطب، وقال: اللهم إن كنت عهدت ليزيد لما رأيت من فعله فبلغه ما أملته وأعنه عليه وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وانه ليس بما صنعت به أهلاً فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك فكان كذلك فمات يزيد سنة أربع وستين، لكن عن ولد صالح عهد إليه فبويع له بالخلافة يوم موت أبيه وهو ابن عشرين سنة فأقام في الخلافة أربعين يوما، ثم خلع نفسه وطلع المنبر وخطب خطبة بليغة، ثم قال إن هذه الخلافة حبل الله وأن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم قلد الأمر أبي وكان غير أهل له ونازع ابن

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصف عمر وانبتر عقبه وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم بكى وقال ان من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئيس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح الخمر، وضرب الكعبة وصرت أنا ثالث القوم، والساخط علي أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلداً أوزاركم فشأنكم أمركم فخذوه ومن رضيتم به فولوه فقد خلعت بيعتي من رقابكم، فقال له مروان بن الحكم أسنة عمرية يا أبا ليلى، فقال إغد عني فوالله ما ذقت حلاوتها افأتجرع مرارتها، ثم نزل وتغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوماً فرحمه الله تعالى لقد أنصف من أبيه وعرف الأمر لأهله، وما أحسن ما أنشده العارف أبو الفضل عياض بن الفرج الرياشي وقد تذاكروا بحضرته حديث بني أمية وهو ساكت ثم أنشد:

لعمرك إن في ذنبي لشغلا	**لنفسي عن ذنوب بني أميه**
ذنوبي كلها أخشى رداها	**ولا أخشى ذنوبهم عليه**
فليس بضاري ما قد أتوه	**إذا ما الله أصلح ما لديه**
على ربي حسابهم إليه	**تناهى علم ذلك لا إليه**

واختلف في سن الحسين رضي الله عنه يوم قتل فقيل سبع وخمسين، ولم يذكر ابن الدراع في مواليد أهل البيت غيره قال غيره أقام منها مع جده صلى الله عليه وسلم سبع سنين إلا ما كان بينه وبين الحسن، ومع أبيه ثلاثين سنة ومع أخيه الحسن عشر سنين وبعده عشر سنين وقيل عمره ست وخمسون سنة وخمسة أشهر، وقيل أربع وخمسون سنة وستة أشهر، وذكر المزني عن الشافعي عن سفيان بن عيينة قال: قال لي جعفر بن محمد توفي على بن أبي طالب وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وتوفي محمد بن علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة، قال: قال لي جعفر بن محمد وأنا بهذه السنة في ثمان وخمسين سنة وتوفي فيها، ودفن الحسين بكربلاء من العراق ومشهده بها يقصد من الآفاق، وأما رأسه رضي الله عنه فقيل دفن بقبر أمه بالبقيع في قبة أهل البيت، وقيل أعيد إلى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوماً، وقيل تركه يزيد عنده في خزائنه، فعن الحسن البصري أن سليمان بن عبد الملك رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يلاطفه ويبشره فلما أصبح سأل الحسن عن ذلك فقال له الحسن

لعلك صنعت إلى أهل بيته صلى الله عليه وسلم معروفاً، قال: نعم وجدت رأس الحسين بن علي في خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب وصليت عليه مع جماعة من أصحابي ودفنته فقال له الحسن: رضي النبي صلى الله عليه وسلم عنك بسبب ذلك فأمر سليمان للحسن بجائزة سنية، وذكر الشيخ عبدالوهاب الشعراني في طبقاته أنه دفن ببلاد الشرق، ثم أرشى عليها طلائع بن زريك نائب مصر بنحو ثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر، وبنى عليها المشهد الحسيني بمصر، قال المؤرّخون وفي سنة ست وثلاثين ومائتين أمر المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من الدوروان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته، فتألم المسلمون لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان، وهجاه الشعراء من ذلك قول بعض الشعراء:

تالله إن كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أُبية بمثله   هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا أن لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميما

وكان المتوكل أوّل أمره أظهر السنة ونصر أهلها ثم دب إليه داء التنصب وهو بغض علي وأهل البيت المطهر على ضد ما كان عليه المأمون من المبالغة في محبتهم، وكان غلوه في التنصب هو السبب فيما وقع في أيامه من الزلازل المهولة والريح التي أهلكت الآدمية والحرث والنسل، وظهرو النار المحرقة والصيحة المزعجة من السماء حتى مات منها خلق كثير، وبرد كبيض الدجاج وخسف لثلاثة عشر قرية، وماجت النجوم وتناثرت ورجمت قرية بمصر بأحجار وزن بعضها فكان عشرة أرطال، وتحوّل جبل من محله باليمن وصاح طائر يا معشر الناس اتقوا الله أربعين مرة وغير ذلك مما ذكره الحافظ الذهبي في تاريخ الأسلام، ولما ولي الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي بلاد العجم ونفذت أوامره في طبرستان وذيلان وغيرهما، جهز بعد موت المتوكل الأموال لعمارة مشهد الحسين فعمره عمارة حسنة.

وخلف الحسين رضي الله عنه ستة بنين وثلاث بنات فالبنون علي الأكبر استشهد مع أبيه بكربلاء وعلي الأوسط وهو زين العابدين، وعلي الأصغر قتل

مع أبيه وهو طفل أصابه سهم فمات، وقيل أن زين العابدين هو الأكبر وعبدالله قتل رضيعاً يوم الطف، ومحمد وجعفر ويكنى أبا بكر مات دارجا في حياة أبيه، والبنات زينب وفاطمة وسكينة واسمها آمنة وسكينة لقب لها لأنها كانت ذات دعابة ومزح وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً تزوّجها السيد الكبير مصعب بن الزبير ومات عنها، ثم تزوّجها عبدالله بن عثمان بن عفان، ثم عبد الله بن حكيم بن حزام، ثم زيد بن عمر ولها نوادر وحكايات ظريفة، توفيت سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة وأمها وأم أخيها عبدالله الرباب بنت امرىء القيس بن عدي وكان لأمرىء القيس ثلاث بنات المحياة تزوّجها علي وسلمى تزوجها الحسن بن علي والرباب تزوجها الحسينُ بن علي رضي الله عنهم وفيها يقول:

لعمرك أنني لأحب داراً ... تحل بها سكينة والرباب
أحبها وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب فيها معاب
أحب بحبها زيدا جميعا ... ونيلة كلها وبني الرباب
وأخوال لها من آل لام ... أحبهم ويطربني حباب

﴿ذكر الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما﴾

يكنى أبا محمد ويلقب بالتقي والسيد ولد منتصف رمضان لثلاث من الهجرة وقيل لأربع وستة أشهر وبين مولده وحمل أخيه الحسين خمسون ليلة ولم يكن بين ولادته وحمل الحسين الأطهر واحد، ونسك صلى الله عليه وسلم على الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين كأخيه الحسين وطلا رأسه بخلوق عوضاً عن الدم التي كانت الجاهلية تفعله ثم قال: «يا أسماء الدم من فعل الجاهلية» وتصدق بزنة شعر رأسه ورقا وأعطى القابلة فخذ النسيكة كما فعل، ذلك برأس الحسين، كما مر روى عن جده صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا، وروى له أصحاب السنن الأربعة، وروى عن أبيه وروى عنه ابنه الحسن وعائشة وسويد بن علقمة والشعبي وأبو الجوز السعدي وآخرون، قال صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه: «اللهم إني أحبه فأحبه». كان صلى الله عليه وسلم يدلع له لسانه فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه وقال صلى الله عليه وسلم من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب، وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أحبه وأحب من يحبه» قال أبو هرير فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعد أن قال صلى الله عليه وسلم ما قال. وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات» وجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه. وقال صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن». وحمل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن فلقيه رجل فقال: نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. «ونعم الراكب هو وكان يركب رقبته صلى الله عليه وسلم وظهره وهو ساجد فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل وربما جاءه» وهو صلى الله عليه وسلم راكع. فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب

الآخر، وكان صلى الله عليه وسلم يصلي، فيجيء الحسن وهو صلى الله عليه وسلم ساجد فيجلس الحسن وهو صغير على ظهره صلى الله عليه وسلم ومرة على رقبته فيرفعه صلى الله عليه وسلم رفعا رفيقاً فلما فرغ من الصلاة قالوا: يا رسول الله أنك تصنع بهذا الصبي شيئاً لا تصنعه بأحد فقال صلى الله عليه وسلم هذا ريحانتي وأن هذا ابني سيد وحسبي أن يصلح الله تعالى به بين قبيلتين من المسلمين» وقال صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر وحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». وقال صلى الله عليه وسلم: «الحسن مني والحسين من علي»، وكان الحسن رضي الله عنه حليًا ومن حلمه أنه لما استخلف بينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وهو ساجد ثم خطب الناس فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً فما زال يقولها حتى أبكى جميع من بالمسجد.

وأرسل إليه مروان وكان عاملا على المدينة يسبه ويسب أباه، وكان يسب عليا على المنبر كل جمعة فقال لرسوله إرجع فقل له اني والله لا أمحو عنك شيئاً بأن أسبك ولكن موعدك الله فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك. وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة، وأغلظ عليه مروان مرة وهو ساكت، ثم امتخط بيمينه فقال له الحسن ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج أف لك فسكت مروان، ولما مات الحسن بكى مروان في جنازته فقال له الحسين أتبكه وقد كنت تجرّعه ما تجرّعه، فقال أني كنت أفعل ذلك مع أحلم من هذا وأشار إلى الجبل. وكان مروان من أشد الناس بغضاً لأهل البيت، وكان هذا هو سر قوله صلى الله عليه وسلم: «هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون». وقول عائشة رضي الله عنها لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أبا مروان ومروان في صلبه» نعم في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن من شتمه أو لعنه أو دعا عليه يكون ذلك رحمة له وزكاة وطهارة. وكان كريما جواداً اخرج من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى إنه كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً ويمسك خفاً، وسمع رجلا يسال ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث إليه بها وجاءه رجل يشكي اليه حاله وفقره بعد أن كان مثرياً فقال: يا هذا حق سؤالك يعظم لدي ومعرفتي

بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله. والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتفال والاهتمام لما أتكلفه فعلت، فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل القليل، وأشكر العطية وأعذر على المنع، فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم وقال ما فعلت في الخمسمائة دينار التي معك قال هي عندي قال أحضرها فدفعها والخمسين ألفا إلى الرجل واعتذر منه، واضافته امرأة هو والحسين وعبدالله بن جعفر فأعطاها ألف دينار وألف شاة وأعطاها الحسين مثل ذلك وأعطاها عبدالله بن جعفر ألفي شاة وألفي درهم واشترى من رجل بستاناً فرده إليه مع الثمن، وكان إذا اشترى من أحد شيئاً وعلم أنه محتاج إليه أعطاه إياه مع ثمنه، وما سئل شيئاً قط فقال لا وكان كثير التزوج كثير الطلاق، وأحصن تسعين امرأة قل ما يفارق أربع حرائر، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه وتزوّج امرأة فبعث إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم، قال علي كرم الله وجهه يا أهل الكوفة لا تزوّجوا الحسن فهو رجل مطلاق فقال رجل من همدان والله لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق، قيل له أن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة، فقال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول، من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أن يكون في غير الحالة التي اختارها الله له، وكان يقول اعلموا أن حوائج الناس إليكم من جملة نعم الله عليكم، فلا تملوا من تلك النعم فتعود عليكم نقمًا، وكان يقول من جاد ساد، ومن بخل رذل، ومن يعمل لأخيه خيراً وجده إذا قدم على ربه غداً، ولم يسمع منه كلمة فحش، سمعت منه أنه كان بينه وبين عمرو بن عثمان ابن عفان خصومه في أرض فقال ليس له عندنا إلا ما رغم آنفه وهو آخر الخلفاء الراشدين بنص قول جده صلى الله عليه وسلم، الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك، والصحيح في مدة ولاية الخلفاء الأربعة إنها تسع وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام فخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام، وخلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه اثنا عشر سنة إلا اثنا عشر يوماً وخلافة علي كرم الله وجهه أربع سنين وثمانية أشهر وتكون

مدة خلافة الحسن منها وهي سبعة أشهر فتمت بها ثلاين سنة وثلاثة أيام فكانت خلافته منصوصاً عليها وبايعه أكثر من أربعين ألفا كلهم قد بايع أباه على القتل، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيه منهم في أبيه فبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان والحجاز واليمن، وغير ذلك، وبويع له بالخلافة يوم موت والده، ثم سار إلى المداين واستقر بها ثم أشاروا عليه بالمسير ليأخذ الشام من معاوية وسار معاوية بجيش الشام لقصده وجعل الحسن قيس بن سعد عبادة على مقدمة الجيش ثم نادى مناد أن قيسا قد قتل فانفروا، فلما خرج الحسن عدا عليه الجراح بن الأسد يسير معه فوجأه، بالخنجر في فخذه ليقتله، فقال الحسن قتلتم أبي بالأمس ووثبتم عليّ اليوم تريدون قتلي زهدا في العادلين ورغبة في القاسطين، والله لتعلمن نبأه بعد حين وقد وثب عليه رجل وهو يصلي كما مر فلما تقارب الجيشان وتراءى الجمعان بموضع يقال له المسكن بناحية الأنبار من أرض السواد ورأى الحسن رضي الله عنه كثرة الجيوش وكثرة جيشه وعلم أنه لن تغلب احدى الطائفتين حتى يذهب أكثر الأخرىٰ أخذته رأفة على المسلمين ورضي بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الأمة وقال عمرو بن العاص لمعاوية رضي عنهما أني لأرىٰ كتائب لا تولي حتىٰ تقتل أقرانها، فقال له معاوية وكان خير الرجلين، أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بدماء المسلمين من لي بضيعتهم من لي بذراريهم، فبعث إلى الحسن رجلين من قريش من بني عبدالرحمن بن سمرة وعبدالرحمن ابن عامر، فقال اذهبا إلى هذا الرجل وقولا له واطلبا إليه، واعرضا عليه فدخلا عليه وقالا له ما قال معاوية فقال الحسن رضي الله عنه أنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وأن هذه الأمة قد عاثت في دمائها قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويسألك كذا فقال من لي بهذا قالا: نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالوا له نحن لك به، فماطلبه الحسن أن يكون ولي العهد من بعده وأن لا يطلب أحداً من أهل الحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ منه حاجته، ففرح بذلك معاوية وأجاب إلى ذلك إلا أنه قال إلا عشرة أنفس لا أؤمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه معاوية أني قد آليت أني متى ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة ان أقطع لسانه ويده، فراجعه الحسن وكتب إليه أني لا أبايعك أبداً وأنت تطلب قيسا أو غيره

بتبعته، قلت أوكثرت فبعث إليه حينئذ معاوية برق أبيض وقال أكتب ما شئت فيه فالتزمه فكتب الحسن رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، حيث كانوا وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله تعالى وميثاقه، وأن لا ينبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سراً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق شهد عليه فلان وفلان وكفى بالله شهيداً، فظهرت بذلك معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله في حق الحسن أن ابني هذا سيد وسيصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ثم خلع الحسن نفسه وسلم الأمر لمعاوية تورعاً وقطعاً للشر وإطفاء لثائرة الفتنة، ويقال أنه بايعه على أن يدفع إليه كل سنة خمسة آلاف ألف درهم ولما دخل الحسن على معاوية قال لأجيزنّك بجائزة لم أجز بها أحداً قبلك ولا أجيز بها أحداً بعدك. فأجازه بأربعمائة ألف درهم فقبلها وذلك في اليوم السابع عشر من ربيع الثاني سنة إحدى وأربعين، وبايع الحسن معاوية وبايعه الناس واجتمعوا عليه وسمي ذلك العام عام الجماعة، وقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة أربعين وردوه بأنهم لم يختلفوا أن المغيرة حج بالناس سنة أربعين بغير أن يؤمره أحد وكان بالطائف، ودخل معاوية الكوفة ثم قال له عمرو بن العاص وابن الأعور السلمي لو أمرت الحسن أن يخطب الناس فكره معاوية ذلك وقال لا حاجة لنا في ذلك، فقالا نحن نريد ذلك ليبدو عيه فإنه لا يدري هذه الأمور ما هي، فقال معاوية والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص لسانه ولن يعي لسان مصه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبوا ولم يزالوا به جتى أمر الحسن أن يخطب، وقال قم

ياحسن وكلم الناس فيما جرى بيننا فقام الحسن وصعد المنبر وحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: أما بعد أيها الناس فإن هذا الأمر مده والدنيا دول وإن أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق الفجور إلى أن قال وقد علمتم أن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، هداكم بجدي صلى الله عليه وسلم وأنقذكم من الضلالة وخلصكم من الجهالة، وأعزكم به بعد الذلة وكثركم به بعد القلة، وإن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه إما أن يكون كان أحق به مني، أو يكون حقي تركته لله تعالى، ولصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم، وقطع الفتنة وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من يسالمني وتحاربوا من حاربني فرأيت أن أسلم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه، وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا صلاحكم وبقاءكم، وإني قد أخذت لكم على معاوية أن يعدل فيكم وأن يوفر غنائمكم، وأن يقسم فيكم ثم أقبل على معاوية فقال أكذلك قال نعم. ثم نزل وهو يقول ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدونَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ مِنَ القَوْلِ وَيَعلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وإِنْ أَدْرِي لَعلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ فاشتد ذلك عليهم وقال لمعاوية لو دعوته فاستنطقته ما عني بالآية، فقال مهلاً فأبوا عليه فدعوه فأجابهم فأقبل عليه عمرو فقال له الحسن أما أنت فقد اختلف فيك رجلان رجل من قريش وجزار أهل المدينة، فادعياك فلا أدري أيهما أبوك وأقبل عليه ابن الأعور السلمي، فقال له الحسن ألم يلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رعلا وذكوان، وعمرو بن سفيان وهو اسم ابن الأعور، ثم أقبل عليه معاوية يعينهما فقال له الحسن أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الأحزاب وسائقهم وكان أحدهما أبو سفيان، والآخر ابن الأعور السلمي زهير بن معاوية، وكان الحسن يقول ما أحببت منذ علمت ما ينفعني وما يضرني أن إلي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يهراق في ذلك محجمة دم، ثم سار الحسن بأهله وحشمه إلى المدينة النبوية وأقام بها وغضب من فعله شيعته وكانوا يقولون له يا عار المؤمنين سوّدت وجوه المؤمنين، فيقول لهم العار خير من النار، وعن أبي العريف قال: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنا عشر ألفاً مسميين حراصاً تقطر أسيافنا من الجد والحرص على قتال أهل

الشام، فلما جاءنا صلح الحسن رضي الله عنه كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن، فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عمر وسفيان بن أبي ليلى، فقال له السلام عليك يا مذل المؤمنين قاله لا تقل يا أبا عمرو فإني لم أذل المؤمنين ولكن كرهت أن أقتلكم على الملك، وعن جبير بن نفير قال قدمت المدينة فقال الحسن بن علي كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت، وتركتها ابتغاء لوجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين، وسمي معاوية أمير المؤمنين من يومئذ وكان قبل ذلك متغلباً لكن لاجتهاده لم يكن آثماً بل مأجوراً وبعث نوابه على البلاد والمانعون لإمامته يقولون لا أعتد بتسليم الحسن له لأنه لم يسلمه إلا لضرورة لعلمه بأن معاوية لا يسلم الأمر إليه فلم يترك إلا صوناً لدماء المسلمين، وأجيب بأن الحسن كما هو الامام الحق والخليفة الصدق، وقد كان معه من العدة والعدد ما يقاوم من مع معاوية، فلم يكن نزوله عن الخلافة اضطرارياً بل كان اختيارياً بدليل أنه اشترط عليه شروطاً كثيرة فالتزمها ووفى بها، وأيضاً ففي البخاري أن معاوية هو السائل للحسن في الصلح كما مر وترجى صلى الله عليه وسلم الاصلاح به وهو صلى الله عليه وسلم لا يترجىٰ إلا الأمر المحقق، فدل على صحة نزوله لمعاوية وإلا لم يقع إصلاح ولم يترجَّ صلى الله عليه وسلم مجرد النزول من غير أن يترتب على فائدة شرعية، وهي استقلال النزول له بالأمر وصحة خلافته ونفاذ تصرفه ووجوب طاعته على الكافة، فالحق ثبوت الخلافة لمعاوية من حينئذ وإنه بعد ذلك خليفة حق وإمام صدق، وقد قال له صلى الله عليه وسلم: «يا معاوية إذا ملكت فأحسن» وقال صلى الله عليه وسلم له «اللهم إجعله هادياً مهدياً» وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم علم معاوية الكتاب والسنة وقه العذاب» وحكي أن معاوية حبس عطاءه في بعض السنين وكان مائة ألف، فحصل له ضائقة شديدة قال فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية ثم أمسكت نفسي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال كيف أنت يا حسن قلت بخير يا أبتي فقال أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك قلت نعم يا رسول الله فكيف أصنع فقال: «قل اللهم أقذف في قلبي رجاك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغ مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين

والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم الراحمين» قال فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إلى معاوية بمائة ألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمدلله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا حسن كيف أنت؟ فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي، فقال يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق.

ولما حج معاوية بالناس سنة خمسين خرج إليه الحسن وشكا إليه دنيا، فأعطاه ثمانين ألف دينار وكان الحسن كثير الحج كثير الانفاق فيه وقال إني لأستحي من الله أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين حجة والجنائب تقاد بين يديه وأكرمه الله بالشهادة، وسببها أن يزيد خشي أن يموت معاوية فلا يولى الخلافة إلا الحسن فأرسل إلى زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي أنها تسمه وأنه يتزوجها، ويبذل لها مائة ألف درهم، ففعلت فمرض أربعين يوماً فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال لها إنا لم نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا، ولما احتضر قال لأخيه الحسين إياك وسفهاء أهل الكوفة إلى آخر ما مر وإني سقيت السم مراراً فلم أسقه مثل هذه المرة لقد لفظت طائفة من كبدي قلبتها بعود فقال له الحسين من تتهم فقال تريد أن تقتله قال نعم قال لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة وإن كان غيره فلا تقتل بي بريئاً، وفي رواية يا أخي قد حضرت وفاتي ودنا فراقي لك، وإني لاحق بربي وأجد كبدي تقطع وإني لعارف من أين ذهبت فأنا أخاصمه إلى الله تعالى فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء وقد كنت طلبت إلى عائشة إذا مت أن أدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وإني لا أدري لعله كان ذلك منها حياء فإذا مت فاطلب ذلك إليها فإن طابت نفسها فادفني في بيتها وما أظن أن القوم إلا سيمنعونك إذا أردت ذلك فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وإذا قضيت نحبي فغمضني وغسّلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجدد به عهداً ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك وأقسم عليك بالله لا تريق في أمري محجمة دم، فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة رضي الله عنهم يطلب ذلك إليها فقالت نعم وكرامه، فبلغ ذلك مروان فقال كذب وكذبت، والله لا يدفن هناك أبداً منعوا عثمان من دفنه في المقبرة وتريدون

دفن حسناً في بيت عائشة، فبلغ ذلك حسيناً فلبس هو ومن معه السلاح فبلغ ذلك مروان فاستلأم الحديد أيضاً فبلغ ذلك أبا هريرة فقال والله ما هو إلا ظلم يمنع حسناً أن يدفن مع أبيه والله لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم انطلق إلى الحسين فكلمه وناشده الله تعالى وقال له أليس قد قال لك أخوك إن خفت أن يكون قتال فردني إلى مقبرة المسلمين، ولم يزل به حتى فعل وغسله الحسين ومحمد والعباس بنو علي بن أبي طالب وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أمير المدينة يومئذ قدمه الحسين للصلاة، وقال لولا أنها سنة ما قدمتك ولم يشهده من بني أمية إلا الأمير سعيد المذكور وخالد بن الوليد بن عقبة ناشد بني أمية أن يخلوه يشهد الجنازة فشهد دفنه، واختلف في وقت وفاته فقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين، وقيل في ربيع الأول سنة خمسين وهذا عليه الأكثرون. وهو ابن ست أو سبع وأربعين سنة منها سبع سنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وثلاثون سنة مع أبيه وعشره بعده ودفن بالبقيع في قبة أهل البيت في قبر أمه فاطمة رضي الله عنها على ما يأتي، ومر أنه دفن معه في هذا القبر ابن أخيه علي زين العابدين ومحمد الباقر، وجعفر الصادق ولما مات الحسن ورد البريد إلى معاوية بموته فقال يا عجباً من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة فقضى نحبه وسمع تكبيره من الخضراء فكبر أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاختة بنت قريظة لمعاوية، أقر الله عينك ما الذي كبرت لأجله فقال مات الحسن فقالت أعلى موت ابن فاطمة تكبر، فقال ما كبرت شماتة ولكن استراح قلبي، ودخل عليه ابن عباس فقال معاوية هل تدري ما حدث في أهل بيتك، قال لا أدري إلا أني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك، فقال يا ابن عباس احتسب الحسن لا يخزيك الله ولا يسؤوك، فقال ما أبقاك الله يا أمير المؤمنين فلا يخزيني الله ولا يسؤوني رحم الله أبا محمد ثلاثاً والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك، ولا يزيد عمره في عمرك، ولئن كنا أصبنا بالحسن فلقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين، فجبر الله تلك الصدعة وسكن العبرة، وكان الخلف علينا من بعده فأعطاه معاوية على تلك الكلمة ألف ألف وعروضاً وقال خذها واقسمها على أهلك، وصح عن أنس لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علّي، وصح عنه أيضاً كان يعني الحسين أشبههم برسول الله صلى

الله عليه وسلم وجمعوا بين الحديثين بأن يكون أنس قال الأوّل في حياة الحسن لأنه يومئذ كان أشد شبهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم مِن الحسين.

ووقع الحديث الثاني بعد ذلك والمراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن أو يكون كل منهما كان أشد شبهاً به في بعض أعضائه فقد قال علي كرم الله وجهه: الحسن أشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر، والحسين أشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك. وقد عدوا من كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن أبي طالب، وقد قال صلى الله عليه وسلم لجعفر: «أشبهت خَلْقِي وخُلُقِي» وابنه عبدالله بن جعفر، وقثم بن العباس وأبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، ومن غير بني هاشم السائب بن يزيد المطلبي، الجد الأعلى للإمام الشافعي رضي الله عنه وعبدالله بن عامر بن كرز بضم الكاف وفتح الراء، وكابس بن ربيعة من أهل البصرة، قبل معاوية ابن عيينة واقطعه قطيعه، وكان أنس إذ رآه بكى هؤلاء عشرة وقد نظمهم شيخ الاسلام والحفاظ أبوالفضل أحمد بن حجر العسقلاني فقال.

شبه النبي لمعشر سائب وأبي سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامر هم ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين منهم فاطمة بنته صلى الله عليه وسلم وابراهيم، ولده وابراهيم بن الحسين بن الحسن السبط، ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر، ومحمد بن علي بن الحسين، وكان يقال له الشبيه وكان له موضع خاتم النبوة وكان إذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركاً، وكذا وصف بالشبيه القاسم بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، وعلي بن علي بن عباد بن رفاعة الرفاعي، شيخ بصري من أتباع التابعين، ولا يعارضه قول علّي كرم الله وجهه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم أر قبله، ولا بعده مثله، لأن النفي محمول على عموم الشبه والإثبات على معظمه والمراد بالشبه هنا الشبه في البعض والإفتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال الأبوصيري رضي الله عنه.

منــزه عن شــريــك في محـاسنــه فجـوهـر الحسن فيـه غـير منقسم

وبالجملة فقد اجتمع في الحسنين من الفضائل ما لا خلاف في اجتماعه وسار صيتهما بالفضائل، فاستوى العدو والصديق في استماعه وعلا محلهما في هذين محلا تطأطأت النجوم عن ارتفاعه وحلاًّ من النسب في أوجه، وأما الفصاحة فهي لأمرهما طائعة، والبلاغة لديهما خاضعة، وأما الشجاعة فقد ضرب كل منهما بالقدح المعلىَّ فحاز ما حاز وهي لأهل هذا البيت حقيقة ولغيرهم مجاز وهي والسماحة توأمان ورضيعا لبان، وللحسن السبط رضي الله عنه أحد عشر ابناً وابنة واحدة هذا متفق عليه.

واختلف في الذكور إلى خمسة عشر والاناث إلى ثمان، فالمتفق عليهم عبدالله والقاسم والحسن المثنى وزيـد وعمر وعبـدالله، وعبدالـرحمن وأحمد واسمعيل والحسين الأثرم وعقيل وأم الحسن، والمختلف فيهم ابراهيم وطلحة وحمزة وأبوبكر وأم الحسن الصغرى ورملة وفاطمة، وأم سلمى وأم عبـدالله ورقية والعقب للحسن المثنى وزيد، فقط. وأبو الحسنين.

﴿علي أمير المؤمنين وإمام المتقين أخو الرسول وبعل البتول وسيف الله المسلول﴾

ولد رضي الله عنه وكرّم وجهه يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل بمكة المشرفة في جوف الكعبة على قول صححه صاحب الفصول المهمة وغيره، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبدمناف، وهي أوّل هاشمية ولدت هاشمياً، وهي من السابقات إلى الإيمان، وهاجرت وكانت بمنزلة الأم من النبي صلى الله عليه وسلم لأنها ربته ولما ماتت كفنها صلى الله عليه وسلم بقميصه واضطجع في قبرها وألحدها بيده الشريفة، ولما سوى عليها التراب سئل عن ذلك فقال: «ألبستها لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها لأخفف عنها ضغطة القبر أنها كانت أحسن خلق الله صنعاً إلى بعد أبي طالب، وبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «جزاك الله من أم خيراً فلقد كنت خير أم وولدت لأبي طالب عقيلاً وجعفراً وعليا وأم هانىء (واسمها فاختة) وجمانة» وكان علي أصغر ولد أبي طالب، كان أصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين، ولما ولد سمته أمه باسم أبيها وقد جاء في الصحيح من شعره، أنا الذي سمتني أمي حيدره، وحيدر من أسماء الأسد فلما قدم أبوه كره الاسم فسماه عليا وقال.

سميته بعلي كي يدوم له ... عز العلو وفخر العز أدومه

وسماه النبي صلى الله عليه وسلم صديقاً فقال صلى الله عليه وسلم: «الصديقون ثلاثة حبيب بن مري النجار مؤمن آل يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين، وخرقيل مؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم». وقال صلى الله عليه

وسلم «السبق ثلاثة السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمد صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وكناه صلى الله عليه وسلم بأبي الريحانتين»، قال له صلى الله عليه وسلم «سلام عليك يا أبا الريحانتين فعن قليل يذهب ركناك والله خليفتي عليك». فلما قبض صلى الله عليه وسلم قال علي: أحد الركنين الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلما ماتت فاطمة قال هذا الركن الآخر الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم. وكناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا تراب، وما كان لعلي اسم أحب إليه منه دخل على فاطمة ثم خرج ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال: «أين ابن عمك» قالت: هوذا مضطجع في المسجد فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فوجد رداءه قد سقط عن ظهره فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عن ظهره، ويقول: «قم أبا تراب». /

وعن سهل بن سعد قال: استعمل رجل من آل مروان على المدينة، فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً فأبى، فقال: أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب إن كان يفرح إذا دعي به، قال لما سمي أبا تراب؟ قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال أين ابن عمك؟ فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقم عندي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان انظر أين هو فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقّه وأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب» وعن عمار بن ياسر قال كنت أنا وعلي رفيقين في غزاة ذي العسرة فنمنا فوالله ما أنبهنا الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدفعاء فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي «يا أباتراب». لما رأى عليه من التراب قوله الدفعاء هي التراب، وكان يكنى أبا قصم ويلقب بيعسوب الأمة، أي سيدهم ورئيسهم وأصله فحل النحل، وبالصديق الأكبر وكان يقول أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، وعن أبي ذر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: «أنت

الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل». وفي رواية «وأنت يعسوب الدين» ويلقب أيضاً بالأمين وبالشريف والهادي والمهتدي، وذو الأذن الواعية وبيضة البلد، وفي القاموس بيضة البلد واحدة الذي يجتمع اليه ويقبل قوله وهي من الأضداد، وأسلم كرم الله وجهه وهو ابن سبع سنين أو ثمان، أو تسع، أو عشر، أو ثلاث عشرة، أو أربع عشرة، أو خمس عشرة، أو ست عشرة قال بعضهم والصواب الاضراب عن توقيت اسلامه لأنه لم يكن مشركا فليستأنف الاسلام، فان قلت كيف اعتد باسلامه قبل البلوغ على القول به، قلت اعتد بإسلامه حينئذ لأن الأحكام في أول الاسلام منوطة بالتمييز وإنما نيطت بالبلوغ عام الخندق، وهو أول من أسلم عند جمع بل نقل الحاكم عليه الاجماع وضرب صلى الله عليه وسلم على منكبيه وقال «يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً وأول المسلمين إسلاما». وقال صلى الله عليه وسلم لعلي: «أنت أوّل من آمن بي وصدق». وقال صلى الله عليه وسلم: «أوّل هذه الأمة وروداً على الحوض، أوّلها إسلاما علي بن أبي طالب» وفي رواية «أوّلكم إسلاما علي بن أبي طالب»، وقال علي كرم الله وجهه: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، وأسلمت يوم الثلاثاء، وقال رضي الله عنه: آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر، وقيل: أوّل من أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد صح عنه: ألست أوّل من أسلم فإنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن عنبسة لما سأله من معك على هذا الأمر، حر وعبد، يعني أبا بكر وبلالا، أخرجه مسلم وقيل أوّل من أسلم خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وحكى بعضهم الاتفاق عليه قائلاً والخلاف إنما هو فيمن أسلم بعدها وصوبه النووي تبعاً لجماعة من المحققين، وقيل أول من أسلم: زيد بن حارثة، وقال ابن اسحق: أوّل من أسلم خديجة، ثم علي ثم زيد، ثم أبو بكر فأظهر إسلامه ودعا إلى الله فأسلم بدعائه عثمان، والزبير وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة فكان هؤلاء النفر أسبق الناس إسلاماً، وقيل أوّلهم اسلاما بلال لخبر مسلم السابق، قال ابن الصلاح وقيل أوّل رجل أسلم ورقة بن نوفل، ومن يمنع يدعى أنه أدرك نبوّته عليه

السلام لا رسالته والأورع أن يقال أوّل من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد، ومن العبيد بلال.

وحكي هذا الجمع عن أبي حنيفة رضي الله عنهم وهو كرم الله وجهه أوّل من صلى، قال رضي الله عنه: صليت قبل أن يصلي الناس بسبع سنين، وفي رواية، صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين قبل أن يصلي معه أحد من الناس. وقال كرم الله وجهه: عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين. وهو أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الرحمن، كما في حديث المبارزة يوم بدر وأوّل من يقرع باب الجنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وأوّل هاشمي ولدته هاشمية، وأوّل خليفة من بني هاشم، وأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طير، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير». وأهدت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقال: صلى الله عليه وسلم: «اللهم ائتني بأحب خلقك اليك والى رسول» فأتى علي فضرب الباب فقال له أنس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حاجة، ثم ضرب الباب وقال له مثل ذلك، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أنس افتح الباب». فلما رآه صلى الله عليه وسلم تبسم ثم قال «الحمد لله الذي جعلك فإني أدعو في كل لقمة أن يأتيني بأحب الخلق عليك إليه وإلي فكنت أنت» فقال والذي بعثك بالحق إني لأضرب الباب ثلاث مرات ويردني أنس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم رددته» قال: كنت أحب معه رجلاً من الأنصار، فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال «لا يلام الرجل على حب قومه». وكان من لطف الله به وإرادته الخير له أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال فأراد أهله أن يخففوا عنه فكلموه في ذلك فقال إذا تركتم لي عقيلاً وطالباً فاصنعوا ما شئتم، فأخذ رسول الله علياً وضمه إليه فلم يزل معه في حجره، ولما اجتمع قريش في دار الندوة ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي فأجمع رأيهم على قتله صلى الله عليه وسلم قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تبت هذه الليلة على فراشك، فأمر علياً فنام مكانه، وغطي ببرد أخضر فكان أوّل من شرى نفسه وفي ذلك يقول.

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف ان يمكروا به فنجاه ذو الطول الاله من المكر

وفي هذه نزل قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَو يَقْتُلُوكَ أَو يُخْرِجُوكَ﴾ الآية ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده ليؤدي عنه الودائع والأمانات التي للناس عنده ففعل ما أمره به، وهاجر بعد رسول الله صلى الله عيه وسلم بثلاثة أيام، ثم لحق به وهو بقباء ونزل معه على كلثوم بن الهدم، ولم يقم بقباء إلا ليلة، وقيل ليلتين وأجمعوا على أنه شهد بدراً والمشاهد كلها إلا تبوك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة، فلما سار النبي صلى الله عليه وسلم تبعه، وقال: أتخلفني في النساء والصبيان يا رسول الله فقال له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسىٰ، (وفي رواية) أما ترضى أن يكون لك من الأجر والمغنم مثل ما لي. (وفي رواية) لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجرف طعن رجال من المنافقين في إمرة علي رضي الله عنه فخرج عليّ يحمل سلاحه حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالجرف قال: يا رسول الله ما خلفتني عنك في غزاة قط قبل هذه قد زعم المنافقون أنك إنما خلفتني استثقالاً فقال: «كذبوا ولكن خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون إلا أنه لا نبي بعدي». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني أقول كما قال أخي موسى اللهم أجعل لي وزيراً من أهلي أخي علياً أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً أنك كنت بنا بصيرا» ونزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك علي منك بمنزلة هرون من موسى لكن لا نبي بعدك، ولما قتل علي أصحاب الألوية يوم أحد قال جبريل عليه السلام «يا رسول الله إن هذه لهي المواساة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه مني وأنا منه». فقال جبريل وأنا منكما يا رسول الله وقال صلى الله عليه وسلم: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي». وقال صلى الله عليه وسلم «الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة» وقال صلى الله عليه وسلم «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر

ألف عام فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء علي». لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنت أخي في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم أنت أخي وأبو ولدي تقاتل على سنتي من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه». وكان لواء النبي صلى الله عليه وسلم معه في أكثر حروبه، وإذا لم يغز بنفسه أعطاه سلاحه، وقال صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله تعالى ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدوكون أي يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا اجتمعوا على باب النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من خيمته فقال: «أين علي بن أبي طالب» فقيل، يشتكي عينيه، وكان به رمد شديد فقال صلى الله عليه وسلم «ارسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له، وقال «اللهم أذهب عنه الحر والبرد » فبرىء حتى كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية وفتحت على يديه ولم يرمد بعدها أبداً ولم يجد حراً ولا برداً من يومئذ، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، وثياب الشتاء في الصيف ولا يبالي ولا يتألم وخوف صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف فقال لتنتهن أو لأبعثن عليكم رجلاً مني، أو قال مثل نفسي فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم فقال عمر رضي الله عنه فيهما أو في أحدهما فوالله ما تمنّيت الامارة إلا يومئذ فجعلت أنصب صدري رجاءان يقول هو هذا قال فالتفت إلى علي فأخذ بيده فقال هو هذا وقال صلّى الله عليه وسلم ليلة أسرى به: «نظرت إلى ساق العرش الأيمن فرأيت كتاباً فهمته محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته به» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليلة يوم بدر من يستقي لنا من الماء» فأفحم الناس فقام علي فاحتضن القربة ثم أتى بئر بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل واسرافيل تأهبوا لنصر محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه، فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من سمعه فلما حاوزوا ماء البئر سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً وتبجيلاً وكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي وهو يوحىٰ إليه فلما سري عنه قال يا علي صليت العصر قال لا قال اللهم إنك تعلم انه

كان في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس فردها عليه فصلى وغابت الشمس، وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي فكره أن يتحرك حتى غابت الشمس فلم يصلّ العصر ففرغ النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له عليّ أنه لم يصلّ العصر، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عز وجل أن يرد الشمس عليه فأقبلت الشمس لها خوار حتى ارتفعت قدر ما كانت في وقت العصر، فصلى ثم رجعت وقال صلى الله عليه وسلم أدعو إلى سيد العرب يعني علياً فقالت عائشة رضي الله عنها ألست سيد العرب فقال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، فلما جاءه أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما أن تمسكتم به لن تضلو بعدي أبداً قالوا بلى يا رسول الله قال هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي فإن جبريل عليه السلام أخبرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل، والمراد سيد شباب العرب لأنه صلى الله عليه وسلم قال أبوبكر سيد كهول العرب جمعاً بين الحديثين.

وقال صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي عز وجل، فأوحى إلي وأمرني شك الرواي في علي ثلاث أنه سيد المسلمين وولي المتقين، وقائد الغر المحجلين وقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد العز المحجلين ويعسوب الدين وقال صلى الله عليه وسلم «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا دار العلم وعلي بابها». وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب» وقال علي كرم الله وجهه: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقلت: يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري وقال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه». فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين. وقال صلى الله عليه وسلم له: «ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً». ونهلت، هنا بمعنى شربت وكررت لاختلاف لفظه وحقه أن يعدى بمن يقول نهلت منه نهلاً أي رويت منه ريا، فيجوز أنه أقامه مقام شربت فعدي بنفسه وجاء خصمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما يا رسول الله أن لي حمار وأن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حماري، فبدأ رجل من الحاضرين فقال

لا ضمان على البهائم فقال صلى الله عليه وسلم «اقض بينهما يا علي» فقال علي لهما: أكانا مرسولين أم مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلاً، فقالا كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال علي صاحب البقرة ضامن الحمار، فأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه وأمضاه، وقال صلى الله عليه وسلم: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض». وقال صلى الله عليه وسلم لعلي: «لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك». وقال صلى الله عليه وسلم: «النظر إلى علي عبادة» وقال صلى الله عليه وسلم: «علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله». وقال صلى الله عليه وسلم لعلي: «أنك تقاتل على القرآن كما قاتلت على تنزيله». وقال صلى الله عليه وسلم: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني». وقال صلى الله عليه وسلم: «علي مني كمنزلتي من ربي». وقال صلى الله عليه وسلم «علي باب حطة من دخل فيه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً». وقال صلى الله عليه وسلم «عليّ يزهر في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا».

وقال صلى الله عليه وصلم: «من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة وأقربهم قربة وأفضلهم حالة وأعظمهم حقاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى علي» وقال صلى الله عليه وسلم: «من آذى علياً فقد آذاني، ومن سبّ علياً فقد سبّني» وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبّ الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله». وقال صلى الله عليه وسلم لعلي: «من أطاعك فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاك فقد عصاني». وقال صلى الله عليه وسلّم بعد أن جمع الصحابة يوم غدير خم. ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم» قالوا بلى فأخذ بيد علي وقال: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله وأحب من أحبّه وأبغض من أبغضه وأدر معه الحق حيث دار وله طرق كثيرة». ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابياً، وأخذ صلى الله عليه وسلم بيد علي وقال: «هذا وليي وأنا وليه واليت من والاه وعاديت من عاداه». وقال علي كرّم الله وجهه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه

وسلّم لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق. وقال صلى الله عليه وسلّم: «لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن». وقال صلىّ الله عليه وسلّم لعلي: «لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق». وقال جابر بن عبدالله كنا نعرف المنافقين ببغضهم علي بن أبي طالب، وقال صلى الله عليه وسلم: «حب علي يأكل الذنوب، كما تأكل النار الحطب». وقال صلى الله عليه وسلم لعلي: «يا علي أنت قسيم النار يوم القيامة». ومعناه ما قاله علي الرضى تقول النار هذا لي وهذا لك قال صلى الله عليه وسلم: «لا يجوز أحدكم الصراط إلا من كتب له علّي الجواز». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن السعيد كل السعيد حق السعد من أحبّ علياً في حياته وبعد مماته». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما مررت بسماء إلا وأهلها مشتاقون إلى علي بن أبي طالب وما في الجنة نبي إلا وهو يشتاق إلى علي بن أبي طالب». ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع ونزلت بعد بعثه إياه سورة براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ولا يخاف أحد في الشهر الحرام، فقيل لرسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا بعلي رضي الله عنه فقال: «أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا في منى إنه لا يدخل الحرم كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته». فخرج علي على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه في الطريق، فقال أمير أم مأمور، فقال بل مأمور حتى إذا كان يوم النحر قام علي وأذن في الناس بالذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي سنة عشر في رمضان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وعقد له لواء وعممه بيده، فأرخى طرفها من قدامه نحو ذراع ومن خلفه قدر شبر، فقال يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني، وأنا حديث السن لا أبصر القضاء فوضع صلى الله عليه وسلم يده في صدره وقال: «اللهم ثبت لسانه واهدِ قلبه». وقال: «يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضّ بينهما حتى تسمع من الآخر». الحديث فخرج علي رضي الله عنه في ثلثمائة فارس ولما

قفل وافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وقد قدمها للحج سنة عشر قال: بم أهللت؟ فقال بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، «فقال لولا أن معي الهدي لأهللت» وكان الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة ولما رمى جمرة العقبة نحر صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين بدنة، ثم أعطى علياً فنحر ما عبر وأشركه في هديه واستغنى به في تفرقة لحومها وجلودها وجلالها، وقال صلى الله عليه وسلم إني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته ولا يشكل هذا بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر، وقوله صلى الله عليه وسلم: «سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر، وطرقه كثيرة لأن ذلك فيه التصريح أن أمرهم بالسد كان في مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فحمل هذا على أمر متقدم على المرض جمعا بين الأحاديث وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علي وعمّار وسلمان» وقال صلى الله عليه وسلم: «الجنة تشتاق إلى ثلاثة علي وعمّار وبلال». وفي رواية والمقداد وقيل لعمر رضي الله عنه، إنك تصنع بعلي ما لا تصنعه بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنه مولاي.

وجاءه أعرابيان يختصمان فقال لعلي أقض بينهما يا أبا الحسن، فقضى بينهما فقال أحدهما هذا يقضي بيننا فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيبته وقال ويحك ما تدري من هذا هذا مولاي ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن، ونازع رجل عمر رضي الله عنه في مسألة، فقال بيني وبينك هذا الجالس، وأشار إلى علي بن أبي طالب، فقال الرجل هذا الأبطن فنهض عمر من مجلسه وأخذ بتلبيبته حتى شاله من الأرض، ثم قال أتدري من صغرت مولاي ومولى كل مسلم، وقال عمر علي أقضانا وكان يتعوّذ بالله من قضية ليس لها أبو الحسن، وقال ابن مسعود أفرض أهل المدينة وأقضاها علي وقالت عائشة علي أعلم من بقي بالسنة وقال ابن عباس ما أنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير، وقال ما أنزل الله في أحد من كتاب الله ما أنزل في علي. وقال أيضاً نزلت في علي ثلثمائة آية، قال العلماء

منها قوله تعالى ﴿الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهم بِالليلِ وَالنهارِ﴾ الآية، وقوله تعالى ﴿إنما وَلِيكُم اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا﴾ الآية» . وقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤ مِناً﴾ الآية نزلت فيه وفي الوليد بن عقبة وقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدرَهُ للإسلام﴾ نزلت فيه وفي حمزة وكان أبو لهب ممن قسا قلبه وقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً﴾ نزلت فيه وفي حمزة وكان الممتع أبا جهل، وقوله تعالى ﴿سَيَجْعَلُ لَهم الرَّحمنُ وداً﴾ قال محمد بن الحنفية لا يبقى مؤ من إلا وفي قلبه ودّ لعلي وأهل بيته لمانزل قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم اجعلها أذن علي قال علي رضي الله عنه: ما نسيت بعد ذلك شيئاً، وقال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب، ولهذا رجعت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إليه، في كثير من الوقائع، واستند العلماء رحمهم الله تعالى في كثير من العلوم إليه، كالأصول والتفسير فإن رئيسهم ابن عباس تلميذه والمشايخ رحمهم الله تعالى في علم السر وتصفية الباطن فإن المرجع إليه وعلم النحو إنما ظهر منه ولهذا قال لو كسرت الوسادة ثم جلست عليه لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل، أو جبل أو سماء أو أرض، أو ليل أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت، واختص رضي الله عنه بغسل النبيّ صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم لعلي: «لا يغسلني أحد إلَّا أنت» وقال علي رضي الله عنه: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه وكان رضي الله عنه ربعة من الرجال أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كثير شعر اللحية أبيض الرأس واللحية وربما خضب طويل اللحية عريض ما بين المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لا يبين عضده من ساعده، قد أدمج ادماجاً شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد كأن عنقه ابريق فضة، شديد الساعد واليد عظيم البطن ضخم مشاش المنكب، ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها وقيل؛ كأنما كسر وجبر ضحوك السن وهو إلى السمن أقرب آدم شديد الأدمة وإذا نظرت إليه قلت آدم وأن تبينته قلت أسمر أدنى من أن يكون آدم خفيف المشي إذا مشى تكفأ، وإذا

مشى إلى الحرب هرول، قوي ما صارع أحداً إلا صرعه، وإذا أمسك بذراع رجل بنفسه لم يستطع أن يتنفس، شجاع منصور على من لاقاه (قوله ربعة) أي مربوع الخلق لا طويل ولا قصير جمعه ربعات بالتحريك، وهو شاذ لأن فعله لا يحرك في الجمع إذا كان صفة وإنما يحرك إذا كان إسمًا ولم يكن موضع العين واواً أو ياء والدعج شدة سواد العين مع سعتها يقال عين دعجاء، والأدعج من الرجال الأسود، والمشاش رؤوس العظام اللينة الواحدة مشاشة، ودمج الشيء دموجاً إذا دخل في الشيء واستحكم، وكذلك اندمج وأدمج بتشديد الدال يريد والله أعلم إن عظمي عضديه وساعديه للينهما قد اندمجا ومكذا هو في صفة الأسد، وشثن الكفين بالتسكين عظيمهما يقول شثنت كفه شثناً بالتحريك أي خشنت وعظمت، والكراديس رؤوس العظام ومعناه ضخم الأعضاء، والأغيد الوسنان المائل العنق، والغيد النعومة وامرأة غيداء وغادة أيضاً ناعمة بينة الغيد.

وأما ابلاؤه كرّم الله وجهه وشجاعته فقد بلغت التواتر حتى صارت معلومة، ومن ذلك أن عمرو بن عبد ودّ كان من مشاهير الأبطال وشجعان العرب وكانوا يعدونه بألف رجل لما نادى يوم الخندق يطلب من يبارزه سكت الصحابة كأنمّا على رؤسهم الطير لما يعلمون من شجاعته فقام علي كرّم الله وجهه وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يا رسول الله فقال له اجلس إنه عمرو ثم نادى عمرو وجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون إلّي رجلاً فقام عليّ فقال أنا له يا رسول الله قال اجلس إنه عمرو ثم نادى الثالثة وقال:

ولقد بححت من الندا	ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع	وقفة الرجل المناجز
وكذاك أني لم أزل	متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى	والجود من خير الغرائز

فقام عليّ رضي الله عنه، فقال أنا يا رسول الله فقال أنه عمرو فقال

وإن كان عمراً فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه عمامته، وقال: «اللهم أعنه عليه ورفع صلى الله عليه وسلم عمامته إلى السماء،» وقال: «الهي أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»، فمشى عليّ وهو يقول:

لاتعجلن فقد أتا	ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة	والصدق منجى كل فائز
إني لارجو أن أقيـ	ـيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلا	ء يبقى ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو: من أنت، قال: علي قال: ابن عبد مناف. قال: أنا علي بن أبي طالب، ثم قال له: يا عمرو سمعت إنك تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلّتين إلا أخذت منه إحداهما، قال: أجل: فقال عليّ فإني أدعوك إلى الله تعالى، وإلى رسوله وإلى الاسلام، قال: لا حاجة لي في ذلك. قال: فارجع إلى ديارك واترك القتال معنا فإن انتظم أمر محمد وظفر على أعدائه فقد أسعدته وأمددته وإلا فحصل مطلوبك من غير قتاله، قال عمرو: إن نساء قريش لا يقلن هذا كيف وقد قدرت على استيفاء نذري وأنا أرجع ولم أوف به. وكان عمرو قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً ونذر أن لا يذهب حتى ينتقم من محمد صلى الله عليه وسلم. فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليرى مكانه فقال له علي: فإني أدعوك إلى البراز قال لم يا ابن أخي غيرك من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهريق دمك فقال عليّ لكني والله ما أكره أن أهريق دمك فغضب ونزل عن فرسه وسلّ سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو عليّ فاستقبله عليّ كرّم الله وجهه بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه عليّ على حبل العاتق فسقط، وثار العجّاج وسمع رسول الله صلىّ الله عليه وسلّم التكبير فعرف أن علياً قتله، وفي القاموس كان عليّ ذا شجتين في قربى رأسه إحداهما من عمرو بن عبد ود، والثانية من ابن ملجم، ولذا يقال له ذو القرنين وفيه أيضاً وذو القرنين الاسكندر الرومي وعلي بن أبي طالب لقوله صلى الله عليه إن

لك في الجنة بيتاً ويروىٰ كنزاً وانك لذو قرنيها أو ذو طرفي الجنة وملكها الأعظم تملك جميع الجنة، كما ملك ذو القرنين جميع الأرض أو ذو قرني الأمة وإن لم يتقدم ذكرها أو ذو حليها للحسن والحسين، أو ذو شجّتين في قربى رأسه إحداهما من عمرو ابن عبد ود، والثانية من ابن ملجم، وهذا أصح، انتهى.

وفي يوم خيبر لما قتل رضي الله عنه أخا مرحب خرج إليه مرحب ولم يكن في أهل خيبر أشجع منه ولم يقدر أحد من أهل الاسلام أن يقاومه في الحرب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
اضرب أحياناً وحيناً أضرب
إذا الحروب أقبلت تلهب
إن حمامي للحمى لا يقرب

وكان قد لبس درعين، وتقلد سيفين، واعتم بعمامتين ولبس فوقهن مغفراً وحجراً قد ثقبه قدر البيضة على رأسه وله رمح سنانه ثلاثة أسنان فبرز له عليّ كرّم الله وجهه وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدره　　ضرغام آجام وليث قسوره

وفي رواية بدل هذا المصراع.

كليث غابات كريه المنظره
عبل الذراعين غليظ المقصره
أو فيهم بالصاع كيل السندره

وفي رواية أكيلكم بالصاع الخ، وقوله عبل الذراعين أي ضخمها والمقصرة أصل العنق والسندر ضرب من الكيل، كبير واسم امرأة كانت تبيع الحنطة وتوفي الكيل قيل النكتة في ارتجاز عليّ بهذا الرجز أن مرحباً قد رأى في المنام أن أسداً يفترسه فلعل الله أطلع علياً على رؤ يا مرحب فأراد أن يذكره رؤ ياه ليقذف في قلبه الرعب، انتهى. فلما اختلط أراد مرحب أن يضرب علياً فسبقه عليّ بالسيف ذي الفقار فتترس مرحب فرقع السيف على الترس فقده، وقد الحجر والمغفر والعمامتين وفلق هامته حتى أخذ في الأضراس فقتله، ثم

حمل المسلمون على الكفار وقتلوا ثمانية من رؤسهم وفر الباقون إلى الحصن وتبعهم المسلمون فضرب يهودي يد عليّ ضربة سقط منها الترس، فبادر يهودي آخر فأخذ الترس فغضب عليّ فتناول باب الحصن وكان من حديد فقلعه وتترس به ولم يزل في يده وهو يقاتل، ثم لما وضعت الحرب أوزارها ألقى علي ذلك الباب وراء ظهره ثمانين شبراً وفي هذا الباب قال الشاعر:

عليّ رمى باب المدينة خيبر ثمانين شبراً وافياً لم يثلم

عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لقد رأيتني في سبعة نفر وأنا ثامنهم نجهد أن نقلب ذلك الباب فما نستطيع أن نقلبه، وعن جابر أنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون، وفي رواية البيهقي فاجتمع عليه بعده منّا سبعون رجلاً فكان جهد أن أعادوا الباب مكان، وفي شرح المواقف قال عليّ ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، ولكن بقوة إلهية، ومن كراماته رضي الله عنه أنه حدث بحديث فكذّبه رجل فقال له أدعو الله عليك إن كنت كاذباً فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره، وعن حجر المرادي قال: قال لي عليّ كيف بك وقد أمرت أن تلعنني فقلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم. قلت: فكيف أصنع؟ فقال: العني ولا تبرأ مني قال: فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجّاج وكان أميراً على اليمن أن ألعنه فقلت إن الأمير أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله فما فطن لها إلا رجل.

وروي أن ضرار بن حمزة الصدائي وكان من أولياء عليّ ألجأته ضرورة الحال حتى وفد على معاوية رضي الله عنهما فقال له معاوية: صف لي علياً، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين. فقال أقسمت عليك لتصفه فقال: كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه، وينطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويسننا إذا سنناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منّا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت

نجومه، قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري إلّي تعرضت، أم إلي تشوقت، هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك. فعمرك قصير وخطرك قليل، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ فقال: حزن من ذبح واحدها في حجرها. وسئل الحسن البصري عن علّي فقال: كان والله سهماً صائباً من مرامي الله عزّ وجلّ على عدوّه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها. من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله ولا بالسرقة لمال الله تعالى، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياض موقفه، ذاك عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكان رضي الله عنه يكنس بيت المال ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين.

(وحكي) أن أخاه عقيلاً صنع مريساً ودعا علياً فسأله عنه فقال: كنا نوفر كل يوم مما تعطينا من بيت المال شيئاً قليلاً حتى اجتمع ما اشترينا به سمناً وتمراً فقال: أو كان يكفيكم ذاك بعد الذي عزلتم منه؟ قالوا: فنقصه مما كان يعطيه وقال لا يحل أن اعطيك أكثر من هذا فغضب فحمى حديده وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنم، فقال: لأذهبنّ إلى من يعطيني تبراً ويطعمني تمراً فلحق بمعاوية.

(وحكي) أن عقيلاً سأله فقال له اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم، فألحّ عليه فقال لرجل، خذ بيده فانطلق به إلى حوانيت السوق فقل له دق هذه الأقفال وخذ ما في الحوانيت فقال: أتريد أن تتخذني سارقاً؟. فقال: علي: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم، فقال: لآتين معاوية فأتى معاوية فأعطاه مائة ألف، ثم قال له: إصعد المنبر واذكرما أولاك علي وما أوليناك فصعد المنبر فقال أيها الناس إني أخبركم أني أردت علياً أن يختارني على دينه فاختار دينه علّي، وأني أردت معاوية أن يختارني على دينه فاختارني على دينه، وقال معاوية يوماً لولا علم

بأني خير له من أخيه ما أقام عندي وتركه، فقال له عقيل رضي الله عنه أخي خير لي في ديني، وأنت خير في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة خير ولما وصل إلى علي كرم الله وجهه فخر من معاوية رضي الله عنه قال لغلامه اكتب إليه ثم أملى عليه:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناي منها ... فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الاسلام طراً ... غلاماً ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي إن هذا الشعر مما يجب على من يمشي على منوال عليّ أن يحفظه ليعلم مفاخره في الاسلام وأنشد لسيدنا عليّ في القاموس في مادة ودق قوله:

تلكم قريش تمناني لتقتلني ... فلا وربك لا بروا ولا ظفروا
فإن أهلكت فرهن ذمتي لهم ... بذات ودقين لا يبقى لها أثر

ثم قال المازني لم يصح أنه تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين وصوبه الزمخشري، انتهى. قال بعضهم: وهذا لعمري في الغرابة نجابة، انتهى. ومن كلامه رضي الله عنه: الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم لو كشف الغطاء ما ازددت إلا يقيناً ما هلك امرؤ عرف قدره، قيمة كل امرىء ما يسنه من عرف نفسه فقد عرف ربه، واشتهر على الألسنة أنه حديث، وأفرده الحافظ السيوطي برسالة سمّاها القول الأشبه، في حديث من عرف نفسه، فقد عرف ربه، قال فيها أن هذا الحديث ليس بصحيح، وقد سئل عنه النووي فقال إنه ليس بثابت، وقال الزركشي في الأحاديث المشتهرة؛ أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي. قال النووي: معناه من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له عرف ربه بالقوّة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى إلى آخر ما أطال به رحمه الله تعالى.

ومن كلامه كرّم الله وجهه: من عذب لسانه كثر إخوانه، بالبر يستعبد الحر، بشر مال البخيل بحادث أو وارث، لا تنظر إلى الذي قال وانظر إلى ما قال: الجزع عند البلاء تمام المحنة: لا ظفر مع البغي، لا ثناء مع الكبر،

لا صحة مع النهم والتخم، لأنه سرف مع سوء الأدب، لا راحة مع الحسد، لا سؤدد مع الانتقام، لا صواب مع ترك المشورة، لا مروءة لكذوب، لا كرم أعز من التقي، لا شفيع أنجح من التوبة، لا لباس أجمل من العافية، لا داء أعيا من الجهل، المرء عدوّ ما جهله، رحم الله عبداً عرف قدره، ولم يتعدّ طوره، أعادة الاعتذار تذكر بالذنب، النصح بين الملأ تقريع، نعمة الجاهل كروضة على مزبلة، الجزع أتعب من الصبر، أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة، الحكمة ضالة المؤمن، البخل جامع لمساوي العيوب، إذا حلت المقادير ضلت المعاذير، عبدالشهوة أذل من عبدالرق، الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له، كفى بالذنب شفيعاً للمذنب، السعيد من وعظ بغيره، الاحسان يقطع اللسان، أفقر الفقر الحمق، أغنى الغنى العقل، الطامع في وثاق الذل، ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا، احذروا نفار النعم فما شار بمردود، أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع، إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر، إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه، ما أضمر أحد شيئاً ألا تظهر في فلتات لسانه، وعلى صفحات وجهه، البخيل يستعجل الفقر ويعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه، العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوم عليه، قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك. هذا ينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه، أقل قيمة العلماء إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه، كونوا كالنحلة في الطير إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها، ولو تعلم الطير ما في أجوافها من البركة ما فعلوا ذلك بها خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب؛ كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل متقبل، يا حملة القرآن اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحبون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سرائرهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً. حتى إن الرجل يغضب على

جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى، لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه. ولا يرجو إلا ربه. ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم، الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله تعالى، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، لأنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا عالم لا فهم عنده ولا قراءة لا تدبر فيها، وما أبرد على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم، من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه. الحزم سوء الظن وهو حديث التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشد من العجب أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل، كونوا مصابيح الليل، خلقان الثياب جرأ القلوب تعرفون به في ملكوت السماء وتعرفون به في الأرض. موت الانسان بعد أن كبر وعرف ربه خير من موته طفلاً بغير حساب في الآخرة. أعلم الناس بالله أشدهم حياء وتعظيمًا لأهل لا إله إلا الله. سبع من الشيطان شدة الغضب، وشدة التثاؤب، والقيء، والرعاف، والنجوى، والنوم عند الفكر. قال أبو عبيدة: ارتجل الأمام علي بن أبي طالب بسبع كلمات قطع بهن الأطماع عن اللحاق بواحدة منهن ثلاث في المناجاة وهي قوله كفاني عزاً أن تكون لي رباً. وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، أنت لي كما أحب، فوفقني لما تحب، وثلاث في العلم وهي قوله.

المرء مخبوء تحت لسانه، وقوله: تكلموا تعرفوا. وقوله: ما هلك امرؤ عُرف قدره، وثلاث في الأدب وهي قوله: أنعم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج لمن شئت تكن أسيره، ومن كلامه رضي الله عنه جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والنقص في اللذة، قيل له ما النقص في اللذة قال لا ينال شهوة حلال إلا جاء ما ينقصه إياها. إن للنكبات نهايات لا بد لأحد إذا نكب أن ينتهي إليها، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها، فإن في رفعها قبل

انقضاء مدتها زيادة في مكر الله تعالى. (وسئل) عن القدر فقال: طريق مظلم لا تسلكه، وبحر عميق لا تلجه، سر الله تعالى قد خفى فلا تفشه، أيها السائل إن الله خلقك لما يشاء فليستعملك لما يشاء، وقال له يهودي متى كان ربنا فتغير وجهه، وقال: لم يكن فكان هو كان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية، فاسلم اليهودي. وافتقد درعاً وهو بصفين فوجدها عند يهودي فتحاكما فيها إلى قاضية شريح، وجلس بجنبه وقال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت في المجلس ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تسوّوا بينهم في المجالس، وفي رواية اصغروهم من حيث أصغرهم الله، ثم ادعى بها فأنكر اليهودي فطلب شريح بينة من عليّ فأتى بالحسن وقنبر فقال له شريح شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال اليهودي: أمير المؤمنين قد مني إلى قاضيه، وقاضيه حكم عليه أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الدرع درعك، وجلس رجلان يتغذيان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فمر بهما ثالث فأجلساه، فأكلوا الأرغفة الثمانية على السواء ثم أعطاهما الثالث ثمانية دراهم عوضاً عما أكله من طعامهما فتنازعا فصاحب الخمسة الأرغفة يقول لي خمسة دراهم ولصاحب الثلاثة ثلاثة، وصاحب الثلاثة الأرغفة يدعي أن له أربعة دراهم فاختصما إلى عليّ كرّم الله وجهه، فقال لصاحب الثلاثة خذ ما رضي به صاحبك وهو الثلاثة فإن ذلك خير لك فقال لا أرضى إلا بمرّ الحق، فقال عليّ ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد فسأله عن بيان وجه ذلك فقال أليست الثمانية الأرغفة أربعة وعشرين ثلثاً فأكل كل واحد ثمانية أثلاث فصاحب الخمسة الأرغفة له خمسة عشر ثلثاً أكل ثمانية وبقي له سبعة وأنت لك تسعة أثلاث أكلت ثمانية وبقي لك واحد فله سبعة دراهم بسبعته ولك واحد بواحدك فقال رضيت الآن.

(سئل) عن مخرج جميع الكنوز فأجاب: بديهة أضرب أيام أسبوعك في أيام سنتك. (وسئل) عن السخاء فقال: ما كان ابتداء فأما ما كان عن مسئلة فحياء وتكرم وأثنى عليه عدو له فأطراه، فقال إني لست كما تقول وأنا فوق ما في نفسك، وقال له ثبتك الله فقال على صدرك وكلامه في الحكم والعلم

والأدب وغيرها كثير بديع وأفرده غير واحد بالتأليف وكلماته الدالة على علو قدره علمًا وزهداً ومعرفة بالله تعالى لا تحصى، وقضاياه وما جرياته لا تستقصى، ولم يكذب على أحد من الصحابة ما كذب عليه، ومن جملة ما وضع عليه الوصية الطويلة التي ذكر فيها يا عليّ يا عليّ نص جهابذة المحدثين على وضعها ثم أنه أحد المشار إليهم بالفتيا وأحد الزهاد المذكورين، وأحد الشجعان المشهورين، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد الستة أهل الشورى وأحد العشرة النجباء وتعداد فضائله ومناقبه ومكانته في العلم والفهم والاستقامة، والشجاعة والشهامة والفراسة الصادقة والكرامات الخارقة، وشدته في نصر الاسلام ورسوخ قدمه في الايمان وسخائه وصدقته مع ضيق الحال، وشفقته على المسلمين وزهده وتواضعه، وتفصيل ذلك باب واسع يحتمل مجلدات وقد أفرد ترجمته بالتأليف جماعة منهم قاضي القضاة الخزرجي في كتاب سماه (أسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب) والحافظ أبو عبدالله الذهبي وقد بسط المقال، وأوسع المجال في مناقبه المحب الطبري في (الرياض النضرة) وفي (ذخائر العقبى) وقد قال الامام أحمد بن حنبل والقاضي اسمعيل بن اسحق والنسائي وغيرهم لم يرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل عليّ رضي الله عنه، قال بعضهم: وسببه والله أعلم أن الله أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلي به علي ما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة باشتهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحاً للأمة، أيضاً، ثم لمّا اشتد الخطب، واشتغلت طائفة من بني أمية يتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج بل قالوا بكفره قبحهم الله اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحاً للأمة ونصرة للحق، ثم أعلم أنه رضي الله عنه هو الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة باتفاق أهل الحل والعقد عليه بل قال بعضهم انعقد عليه الاجماع ووجه انعقاده في زمن الشورى على أنها له أو لعثمان، وهذا إجماع على أنه لولا عثمان لكانت لعليّ فحين أخرج عثمان بقتله من البيت بقيت لعليّ اجماعاً ومن ثم قال أمام الحرمين ولا اكتراث بقول من قال لا إجماع على إمامة علي رضي الله عنه، وعن أبي جعفر الأنصاري

قال: دخلت مع المصريين على عثمان فلما قتلوه خرجت اشتد حتى ملأت فروخي عدواً حتى دخلت المسجد فإذا رجل جالس في نحو عشرة وعليه عمامة سوداء فقال: ويحك ما وراءك قلت قد والله فرغ من القتل قال تنالهم آخر الدهر فنظرت فإذا هو علي بن أبي طالب، ولما بلغه قتل عثمان رضي الله عنه خرج ذاهل العقل، فأخذ ولده محمد بوسطه تخوفاً عليه فقال خل لا أم لك فدخل على عثمان فوجده مقتولا فاسترجع وقال: لابنيه الحسن والحسين كيف قتل عثمان وأنتما على الباب؟ لأنه كان ارسلهما وقال: قوما على باب عثمان بسيفكما فلا تدعا أحداً يصل إليه وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس الدخول على عثمان، ويسألونه إخراج مروان ولطم على ولده الحسن، وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير وخرج وهو غضبان فأتى داره ودخلها وأغلق عليه الباب، فأتاه الناس ومن حضر من المهاجرين والأنصار فضربوا الباب عليه ودخلوا فقالوا لا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال: رضي الله عنه: لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير، فقالوا: والله لا نعلم أحداً أحق بها منك.

قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سراً ولكن ائتوا المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني فخرج إلى المسجد فبايعه الناس وأول مَنْ بايعه طلحة وذلك في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار وتخلف عنها نفر فلم يكرههم وسئل عنهم فقال أولئك قعدوا عن الحق ولم يقيموا على الباطل: وتخلف عن بيعته معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، فإنه لما بلغهم قتل عثمان حزنوا عليه لا سيما أهل دمشق، وأتى البريد بثوبه بالدماء، فنصب على المنبر ونعاه معاوية إلى أهلها فتعاهدوا على الطلب بدمه وكانوا ستين ألفاً، ويقال أن طلحة والزبير بايعا كارهين ثم خرجا إلى مكة وعائشة بها فأخذاها وخرجوا إلى البصرة يطلبون بدم عثمان من غير أمر علي والتفت قتله عثمان على علي وصاروا من رؤوس الملا وخاف علي من أن تنتقض الناس، فسار بعسكر المدينة وبرؤوس قتلة عثمان إلى العراق فالتقى بطلحة والزبير وهو يوم الجمل وكان في جمادي الآخر سنة ست وثلاثين والتحم القتال من الغوغاء وخرج الأمر عن علي وعن طلحة والزبير وقتل طلحة وانهزم

الزبير لما ذكره علي بقول النبي صلى الله عليه وسلم له ستقاتله وأنت له ظالم فلحقه عمرو بن جرموز بوادي السباع فطعنه غيلة فقتله وكان سن كل واحد من طلحة والزبير أربعا وستين سنة وبلغت عدد القتلى عشرين ألفاً وثمانية آلاف، وقيل سبعة عشر ألفاً: وقيل ثلاثة عشر ألفاً وذكر أنه قطعت على خطام الجمل سبعون يداً، كلهم من بني ضبة، كلما قطعت يد رجل تقدم آخر، وأقام علي بالبصرة خمسة عشرة ليلة ثم انصرف إلى الكوفة ثم بلغه خروج معاوية وأهل الشام إليه في ستين ألفاً فسار نحوهم سبعين أو تسعين ألفاً فالتقوا على صفين بناحية الفرات، وتخلف عنها جماعة من سادات الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص الذي افتتح العراق وسعيد بن زيد وأسامة بن زيد وزيد بن ثابت وأبو اليسر السلمي، ومحمد بن سلمة وأبو موسى الأشعري، وابن عمر وصهيب الرومي وجماعة رأوا السلامة في العزلة وقالوا إذا كان غزو الكفار قاتلنا فأما قتال أهل الفتنة والبغي فلا نقاتل أهل القبلة ودام القتال بينهم مائة يوم وعشرة أيام، وكان بينهم تسعون وقعة وقتل من جند علي عمار بن ياسر، ولما قتل أمسك عن القتال عمرو بن العاص وكان وزير معاوية وتبعه جماعة كثيرون، فقال له معاوية لم لا تقاتل قال قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة الباغية فدل على أننا نحن بغاة قال له معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض في بولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله مَنْ أرسله إلينا يقاتلنا وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه فقال إن كنت قتلته فالنبي صلى الله عليه وسلم قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار، وقتل مع علي خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وأويس القرني أفضل التابعين على الأصح، وخمسة وعشرون بدرياً، وجملة من قتل من أصحاب علي خمسة وعشرون ألفاً، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً.

وروي أن علياً كتب إلى معاوية يناصحه غرك عزك فصار قصاري ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فلعلك تهدي بهذا وكتب معاوية في جوابه علي قدري علي قدري، ولما سئم الفريقان القتال رَفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص، وتداعوا إلى الحكومة والصلح واتفقوا

على أن يحكموا بينهما حكماً من جهة علي وحكماً من جهة معاوية على أن مَنْ اتفق الحكمان على أن يولياه الخلافة فهو الخليفة كتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول فأدرج مع كل حكم طائفة من أشـراف الناس، فبعث عـلي أبا موسى الأشعري، وبعث معاوية عمرو بن العـاص، فاجتمـع الحكمان بدومة الجندل وهي مسيرة عشرة أيام عن دمشق، وعشرة أيام عن الكوفة، وعشرة أيام عن المدينة ورجع علي إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام وغضب خلق أزيد من عشرة آلاف من جيش علي وقالوا: لا حكم إلا الله فإن الله يقول إن الحكم لله وكفروا الفريقـين وضللوا علياً واعتـزلوه وخـرجوا عليـه فسموا الخوارج، ونصبوا راية الخلاف وعسكروا بحروراء وقطعوا السبل فبعث إليهم ابن عباس ليبين لهم الحق فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم خلق كثيرون وأبى الباقون فساروا إلى النهروان فسار إليهم علي ورام رجعتهم فأبوا إلا القتال فقاتلهم فقتل واستأصل جمهورهم ولم ينج منهم إلا القليل، وقتل فيهم ذا الثدية الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وذلك سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس بأدرح في شعبان وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمـر وغيرهما وقد اتفق الحكمان على أن يخلع كل منهما صاحبه ويختار المسلمون خليفة يرضونه، وقد عين للخلافة يومئذ عبدالله بن عمر بن الخطاب وحضر معاوية ولم يحضر علي فبدأ أبو موسى مكيدة من عمـرو بن العاص فتكلم وخلع علياً ثم قام عمرو وقال قد خلعت علياً كما خلعه وأثبت خلافة معاوية وتفرق الناس وصار علي في خلاف من أصحابه وتعب علي وقال: أعصى ويطاع معاوية، ولم ينظر إلى ما وقع من أبي موسى لأنه كان ناشئاً عن مكر وخديعة وما هو كذلك لا ينظر إليه وظهر في زمانه الخوارج عليه كالأشعث بن قيس، ومسعود بن فدك التميمي ويزيد بن حصن الطائي وغيرهم، وظهر في زمانه الغلاة في حقه كعبدالله بن سبأ وأصحابه ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي «يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض» قال وتحقق فيه شبه الأنبياء وسمات الأصفياء، حيث قال صلى الله عليه وسلم مخاطباً له: «يا علي إن فيك مثلاً من ابن مريم أبغضه اليهود حتى بهتوا امه وأحبه النصارى حتى أنزلوه المنزلة التي ليس بها، وسلك قوم في محبته طريقة ذات خطر عظيم» فخطئوا الصحابة السابقين له بالخلافة في تقدمهم

عليه فأقدموا على نقض اجماع خير القرون وأشدهم اجماعاً في أمر قد انقضى وفرغ منه وتضمن قولهم تعجيز علي حيث بايع لمن قبله تقية وحاشاه فلم يكن برعديد الجنان، ولا العاجز الجبان، ولا الإمَّعة المهان، بل كان سيداً شجاعاً مسموعاً مطاعاً ويكفي في تعريف أن الصحابة رضي الله عنهم لم تستخفهم الأهواء ولم يحرصوا إلا على تسكين الدهماء ومراعاة ما هـو الاولى أن علياً رضي الله عنه لما قدم على البصرة قام إليه عبدالله بن الكراء وقيس بن عباد فقالا له ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه يستولي علي الأمر ويضرب الناس بعضهم على بعض أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده اليك فحدثنا به فأنت الموثوق والمأمون على ما سمعت، فقال، فأما يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فلا، والله لئن كنت أول مَنْ صدق به لا أكون أول مَنْ كذب عليه ولو كان عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ما تركت أخا تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردتي هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلاً، ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلى الناس وهو يرى مكاني، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب، وقال: «انكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس» فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نظرنا في امورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا، وكانت الصلاة أعظم شعار الاسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً لم يختلف عليه اثنان منا ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم يقطع منه البراءة فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قبض وليها عمر بن الخطاب وأخذ بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر ولم يتخلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم يقطع البراءة فأديت إلى عمر حقه، وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض ذكرت في نفسي سابقتي وقرابتي وفضلي، وأنا أظن أنه لا يعدل بي ولكن

خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة منه لآثر ولده وبريء منها إلى رهط قريش ستة أنا أحدهم، فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وأنا أظن إن لا يعدلوا بي فأخذ عبدالرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نطيع ونسمع أمر مَنْ ولاه الله عز وجل أمرنا، ثم ضرب بيده على يد عثمان فبايعه فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت إلى عثمان حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما اصيب عثمان نظرت في أمري فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد مضيا، وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد اصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين يعني البصرة والكوفة، وأعلم أنه يجب الامساك عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من الاختلاف والاضطراب، صفحاً عن أخبار المؤرخين لا سيما جهلة الرواة، وضلال الشيعة والمبتدعة القادحين في أحد منهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» والواجب على كل مَنْ سمع شيئاً من ذلك أن يتثبت فيه ولا ينسبه إلى أحدهم بمجرد رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص بل لا بد أن يبحث عنه حتى يصح عنه نسبته إلى أحدهم، فحينئذ يجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات، وأصوب المخارج أما ما لم يصح عنهم فمردود لذاته فلا يحتاج إلى تأويل، فيؤوّل توقف على كرم الله وجهه في بيعة أبي بكر رضي الله عنه على أنه لم يكن بغياً منه عليه ولا خروجاً عن طاعته، ولا قدحاً في امامته، وإنما هو لما أصابه من الكآبة والحزن بفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتفرغ للنظر والاجتهاد فلما ظهر له الحق دخل فيمن دخل كما سبق، ويؤول توقفه عن نصرة عثمان ودفع الغوغاء على أن عثمان رضي الله عنه منعه من ذلك كما منع غيره تجافياً عن ايقاع الحرب واراقة الدماء بين المسلمين حتى قال رضي الله عنه مَنْ وضع السلاح من غلماني فهو حر، وعن شداد بن أوس قال لما اشتد الحصار بعثمان يوم الدار رأيت علياً خارجاً من منزله معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلداً سيفه، وأمامه الحسن والحسين وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم في نفر من المهاجرين

والأنصار، فحملوا على الناس وفرقوهم ثم دخلوا على عثمان فقال علي رضي رضي الله عنه: السلام عليك يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل والمدير، وإني والله لا أرى القوم إلا قاتلوك فمرنا فلنقاتل. فقال عثمان: انشد الله رجلاً رأى لله عز وجل عليه حقاً وأقر أن لي عليه حقاً إن يهريق في سببي محجمة دم. أو يهراق دمه في فأعاد علي القول فأجاب عثمان بمثل ما أجاب فرأيت علياً خارجاً من الباب وهو يقول: اللهم أنك تعلم أنّا بذلنا المجهود. ثم دخل المسجد، ويؤوّل توقفه في قبول البيعة بعده أعظاماً لقتل عثمان رضي الله عنه وانكاراً إلا أن من وجوه المهاجرين والأنصار أقسموا عليه وناشدوه الله في حفظ بقية الامة وصيانة دار الهجرة، إذ قتلة عثمان قصدوا الاستيلاء على المدينة والفتك بأهلها وكانوا جهلة ليس لهم سابقة في الاسلام، ولا علم بأمر الدين، ولا صحبة لسيد المرسلين، فقبل البيعة.

ويؤوّل توقفه عن القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه على أنه لما رأى شوكتهم وكثرتهم، وقوّتهم وحزمهم بالخروج على مَنْ طالبهم بدمه اقتضى النظر الصائب تأخير الأمر احترازاً عن اثارة الفتن إلى أن ترسخ قدمه في الخلافة ويتحقق التمكن من الامور فيها على وجهها ويتم له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين، ثم بعد يلتقطهم واحداً بعد واحد ويسلمهم إلى مَنْ له القود ويدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على علي كرم الله وجهه، وعلى مقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان والذين تمالؤا على قتل عثمان رضي الله عنه كانوا جموعاً كثيرة قيل سبعمائة وقيل ألف من أهل مصر ونحو ذلك من البصرة والكوفة بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف، ويحتمل أنه رأى أنهم بغاه لما لهم من المنعة الظاهرة والتأويلات الفاسدة حيث استحلوا دمه بما أنكروا عليه من الامور كجعله مروان ابن عمه كاتبا له ورده إلى المدينة بعد أن طرده النبي صلى الله عليه وسلم وقضية محمدبن أبي بكر رضي الله عنهما والباغي إذا انقاد إلى الامام العدل لا يؤاخذ بما أتلفه في حال الحرب عن تأويل دماً كان أو مالاً، كما هو المرجح من قولى الشافعي رضي الله عنه وبه قال جماعة آخرون من العلماء. ويحتمل أن

قتلة عثمان لم يكونوا بغاة وإنما كانوا ظلمة لعدم الاعتداد بشبهتهم ولأنهم أصروا على الباطل بعدكشف الشبه وايضاح الحق، وليس كل مَنْ انتحل شبهة يصير بها مجتهداً لأن الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد. ويؤوّل قتله كرم الله وجهه للخوارج المارقين على أنه ثبت عنده كفرهم لما أنهم استحلوا دماء المسلمين وكفروا أشراف المؤمنين أو على أنه رأى حل قتالهم لعلمه بعدالة نفسه وارادتهم خلعه. وتؤوّل مقاتلة الزبير وطلحة وعائشة لعلي رضي الله عنهم على قصدهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظناً منهم قدرته على قتلة عثمان رضي الله عنهم مع تراخيه في القصاص منهم، وإن كان فاسداً وقد صح ندم طلحة والزبير وعائشة على ذلك.

ويؤوّل مقاتلة معاوية وعمرو لعلي رضي الله عنهم على ظنهم أنه مالأ على قتل عثمان رضي الله عنه حيث ترك إعانته ونصره وجعل قتلته خواصه وبطانته ولم تكن منازعة معاوية في خلافة علي للاجماع على حقيقتها لعلي غاية الأمر أنهم أخطأوا في الاجتهاد، وذلك لا يوجب التفسيق فضلاً عن التكفير، ولهذا منع علي كرّم الله وجهه أصحابه عن بغض أهل الشام، وقال: إخواننا بغوا علينا على أن المحققين من أصحابنا رحمهم الله على أن حرب الجمل كانت فلتة من غير قصد من الفريقين بل كانت تهيجا من قتلة عثمان حيث صاروا فرقتين واختلطوا بالعسكرين وأقاموا الحرب خوفاً من القصاص، ولم يكن خروج عائشة رضي الله عنها إلا لقصد الإصلاح وتسكين الفتنة فوقعت في الحرب، والذي اتفق عليه أهل الحق أن المصيب في جميع ذلك علي رضي الله عنه لما ثبت من امامته ببيعة أهل الحل والعقد وأن المخالفين بغاة بخروجهم على الإمام الحق بشبهة وإن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام. قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وإن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته. وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وإن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته. وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته، وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها فاعتزلوا الفريقين وكلهم معذورون مأجورون رضي الله عنهم.

(وسئل) بعضهم عن أمر علي وعثمان فأجاب يقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْخَلَتْ﴾ الآية، (وسئل) ميمون بن مهران عن أهل صفين فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا اريد أن أخضب بها لساني. (وسئل) بعضهم عن بعض ما مر فقال: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم عيون والعين لا تمس ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، انتهى. وقال الغزالي وغيره، ويحرّم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج على بعض الصحابة والطعن فيهم، وهم أعلام الدين الذين تلقى الأئمة عنهم رواية ونحن تلقيناه من الأئمة دراية، فالطاعن فيهم طاعن في نفسه ودينه قال ابن الصلاح والنووي والصحابة كلهم عدول، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف صحابي عند موته صلى الله عليه وسلم القرآن والأخبار مصرحان بعدالتهم وجلالتهم، ولما جرى بينهم محامل لا يحتمل ذكرها هذا الكتاب، انتهى.

ملخصاً

ولا يشكل هذا على ما ذكرته في هذا الكتاب لأن المراد أنه لا يجوز للوعاظ الجهلة الذين يأتون بالأخبار الكاذبة الموضوعة ونحوها ولا يبينون المحامل والحق الذي يجب اعتقاده فيوقعون العامة في بغض الصحابة وتنقيصهم ونحو ذلك من المفاسد، بخلاف ما ذكرناه فإنه لغاية اجلالهم وتنزيههم ولبيان الحق فيه على مقتضى الواقع بحسب ما قضت به الأدلة على قواعد أهل السنة. فهو حسن مطلوب وقد ذكر الأئمة رضي الله عنهم في كتبهم نبذاً منه وتأولوا منه جملاً لأمرين، أحدهما صون الأذهان السليمة عن التدنس بالعقائد الردية التي تجرها حكايات الروافض ورواياتهم، وثانيهما ابتناء بعض الأحكام الفقهية عليها، ومن ثم قال أبوحنيفة رضي الله عنه لولا علي رضي الله عنه لم نكن نعرف السيرة في الخوارج هذا ما يتعلق بالعلماء، وأما العامة فلا يجوز لهم الكلام فيما يتعلق بذلك لفرط جهلهم بالدليل وعدم معرفتهم بالتأويل، بخلاف العلماء فإنهم مأمورون بالبيان وإزالة خفاء ما أشكل على الأذهان لتبيننه للناس ولا تكتمونه، هذا ملخص ما ذكره أهل السير وإنما ذكرته استتباعاً لترجمة السبطين وأبيهما أمير المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين ليعلم أن لهم اسوة بسلفهم وفيه تسلية لخلفهم، ويظهر بذلك سر قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوا مِنْ قَبْلِكُم مَسَّتْهُم البَأْسَاءُ وَالضَّراءُ﴾. الآية. وقوله تعالى ﴿ألم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمنّا وَهُم لا يُفتَنُون﴾. وقوله صلى الله عليه وسلم: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل». وقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومَنْ سخط فله السخط» وهذا وقع لي كثيراً في المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلو عن فرائد الفوائد، ولما

طال النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما واشتد الخلاف على الناس تعاقد مَنْ بقي من الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وانتدب ثلاثة منهم لذلك فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا على قتلهم فقال عبدالرحمن بن ملجم المرادي وهو من حمير وعداده في بني مراد لكونه حليفهم أنا لكم بعلي، وقال البرك بن عبدالله التميمي أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي أنا أكفيكم عمراً فتعاهدوا وتواثقوا إن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمي له حتى يقتله أو يموت دونه فاتعدوا بينهم ليلة سبع عشرة من رمضان سنة أربعين، ثم توجه البرك إلى دمشق وضرب معاوية فأصاب أوراكه فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك فلما أخذه، قال له: الأمان والبشارة فقد قتل علي في هذه الليلة فاستبقاه حتى جاءه الخبر بذلك فقطع يده ورجله وأطلقه، وأقام بالبصرة حتى بلغ زياد ابن أبيه أنه ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله، قالوا وأمر معاوية رضي الله عنه باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت، وتوجه عمرو بن بكر إلى مصر وكان يومئذ بعمرو بن العاص وجع الظهر والبطن فبعث مكانه رجلاً من بني سهم يقال له خارجة. وقيل سهلا العامري ليصلي بالناس فقتله عمرو بن بكر يحسبه عمرو بن العاص. ولما علم قال أردت عمراً وأراد الله خارجة وقدم ابن ملجم الكوفة واشترى سيفا بألف وسقاه السم، ولقي أصحابه وكاتمهم ما يريد ورأى امرأة جميلة من بني تيم الرباب يقال لها قطام بنت شحنة وكانت ترى رأي الخوارج وكان علي كرم الله وجهه قتل أباها وأخاها بالنهروان فأعجبته فخطبها فقالت آليت أن لا أتزوج إلا على مهر هو ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب فقال ما يغنيك وما يغنيني منك قتل علي وأنا أعلم أني إن قتلته لم أفت فقالت: إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت فتبلغ شفاء نفسي ويهنيك العيش معي وإن قتلت: فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، فقال: والله ما جاءني إلى هذا المصر إلا قتل علي، فقد أعطيتك ما شرطت، فقالت له: سألتمس مَنْ يشد ظهرك، فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مخالد فأجابها. ولقى ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي، قال ابن ماكولا بجرة بفتح الباء والجيم، وقال أبو عمر وبضم الموحدة وسكون الجيم فقال له يا شيب: هل لك في شرف الدنيا والآخرة تساعدني على قتل علي بن أبي

طالب قال: ثكلتك امك قد جئت شيئاً أدّا كيف تقدر على ذلك، قال: انه رجل لا حرس له ويخرج إلى المسجد منفرداً فنكمن له في المسجد فإذا خرج قتلناه، فإذا نجونا نجونا وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة فقال: ويلك علي ذو سابقة في الاسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم ما تنشرح نفسي بقتله، فقال إنه حكم الرجال في دين الله وقتل اخواننا الصالحين فنقتله ببعض مَنْ قتل، ولا تشكن في دينك، فأجابه وكان ابن ملجم في خلال ذلك يأتي علياً يسأله ويستحمله فحمله، وقال رضي الله عنه:

اريد حياته ويريد قتلي   عذيري من خليلي من مرادي

ثم قال هذا والله قاتلي فقيل ألا تقتله، فقال ومَنْ يقتلني، ووردت عنه آثار تدل على أنه علم مصابه وكان كرم الله وجهه حين تراكمت عليه الفتن والمحن يقول: والله لوددت أن لو بعث أشقاها، وقال رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي أتدري من أشقى الأوّلين قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال: أتدري من أشقى الآخرين قلت: الله ورسوله أعلم قال: قاتلك وفي رواية أشقى الآخرين الذي يضر بك على هذه فيبل منها هذه وأخذ بلحيته». وقال صلى الله عليه وسلم: «من أشقى الأولين يا علي قال الذي عقر ناقة صالح، فقال صدقت فمن أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه وأشار إلى يفوخه». وقال علي كرم الله وجهه للنبي صلى الله عليه وسلم: إنك قلت لي يوم احد حين أخذت الشهادة واستشهد من استشهدان الشهادة من ورائك قال: «فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه بدم وأومأ بيده إلى لحيته ورأسه». قال علي يا رسول الله أما أن ثبتت لي شهادة ما اثبت فليس ذلك من موطن الصبر ولكن موطن البشرى والكرامة، وقال لعلي كرم الله وجهه رجل من الخوارج اتق الله يا علي إنك ميت، فقال علي: بل مقتول بضربة على هذه تخضب هذه يعني لحيته من رأسه، عهد معهود وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى، وجاءه رجل من مراد، فقال احترس فإن ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال علي رضي الله عنه إن مع كل رجل ملكين يحفظانه ما لم يقدر عليه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة، وخطب كرم الله وجهه فقال: والذي فلق

الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذا قال الناس أعلمنا مَنْ هو لنبيره أو لنبيرن عشيرته فقال أنشدكم الله أن يقتل بي غير قاتلي: قالوا إن كنت قد عملت ذلك فاستخلف إذا. قال: ولكنكم أكلكم إلى مَنْ وكلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله لنبيره أي لنهلكه، والبوار الهلاك وكان علي كرم الله وجهه في شهر رمضان الذي قتل فيه يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبدالله بن جعفر، ولا يزيد على ثلاث لقم ويقول احب أن ألقى الله وأنا خميص، فلما كان ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين أكثر الخروج والنظر إلى السماء ويقول الله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت ولم ينم تلك الليلة إلا قليلاً ثم انتبه، وقال للحسن يا بني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومتي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك من اللواء واللدد فقال أدع الله عليهم فقلت اللهم أبدلني خيراً منهم وابدلهم بي مَنْ هو شر مني، وجاءه مؤذنه ابن التياح يؤذنه بالصلاة فخرج فأقبل الأوز يصحن في وجهه فطردوهن، فقال دعوهن فإنهن نوائح، وفي رواية قال هذم صائحة تتبعها نائحة فلم يقدر أن يفتح باب داره ثم تكلف وفتح الباب فتعلق ازاره في الباب وخرج إلى المسجد وابن التياح بين يديه والحسن خلفه فنادى أيها الناس الصلاة الصلاة كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس فاعترضه الرجلان على السدة فبادره شبيب فضربه فأخطأه، ووقعت ضربته في السدة وضربه ابن ملجم بالسيف وقيل بالخنجر، فأصلب جبهته إلى قرنه ووصل دماغه وقال الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فقال علي فزت ورب الكعبة، وقال لا يفوتكم الكلب وفي رواية لا يفوتكم الرجل فشد الناس عليهما من كل جانب فأما شبيب فأفلت خارجاً من باب كندة، وأما ابن ملجم فلما هَّم الناس به حمل عليهم بسيفه ففرجوا له فتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها عليه واحتمله، وضرب به الأرض وقعد على صدره وانتزع سيفه منه، فقال علي احبسوه فإن أعش فأنا ولي دمي عفواً وقصاصاً وإن مت فالحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين ولا تمثلوا به واستخلف جعدة بن هبيرة فصلى بهم تلك الصلاة، وحبس ابن ملجم فقالت له ام كلثوم بنت علي رضي الله عنهما

يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين، فقال: ما قتلت إلا أباك، قالت: والله لأرجو أن لا يكون علي أمير المؤمنين به بأس. قال: فلم تبكين. ثم قال: والله لقد سممته شهراً يعني سيفه فإن أخلفتي بعده الله واسحقه، وقالوا لعلي يا أمير المؤمنين خل بيننا وبين مراد فلا تقوم ثاغية ولا راغية أبداً، قال: لا ولكن احبسوا الرجل فإن أنامت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص، ودخل عليه عمرو ذي مر وقد عصب رأسه فقال يا أمير المؤمنين أرني ضربتك قال فحلها فقال خدش وليس شيء، فقال إني مفارقكم إني مفارقكم فبكت ام كلثوم من وراء الحجاب، فقال اسكتي فلو ترين ما أرى لما بكيت، فقال: عمرو يا أمير المؤمنين ما ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود والنبيون ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول يا علي ابشر فما نصير إليه خير مما أنت فيه». ثم أوصى علي، كرّم الله وجهه وصية طويلة في آخرها: يا بني عبدالمطلب لا تخوض دماء المسلمين خوضاً تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلوا بي إلا قاتلي، انظروا فإذا أنامت من ضربته هذه فأضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور».
وقال للحسن والحسين اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوي منها عنكما، وقولا الحق وارحما اليتيم، واعينا الضعيف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصمًا، وللمظلوم أنصاراً، ولا تأخذكما في الله لومه لائم، ثم نظر إلى ولده محمد ابن الحنفية رضي الله عنهما فقال هل حفظت ما اوصيت به أخويك فقال، نعم. قال: اوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا تدبر أمراً دونهما، ثم قال اوصيكما فإنه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، ولما فرغ كرم الله وجهه من وصيته، قال اقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم لم يتكلم إلا لا اله إلا الله حتى قبضه الله وكان قتله يوم الجمعة يوم سبعة عشر من رمضان مثل صبيحة يوم بدر وقيل غير ذلك، واختلف في قبضه فقيل قبض من يومه، وقيل: بقي إلى يوم الجمعة والسبت وقبض يوم الأحد وغسله الحسن والحسين وعبدالله ابن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء، وقيل إن علياً عنده مسك فضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يحنط به وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه ابنه الحسن وكبر عليه أربعاً وقيل سبعاً،

واختلف في موضع دفنه، فقيل في قصر الامارة بالكوفة وقيل في رحبة الكوفة بنجف الحيرة والنجف بالتحريك مكان لا يعلوه الماء مستطيل والجمع نجاف بالكسر والنجاف أيضاً اسكفة الباب وهي عتبته العليا والحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة والنسبة إليه حيرى وحارى أيضاً على غير قياس وكأنهم قلبوا التحتية ألفاً، قال الخجندي والأصح عندهم إنه مدفون من وراء المسجد، وهو الذي يؤمه الناس اليوم، ودفن ليلاً، وعفى قبره لئلا تنبشه الخوارج وقيل نقله الحسن إلى المدينة، وقيل لما حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم يسيرون ليلاً إذ ندا الجمل الذي هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه فلذلك يقول أهل العراق هو في السحاب وقيل أن البعير وقع في بلاد طي فأخذوه ودفنوه، وقيل دفن بالكوفة، ثم حمل إلى المدينة ودفن عند فاطمة، وقيل وهو أوّل مَنْ حول من قبر إلى قبر، وقيل دفن بالقرى، وهو موضع يزار الآن، وقيل بين منزله والجامع الأعظم، واختلف في سنه يومئذ فقيل ثلاث وستون، وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون وقيل ثمان وستون، وذكر في كتاب مواليد أهل البيت أن سنة خمس وستون ولم يذكر غيره وصحب النبي صلى الله عليه وسلم منها بمكة ثلاث عشرة سنة، وسنه يوم صحبة اثنتا عشرة سنة ثم هاجر فصحبه بالمدينة عشر سنين وعاش بعده ثلاثين سنة، ولما دفن علي كرّم الله وجهه بعث الحسين إلى ابن ملجم فأخرجه من السجن ليقتله، فاجتمع الناس وجاؤوا بالنفط والبواري والنار وقالوا نحرقه، فقال الحسين وعبدالله بن جعفر ومحمد بن الحنفية دعونا نشفي أنفسنا منه فقطعوا يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم ثم كحل عينيه بمسمار محمى فلم يجزع، وجعل يقول إنك لتكحل عيني عمك بمكحول ممض، وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى آخر السورة وعيناه تسيلان على خديه ثم عولج على لسانه ليقطع فجزع فقيل له قطعت يداك ورجلاك وسلت عيناك فلم تجزع فلما صرنا إلى لسانك جزعت قال ما ذاك من جزع إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فواقاً لا أذكر الله تعالى فقطعوا لسانه ثم جعلوه في قوصرة فأحرقوه بالنار وكان ابن ملجم أسمر أبلج في جبهته أثر السجود، ومدحه عمران ابن حطان على قتله لعلي فقال:

ما ضربة من تقي ما أراد بها … الا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكرم بقوم بطون الأرض قبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدواناً
لله درّ المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق انساناً
أمسى عشية غشاه بضربته ... مما جناه من الآثام عرياناً

قاتله الله تعالى وأخزاه ما أجراه على الله تعالى فأجابه امام الشافعية القاضي أبو الطيب رحمه الله تعالى بقوله:

إني لأبرأ مما أنت قائله ... في ابن ملجم الملعون بهتانا
إني لأذكره يوماً فألعنه ... ديناً وألعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله إسراراً وإعلانا
فانتمو من كلاب النار جاء لنا ... نص الشريعة برهانا وتبيانا

﴿وأجاب أيضاً بكر بن حماد الباهري بقوله﴾

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت ويلك للاسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأوّل الناس إسلاماً وايمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سنّ الرسول لنا شرعاً وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نوراً وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هرون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكرا ... ليثاً إذا لقى الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر ... تخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد إذا عدت فعالهمو ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قبل المنية أزمانا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
بقوله بيت شعر ضل مجترماً ... وقال ما ناله ظلمًا وعدوانا
بل ضربة من عدو أورثته لظى ... مخلداً قد أتى الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته ... ألا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

﴿وأجاب أبو المظفر طاهر بن محمد الاسفرايني﴾

كذبت وأيم الذي حج الحجيج له ... وقد ركبت ضلالاً منك بهتانا
لتلقين بها ناراً مؤججة ... يوم القيامة لا زلفى ورضوانا
تبت يداه لقد خابت وقد خسرت ... وصار أبخس من في الحشر ميزانا
هذا جوابي لذاك النذل مرتجلاً ... أرجو بذاك من الرحمن غفرانا

﴿وأجاب الحميري بقوله﴾

لا درّ المراديّ الذي سفكت ... كفاه مهجة خير الخلق انسانا
وصار مما تعاطاه بضربته ... مما عليه ذوو الاسلام عريانا
أبكى السماء لباب كان يعمره ... منها وصب عليه الأرض نحبانا
طوراً أقول ابن ملعونين ملتقط ... من نسل إبليس لا بل كان شيطانا
ويل أمه أيّ ماذا لعنة ولدت ... لا ان كما قال عمران بن حطانا
عبدا تحمل إثما لو تحمله ... نهلان طرفة عين هد نهلانا

وروى عن عليّ كرم الله وجهه بنوه الحسن والحسين ومحمد وعمر وفاطمة وابن أخيه عبدالله بن جعفر وكاتبه عبدالله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومروياته في كتب الأحاديث خمسمائة وستة وثمانون حديثاً في الصحيحين منها أربعة وأربعون حديثاً اتفقا على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، وانفرد مسلم بخمسة عشر حديثاً، وكان نقش خاتمه الملك لله الواحد القهار، وكان قاضيه شريح بن الحارث الكندي، وحاجبه قنبر مولاه، وكان قبله بشر مولاه أيضاً وكان أميره على مصر قيس بن سعد بن عبادة وكان ذا رأي ودهاء فاجتهد معاوية في إخراجه بأن أظهر أنه من شيعته فبلغ علياً فعزله وولاها مالك بن الحارث الأشتر، فمات وولاها بعده محمد بن أبي بكر، ولما رجع علي بعد التحكيم إلى العراق سار عمرو بن العاص، فانهزم أهلها واستتر محمد بن أبي بكر، ثم قتل ووليها عمرو من قبل معاوية وجعلها له طعمة، وكان لعلي رضي الله عنه من الولد خمسة عشر ابناً وثمانية عشر بنتاً هذا ما اتفق عليه، واختلف في الذكور إلى عشرين والاناث

إلى اثنتين وعشرين، أما الذكور فالحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سبق ذكرهما وبعض أحوالهما ومحسن مات صغيراً (أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ومحمد الأكبر أمه خولة بنت إياس بن جعفر الحنفية وقيل: كانت أمه من سبي اليمامة، فصارت إلى علي وأنها كانت أمة لبني حنيفة سندية سوداء ولم يكن من أنفسهم، وقيل: إن أبا بكر الصديق أعطى علياً رضي الله عنهما الحنفية أم محمد من سبي بني حنيفة، وكان سمىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيه وكان نهاية في العلم والفضل غاية في العبادة وكان شجاعاً، كريماً فصيحاً، وكان صاحب راية أبيه يوم الجمل، مات بالطائف منهزماً عن عبدالله بن الزبير سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وهو الذي غلا فيه أهل الضلال وادعوا أنه لم يمت وأنه المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، ولهم في ذلك أشعار وخرافات والعباس الأكبر ويدعى السقاء، ويكنى أبا قربة وكان صاحب راية الحسين يوم كربلاء، وعثمان وجعفر وعبدالله قتلوا مع الحسين أمهم أم السنن بنت حرام الوحيدية ثم الكلابية، ومحمد الأصغر قتل مع الحسين أيضاً أمه أم ولد ويحيىٰ مات صغيراً وعون أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية فهما أخوان بني جعفر بن أبي طالب، وأخوا محمد بن أبي بكر لأمهم وعمر الأكبر أمه أم حبيب الصهباء الثعلبية، سباها خالد في الردة فاشتراها علي، ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وعبيدالله قتله المختار الثقفي في حرب مصعب بن الزبير، وأبو بكر قتل مع الحسين وأمهما ليلى بنت معوذ النهشلية وقيل الدرامية وهي التي تزوّجها عبدالله بن جعفر بعد عمه فجمع بين زوجة علي وابنته زينب فولدت له صالحاً وأم أبيها وأم محمد بن عبدالله بن جعفر فهم أخوة عبيدالله، وأبي بكر ابني علي لأمهما وعبدالرحمن وعمر الأصغر المشهور بالأطرف والعباس الأصغر.

وأما البنات فزينب الكبرى تزوّجها عبدالله بن جعفر ولدت له علياً وعوناً وعباساً ورقية، وماتت عند أم كلثوم الكبرى وهما شقيقتا الحسين وولدتا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ورقية شقيقة عمر الأكبر وأم الحسن تزوّجها جعدة بن هبيرة المخزومي ورملة الكبرى أمها أم سعد بنت عروة بن مسعود تزوّجها عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وأم هانىء تزوّجها عبدالرحمن بن عقيل وميمونة تزوّجها عبدالله الأكبر بن عقيل، وزينب

الصغرى تزوّجها محمد بن عقيل، ورملة الصغرى تزوّجها عبدالله الأصغر بن عقيل، وفاطمة تزوّجها سعيد بن الأسود من بني الحارث، وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر، وجمانة وأمامة تزوّجها الصلت بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وذكر بعضهم بدلها نفيسة زاد بعضهم فاخته ومسنة، وأمة الله وأم الخير لأمهات أولاد شتى وذكر اليعمري أن الذين ورثوا علياً من أولاده ثلاثة عشر ومات في حياته تسعة عشر، وذكر ابن اسحق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلى علي ابنته أم كلثوم الكبرى رضي الله عنهما فاعتل علي عليه وقال أنها صغيرة فقال عمر ما ذاك بك ولكن أردت منعي، فإن كانت كما تقول فابعثها إلى فرجع علي فدعاها فأعطاها حلة وقال انطلقي بهذه الحلة إلى عمر فأتته بها وقالت له ذلك، فأخذ عمر بذراعها فاجتبذتها منه وقالت أرسلها فأرسلها، وقال حصان كريم انطلقي فقولي له ما أحسنها وأجملها وليست والله كما قلت فزوجها إياه، وذكر أبو عمرو أن علياً قال له أبعثها إليك فإن رضيتها فقد زوجتكها فبعثها إليه ببرد، فقال لها قولي له هذا البرد الذي قلت لك فقالت ذلك لعمر، فقال قولي له قد رضيت رضى الله عنك، ووضع يده على ساقها فكشفها، فقالت أتفعل هذا لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم خرجت حتى أتت أباها فأخبرته الخبر فقالت بعثتني إلى شيخ سوء، قال يا بنية فإنه زوجك فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين في الروضة، فقال زفوني فقالوا بمن يا أمير المؤمنين، قال تزوجت أم كلثوم بنت علي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول ثم ذكر الحديث السابق في المقدمة، وفي رواية قال علي أن على أمراء حتى أستأذنهم فأتى ولد فاطمة فذكر ذلك لهم فقالوا: زوجه فدعا أم كلثوم وهي يومئذ صبية فقال: لها انطلقي إلى أمير المؤمنين، فقولي له إن أبي يقرئك السلام، ويقول لك قد قضى حاجتك التي طلبت فأخذها عمر فضمها إليه، فقال إني خطبتها إلى أبيها فزوّجنيها، فقيل يا أمير المؤمنين ما كنت تريد إليها أنها صبية صغيرة، قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول كل سبب منقطع يوم القيامة إلا سببي فأردت أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب صهر.

وفي رواية إني أحب أن يكون عندي عضو من أعضاء رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال له ما عندي إلا أم كلثوم وهي صغيرة فقال إن تعش تكبر فقال إن لها أميرين معي قال نعم فرجع علي إلى أهله وقعد عمر ينتظر ما يرد عليه فقال علي أدعو إلي الحسن والحسين فجاءا فدخلا وقعدا بين يديه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال إن عمر قد خطب الي أختكما فقلت له إن معي أميرين وإني كرهت أن أزوجها إياه حتى أوامركما، فسكت الحسين وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أباه من بعد عمر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل قال صدقت يا بني ولكن كرهت أن أقطع أمراً دونكما ثم ذكر معنى ما تقدم، وخرجه الدارقطني من حديث جعفر بن محمدعن أبيه عن جده فقال الدار قطني قرأ علي أبي محمد الحسن بن محمد بن يحيى العلوي وأنا أسمع حديث جدك، يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط قال: حدثني أبي الحسن بن جعفر عن ابراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أي علي بن الحسين السبط رضي الله عنهم أن علياً رضي الله عنه عزل بناته لولد أخيه جعفر بن أبي طالب قال فلقي عمر علياً رضي الله عنهما فقال: يا أباالحسن انكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: علي قد حبستهن لولد أخي جعفر، فقال عمر انه والله ما على وجه الأرض أحد يرصد من يحسن صحبتها ما أرصد فانكحني يا أباالحسن فقال قد أنكحتها فعاد عمر إلى مجلسه بالروضة بين القبر والمنبر حيث يجلس المهاجرون والأنصار فقال وذكر ما تقدم وزادوا أنه كان لي صحبة أحببت أن يكون معها سبب، قال السمهودي ويحيى بن الحسن جد شيخ الدار قطني، في هذا الحديث هو صاحب أخبار المدينة كان فقيهاً محدثاً بلسانه وهو أصل بيت بني مهنى أمراء المدينة من الولاة والمعزولين لأن مهنى المذكور هو ابن داود بن القاسم بن عبيدالله بن طاهر بن يحيى المذكور بل غالب من بالمدينة اليوم من أشراف بني حسين من نسله فالعجب مع هذا كيف يقبلون من الجهلة ما يلقون إليهم من تكذيب هذا، وهذا الاسناد جميعه من أهل بيته، وإنما أوجب لهم ذلك بعدهم عن مخالطة العلماء واستيلاء الجهال ممن يزعم أنه من شيعتهم عليهم فسرى ضررهم والله المستعان. وخبر تزويج علي لابنته من عمر رضي الله عنهم

لا يرتاب فيه من مارس الأخبار أدنى ممارسة انتهى، ولا يشكل تقبيل عمر لها وضمه إياه لأنه من قبيل الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حداً تشتهى حتى يحرم ولذا فعله بحضور من قال له كنت تريد أنها صبية صغيرة ولولا صغرها لما بعثها أبوها لذلك، وتزوّجها عمر رضي الله عنه على أربعين ألف درهم فولدت له زيداً ورقية ولم يعقبا ومات عنها، وتزوّجها بعده ابن عمها عون بن جعفر فمات عنها، ثم تزوجها بعده أخوه محمد فمات عنها، ثم تزوجها بعده أخوه عبيدالله بن جعفر فماتت عنده، وقيل مات عنها ولم تلد لأحد من الثلاثة شيئاً وقيل ولدت لمحمد ابنة توفيت صغيرة وذكر الدار قطني أن محمداً تزوّجها أولاً ثم عوناً ثم عبدالله وابنها زيد في وقت واحد، وكان زيد أصيب في حرب بني عدي ليلاً فخرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم في الظلمة وشجه وصرعه فعاش أياماً ثم مات، هو وأمه في وقت واحد وصلى عليهما ابن عمر قدمه الحسن بن علي وقيل صلى عليهما سعد بن أبي وقاص، وخلفه الحسن والحسين وأبو هريرة، ثم تزوّج عبدالله بن جعفر بأختها زينب بنت فاطمة فولدت له عدة أولاد منهم علي وأم كلثوم، وتزوّج ام كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، فولدت له عدة من الأولاد منهم فاطمة زوج حمزة بن عبدالله بن الزبير بن العوام، وله منها عقب وبالجملة فعقب عبدالله بن جعفر انتشر من علي وأخته أم كلثوم ابني زينب بنت الزهراء ويقال لكل من ينسب لهؤلاء جعفري ولا ريب أن لهؤلاء شرفاً، وأما الجعافرة المنسوبون لعبدالله بن جعفر فلهم أيضاً شرف لكنه متفاوت فمن كان من ولده زينب بنت الزهراء فهو أشرف من غيره مع كونه لا يوازي شرف المنسوبين للحسين لمزيد شرفهما والعقب من الامام علي في خمسة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس الأكبر ابن الكلابية وعمر الأكبر بن الثعلبية والعقب من فاطمة الزهراء رضي الله عنها في الحسنين وزينب.

وذكر الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية ان أولاد زينب من أولاد عبدالله بن جعفر من آل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالاجماع، وأنهم من ذريته وأولاده بالاجماع وأن الزكاة تحرم عليهم بالاجماع لأنهم من الآل وأنهم يستحقون سهم ذوي القربى بالاجماع،

وأنهم يستحقون من بركة الحبش بالاجماع لأن بركة الحبش وقفت نصفين النصف الأوّل على الأشراف وهم أولاد الحسن والحسين، والنصف الثاني على الطالبيين، وهم ذرية علي بن أبي طالب من محمد بن الحنفية واخوانه، وذرية جعفر وذرية عقيل، انتهى.

﴿وأم الحسين فاطمة الزهراء﴾

البتول سيدة نساء العالمين ولدت رضي الله عنها قبل النبوة بخمس سنين أيام بناء البيت، روى الدولابي ان العباس دخل على علي وفاطمة وهما يتراجعان في مواليدهما فقال العباس ولدت يا علي قبل بناء الكعبة بسنوات وولدت فاطمة وهي تبنى وقيل ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك وتزوجها علي رضي الله عنهما في صفر، وقيل في رجب في السنة الثانية من الهجرة وقيل بعد أحد، وقيل بعد بنائة عليه الصلاة والسلام بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها في ذي الحجة وقيل في صفر فبين البناء والتزويج تسعة وقيل سبعة أشهر ونصف وكان تزويجها بأمر الله تعالى ووحيه ولم يتزوّج علي عليها غيرها حتى توفيت، كأمها خديجة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها حتى توفيت، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا بنتهم على بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا ان يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم وإني لست أحرم حلالاً ولا أحلل حراماً ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله أبداً.

وفي رواية فان فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذني ما آذاها، وإني أتخوف ان تفتن دينها، وعن سويد بن غفلة قال خطب علي بنت أبي جهل فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أعن حسنها تسألني فقال لا ولكن أتأمرني بها قال: «لا فاطمة بضعة مني ولا أحسب إلا أنها تحزن أو تجزع فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن علياً خطب بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إليه رسولاً

«إن كنت تؤذينا فرد علينا ابنتنا» قال بعضهم أصح ما تحمل عليه هذه القضية أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم على علّي ان يجمع بين ابنته وغيرها لأن ذلك يؤذيه لكونه يؤذيها وايذاؤه صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق، وقال الحافظ ابن حجر: الذي يظهر أنه لا يبعد أن يعد من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يتزوج على بناته، ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بفاطمة، ولما هاجر صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه إلى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد، وقال صلى الله عليه وسلم «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون». وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة وابناك سيدي شباب أهل الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران». وعن عمران بن حصين قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت فاطمة فوقعت بين يدية فنظر إليها وقدذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة عليها من شدة الجوع فرفع يده حتى وضعها على صدرها في موضع القلادة وفرج بين أصابعه ثم قال: «اللهم مشبع المجاعة ورافع الوضيعة ارفع جوع فاطمة بنت محمد» قال عمران: فسألتها بعد فقالت ما جعت بعد يا عمران، وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة: ان الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك، وقال صلى الله عليه وسلم: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين». وقال صلى الله عليه وسلم: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران».

وقال صلى الله عليه وسلم: «أحب أهلي إلي فاطمة»، وقال صلى الله عليه وسلم: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين»، وقال صلى الله عليه وسلم: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة». وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما فاطمة بضعة منى يؤذيني ما يؤذيها وينصبني ما ينصبها». وقال صلى الله عليه وسلم: «فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها». وقال صلى الله عليه وسلم: «فاطمة بضعة مني فمن أعضبها أغضبني». والبضعة بفتح الباء الموحدة. وحكي ضمها وكسرها أيضاً وسكون المعجمة القطعية جمعها بضع وبضعت الشيء قطعته ومنه البضع والبضع قطعة من

العدد والبضاعة قطعة من المال واستدل السهيلي بذلك على أن من سبها رضي الله عنها كفر وابن أبي داود على أنها أفضل من أمها خديجة ومن عائشة. وقال صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم». وقال صلى الله عليه وسلم: خير نسائها فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم: «سيدة نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون». وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق». وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش أيها الناس غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة إلى الجنة». وقال صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم القيامة قيل يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمر وعليها ربطتان خضراوان». - وفي رواية - حلتان حمراوان. وقال صلى الله عليه وسلم: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذريتها على النار». وروي مرفوعاً «إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة». وفي رواية «لأن الله فطمها ومحبيها عن النار». وسميت بتولاً لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً وقيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى، وسميت الزهراء لأنها لم تحض كما قال صلى الله عليه وسلم: «ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث». وعن أسماء قالت: «اقبلت فاطمة بالحسن فلم أر لها دماً فقلت: يا رسول الله لم أر لفاطمة دماً في حيض ولا ولادة، فقال صلى الله عليه وسلم «أنا علمت ان ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة». وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت احد أشبه سمتاً ودلا وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنته فاطمة في قيامها وقعودها، وكانت إذا دخلت عليه قام اليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها، وقال أيضاً ما رأيت أحداً

أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، وما رأيت أحداً أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها صلى الله عليه وسلم، وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فاطمة تمشي ما تخطىء مشيتها مشية أبيها صلى الله عليه وسلم. فقال «مرحباً بابنتي». فأقعدها عن يمينه فسارّها بشيء فبكت ثم سارّها فضحكت، فقلت لها: أخبريني بم سارّك قالت ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره، فلما توفي قلت لها أسألك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني بم سارك؟ فقالت: أما الآن فنعم سارني «أن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي فاتقي الله واصبري فنعم السلف أنا لك» فبكيت، ثم سارني فقال «أما ترضين أن تكون سيدة نساء المؤمنين» فضحكت وعن أم سلمة قالت: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة عام الفتح فناجاها فبكيت، ثم حدثها فضحكت، فلما توفي سألتها: قالت أخبرني أنه يموت فبكيت، ثم أخبرني اني سيدة نساء أهل الجنة فضحكت إلا مريم بنت عمران.

وعن عمران بن حصين قال عاد النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وهي مريضة فقال لها: «كيف تجدينك» قالت: إني وجعة وأنه ليزيدني أني ما لي طعام آكله قال يا بنية أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين قالت فأين مريم قال تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك أما والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة». وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم سارها في وجعه فبكت، ثم دعاها فسارها ثانياً فضحكت، قالت عائشة: فسألتها عن ذلك. فقالت: سارني أنه يقبض في وجعه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت، ولم يسند لها في الصحيحين غير هذا وهو مذكور في مسند عائشة لاشتراكهما في الرواية، اهـ. وعن علي انه قال لفاطمة رضي الله عنهما ذات يوم: والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله آباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى نحلت يداي فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما جاء بك أي بنية» فقالت: جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال ما فعلت

قالت استحييت أن أسأله، فأتياه جميعاً فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى نحلت يداي وقد جاءك الله تعالى بسبي وسعة فأخدمنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «والله لا أعطيكما وأدع اهل الصفة تطوي بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما كشفت رؤسهما فثارا فقال: «مكانكما»، ثم قال: «ألا أخبركما بخير مما سألتماني» قالا بلى. فقال كلمات علمنيهن جبريل تسبحان في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين» قال فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له ابن الكرا ولا ليلة صفين قال نعم ولا ليلة صفين. قال الحافظ السيوطي في الثغور الباسمة في مناقب سيدتنا فاطمة، هذا حديث مشهور صحيح رواه الأئمة الستة وغيرهم من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة مطولة ومختصره وأطال في بيان ذلك رحمه الله تعالى قال وجميع ما روته فاطمة رضي الله عنها من الحديث لا يبلغ عشرة أحاديث لتقدم وفاتها، فمما روته حديث المسارة السابق من رواية عائشة وأم سلمة عنها رضي الله عنهن، وحديث القول عند دخول المسجد رواه الترمذي وابن ماجه من رواية فاطمة الصغرى عنها مرسلاً. وقد ثبت اتصاله من طريق آخر عن أم أيمن عنها وحديث ألا لا يلومن امرؤ الا نفسه يبيت وفي يده رمح عمر أخرجه ابن ماجه من رواية ابنها الحسين وحديث ترك الوضوء مما مسته النار أخرجه أحمد من رواية الحسن بن الحسين عنها مرسلاً، وحديث ساعة الاجابة في يوم الجمعة، وأنها إذا تدلت للغروب، أخرجه البهيقي في الشعب وقد أخرجه أحمد عن محمد بن علي قال: كتب الى عمر بن عبدالعزيز أن أنسخ له وصية فاطمة فكان في وصيتها الستر الذي يزعم الناس أنها أحدثته وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فلما رآه رجع وأخرج ابن ابي مليكة قال كانت فاطمة تعفر الحسن، وتقول هو شبيه برسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شبيهاً بعلي وكذا عن جابر بن سعد قال أخبرتني فاطمة: أنها رأت في منامها أنها أنكحت أبا بكر ونكح علي أسماء بنت عميس وكانت بنت عميس

تحت أبي بكر فتوفي أبو بكر، وتوفيت فاطمة، فنكح علي أسماء بنت عميس، ومما ينسب لفاطمة من الشعر قولها ترثي أباها صلى الله عليه وسلم أورده ابن سيد الناس في سيرته.

اغبّر آفاق السماء وكورت	**شمس النهار وأظلم العصران**
فالأرض من بعد النبي كئيبة	**أسفاً عليه كثيرة الرجفان**
فليبكه شرق البلاد وغربها	**ولتبكه مصر وكل يمان**
وليبكه الطود المعظم قدره	**والبيت ذو الأستار والأركان**
يا خاتم الرسل المبارك صنوه	**صلى عليك منزل القرآن**

انتهى.

قال ابن عبدالبر وفاطمة وأم كلثوم أفضل بنات النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه وإذا أراد سفراً يكون آخر عهده بها، وإذا قدم من سفر أول ما يدخل عليها. انتهى. وتوفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة، فمكثت بعد أبيها صلى الله عليه وسلم وعليها نحو ستة أشهر على الأشهر وقيل ثمانية وقيل ثلاثة أشهر وقيل سبعين يوماً وقيل شهرين. ولما توفي صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت له من يرثك قال أهلي وولدي فقالت: ومالي لا أرث أبي، فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نحن معشر الأنبياء لا نورث» ولكني أعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله، وانفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق عليه، فوجدت على أبي بكر في ذلك فهجرته فخرج أبوبكر حتى قام على بابها في يوم حار، ثم قال لا أبرح من مكاني حتى ترضى عني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عليها علي فاقسم عليها لترضى فرضيت، ولما مرضت عادها أبوبكر فقال لها علي هذا أبو بكر يستأذن عليك قالت أتحب أن آذن له؟ قال: نعم فأذنت له، فدخل عليها فرضاها فرضيت عنه رضي الله تعالى عنهم أجمعين، واختلف في سنها يوم توفيت، فقيل: ثمان وعشرون وقيل أربع وعشرون وقيل إحدى وعشرون وقيل ست وعشرون، وقيل سبع وعشرون،

وقيل تسع وعشرون وقيل ثلاثون، وقيل ثلاث وثلاثون. وقيل خمس وثلاثون والخلاف في عمرها بحسب الخلاف في ميلادها.

وغسلها علي كرم الله وجهه وأسماء بنت عميس بوصية منها فقد روي أن فاطمة رضي الله عنها قالت: لأسماء بنت عميس إني أستقبح ما يفعل النساء يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت يا ابنة رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل، إذا أنامت فغسليني أنت وعلي ولا يدخلن عليّ احد. وعن أم سلمة قالت: اشتكت فاطمة رضي الله عنها فكنت أمرضها، فأصبحت يوماً وخرج علي لبعض حاجته فقالت: يا أمة اسكبي فسكبت لها غسلاً فاغتسلت، كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت: يا أمه اعطني ثيابي الجدد فلبستها، ثم قالت يا أمه قرّبي فراشي وسط البيت فاضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدها، وقالت يا أمه إني مقبوضة الآن، وقد طهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها فجاء علي فأخبرته، فقال: لا والله لا يكشفها أحد فدفنها بغسلها. ذلك قال ابن عبد البر فهي اول من غطى نعشها في الإسلام على تلك الصفة. ثم بعدها زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وصلى عليها العباس وقيل أبو بكر، ونزل قبرها علي والعباس وابنه الفضل ودفنها علي ليلاً بوصية منها، واختلف في محل دفنها واشهر أنه في البقيع في قبة أهل البيت قرب محرابها. وذكر جمع ان الحسن دفن إلى جنب أمه فاطمة وقبر الحسن مشهور معروف وذكر المجد الشيرازي في تاريخ المدينة ان الشيخ أبا العباس المرسي رحمه الله تعالى كان يسلم على فاطمة أمام قبة العباس ويذكر انه كشف له عن قبرها هناك قال العلماء وانقرض نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من فاطمة لأن أمامة بنت بنته زينب تزوجت بعلي ثم بعده بالمغيرة بن نوفل وجاءه منها أولاد. قال الزبير بن بكار: وانقرض من كان من عقب زينب.

وبناته صلى الله عليه وسلم أربع بالإتفاق، والصحيح أو أول بناته صلى

الله عليه وسلم زينب، ثم الثانية رقية ثم الثالثة أم كلثوم ثم الرابعة فاطمة رضي الله عنهن، وكلهن أدركن الاسلام وهاجرن، فأما زينب فهي أكبر بناته قيل بلا خلاف الا ما شذ، وإنما الخلاف فيها وفي القاسم أيهما ولد أوّلاً وعند ابن اسحق انها ولدت في سنة ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وتزوجت بابن خالتها أبي العاص لقيط، وقيل بهشيم بن الربيع بن عبدالعزّى بن عبدشمس، وهاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبي صلى الله عليه وسلم له بالنكاح الأوّل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة فيما ذكره ابن عقبة، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع، وولدت له علياً مات صغيراً وقد ناهز الحلم، وكان رديف جده رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له ايضاً امامة التي حملها النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح على عاتقه، وكان إذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود اعادها، وتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة رضي الله عنهم، وماتت زينب عند زوجها أبي العاص سنة ثمان من الهجرة،.

وأما رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم فولدت سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وذكر الزبير بن بكار وغيره أنها أكبر بناته صلى الله عليه وسلم، وصححه الجرجاني النسابة، والأصح الذي عليه الأكثرون ان أكبرهن زينب، كما تقدم وتزّوجها عتبة بن أبي لهب وأختها أم كلثوم تحت أخيه عتيبة بن أبي لهب فلما نزلت تبت يد أبي لهب قال لهما أبوهما رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما، فتروج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجر بها الهجرتين إلى أرض الحبشة، وكانت ذات جمال بارع، وذكر الدولابي أن تزويجه بها كان في الجاهلية والأصح أنه كان بعد الاسلام، وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم ببدر وبعث صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة بشيراً بها أول يوم من شوال فوصل المدينة ضحى، وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية، وعن ابن عباس عزيًّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برقية فقال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرّجه الدولابي هذا هو الصحيح في وفاة رقية، وقد روي أنه عليه الصّلاة والسلام شهد دفن بنته

رقية فقعد على قبرها ودمعت عيناه، وقال: «أيكم لم يقارف الليلة». فقال أبو طلحة أنا فأمره ان ينزلها قبرها وأنكر البخاري هذه الرواية وخرج الحديث في الصحيح فقال فيه عن انس شهدناه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث، ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبراني أنها ام كلثوم فحصل في حديث الطبراني التبيين ومن قال كانت رقية فقد وَهِم.

وأما أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرف لها اسم إنما تعرف بكنيتها فقد تزوجها عتيبة بن أبي لهب وفارقها قبل الدخول كما مر قريبا ويروى: أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كفرت بدينك أو فارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبك. ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما أني أسأل الله تعالى أن يسلط عليك كلبه». وفي رواية «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» وأبو طالب حاضر فوجم لها فقال ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي فخرج في نفر من قريش حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزرقاء ليلاً، فطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا عليّ محمد أقاتلي ابن أبي كبشة، وهو بمكة وأنا بالشام فعدا عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه فقدعه، وفي رواية: فجاء الأسد فجعل يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال: قتلتني ومات، وفي رواية أن الأسد أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة فقدعه، ذكره الدولابي، ولما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا عمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك» قال: نعم. يا نبي الله قال: تزوّجني ابنتك وأزوّج عثمان ابنتي، فتزوج عثمان بأم كلثوم سنة ثلاث من الهجرة. وقال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل أخبرني أن الله يأمرني أن أزوجها. وماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليه الصلاة والسلام عليها. ونزل في حفرتها علي والفضل وأسامة بن زيد، وفي البخاري جلس صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة قال أبو طلحة أنا فقال انزل قبرها فنزل وقد روى ذلك في رقية وهو وهم فانه عليه الصلاة والسلام

كان حال موتها في غزوة بدر كما مر، وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب وشهدت أم عطية غسلها وروت قوله صلى الله عليه وسلم: «أغسلنها ثلاثا أو خمساً أو سبعاً أو أكثر من ذلك إن رأيتن بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً فإذا فرغتن فآذنني»، فلما فرغنا آذناه فألقى علينا حقوه وقال أشعرنها إياه قالت ومشطناها ثلاثة قرون وألقيناها خلفها، قال: «والحقوا الإزار واشعرنها - أي اجعلنه شعارها - الذي يلي جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار وقال: صلى الله عليه وسلم لعثمان لما ماتت أم كلثوم: «لو كان عندي ثالثة لزوجتكها، وفي رواية لو أن لي أربعين بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهم واحدة» وفي رواية «لو أن عندي مائة بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى بعد أخرى ولم يعلم أن أحداً أرسل ستراً على بنتي نبي غير عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن ثم يقال «له ذو النورين».

﴿وأما بنوه صلى الله عليه وسلم﴾

فالمتفق عليه اثنان القاسم وابراهيم واختلفوا في ستة عبد الله والطيب والطاهر والمطيب والمطهر وعبد مناف، وقيل أن عبدالله يقال له الطيب والطاهر وهو قول أكثر أهل النسب سمي بذلك لأنه ولد بعد النبوة. وقيل أن الطيب والمطيب ولدا في بطن، والطاهر المطهر ولدا في بطن قيل وكلهم سوى عبد مناف ولدوا في الاسلام بعد المبعث، وقال ابن إسحق كلهم غير ابراهيم قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام وهم يرتضعون، فتحصل من جميع الأقوال أنهم ثمانية ذكور والأصح أنهم ثلاثة ذكور.

(وأما القاسم) فهو أول ولد ولد له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبه يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين وقال مجاهد مكث سبع ليال، وخطأه العلائي في ذلك وقال الصواب أنه عاش سبعة عشر شهراً، وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة ومات قبل المبعث وفي مستدرك الغريابي ما يدل على أنه توفي في الاسلام وهو أول من مات من ولده عليه السلام.

(وأما عبدالله) ويقال له الطيب والطاهر على الصحيح السابق، فاختلف هل ولد قبل النبوّة أو بعدها ولد لما قال العاص ابن وائل للنبي صلى الله عليه وسلم قد انقطع ولده فهو أبتر، ونزل قوله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرَ﴾.

(وأما ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة قيل: بالعالية وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأن مارية ولدت غلاماً فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشره به فوهب له عبداً، وعق عنه

يوم سابعه بكبشين وحلق رأسه أبو هند وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ، وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن، وفي البخاري من حديث أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم، قال: ولد لي الليلة غلام سميته باسم أبي ابراهيم». وعن أنس أنه قال: لما ولد ابراهيم جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا أبا ابراهيم، وجمع بين هذا وما مر بأن التسمية كانت يوم الولادة ثم أظهرها يوم السابع وحملوا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمر بتسمية المولود يوم السابع على أن المراد أنها لا تؤخر عن السابع لا أنها لا تكون إلا فيه بل هي مشروعة من يوم الولادة إلى يوم السابع وتنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه، فانهم أحبوا أن يفرغوا مارية للنبي صلى الله عليه وسلم. فأعطاه صلى الله عليه وسلم لأم بردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري زوجة البراء بن أوس، فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني مازن بن النجار. وترجع به إلى أمه وأعطى صلى الله عليه وسلم أم بردة قطعة نخل، وكان صلى الله عليه وسلم يأتي إلى أم بردة فيقيل عندها ويؤتى بابراهيم، وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم دفعه إلى أم سيف امرأة قين في المدينة يقال له أبو سيف الحديث، وفيه أنه بقي عندها إلى أن مات. والقين الحداد فيحتمل أنه يكون أعطاه أوّلا لأم بردة بنت المنذر، ثم أعطاه أم سيف، وبقي عندها إلى أن توفي لكن قد روي أنه توفي عند أم بردة فنرجع إلى التصحيح في الترجيح، وقال في الخميس يشتبه أن تكون أم سيف هي أم بردة بنت المنذر انتهى. وعن أنس بن مالك قال: ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره فينا فيأخذوه ويقبله ثم يرجع الحديث. وغارت نساء الرسول صلى الله عليه وسلم واشتد عليهن حين رزق منها الولد، وفي حديث جابر أخذ صلى الله عليه وسلم بيد عبدالرحمن بن عوف فأتى به إلى النخل فإذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه، ثم قال: «إنَّا بك يا ابراهيم لمحزونون» تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب». وتوفي يوم الثلاثاء لعشر خلون من ربيع الأول في السنة العاشرة وفي صحيح البخاري. توفي ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

وله سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً إلا ثمانية أيام وقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام وقيل سبعون يوما وغسله الفضل بن العباس وأبو بردة ورسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس جالسان ثم حمل على سرير صغير وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع، وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون، وروي عن عائشة أنها قالت دفنه عليه السلام ولم يصل عليه فيحتمل أن يكون لم يصل عليه بنفسه وأمر أصحابه أن يصلوا عليه أو لم يصل عليه في جماعة ونزل قبره الفضل وأسامة والنبي صلى الله عليه وسلم على شفير القبر والعباس على جنبه ورش قبره، وهو أوّل قبر رش وقال صلى الله عليه وسلم «إن له مرضعاً في الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم إن ابراهيم ابني وأنه مات في الثدي وأن له لظئرين يكملان رضاعه في الجنة» وانكسفت الشمس يوم موته فقال الناس انكسفت لموت ابراهيم، فقال عليه السلام «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد».

قيل والغالب أن الكسوف يكون يوم الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين فكسفت يوم موت ابراهيم في العاشر فلذلك قالوا كسفت لموته، وروي من حديث أنس بن مالك،أنه قال: لو بقي يعني ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم لكان نبياً ولكن لم يبق لأن نبيكم آخر الأنبياء. أخرجه أبو عمر قال الطبري وهذا إنما يقوله أنس عن توقيف يخص ابراهيم وإلا فلا يلزم أن يكون ابن النبي نبياً بدليل ابن نوح عليه السلام. قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات وأما ما روي عن بعض المتقدمين: لو عاش ابراهيم لكان نبياً فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم. انتهى. قال السخاوي في المقاصد ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده لا أدري ما هذا فقد ولد لنوح غير نبي، ولو لم يلد النبي إلا نبياً لكان كل أحد نبيا لأنهم من ولد نوح انتهى. قال الحافظ ابن حجر ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره النمري لما لا يخفى، وكأنه سلف النووي وقال أيضاً عقب كلام النووي أنه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة، قال وكأنه لم يظهر له وجه تأويله فقال في إنكاره ما قال وجوابه أن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع ولا يظن بالصحابة الهجوم على مثل هذا بالظن، قال الحافظ السخاوي والطرق

الثلاثة، أحدها ما أخرجه ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه وقال: إن له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقاً نبياً ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط، وما استرق قبطي، ثانيها ما رواه ابراهيم السدي عن أنس قال كان ابراهيم قد ملأ المهد ولو بقي لكان نبيا الحديث، ثالثها ما عند البخاري عن اسمعيل بن أبي خالد قال قلت لعبد الله بن أبي أوفى رأيت ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، قال مات صغير أو لو قضى بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم، ولكن لانبي بعده انتهى.

﴿وأم أولاد النبي صلى الله عليه وسلم﴾

خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها من العمر نحو أربعين سنة، وقيل خمس وعشرون، وعايه الأكثر وقيل ثلاثون وكانت تحت أبي هالة النباش بن أبي زراره التميمي، فولدت له ابنين هندا وهالة ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وكانت خديجة عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها، وأصدقها عشرين بكرة وذكر الدولابي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أصدق خديجة اثنتي عشرة أوقية ذهب، ونشا قالوا وكل أوقية أربعون درهما والنش نصف أوقية وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب، فقال الحمدلله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئي معد وعنصر مضر وجعلنا حصنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجرجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمد بن عبدالله لا يوزن برجل إلا رجح به فإن كان في المال فلا فإن المال ظل زائل وأمر حائل، ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل، فزوجها والضئضئى الأصل وحضنة بيته أي الكافلين له والقائمين بخدمته وسواس حرمه أي متولين أمره وقد كانت خديجة كما قدمته أول من آمن من الناس، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد هذه خديجة قد أتتك باناء فيه طعام أو إدام أو شراب فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لأصخب فيه ولا نصب. والقصب اللؤلؤ المجوف وكان

صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئاً من رد عليه وتكذيب له عليه السلام فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس، وروي أن آدم عليه السلام قال أني لسيد البشر يوم القيامة إلا رجلاً من ذريتي نبيا من الأنبياء يقال له أحمد فضل علي باثنتين زوجته عاونته وكانت له عوناً وكانت زوجتي عونا علي، وأعانه الله على شيطانه فأسلم وكفر شيطاني، وقال صلى الله عليه وسلم: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وهي عائشة أفضل أمهات المؤمنين». وفي أفضلهما خلاف والذي دحجه ابن العماد والولي العراقي وشيخ الاسلام وغيرهم تفضيل خديجة لماثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لما قالت له قد رزقك الله خيراً منها فقال: لا والله ما رزقني خيراً منها آمنت بي حين كذبني الناس. وأعطتني مالها حين حرمني الناس». ولأن عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو امامة بن النقاش أن سبق خديجة ومآثرها في أول الاسلام وموازرتها ونصرها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ومآثر عائشة في آخر الاسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة، وادراكها من الأمة مما لم يشاركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها. والأصح أن فاطمة أفضل من خديجة ومن عائشة لأنها بضعة منه صلى الله عليه وسلم فلا يعادل البضعة الشريفة شيء، وأما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم آسية امرأة فرعون فأجاب عنه ابن العماد بأن خديجة إنما فضلت فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة، واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من أنها في الآخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي فيها قال السبكي رحمه الله الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم. أفضل، ثم أمها خديجة، ثم عائشة واستدل لذلك بما تقدم وماتت خديجة رضي الله عنها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح في شوال وقيل في رمضان في السنة العاشرة من المبعث وهي ابنة خمس وستين سنة ولم

يكن يومئذ يصلى على الجنازة ودفنت في الحجون ومدة مقامها مع النبي صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون سنة وقيل أربع وعشرون سنة. وأما أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي مارية القبطية بنت شمعون بفتح المعجمة أهداها جريج بن مينا المشهور بالمقوقس صاحب مصر والاسكندرية، واهدى معها أختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون التحتية وكسر الراء. وبالنون آخرها، وجاريتين آخريتين وخصيا يقال له مأمور وألف مثقال من الذهب وعشرين ثوبا لينا من قباطي مصر وفرسا يقال له لزاز، وبغلة شهباء، وهي دلدل بدالين مهملتين مضمومتين، وحماراً أشهب وهو عفير بضم المهملة، ويقال له يعفور وقيل متغايران وعسلا من عسل بنها وقدحا من قوارير، وبعث المقوقس كل ذلك مع حاطب بن أبي بلتعة فعرض حاطب الاسلام على مارية، ورغبها في الاسلام فأسلمت هي وأختها وأقام الخصي على دينه حتى أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لم يسلم، ووهب صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان وأعجبه صلى الله عليه وسلم العسل، ودعا في عسل بنها بالبركة، قال ابن الأثير وبنها بكسر الباء وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في عسلها والناس يفتحون الباء انتهى. وماتت مارية في خلافة عمر رضي الله عنهما سنة ست عشر ودفنت بالبقيع.

﴿وأبو فاطمة محمد صلى الله عليه وسلم﴾

النبي العربي القرشيّ الهاشميّ الحرْمي الأبطحي المنتخب من خير بطون العرب، وأعرقها في النسب. وأشرفها في الحسب، وهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس، قال صلى الله عليه وسلم لجابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، ولما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية، من الأنوار الصمدية، في الحضرة الأحدية. ثم سلخ منها العوالم كلها على صورة حكمية كما سبق في سابق ارادته، ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وإن تأخرت طينته فقد عرفت قيمته، فهو خزانة السر، وموضع نفوذ الأمر، وحملت به أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة في رجب ليلة الجمعة، وقيل يوم الاثنين أيام منى، وظهر لحمله صلى الله عليه وسلم عجائب، ووجد لايجاده غرائب، ولما تم لها من حملها شهران توفي أبوه عبدالله، وقيل توفي وهو في المهد، وقيل وهو ابن شهرين، وقيل ابن سبعة، وقيل ابن ثمانية وعشرين شهراً. والراجح هو الأول وعن ابن عباس لما توفي عبدالله قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما فقال الله تعالى أنا له حافظ ونصير وذكر العلماء في حكمة ذلك ما لا نطيل بذكره. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «ارحموا اليتامى واكرموا الغرباء وأني كنت في الصغر يتيمًا وفي الكبر غريبا». واختلف في عام ولادته فالأكثرون على أنه عام الفيل والمشهور أنه بعد الفيل بخمسين يوما، وقيل بأربعين يوما، وقيل بشهر، وقيل غير ذلك، وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وقيل غير ذلك، واختلف في

الشهر الذي ولد فيه والمشهور أنه ربيع الأوّل وقيل في ربيع الثاني، وقيل في صفر، وقيل في رجب، وقيل في رمضان، واختلف في اليوم فقيل أنه غير معين. وإنما ولد يوم الاثنين، وقيل لليلتين خلتا من ربيع الأول، وقيل لثمان وهو اختيار أكثر المحدثين، وقيل لعشر وقيل لاثني عشر وهو المشهور الذي عمل أهل مكة وغيرهم عليه واختلف في الوقت الذي ولد فيه والمشهور أنه يوم الاثنين عند طلوع الفجر، وقت طلوع الغفر لعشرين مضت من برج الحمل ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان، وقيل ولد ليلا واختلف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة أشهر وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة وولد عليه السلام في محل المولد المشهور بمكة. في سوق الليل، آخر شعب بني هاشم، وقيل بردم بني جمح، وليس هو الردم المسمى الآن بالمدعَى لأن هذا إنما كان في خلافة عمر، وقيل بعسفان ولم يعول عليه أئمتنا، بل قالوا يجب الايمان بأنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة وهذا أول واجب للأولاد على أصولهم بل قيل أن إنكار ذلك كفر كانكار كونه صلى الله عليه وسلم قرشيا، وأول من أرضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة أبي لهب أعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام، ولا زال الناس يحتفلون بشهر مولده صلى الله عليه وسلم ويعملون الولائم، ويظهرون السرور ويقرؤن مولده الكريم، ومما جرب من خواصه أنه أمان في ذلك العام. وكتب الله في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة، فأخذته وخرجت به إلى منازل بني سعد، ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز بالحسنى وزيادة وشق صدره الشريف عندها وعند مجيء جبريل له بالوحي، وعند الاسراء، ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل خمسا، وقيل ستا، وقيل سبعا، وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرا وعشرة أيام، خرجت به أمه إلى أخواله بني النجار بالمدينة، وأقامت عندهم شهراً وكان نزولهم في دار النابغة، وكان صلى الله عليه وسلم يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك ونظر إلى الدار فقال ههنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وبهذا المذكور في المواهب. وغيرها يعلم رد قول بعضهم، وقد سئل هل عام صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لأنه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم سافر ولا بالحرمين بحر، فماتت أمه بالأبواء، وقيل بشعب بني ذئب بالحجون، وفي القاموس

ودار رابعة بمكة فيها مدفن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أسماء بنت وهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه السلام غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه، ثم قالت:

بارك الله فيك من غلام ... يا ابن الذي من حرمه الحمام
نجا بعون الملك المنعام ... فدى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام ... إن صح ما أبصرت في المنام
فانت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام ... فالله أنهاك عن الأصنام
إن تواليها مع الأقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال، وكل كثير يفنى وأنا ميتة وذكرى باق، وقد تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك.

نبكي الفتاة البرة الأمينة ... ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبدالله والقرينة ... أم نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة ... صارت لدى حفرتها رهينة

قال الحافظ السيوطي في مسالك الحنفاء، وقولها تبعث بالتحقيق كذا هو في النسخة وعندي أنه تصحيف وانما هو بالتخفيف، ومات جده عبد المطلب كافله وله صلى الله عليه وسلم ثمان سنين، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل غير ذلك، وكفله أبو طالب واسمه عبدمناف، وهو شقيق عبدالله، ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته، وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود فرده، ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة خرج ومعه ميسرة غلام خديجة بنت خويلد، في تجارة لها في ذي الحجة، حتى بلغ سوق بصرى وقيل سوق حباسة وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من

الشمس، ولما رجع إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكين يظلانه فتزوجها بعد ذلك بنحو شهرين، وقيل سنه احدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين كما مر. ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة خافت قريش أن تهدم الكعبة السيول فبنوها، وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة، ولما بلغ أربعين سنة وقيل وأربعين يوماً، وقيل وعشرة أيام، وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لأربع وعشرين ليلة وقيل لثمان من ربيع الأول سنة احدى وأربعين من الفيل، وقيل في أول ربيع بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وأول ما بدىء به من الوحي الرؤ يا الصادقة في النوم، وكان يأتي حراء فيتحنث أي يتعبد، فجاءه الملك وهو في غار حراء وكان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه بتحية النبوّة السلام عليك يا رسول الله، والصحيح أن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن اقرأ، وذكر ابن عادل في تفسيره أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة.

وعن الشعبي أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن فلما مضت الثلاث قرن بنبوته جبريل فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنه، رواه ابن سعد والبيهقي فقد تبين أن نبوته عليه السلام كانت متقدمة على ارساله ثم فرض الله تعالى عليه من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل، ثم نسخه بما في آخرها بايجاب الصلوات الخمس، ودخل الناس في الإسلام أرسالاً، وكان صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس يدعوهم إلى الاسلام، وكانت قريش تؤذيه بأشد الأذى ورموه بالشعر والكهانة والجنون، وأقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ليردوهم عن دينهم، وفي سنة خمس من النبوة أذن صلى الله عليه وسلم في الهجرة إلى الحبشة، فهاجر أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وقيل أكثر وذلك في رجب، وفي سنة ست أسلم حمزة بن عبد المطلب فعزبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلاً، وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: «لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

وفي سنة سبع اجتمعت قريش وتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب، أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده وعلقوا الصحيفة في الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب في شعبهم إلا أبا لهب وقدم نفر من مهاجرة الحبشة، لما بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا وصلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأ ﴿وَالنَّجمِ إذا هَوَى﴾، ثم هاجر المسلمون الثانية إلى الحبشة، ثم قام رجل في نقض الصحيفة فأطلع الله نبيه عليه السلام أن الأرضة أكلت الصحيفة ولم تدع إلا اسم الله تعالى وذلك في السنة العاشرة وفيها مات أبو طالب وله سبع وثمانون سنة ثم بعده بثلاثة أيام ماتت خديجة رضي الله عنها، ثم تزوج صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة، ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف في شوال سنة عشر من النبوّة لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب فأقام به شهرا يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وانصرف عنهم، ونزل نخلة وهو موضع على مرحلة من مكة صرف إليه سبعة نفر من جن نصيبين مدينة بالشام، وهو يصلي في جوف الليل وفي طريقه عليه السلام هذه دعا بالدعاء المشهور اللهم إليك أشكو ضعف قوتي الخ، ثم دخل مكة في جوار المطعم ابن عدي. وفي ربيع الأول أسرى بروحه وجسده يقظة ورأى ربه بعيني رأسه وأوحى إليه ما أوحى وفرض عليه الصلوات الخمس، وقيل في ربيع الثاني وقيل في رجب وجزم به النووي في الروضة تبعا للرافعي وقيل في رمضان وقيل في شوال وقيل كان بعد المبعث بخمس سنين ثم لقي صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الخزرج عند العقبة فدعاهم فاسلموا وفي العام القابل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية وبايعوه بيعة النساء، وبعث إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه خلق كثير ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة سبعون رجلاً وامرأتان وبايعوه على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود، ونقب عليهم اثني عشر نقيباً، ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالهجرة فخرجوا أرسالاً. ثم اجتمع قريش في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمره عليه السلام وحضرهم ابليس في صورة شيخ نجدي فاجتمع رأيهم على قتله، وأتى

جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه صلى الله عليه وسلم يرصدونه فأمر عليا فنام مكانه، ثم خرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم، ثم أذن له في الهجرة فخرج لهلال ربيع الأول ومعه أبو بكر الصديق، ولحق بغار ثور واستأجر عبد الله بن الأريقط دليلا ولم يعرف له إسلام فدفعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما بهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق الساحل فمروا بقديد على أم معبد، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة خلفها الجهد عن الغنم ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فدرت ودعا بإناء فجلب فيه وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب عللاً بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فجاء زوجها أبو معبد فلما رأى اللبن عجب، فقال أني لك هذا والشاة عازب حيال ولا حلوب فقالت مر بنا رجل ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزدريه صلعة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل، أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع وفي لحيته كثافة إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء وكأن منطقه خرزات نظمن ينحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر أجهر الناس، وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب ربعه لا يشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا القوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند، فقال والله هذا صاحب قريش لو رأيته لاتبعته. (قولها الثجلة) بفتح المثلث وسكون الجيم عظيم البطن ويروى بالنون والهاء أي نحول (والصلعة) بفتح الصاد صغير الرأس (والوطف) كثرة شعر الحاجبين والعينين (والصحل) هو كالبحة بضم الموحدة أن لا يكون حاد الصوت والحور بالتحريك شدة بياض العين وسواد سوادها، والكحل بفتحتين سواد أجفان العين خلقة (والأزج) الدقيق طرف الحاجبين وفي القاموس الزجج دقة الحاجبين في طول والأقرن المقرون الحاجبين (والسطع) بفتحتين أي ارتفاع وطول (وفصل) بالصاد المهملة (لأنزر) بسكون المعجمة (لا هذر) بفتحها أي بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل (لا يشنؤه من طول) أي لا ينقص لفرط

طوله ويروى لا يشنيء من طول أبدل من الهمزة باء يقال شنيته اشنؤه شنأ وشناء قاله ابن الأثير (ولا تقتحمه عين من قصر) أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً له وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته (ومحفود) أي مخدوم (والمحشود)، الذي عنده حشد وهم الجماعة. (ولا عابس) من عبوس الوجه (والمفند) الذي يكثر اللوم وهو التفنيد، ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، فدعا صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه وطلب الأمان وقال ادعوا لي ولكما إن أرد الناس عنكما ولا أضربكما فوقفا حتى ركب فرسه وأعرض عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآه، واجتاز صلى الله عليه وسلم بعبد يرعى غنما، فاستقاه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير أن عناقاً حملت أول وما بقي لها لبن فقال ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها حتى أنزلت، فحلب فسقى أبا بكر ثم الراعي ثم شرب فقال الراعي أشهد أنك نبي وأن ما جئت به حق.

وكان قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لهلال ربيع الأول، وقيل لليلتين وقيل لاثنتي عشرة، وقيل لثلاث عشرة وقيل لاثنتين وعشرين ليلة، وأمر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة، وقيل أن عمر أول من أرخ وجعله من المحرم وأقام صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف اثنين وعشرين ليلة، وقيل أربع عشرة وأسس مسجد قباء، ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين، وأقبل صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وكلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم فيقول خلوا سبيلها يعني ناقته حتى بركت على باب المسجد، ثم ثارت حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأوّل ونزل صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى، وأقام عند أبي أيوب سبعة أشهر وابتاع صلى الله عليه وسلم حائط بني النحار بعشرة دنانير، وبناه مسجدا وسقفه بالجريد وجعل عمده خشب النخل، وبنى بيوتا إلى جانبه ثم تحول صلى الله عليه وسلم من دار أبي أيوب إلى مساكنه التي بناها.

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جذع فصنع له المنبر وبعد قدومه بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة والتوارث، وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر ﴿وَاُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ الآية. وبنى بعائشة في شوّال، وشاور أصحابه فيما يجمعهم للصلاة فرأى عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبدربه في منامه رجلًا. فعلمه الآذان والاقامة، فلما أصبح أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال صلى الله عليه وسلم: «أنه لرؤيا حق إن شاء الله تعالى قم مع بلال فألقه عليه فليؤذن به فإنه أندى صوتاً منك». ورآه أيضاً بضعة عشر رجلاً ثم زيد في صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب، وأقرت صلاة السفر، وقيل إن الصلاة فرضت أربعاً ثم خفف عن المسافر وقيل أنها فرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين، ونصبت أحبار اليهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وانضاف إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون. ونزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذينَ يُقاتَلُون﴾ الآية فأذن له بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية، فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا وغزا وقاتل.

غزوات النبي

وكان عدد مغازيه التي خرج فيها بنفسه سبعاً وعشرين قاتل في تسع منها بنفسه، وسراياه التي بعث بها سبع وأربعون سرية، وهي قطعة من الجيش، تخرج منه وتعود إليه، وهي مائة إلى خمسمائة فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فإن زاد على الثمانمائة سمي جيشاً، فإن زاد على أربعة آلاف سمي جحفلاً، وما افترق من السرية سمي بعثاً وأوّل بعوثه صلى الله عليه وسلم في رمضان وقيل في ربيع الأوّل، سنة اثنين بعث عمه حمزة في ثلاثين رجلاً يعترضون عيراً لقريش، وعقدوا له لواء أبيض وهو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به صاحب الجيش، وكانت رايته صلى الله عليه وسلم سوداء، ولواؤه أبيض مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله والتفرقة بينهما عرفية لا لغوية فقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما، ثم سرية عبيدة بن الحرث إلى رابغ في شوّال في ستين رجلاً ثم سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار بمعجمه وراءين في ذي العقدة، ثم غزوة ودان وهي الابواء وهي أوّل مغازيه صلى الله عليه وسلم في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه في ستين رجلاً، ثم غزوة بواط بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخره مهملة في ربيع الأوّل من السنة الثانية في مائتين من أصحابه، ثم غزوة العشيرة بالشين المعجمة والتصغير خرج صلى الله عليه وسلم إليها في جمادي في مائة وخمسين، وقيل مائتين بعد رجوعه منها بعشرة أيام أغار ابن كرز الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في طلبه ففاته وتسمى بدراً الأولى، ثم سرية عبدالله بن جحش في رجب إلى نخلة فمرت بهم عير قريش تحمل زبيباً وأدماً من الطائف فيها عمرو بن العلاء الحضرمي فتشاوروا وقالوا أن قاتلناهم هتكاً حرمة الشهر وإن تركناهم دخلوا

حرم مكة فأجمعوا على قتلهم فقتلوا عمراً واستأسروا رجلين واستاقوا العير وقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، وتكلمت قريش أن محمداً سفك الدماء وأخذ المال في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٌ فيه﴾الآية، ثم حوّلت القبلة إلى الكعبة قيل في جمادي، وقيل في رجب. وقيل في شعبان. ثم فرض قيام شهر رمضان في شعبان وزكاة الفطر قبل العيد بيومين، ثم غزوة بدر الكبرى خرج صلى الله عليه وسلم يوم السبت لثنتي عشرة من رمضان أو لثمان فيه ومعه ثلثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها، إنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم ومعهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيراً، وكان المشركون تسعمائة وخمسين ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة في رمضان، ونزل جبريل في خمسمائة، وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق، ولما التقى الجمعان تناول صلى الله عليه وسلم كفاً من الحصباء فرمى به في وجوههم، وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا، وقتل الله من قتل، وأسر من أسر واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون، ولخمس بقين من رمضان كان سرية عميربن عدي الخطمي إلى عصماء بنت مروان، وفي شوّال سرية سالم بن عمير ثم غزوة بني قينقاع بتثليث النون والضم أشهر للنصف في شوّال، وفي ذي الحجة غزوة السويق، وفي السنة الثالثة في ربيع الأوّل سرية محمد بن سلمة إلى كعب بن الأشرف، ولثنتي عشرة في ربيع الأوّل غزوة غطفان، ثم غزوة نجران، وفي هلال جمادى الآخرة سرية زيد بن حارثة إلى القردة، وفي شوّال غزوة أحد، وغزوة حمر الأسد، وفي سنة أربع في المحرم سرية أبي سلمة، وسرية عبدالله بن أنيس، وفي صفر سرية عاصم بن ثابت، وحديث عضل والقارة، وسرية المنذر بن عمر وإلى بئر معونة، وفي ربيع الأوّل غزوة بني النضير، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة دومة الجندل، وفي شعبان غزوة بدر الأخيرة، وغزوة المريسيع، وفي شوّال غزوة الخندق، وقيل سنة خمس، وفي ذي القعدة غزوة بني قريظة، وتزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، وزلزلت المدينة، وفي ذي الحجة أو في ربيع الأول سقط صلى الله عليه وسلم عن فرسه فجحشت ساقه، وجرحت فخذه اليمنى، وأمر صلى الله

عليه وسلم بالسبق بين ما ضمر من الخيل وبين ما لم يضمر، وفرض الحج على ما جزم به الرافعي .

وفي السنة السادسة في المحرم سرية محمد بن سلمة إلى القرطاء، وفي ربيع الأوّل غزوة بني لحيان، وغزوة الغابة، وسرية عكاشة بن محيصن إلى غمر مرزوق بكسر الغين المعجمة، وسرية محمد بن سلمة إلى ذي القصة بفتح القاف والصاد المهملة المشددة، وفي ربيع الآخر سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم، وفي جمادي الأولى سريته أيضاً إلى العيض، وسريته أيضاً إلى الطرق، وفي جمادي الآخرة، وقيل في شوّال، وقيل في القعدة سرية كرر بن جابر الفهري إلى العرنيين، وفي رجب سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى، وفي شعبان بعث عبد الرحمن بن عوف إلى بني كليب، وبعث علي بن أبي طالب في مائة رجل إلى بني سعد بن بكر، وفي رمضان بعث زيد بن حارثة إلى أم فرقة، وسرية عبدالله بن عتيك لقتل أبي رافع، وفي شوّال سرية عبدالله ابن رواحة إلى أسيربن زرارة اليهودي، وفي هلال ذي القعدة غزوة الحديبية وبيعة الرضوان، وإرسال الرسل إلى الملوك وسحره صلى الله عليه وسلم لبيد بن الأعصم، وبعث صلى الله عليهوسلم أبان بن سعد قبل نجد، وفي السنة السابعة وقعت غزوة خيبر وسمته صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث أخت مرحب وفتح فدك، وفي جمادي الآخرة فتح وادي القرى، ونام صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، وفي شعبان سرية عمربن الخطاب إلى تربه، وبعث أبا بكر الصديق إلى بني كلاب وبشربن سعد الأنصاري إلى بني مرة، وفي رمضان بعث صلى الله عليه وسلم غالب بن عبدالله الليثي إلى الميفعة، وفي شوّال سرية بشربن سعد الأنصاري إلى أرض الغطفان، وسرية ابن عمر إلى نجد، وفي ذي القعدة عمرة القضية، وفي ذي الحجة سرية ابن أبي العرجاء السلمي إلى بني سليم، وفي السنة الثامنة سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى بني الملوح، وسريته أيضاً إلى مصاب أصحاب بشربن سعد بفدك، واتخاذ المنبر والقصاص، وسرية شجاع بن وهب إلى بني عامر، وسرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات الطلاح، وسرية مؤتة، وسرية عمروبن العاص إلى ذات السلاسل، وسرية أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر، وسرية أبي قتادة إلى حضرة، وسرية أبي قتادة إلى بطن أضم، وسرية

عبدالله ابن أبي حدرد إلى الغابة، وغزوة فتح مكة، وسرية خالد بن الوليد إلى العزى، وسرية عمرو بن العاص إلى سواع، وسرية سعد بن زيد الأشهل إلى مناة، وسرية خالد بن الوليد إلى بني خزيمة، وغزوة حنين، وسرية أبي عامر الأشعري إلى أوطاس وسرية الطفيل إلى ذي الكفين، وغزوة الطائف، وسرية عمرو بن العاص إلى عمان، وسرية العلاء الحضرمي إلى المنذر بن ساري، وقيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن، وفي السنة التاسعة بعث عتبة بن حصن إلى بني تميم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق، وسرية قطبة بن عامر إلى خثعم، والضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب، وعكاشة بن محصن إلى الحباب، واسلام كعب بن زهير وتتابع الوفود، وهجر صلى الله عليه وسلم نساءه، وغزوة تبوك، وسرية خالد بن الوليد من تبوك إلى أكيدر، وكتابه من تبوك إلى هرقل، وقصة اللعان ورجم المرأة الغامدية، ووفاة النجاشي.

وفي السنة العاشرة بعث أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وخالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وعلي بن أبي طالب إلى اليمن، وجرير بن عبدالله البجلي إلى تحزيب ذي الخلصة، وإلى ذي الكلاع، وأبي عبيدة بن الجراح إلى أهل نجران وقصة بديل وتميم الداري وحجة الوداع، وفي السنة الحادية عشرة سرية أسامة بن زيد إلى أبنى وظهر الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب، وسجاح وطليحة بن خويلد، وفي آخر صفر لليلتين بقيتا منه يوم الأربعاء ابتدأ به صلى الله عليه وسلم صداع في بيت ميمونة، وقيل زينب بنت جحش، واستأذن صلى الله عليه وسلم نساءه في أن يمرض في بيت عائشة فأذن له فخرج صلى الله عليه وسلم يمشي بين الفضل بن العباس وعليّ بن أبي طالب عاصباً رأسه تخط قدماه حتى دخل بيت عائشة، ثم اشتد وجعه فقال صبّوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعليّ استريح فأجلسوه في مخضب من نحاس وسكبوا عليه الماء ثم خرج فقام خطيباً وقال في خطبته إن الله تعالى خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وكان صلى الله عليه وسلم لم يشك شكوى إلا سأل الله تعالى العافية حتى كان في مرضه الذي توفي فيه

فإنه لم يدع فيه بالشفاء بل عاتب نفسه، ويقول يا نفس مالك تلوذين كل ملاذ، وكان يصلي بالناس وإنما انقطع ثلاثة أيام، وقيل سبعة عشرة صلاة وأمر أبا بكر بالصلاة بالناس وضج المسلمون لفقده فلما سمع الضجة خرج صلى الله عليه وسلم بين عليّ والفضل بن عباس وصلى ثم قال: «يا معشر المسلمين أنتم في وداع الله وكنفه والله خليقتي عليكم عليكم بتقوى الله وحفظ طاعته فإني مفارق الدنيا وأوصي بالمهاجرين الأوّلين وأوصي المهاجرين فيما بينهم وأوصي الأنصار». وتردد جبريل ثلاثة أيام قبل موته صلى الله عليه وسلم برسالة من الله يقول له: كيف تجدك؟. ويقول: «أجدني وجعاً يا أمين الله، ثم جاء الثالثة ومعه ملك الموت وقال له: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول كيف تجدك؟ قال: «أجدني يا أمين الله وجعاً من هذا معك؟ قال: هذا ملك الموت وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك وآخر عهدك بها ولن أثني على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط الأرض إلى أحد بعدك. فوجد النبي صلى الله عليه وسلم سكرة الموت وعنده قدح فيه ماء فأخذ من ذلك الماء فمس به وجهه وقال: «اللهم أعني على سكرات الموت» وقال: «رب اغفر لي وألحقني بالرفيق الأعلى» وكان آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم فتوفي عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين نصف النهار في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وسمعوا صوتاً من ناحية البيت ولا يرون الشخص السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فأرجو فإنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي هذا الخضر عليه السلام ولما سجته صلى الله عليه وسلم الملائكة دهش الناس وطاشت عقولهم، فمنهم من خبل ومنهم من أصمت ومنهم من أقعد واجتمع أصحابه حوله يبكون وكان أبو بكر غائباً فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد، وغصصه تتصاعد فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال: طبت حياً وميتاً وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فعظمت علي القصة وجللت عن البكاء، ولو أن موتك كان اختياراً لجدنا لموتك بالنفوس أذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك، وخرج رضي الله

عنه وأقبل الناس إليه فقال أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى ﴿وَما مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسلُ﴾ الآية وقال تعالى ﴿إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهم مَيتُون﴾، ولما فرغ الناس من بيعة أبي بكر الصديق أقبلوا على تجهيزه صلى الله عليه وسلم فضرب العباس كلّة له من ثياب يمانية صفاق وأذنوا لرجال بني هاشم فقعدوا بين الحيطان والكلة ودخل العباس وعلي والفضل وأبو سفيان بن الحارث وأسامة بن زيد وألقي عليهم النعاس وناداهم مناد انتبهوا ولا تغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان طاهراً فقال العباس لا ندع سنته بصوت لا ندري ما هو وغشيهم النعاس ثانية فنادى مناد أضجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره وغسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه بالقميص، والذين تولوا غسله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب والعباس وابناه الفضل وقثم وأسامة بن زيد وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه مع عليّ وأسامة وشقران يصبان الماء عليه وأعينهم معصوبة لحديث عليّ لا يغسلني أحد إلا أنت. وفي رواية أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه كما سبق، وعن عليّ يرفعه: «إذا أنامت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس». وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور، وجعل عليّ على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده، ومفاصله، ووضئوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وتراً ثم أدرجوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة والسحولية بفتح السين نسبة إلى السحول، وهو القصار لأنه يسحلها أي يغسلها أو إلى قرية باليمن، وحكى ضم السين جمع سحل وهو الثوب الأبيض النقي ولا يكون إلا من قطن وفيه شذوذ لأنه نسب إلى الجمع وقيل أن اسم القرية بالضم وأول من صلى عليه الملائكة أفواجاً، ثم أهل بيته وبنو هاشم ثم المهاجرون، ثم الأنصار ثم الناس يصلون عليه أفراداً لا يؤمهم أحد، ثم النساء والغلمان واختلفوا في موضع دفنه فقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت»

وقال علي: وأنا أيضاً سمعته وحفر أبو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع فراشه، ونزل في قبره صلى الله عليه وسلم العباس وعليّ والفضل وقثم وفرش شقران قطيفة نجرانية في القبر كان يلبسها صلى الله عليه وسلم وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك، ومن ثم قال البغوي في التهذيب: لا بأس بذلك والصواب كراهة ذلك وأجابوا عن هذا بأن شقران انفرد بفعل ذلك على أن ابن عبد البر نقل أن القطيفة أخرجت من القبر لما فرغوا من وضع اللبن وبنى في القبر تسع لبنات، وكان آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس، وقيل علي، ورش بلال بن رباح قبره صلى الله عليه وسلم بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء ورفع القبر من الأرض قدر شبر، واختلف في وقت دفنه فقيل يوم الثلاثاء، وقيل ليلة الأربعاء وقيل يوم الاربعاء، وقيل يوم الخميس وسبب تأخيره اشتغالهم واختلافهم في غسله وموضع دفنه ولما دفنوه قالت فاطمة: رضي الله عنها كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر فوضعته على عينيها وشمته وأنشأت تقول:

ماذا علي من شم تربة أحمد — أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها — صبت على الأيام صرن لياليا

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا من التراب وأنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا ومن آياته عليه السلام بعد موته ما ذكر من حزن حماره عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته فإنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت، وحماره هذا أصابه يوم خيبر وكان أسود فكلمه الحمار فقال له صلى الله عليه وسلم ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي سبعين حماراً كلها لا يركبها إلا نبي وقد كنت أتوقعك لتركبني، ولم يبق من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت قبلك عند يهودي اسمه مرحب، وكنت أعثر به عمداً وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «فأنت يعفور». وكان صلى الله عليه وسلم يركبه ويوجهه إلى دور أصحابه فيضرب

عليهم الباب ويدعوهم فلما قبض صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر أبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها، وكان له صلى الله عليه وسلم من اللقاح القصوى، وهي مقطوعة طرف الأذن والعضباء وهي مشقوقة الاذن، والجذعاء وهي مقطوعة الاذن، وورد: «يحشر صالح على ناقته ويحشر أبناء فاطمة على ناقتي العضباء والقصواء وأحشر أنا على البراق ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة». وكانت له صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بالغابة يراح إليه منها كل ليلة بقربتين عظيمتين من اللبن يفرقها على نسائه وكانت خيله صلى الله عليه وسلم اثنين وعشرين فرساً والمتفق عليها سبعة نظمها ابن جماعة بقوله:

الخيل سكب تخيف سحة طرب   لزاز مرتجز ورد لها أسرار

وكان له صلى الله عليه وسلم مائة شاة وله ديك أبيض، وورد أن لله ديكاً أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه تحت العرش قوائمه في الهواء يؤذن في كل سحر يسمعه أهل السموات والأرض إلا الثقلين، فعند ذلك تجيبه ديوك أهل الأرض، ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم اقتنى من البقر شيئاً، وكان له صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف وسبعة أدراع ومغفر من حديد وخمسة أرماح وكان له عنزة دون الرمح شبه العكاز وله سبعه قسي، وجعبة من جلد وثلاثة أتراس ومجن ومحجن وهو عصى معطفة قدر ذراع يعلقه على بعيره، وكان له صلى الله عليه وسلم مخصرة تسمى العرجون وقضيب من شوحط يسمى الممشوق، وكان يمسك في يده صلى الله عليه وسلم العصا ومن ثم كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة وهي لغة العصا وجاء من أسمائه وألقابه في القرآن العظيم وغيره عدد كثير قال بعضهم له تسعة وتسعون اسمًا وبعضهم ألف اسم وذكر في المواهب ما يزيد على أربعمائة ورتبها على حروف المعجم وأشهرها محمد، وبه سماه جده عبد المطلب وقال اني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم، وذلك لرؤ يا كان رآها مع ما حدثته به أمه حين قال لها الملك إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعتيه فسميه محمداً، ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن التسمي باسمه ميمون ونافع في الدنيا والآخرة، وقال

صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أعذب أحد اسمي باسمك في النار». رواه أبو معد وقال صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمي». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة». وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة كرامة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم». وقال صلى الله عليه وسلم «من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل»، وقال صلى الله عليه وسلم: «من ولد له مولود فسماه محمداًَ حباً لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد في بيته أحد اسمه محمد إلا رزقوا من بركات اسم محمد صلى الله عليه وسلم»، وعن عليّ كرّم الله وجهه: ما اجتمع قوم في مشورة مع رجل اسمه محمد فلم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم، وقال مالك رضي الله عنه: سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا رزقوا رزق خير، قال ابن رشيد: يحتمل أن يكون عرفوا ذلك بالتجربة أو عندهم في ذلك أثر فعلم أحبية التسمية بمحمد ومن ثم قال الامام الشافعي لما قيل له ولم سميت ولدك محمداً قال بأحب الأسماء إليّ ولقد أحسن من قال:

وحسبك من إفراط حبي أنني لأجلك قد أحببت كل محمد

وقال عليه الصلاة والسلام يوقف عبدان بين يدي الله تعالى، فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بم استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة، فيقول الله تعالى أدخلا الجنة فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد، وعن عليّ رضي الله عنه: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله ذلك المنزل، كل يوم مرتين، وعن الحسن البصري قال إن الله تعالى يوقف بين يديه يوم القيامة من اسمه أحمد ومحمد فيقول يا جبريل خذ بيدي عبدي فأدخلهما الجنة فإني استحييت أن أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الشفاء عن شريح بن يونس أنه قال: أن لله ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها محمد إكراماً منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم، ومعناه طاعتهم دخول كل دار. وفي رواية

عيادتها بالتحتانية والأول أقعد بالمعنى، وقدم أحمد في الرواية على جهة الترقي لأن محمداً أبلغ من جهة المعنى، ولا ينافي ما تقرر قوله صلى الله عليه وسلم أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن لأن هذه أحبية مخصوصة لا مطلقاً لأنهم كانوا يسمون عبدالعزى عبدمناف عبدالدار فكأنه قيل لهم أحب الأسماء المضافة للعبودية هذان لا مطلقاً لأن أحبها إليه محمد وأحمد إذ لا يختار لنبيه صلى الله عليه وسلم إلا الأفضل وما أحسن قول البوصيري:

فإن لي ذمة منه بتسميتي   محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

وهو صلى الله عليه وسلم.

محمد بن عبدالله الذبيح

ومعنى عبدالله الخاضع الذليل له تعالى وقد هدى الله تعالى أباه أن سماه بأحب الأسماء إلى الله تعالى فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أحب الأسماء إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن». وقال صلى الله عليه وسلم: «أحب الأسماء إلى الله تعالى ما تعبد به». وقد سمى صلى الله عليه وسلم بعبد الله في القرآن في قوله تعالى﴿وأنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُالله﴾وسبب تسمية عبدالله ذبيحاً أن أباه عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم كما يأتي في ترجمته منعته قريش، وآذاه سفهاؤهم ولم يكن له من الولد إلا الحارث فنذر أن كمل له عشرة بنين أن يذبح أحدهم تقرباً إلى الله تعالى فلما صاروا عشرة وهم الحارث وأبو طالب واسمه عبدمناف والغيداق، وجحل بتقديم الجيم وهو السقاء الضخم وقال الدار قطني بتقديم الحاء وهو القيد والخلخال ويسمى المغيرة، والزبير وضرار والمقوم وأبو لهب واسمه عبدالعزى، وعبدالله وقرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة، فرأى في المنام قائلاً يقول يا عبدالمطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت، فاستيقظ فزعاً مرعوباً وأمر بذبح كبش وأطعمه الفقراء والمساكين، ثم نام فرأى ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ وقرب ثوراً، ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملاً، ثم نام فنودي أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما أكبر من ذلك، فقال: قرّب أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غمّاً شديداً، وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء فقالوا أنا نطيعك فمن تذبح منّا، فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحاً والقدح السهم بغير نصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم أتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم، ودخل على هبل، وكان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده فيستقسمون بها أي يرضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذي لها فدفع عبدالمطلب القداح إلى القيم،

وأقام يدعو الله تعالى فخرج على عبدالله وكان أحب ولده إليه فقبض عبدالمطلب على يد عبدالله، وأخذ الشفرة ثم أقبل على إنسان وناوله صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسائك فقام إليه سادة قريش فقالوا ما تريد أن تفعل فقال أوفي بنذري فقالوا لا ندعك تذبحه حتى تعتذر فيه إلى ربك ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه ويكون سنة وقالوا انطلق إلى فلانة الكاهنة قيل اسمها قطية، وقيل سجاح فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا حتى أتوها بخمير، فقص عليها عبدالمطلب القصة فقالت: كم لديه فيكم قالوا عشرة من الإبل فقالت ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرة من الإبل فاضربوا عليه وعليها بالقداح فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل ثم أضربوا أيضاً وهكذا حتى يرضى ربكم فإذا أخرجت الإبل فانحروها فقد رضي الله ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم إلى مكة وقربوا عبدالله وقربوا عشرة من الإبل وقام عبدالمطلب يدعو فخرجت القداح على ولده، ولم يزل يزيد عشراً عشراً حتى بلغت الإبل مائة فخرجت القداح على الإبل، فكرر ذلك ثلاث مرات وهي تخرج على الإبل فنحرت وتركت لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع ولهذا، قال صلى الله عليه وسلم: «أنا ابن الذبيحين». ولما قال له الاعرابي: يا ابن الذبيحين تبسم ولم ينكر عليه والمراد بالذبيحين عبدالله واسمعيل بن ابراهيم صلى الله على نبيّنا وعليهما وسلم. وذهب بعضهم إلى أن الذبيح اسحق وأجاب عن الحديث بأن العرب تسمى العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق فجعل اسمعيل أباً وهو عم واستدل بما أجابوا عنه والصحيح الذي عليه الجمهور الأول وقد ألف الامام تقي الدين السبكي في ذلك رسالة سماها القول الصحيح في تعيين الذبيح، والحافظ السيوطي رسالة سماها القول الفصيح والشيخ نور الدين الحلبي رسالة سماها القول المليح وكلهم رجحوا القول بأنه اسمعيل، وقد أجرى الله العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلاً والخلة تقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة فنزعتها من قلب الخليل فأمر بذبح المحبوب فلما قدم على ذبحه وكانت

محبة الله تعالى أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذٍ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة إذا كانت المصلحة إنما هي في العزم فحصل المقصود، فنسخ الأمر وفدى الذبيح.

واستشكل بعضهم أن عبدالمطلب نذر ذبح أحد بنيه إذا بلغوا عشرة، وكان تزويجه هالة أم حمزة بعد وفائه بنذره والعباس أصغر من حمزة وأجيب أن أولاد عبدالمطلب ثلاثة عشر وعدهم عشرة، قبل وجود هذين وقثم، وكان عبدالله أصغرهم عند ارادة ذبحه فتموا به عشرة فطلب منه الوفاء بنذره، ثم ولد له حمزة والعباس وقثم وذكر الحافظ ابن كثير أن امرأة سألت ابن عباس نذرت ذبح ولدها فأمرها بذبح مائة من الإبل اخذاً من هذه القصة ثم سألت عبدالله بن عمر فلم يفتها بشيء فبلغ مروان بن الحكم فأمرها أن تعمل ما استطاعت من الخير، وقال أن ابن عباس وابن عمر لم يصيبا الفتيا ولا يخفى أن هذا النذر عند الشافعية باطل فلا يلزمها به شيء وعند الحنفية يلزمها ذبح شاه أخذا من قصة ابراهيم الخليل عليه السلام، وكان عبدالله أحسن رجل في قريش خلقاً وخلقاً، وأكمل بني أبيه وأعفهم وأحبهم إلى قريش، وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه كالكوكب الدري أي المضيء حتى شغفت به نساء قريش، ولقي منهن عناء، ولما انصرف مع أبيه من نحر الإبل مرّ على امرأة من بني أسد بن عبدالعزى، وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة من فوق ويقال رقية بنت نوفل، فقالت له لك مثل الإبل الذي نحرت عنك وقع علي الآن فقال لها أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه وقيل أجابها بقوله:

أما الحرام فالممات دونه   والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه   يحمي الكريم عرضه ودينه

ولما خرج به عبدالمطلب ليزوّجه مر به على كاهنة من قباله منهودة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية، ولها جمال مفرط وعفة زائدة وكان شباب قريش يتحدثون بها فرأت نور النبي صلى الله عليه وسلم في وجه عبدالله فذكرت له نحو ما مر ثم خرج عبدالمطلب حتى أتى إلى وهب بن

عبدمناف بن زهرة وهو يومئذٍ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوّجه ابنته آمنة وهي يومئذٍ أفضل امرأة من قريش نسباً وموضعاً، وكان عبدالمطلب، يأتي اليمن فرآه رجل كان يقرأ الكتب فقال له ائذن لي أن أقبل منحرك فأذن له، فقال له أرى نبوّة وملكاً. وإنما هما في المنافين يعني عبدمناف بن قصي وعبدمناف بن زهرة فقدم عبدالمطلب وزوّج عبدالله بآمنة وتزوّج هالة بنت عمها وهيب فولدت له حمزة ورجح ابن عبدالبر أن عمر عبدالله حين تزوّج آمنة ثلاثون سنة، وغيره أنه ثمانية عشر فزعموا أنه دخل بها حين ملك عليها يوم الاثنين أيام منى في شعب أبي طالب، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حملت به ليلة الجمعة في رجب كما مر ثم أتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت، فقال لها ما لك ما تعرضين عليّ اليوم ما عرضت على أمس، قالت فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي فيك اليوم حاجة إنما أردت أن يكون النور فيّ فأبى الله إلا أن يجعله حيث يشاء قيل لما تزوّج عبدالله آمنة لم يبق من نساء قريش امرأة إلا أسفت على عدم تزويجها به، ثم خرج عبدالله لزيارة أخواله بني عدي بن البخاروليمتار تمراً مع قريش، ولما رجعوا من تجارتهم مروا بالمدينة ورجع عبدالله معهم ضعيفاً فتخلّف عند أخواله بني عدي بن النجار، فأقام شهراً مريضاً فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبدالمطلب عنه فقالوا خلفناه مريضاً فبعث إليه الحرث فوجده قد توفي، ودفن في دار التابعة وقيل بالأبواء والتابعة المثناة الفوقية والموحدة والعين المهملة رجل من بني عدي بني النجار والنجار هذا اسمه تميم وقيل: له النجار لأنه احتقن بقدوم وهو آلة النجار وقيل غير ذلك وقالت آمنة ترثي زوجها:

عفى جانب البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحداً خارجاً في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... ومن تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

وورث صلى الله عليه وسلم من أبيه خمسة أجمال، وقطعة من غنم وأم أيمن بركة الحبشية أم أسامة بن زيد، وشقران بضم الشين المعجمة وسكوف القاف واسمه صالح الحبشي وأعتقتهما صلى الله عليه وسلم ولم يشركه

في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه، وقصور نسبهما عليه ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوه غاية ولتمام الشرف نهاية، ومن شعر عبدالله أورده الصفدي في تذكرته.

لقد حكم السارون في كل بلدة ... بأن لنا فضلاً على سادة الأرض
وإن أبي ذو المجد والسودد الذي ... يشار به ما بين نشز إلى خفض
وجدي وآبائي له أثلوا العلا ... قديماً بطيب العرف والحسب المحض

واعلم أن الذي عليه المحققون أن أبويه عليه الصلاة والسلام ناجيان وليسا في النار لأنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعذِّبِينَ حتىَ نَبْعثَ رَسُولا﴾ ولأنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية دين ابراهيم كما قاله الفخر الرازي وغيره. وقال جمع من الحفاظ وغيرهم أن الله تعالى أحيا أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به، وألف الجلال الحافظ السيوطي في ذلك رسالة سماها التعظيم والمنة في أن والدي المصطفى في الجنة، ورسالة سماها الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، ورسالة سماها نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين، ورسالة سماها مسالك الحنفا في والدي المصطفى، ومقامة سماها المقامة السندسية في والدي المصطفى خير البرية، ولقد أطال رحمه الله تعالى في بيان الدليل، فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل، ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال:

حبى الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لايمان به فضلاً منيفا
فسلِم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

﴿وعبدالله هو ابن عبدالمطلب﴾

واسمه شيبة الحمد سمي به لأنه ولد وفي رأسه شيبة أو تفاؤلاً بأن يبلغ سن الشيب وأضيف للحمد لكثرة حمد الناس له، لأنه كان مفزع قريش في النوائب وسيدها كمالاً وفعالاً ويقال له الفياض لجوده، ومطعم طير السماء لأنه كان يدفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، وقد قيل اسمه عامر وإنما قيل له عبدالمطلب لأن أباه هاشماً قال لأخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك بيثرب، فمن ثم سمي عبدالمطلب وقيل، إن عمه المطلب لما جاء به إلى مكة رديفه وهو بهيئة بذة فسئل عنه فقال هو عبدي حياء أن يقول هو ابن أخي، فلما أدخله وأحسن حاله أظهر أنه ابن أخيه فقيل له عبدالمطلب وغلب عليه هذا الوصف وقيل لأنه تربى في حجر عمه وكنيته أبوالحرث بابن له أكبر ولده، وكان مجاب الدعوة وأقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه من قبله، وشرف فيهم شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه وأحبوه وعظم خطره فيهم، وذكر الحافظ أبو سعيد النيسابوري عن كعب الأحبار أن نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار إلى عبدالمطلب نام يوماً في الحجر، فانتبه مكحولاً مدهوناً قد كسى حلة البهاء والجمال فبقي متحيراً لا يدري من فعل به ذلك، فأخذه أبوه ثم انطلق به إلى كهنة قريش فأخبرهم بذلك فقالوا له اعلم أن إله السماء قد أذن لهذا الغلام أن يتزوّج فزوّجه قيلة فولدت له الحرث ثم ماتت فزوّجه بعدها هند بنت عمرو، وكان عبدالمطلب تفوح منه رائحة المسك الأذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته، وكانت قريش إذا أصابها قحط تأخذ بيد عبدالمطلب فتخرج به إلى جبل ثبير فيتقربون به إلى الله تعالى، ويسئلونه أن يسقيهم الغيث فيسقيهم ويغيثهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثاً عظيماً، قال شاعرهم.

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا   وقد فقدنا الحيا واستبطأ المطر

ولما قدم أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي لهدم الكعبة، وبلغ عبدالمطلب ذلك قال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت رباً يحميه ويحفظه، ثم جاء أبرهة فاستاق ابل قريش وغنمها، وكان لعبدالمطلب فيها أربعمائة ناقة، فركب عبدالمطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبدالمطلب إلى ذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر فوالله ما استدار هذا النور مني إلا أن يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين، ثم أن أبرهة أرسل رجلاً من قومه ليهزم الجيش فلما دخل مكة ونظر إلى وجه عبدالمطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشياً عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه، فلما أفاق خر ساجداً لعبد المطلب، وقال أشهد أنك سيد قريش حقاً، وروي أنه لما حضر عبدالمطلب عن أبرهة أمر سائس فيله الأبيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك أبرهة كما يسجد سائر الفيلة أن يحضره بين يديه، فلما نظر الفيل إلى وجه عبدالمطلب برك كما يبرك البعير، وخر ساجداً وأنطق الله تعالى ذلك الفيل فقال: السلام على النور الذي في ظهرك ياعبدالمطلب. ولما توجه جيش أبرهة ومعهم الفيل إلى الحرم برك الفيل فضربوه في رأسه ضرباً شديداً ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً الى اليمن فقام، ثم أرسل الله تعالى طيراً أبابيل من البحر مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كأمثال العدس لا يضرب أحداً منهم إلا أهلكته، فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق وأصيب أبرهة في جسده بداء فتساقطت أنامله أنملة أنملة، وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات، حتى انصدع قلبه وإلى هذه القصة أشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه عليه السلام ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ، بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾ إلى آخر السورة، وكان هلاكهم قريب عرفة قبل دخول الحرم على الأصح.

ومن مآثره حفره لزمزم بعد أن كانت مجهولة، وسبب ذلك أن عمرو بن الحارث الجرهمي لما استباح قومه الحرم وقيض الله لهم من أخرجهم من الحرم جعل نفائس الأموال في زمزم وبالغ في طمها وفر لقومه باليمن فلم تزل مجهولة

إلى أن رأى عبدالمطلب وهو نائم بالحجر من أمره بحفرها وعين له محلها وتكررت رؤ يته لذلك فحفر فيما عين له ومعه ابنه الحارث فلما بدا له طي البئر كبر فالتمست منه قريش أن يشركهم في الحفر فامتنع، وقال لا أمنع أحداً منها نظير ما وقع لجدته هاجر ثم اتفقوا على أن يذهبوا إلى كاهنة بالشام فساروا ومعهم كثيرون من قبائل قريش والأرض إذ ذاك مفاوز لا ماء فيها فعطشوا واشتد بهم حتى قالوا يحفر كل واحد منهم حفرة لنفسه يلقيه فيها من عاش بعده فأشار إليهم عبدالمطلب بالرجوع عن هذا الرأي والارتحال فأطاعوه، وتقدم إلى راحلته وركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحتها عين ماء عذب فشربوا وارتووا وعلموا بذلك أنه الأحق بزمزم فآثروه وأذعنوا له فلما رجع استأثر بها وأقام سقاية الحاج منها فبنى عليها حياضاً فانثال اليها أكثرهم لفضلها وكونها بالمسجد الحرام، ويؤثر عنه مآثر وسنن، منها جاء القرآن والسنة بها تحريم الخمر، ورفض عبادة الأصنام والوفاء بالنذر، ومنع نكاح المحرم، وقطع يد السارق وتحريم الربا، وأن لا ن يطوف بالبيت عريان، وكان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيات الأمور، وكان يقول أنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه مصيبة عقوبة له إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبدالمطلب في ذلك ففكر وقال والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن باحسانه، ويعاقب فيها المسيء بإساءته، ومات والنبي صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين وقيل غير ذلك، كما مر وعاش مائة وأربعين سنة وهو أوّل من خضب بالسواد. قال السيوطي في المسالك: وفي عبدالمطلب ثلاثة أقوال أحدها وهو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره، والثاني أنه على التوحيد وملة ابراهيم وهو ظاهر كلام الإمام فخرالدين الرازي وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة، والثالث أن الله أحياه بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حتى آمن به وأسلم ثم مات. حكاه ابن سيد الناس وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها، لأنه لا دليل عليه ولم يرد قط في حديث لا ضعيف ولا غيره، ولا قال هذا القول أحد من أئمة السنة إنما حكوه عن بعض الشيعة، ولهذا اقتصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأوّلين وسكتوا عن حكاية الثالث لأن خلاف الشيعة لا يعتد به.

عبد المطلب

﴿بن هاشم واسمه عمرو العلاء﴾ لعلو مرتبته وقيل: له هاشم لأنه أوّل من هشم الثريد بعد ابراهيم الخليل عليه السلام فإن ابراهيم أوّل من ثرد الثريد وأطعمها المساكين وقيل: ثرده قبله جده قصي وقيل عمرو بن لحي وجمع بعضهم بين هذه الأقوال بحمل أولية قصي بالنسبة لقريش، وأولية عمرو بن لحي بالنسبة لخزاعة وهاشم بسبب مجاعة حصلت لقريش وذلك أنه أصابهم جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام فاشترى دقيقاً وكعكاً ونحر الجزر وجعله ثريداً وأطعمهم وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله.

وأطعم في المحل عمرو العلا فللمستنين به خصب عام

وأقام بعده ابنه بمنصب السقاية والرفادة، وهي إطعام الطعام، واشتهر بالكرم والجود، وكان له جفان كبار للثريد قال الشاعر.

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجواب للوفود إذا لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت قوتاً لحاضره منهم وباديه

وهو الذي سن لقريش رحلة الشتاء والصيف وفي ذلك يقول القائل

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت لديه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وكان إذا هل ذو الحجة قام خطيباً في قريش وحثهم على إكرام الحجاج من طيب أموالهم فيجتهدون في ذلك ويضعونه في دار الندوة وكان يقال لأولاد

عبدمناف وهم هاشم والمطلب وعبدشمس ونوفل أقداح النضار بالكسر جمع نضارة بالضم وهو الذهب ويقال لهم الخيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب. قال الشاعر.

قل للذي طلب السماحة والندى هلّا مررت بآل عبدمناف
الرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلّم للأضياف

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبوبكر الصديق بباب بني شيبة رجلاً يقول

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبدالدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال «أهكذا قال الشاعر» قال لا ولكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبدمناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن أقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال «هكذا سمعت الرواة ينشدونه» وهاشم وعبدشمس والمطلب أشقاء أمهم عاتكة بنت مرة ونوفل أخوهم لأبيهم أمه قائدة بنت حرمل، وولد ، اشم وعبدشمس توأمين ورجل هاشم ملتصقة بجبهة عبدشمس بينهما عرق لا يمكن فصلهما إلا بقطعه فسألوا كاهناً عن ذلك فقال: اقطعوه وسيكون بينهما عداوة ودم فكان كذلك، وأول عداوة وقعت أن هاشماً لما ساد قومه حسده ابن أخيه أمية بن عبدشمس فتكلف أن يصنع مثل ما يصنع هاشم، فعجز فعيرته قريش، وقالوا له اتتشبه بهاشم فغضب ودعا هاشماً للمفاخرة فأبى هاشم لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش، فقال هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك، وجعلوا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن، فقال قبل أن يخبره بخبرهم والقمر الباهر

والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر منجد وغابر لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر فعاد هاشم إلى مكة، ونحر الابل وأطعم الناس، وخرج أمية إلى الشام فأقام عشر سنين وتوارث العداوة بنوهما، ولم يزل المطلب موالياً لهاشم ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أن بني المطلب لم يفارقونا جاهلية ولا إسلاما، وقال صلى الله عليه وسلم «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد ولهذا اختصوا بكونهم آله صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم قسم سهم ذوي القربى بينهم تاركاً منه غيرهم من بني عمهم نوفل وعبدشمس مع سؤالهم له لما روى البخاري وغيره عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، وهو من بني نوفل قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه وهو من بني عبدشمس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، زاد في رواية وشبك بين أصابعه وتوفي هاشم بغزة من أرض الشام تاجراً، وتوفي عبدشمس بمكة وكان كثير الأسفار مقلاً ذا. ولد وتوفي المطلب برومان من أرض اليمن، وكان ذا شرف واسع وكرم شاسع ولذلك سمي الفياض، وتوفي نوفل بالعراق، وهاشم بن عبدمناف واسمه المغيرة، ويقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وهو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والجد الرابع لعثمان بن عفان، والجد التاسع للإمام الشافعي رضي الله عنهما، ومناف أصله مناة وهو اسم لأعظم أصنامهم جعلته أمه خادماً لذلك الصنم، وقيل وهبته له لأنه أول ولد لأبيه وكان أشرف أولاد أبيه وانتشر شرفه في حياة أبيه ويليه في الشرف أخوه المطلب، ويقال لهما البدران وهما ابنا قصي بضم القاف وفتح الصاد المهملة تصغير قصي بفتح القاف وكسر المهملة بمعنى بعيد وصغر على فعيل كراهتهم اجتماع يا آت فحذفوا الثانية فبقي على وزن فعيل مثل فليس واسمه زيد ولقب قصي لبعده عن عشيرته مع أمه فاطمة بنت سعد بن شبل، فإن كلابا تزوجها أولاً فولدت له زهرة وقصيا فهلك كلاب وقصى صغير ثم تزوجت بعد موت كلاب بربيعة بن حرام فرحل بها إلى الشام فولدت له رزاحا، ولما كبر قصى عيروه بالغربة وكان يظن أن أباه ربيعة، فقالت له أمه أنت أكرم منهم أباً وقومك عند البيت الحرام، وقد

قالت لي كاهنة رأتك صغيراً أنك تلي أمراً جليلاً فاصبر حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع الحجاج فلما خرج حجاج قضاعة خرج معهم، فقدم مكة وعرف له قومه فضله، وكان أمر مكة لخزاعة وسدانة الكعبة لكبيرهم حليل بضم الحاء المهملة بن حبيشة، فتزوج قصي حبىَ بنت حليل وأوصى بمفتاح الكعبة لبنته حبى، فقالت لا أقدر على السدانة فأوصى به لأبي غبشان بضم الغين المعجمة وكان سكيراً فأعوزه يوماً ما يشرب به الخمر فاشترى، قصي منه مفتاح الكعبة بزق خمر فقالت العرب أخسر صفقة من أبي غبشان فعظم ذلك على خزاعة، وكثر كلامهما عن قصي فدعا قصي قريشاً وبني كنانة إلى حرب خزاعة فأجابوه، وانضم إليهم قضاعة، وحذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت إليه جرهم بعد بغيهم وظلمهم حتى أخرجتهم خزاعة من مكة، وفي ذلك يقول قائلهم.

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
ولم يتربع واسطاً فجنوبه ... إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وأبدلنا عنها الأسى دار غربة ... بها الذئب يأوي والعدو محاصر
وكنا ولاة البيت من بعد ثابت ... نطوف بهذا البيت والخير ظاهر
وكنا لاسمعيل صهراً وجيرة ... فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك يا للناس تجري المقادر

واقتتلوا آخر أيام منى، وكثر القتل والجرح في الفريقين، ثم اتفقوا على أن يحكموا عمر بن عوف، فحكم بإسقاط الدماء بينهم وحكم لقصي بولاية البيت، ولما تم لقصي أمر مكة جمع قريشاً بعد تفرقها ومن ثم قيل له مجمع بل قيل أن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك وجعل قريشاً اثني عشر قبيلة، وأنزلهم بنواحي مكة بطاحها وظواهرها، وقيل لمن سكن البطاح قريش البطاح، ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر والأولى أشـ ف إذ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى ذلك أشار حذافة بن غانم في قصيدته التي امتدح بها عبدالمطلب لما أطلقه من خذام حين أخذوه في رجل منهم غالته بيوت مكة ورأى عبدالمطلب مقبلاً من الطائف وقد عمي ومعه ابنه أبو لهب يقوده فهتف

به حذافة، فسأله عبدالمطلب فأخبره به، فقال لابنه أبي لهب: أطلق الرجل، فقال لهم أبو لهب قد عرفتم تجارتي ومالي وأنا أحلف لكم لأعطينكم عشرين أوقية ذهباً وعشراً من الإبل وفرساً وهذا ردائي رهن بذلك فقبلوا منه ذلك وأردفه خلفه حتى دخل مكة وامتدحه بالقصيدة المشهورة التي مطلعها:

بنو شيبة الحمد الذي كـان وجهه ... يضيء ظلام الليل كالقمر البدري

ومنها:

أبـوكم قصي كـان يـدعى مجمعـا ... بـه جمـع الله القبــائـل من فهــر
وأنتم بنــو زيـد وزيــد أبــوكم ... به زيدت البطحاء فخرا على فخر
هم ملكوا البطحـاء مجداً وسؤدداً ... وهـم طردوا عنها غزاة بني عمرو

ومن طريقة العرب أن من رهن شيئاً ولو حقيراً في جليل لا يغدر بل يحرص على الوفاء ولذلك لما أجدبت أرض تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة إلى كسرى ليأخذ أماناً لقومه لينزلوا في ريف العراق، فقال له كسرى، أخاف على الرعايا منكم، فقال حاجب أنا ضامن قومي، فقال له كسرى ومن أين لي بوفائك، فقال هذه قوسي رهينة فحمقة كسرى وجلساؤه فقيل له أن هذه طريقة العرب فأعطاه الأمان، فلما أخصبت تميم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لما أسلموا وقـد مات حـاجب أمر عطارد بن حاجب رضي الله عنه، قومه بالرجوع إلى أرضهم وذهب إلى كسرى وطلب منه قوس أبيه، وقال قد أوفينا بالضمان فدفعها له وكساه حلة، فلما وفد عطارد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم فدفعها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها، وقال إنما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له، فكانت تميم تفتخر بذلك وما أظرف قول بعض الشعراء:

تــزهـو علينــا نفوس حــاجبها ... لله تمـيـم نــفــوس حــاجــبــهــا

فكان قصي أول ملك من بني كعب بن لؤي أصاب ملكاً فأطاعه قومه. ثم جمع قصي أحسن أمواله وهدم الكعبة وبناها بناء لم يبنهـا أحد قبله، وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل، ولم يسقفها أحد قبله وهو أول من بنى

بمكة بيتاً لأن العرب كانت تهاب أن تبني بيتاً عند بيت الله تعالى، فقال لهم قصي، إن سكنتم حول البيت هابكم العرب، ولم تستحل قتالكم وابتدأ هو فبنى دار الندوة وقسم جهات البيت بين قريش فبنوا حوله وكانوا يهابون قطع الشجر الذي في البيوت وقالوا: نكره أن ترى العرب انا استخفينا بحرمنا، فقال لهم قصي: إنما تقطعونها لمنازلكم وما تريدون فساداً، وأمرهم بقطعها وحاز قصي جميع مناصب مكة، فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة، أما السقاية فهي سقاية الحجيج الماء العذب في حياض توضع بفناء الكعبة وينقل إليها الماء العذب لكونه عزيزاً بمكة قبل حفر زمزم وأما الرفادة فهي إطعام الطعام لسائر الحجاج تمد لهم الأسمطة أيام الموسم، وأصلها أن قصياً قال لقريش قد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون، ولا أعلم مكرمة عندهم أعظم من إطعام الطعام، فليخرج كل واحد منكم من ماله خرجاً فكانت تخرج من مالها فتدفعه لقصي يصنعه للحجاج، وأما الحجابة فهي سدانة البيت أي تولية مفتاح بيت الله، وأما الندوة فهي لغة الاجتماع، وبنى لذلك قصي داراً فسميت دار الندوة فكانوا يجتمعون فيها للمشورة في المهمات ويعقد فيه لواء الحرب، ولا تنكح امرأة إلا فيها ولا يدخلها إلا ابن أربعين، وإذا حاضت الجارية دخلتها ثم يشق عليها قصي درعها، ثم يدرعها إياه ثم تحجب، وأما اللواء فهو راية يعقدها قصي بيده على رمح علامة للعسكر في الحرب يجتمعون تحته، وأما القيادة فهي إمارة الجيش إذا خرجوا للحرب، وكان عبدالدار أكبر أولاد قصي ولم يكن له شرف كشرف أخويه البدر بن عبدمناف والمطلب، فقال له أبوه لا لحقنك بهما فأعطاه تلك المناصب فكانت بيد عبدالدار حتى مات ثم اجتمع بنو مناف على أن يأخذوا تلك المناصب من بني عبدالدار، ورأوا أنه أحق بها لشرفهم وفضلهم، وأخرجوا جفنة مملوءة طيباً وغمسوا أيديهم وتعاقدوا وقالوا من تطيب منها فهو منّا فتطيب بنو زهرة وبنو أسد بن عبدالعزى وبنو تميم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فسموا المطيبين، وتحالف بنو عبدالدار وحلفاؤهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب وأخرجوا جفنة مملوءة دماً من جزور نحروها وقالوا: من أدخل يده فعلق منه فهو منا فسموا لعقة الدم، ويقال لهم الأحلاف، أيضاً لتحالفهم ثم اصطلحوا على أن السقاية والرفادة والقيادة لبني

عبدمناف والحجابة واللواء والندوة لبني عبدالدار، وقيل: أن أباهم لما كبر قسمها كذلك بينهم فكانت السقاية والرفادة لهاشم حتى توفي فقام إخوة المطلب بهما حتى توفي ثم قام بهما عبدالمطلب ثم ابنه أبو طالب ثم استدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى الموسم فصرفها وجاء الموسم، ولم يكن معه شيء ثم طلب من العباس أربعة عشر ألف درهم إلى الموسم القابل فقال: له العباس بشرط إن لم تعطني تترك لي السقاية فقبل، فجاء الموسم ولم يكن معه وفاء فترك له السقاية ثم مات أبو طالب فولى العباس الرفادة واستمر باقي بنيه ونوابهم عليها إلى أن انقضت خلافتهم، قال الفاسي أن الرفادة استمرت إلى زمانه، وأن الطعام يصنع بأمر السلطان، كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج، قال القطبي وأما في زماننا فلا يفعل شيء من ذلك ولا أدري متى انقطع، انتهى. وقام بالقيادة عبدشمس، ثم ابنه أمية ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو سفيان فقاد قريشاً يوم أحد ويوم الأحزاب، وأما الحجابة فكانت مع عبدالدار ثم ولده عثمان واستمرت مع أولاده ولما طاف صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة طلب المفتاح من عثمان بن طلحة بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي ففتح الكعبة، ودخلها ولما خرج صلى الله عليه وسلم قال له العباس بأبي أنت وأمي يا رسول الله إجمع لي السدانة مع السقاية، وكان صلى الله عليه وسلم يريد أن يدفعها له فأنزل الله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، فردها صلى الله عليه وسلم لعثمان، وقال خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم.

ولما توفي عثمان ولا ولد له وليها ابن عمه شيبة بن أبي طلحة، واستمرت مع بني شيبة إلى زماننا، وأما دار الندوة فكانت بعد عبدالدار مع ولده عبدمناف ثم عبدالعزى بن عثمان بن عبد الدار، ثم صارت لعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار ثم صارت لحكيم بن حرام بن خويلد بن أسد فجاء الاسلام وهي بيده، فباعها لمعاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم، فقال له عبدالله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال حكيم ذهبت المكارم إلا التقوى يا ابن أخي، لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وسأشتري بها داراً في الجنة أشهدك أني جعلت ثمنها في سبيل الله تعالى،

وجعلها معاوية رضي الله عنه دار الامارة، ولقصي كلمات تؤثر عنه منها: من أكرم لئيمًا شاركه في لؤمه ومن استحسن قبيحاً ترك إلى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان، ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان. وقصي بن كلاب بكسر الكاف وتخفيف اللام وهو إما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالبت العدوّ مكالبة، وإما جمع كلب لأنهم يريدون الكثرة كما يسمون بسباع، وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بخير الأسماء نحو مرزوق ورباح فقال إنما نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لأنفسنا يريدون أن الأبناء عدّة للأعداء، وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الأسماء، واسم كلاب حكيم وقيل عروة وقيل المهذب، ولقب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب، وهو الجد الثالث لآمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم وكلاب بن مرة وهو منقول من اسم الحنظل، وهو الجد السادس لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وفيه يجتمع الامام مالك بن أنس مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومرة بن كعب منقول من كعب القدم سمى به لارتفاعه على قومه وشرفه عليهم، وقيل لستره عليهم ولين جانبه لهم وهو الجد الثامن لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قبل وهو أول من قال: أما بعد وأوّل من سمى يوم الجمعة، وكان يسمى في الجاهلية يوم العروبة وكان يخطب فيه فتجتمع إليه قريش كل يوم جمعة، وكان يقول في خطبته ما حكاه الزبير بن بكار أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا. ليل مباح، ونهار صاح وأرض مهاد، وجبال أوتاد والسماء بناء، والنجوم أعلام، والأولون كالآخرين والانثى والذكر زوج إلى البلى ما تجمعون فصلوا أرحامكم، واحفظوا أصهاركم، ونموا أموالكم فهل رأيتم من هالك رجع. أو ميت انتشر الدار أمامكم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظّموه وتمسّكوا به فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج له نبي كريم ثم يقول:

نهار وليل كل أوب بحادث — سواء علينا ليلها ونهارها

فأوبأت الأحداث حين تأوّبا — وبالنعم الضافي علينا ستورها

ضروب وأبناء تقلب أهلها — لها عقد ما يستحيل بريرها

على غفلة يأتي النبي محمد — فيخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثم يقول أما والله لو كنت فيها ذا سمع وبصر ويد ورجل لقضيت فيها بنصيب ولأرقلت فيها أرقال البعير ثم يقول:

يا ليتني شاهداً فحواء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

قال الماوردي وهذا من فطر الالهام التي تخيلتها العقول فصدقت، وتصوّرتها النفوس فتحققت، قال السيوطي وهذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوّة وفي آخره وكان بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة، ابن لؤى بالهمز وتركه تصغير اللأى وهو الثور الوحشي وفي سبب تصغيره خلاف، ابن غالب بالغين المعجمة وكسر اللام اسم فاعل من غلب، ابن فهر بكسر الفاء وسكون الهاء وبالراء وأصله الطويل الأملس من الحجارة وهو الجد السادس لأبي عبيدة أحد العشرة لأنه عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن حثة بن الحارث بن فهر، ولما جاء حسان بن عبدكلال من اليمن في حمير لأخذ أحجار الكعبة ليبني بيتاً باليمن، ويجعل حج الناس إليه ونزل بنخلة خرج فهر لمقاتلته بعد أن جمع قبائل العرب فأسر حسان وانهزمت حمير، واستمر حسان في الأسر ثلاث سنين ثم افتدى بمال كثير ومات بين مكة واليمن، فهابت الناس فهراً وعظمته وهو جماع قريش عند المحققين، وهو النضر بن مالك قيل سمي بذلك لأنه ملك العرب ابن النضر، بفتح النون وسكون الضاد المعجمة لقب به لنضارته وجماله واسمه قيس وهو جماع قريش عند الأكثر، وقال الزين العراقي في الفية السير، أما قريش فالأصح فهر، جماعها والأكثرون النضر، قيل: ولعل الأولين اعتمدوا على تسمية فهر بقريش ولا حجة فيه لأن كثيراً ما يسمى الانسان باسم أحد من أجداده فعليه دليل للثاني قيل للنبي صلى الله عليه وسلم من قريش، فقال من ولد النضر وسميت قريش قريشاً بدابة في البحر يقال لها القريش وهي اللخم وأنشدوا:

قـريش هي التي تسكن البحـ ـر بهـا سميت قـريش قـريشا
تـأكـل الغث والسمـين ولا تتـ ـرك منه لـذي جناحـين ريشـا

قال الفراء والقرش الكسب والجمع وبه سميت قريش، قال الثعلبي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب كان يقال لقريش في الجاهلية أهل الله،

لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والفضائل والمكارم التي هي أكثر من أن تحصر، ولما جاء الاسلام وبعث فيهم خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم تظاهر شرفهم وصاروا على الحقيقة أهلاً لأن يدعوا أهل الله، فاستمر عليهم وعلى سائر أهل مكة وعلى أهل القرآن هذا الاسم.

والنضر بن كنانة بلفظ وعاء السهام سمي به لأنه لم يزل في كن من قومه أو لستره عليهم، وحفظه لأسرارهم وكان شيخاً حسناً عظيم القدر ويحج العرب إليه لعلمه وفضله وكان يآنف أن يأكل وحده، إذا لم يجد أحداً أكل لقمة ورمى لقمة على صخرة بين يديه وهو، ابن خزيمة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي تصغير خزمة، ابن مدركة بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الراء قيل له ذلك لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه واسمه عمرو ابن الياس بهمزة قطع مكسورة وقيل مفتوحة وقيل همزته همزة وصل نسب الجمهور وهو ضد الرجاء سمي به لأن أباه مضر كان قد كبر سنه ولم يولد له، ثم ولد له هذا الولد بعد إياسه من الأولاد فسماه الياس، وعظم أمره عند العرب فكانت تدعوه بسيد عشيرته ولا يقضىٰ أمر دونه، وكان عند العرب مثل لقمان في قومه فلم تزل تعظمه تعظيم أهل الحكمة، وهو أوّل مَنْ أهدى البدن إلى البيت الحرام وأوّل مَنْ ظفر بمقام ابراهيم عليه السلام بعد الطوفان فوضعه في زاوية البيت، وكان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج وجاء في حديث ضعيف، لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمناً وكان ينكر على بني اسمعيل ما غيروا من سيرة أبيهم ويقوم فيها خطيباً ويعظهم حتى دخلوا تحت رأيه ومات بعلة السل، وهو أول من مات بها ولما مات حزنت عليه زوجته خترف حزناً شديداً ولذا قيل أحزن من خترف، وقيل إنه جماع قريش وهو ، ابن مضر بضم الميم وفتح الضاد المعجمة آخره راء سمي لأنه كان يضمر قلب من رآه لحسنه ولجماله أو لأنه كان يحب شرب اللبن الضامر، وهو الحامض وأخرج ابن سعد في الطبقات قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم: «والسهيلي قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبو ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين». وقال صلى الله عليه

وسلم لا تسبوا مضر فإنه كـان على دين اسمعيـل». وفي رواية عـلى ملة ابراهيم، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا ربيعة الفرس» ويقال لمضر مضر الحمراء ولأخيه ربيعة ربيعة الفرس، وسبب ذلك أن أباهم نزاراً لما حضرته الوفاةقسم ماله بين بنيه وهم أربعة مضر وربيعة واياد وانمار، فقال يا بني هذه القبة وهي حمراء من آدم وما أشبهها من المال لمضر، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من المال لربيعة. وهذه الخادم وما أشبهها من المال لاياد، وكانت الخادم شمطاء وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، وقال لهم إن أشكل الأمر عليكم، واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي، فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى فبينما هم يسيرون إذا رأوا أثر بعير فقال مضر إن البعير الذي رعى هذا الكلا لأعور، فقال ربيعة وهو أزور فقال أياد وهو أبتر، وقال النمار وهو بشرود فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسـألهم عن البعير، فقـال له: مضـر هو أعـور؟ قال: نعم قـال ربيعة: هو أزور؟ قال: نعم، قال اياد: هو أبتر؟ نعم. قال أنمار:وهو شرود؟ قال: نعم، هذه والله صفة بعيري دلوني عليه قالوا اطلبه أمامك وحلفوا له أنهم ما رأوه، فقال لهم كيف اصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته فساروا حتى قدموا على نجران فنزلوا بالأفعى الجرهمي فنـادى صاحب البعـير أصحاب بعيري وصفوا لي صفته. ثم قالوا لم نره فقال لهم الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت أنه أعور، وقال ربيعة رأيت احدي يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر فعلمت أنه أفسدها بشدة وطئه لازواره، وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالاً لمصع به، وقال انمار عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى في المكان الملتف نبته، ثم يجوزه إلى مكان آخر أرق منه، وأخبث فقال الشيخ ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه ثم سألهم مَنْ هم فأخبروه فرحب بهم وقال: تحاجون إلي وأنتم كما أرى فدعا لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على قبر، وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحمًا أطيب لولا أنه من كلب، وقال اياد: لم أر كاليوم ملكاً أكرم لولا أنه ليس لأبيه الذي يدعى له، وقال أنمار: لم أز كاليوم كلاماً أنفع في حاجتنا وسمع كلامهم صاحبهم فسأل امه فأخبرته إنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت

رجل نزل لهم من نفسها فوطئها وسأل القهرمان عن الخمر فقال من كرمة غرستها على قبر أبيك وسأل الراعي عن اللحم ما أمره قال شاة أرضعتها من لبن كلبة، ولم يكن ولد في الغنم غيرها فأتاهم وقال قصوا قصتكم فقصوا عليه. ما أوصى به أبوهم، وما اختلفوا فقال ما أشبه الحمراء من مال المضر فصارت الدنانير والابل له وهن حمر فسمي مضر الحمراء، وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم فسمي ربيعة الفرس، وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فيه بلق فهو لاياد فصارت له الماشية البلق من الخيل والبقر، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده على ذلك وكان مضر من أحسن الناس صوتاً فاتفق أنه وقع عن بعيره فاصيبت يداه فمشى وهو يقول وايداه فنشطت الابل لسماع صوته بذلك، وكان أصل الحداء في العرب ومن ثم جاء أنه أوّل من حدا وقيل أوّل من حدا عبد لمضر ضربه على يديه فصاح يا يداه وورد في الحدا، أحاديث، ومن ثم قال العلماء أنه سنة لأنه ينشط الابل لا سيما إن كان بصوت حسن فإنها عند سماعه تمد أعناقها وتسرع في سيرها وتستخف الحمل الثقيل، وتقطع المسافة البعيدة في زمن قصير، وقال صلى الله عليه وسلم لأنجشة وهو عبد أسود حدا بامهات المؤمنين: «يا أنجشة رويدك رفقاً بالقوارير» يعني النساء. وذلك لأن الابل إذا سمعته زاد سيرها وأتعبت ركابها، والنّساء يضعفن عن ذلك فشبههن صلى الله عليه وسلم بالزجاج الذي يسرع انكساره وقبر مضر بالروحاء على ليلتين من المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ومن كلامه مَنْ يزرع شراً يحصد ندامة، قيل: وهو جماع قريش فتحصل في جماع قريش أربعة أقوال أحدها أنه فهر، ثانيها أنه النضر، ثالثها أنه الياس، رابعها أنه مضر، وأصحها عند الشافعية أنه النضر فمن يكن لوالده فليس بقرشي.

ومضر ابن نزار بكسر النون وتخفيف الزاي، وبعد الألف راء من النزر وهو القليل لأنه لما ولد نظر أبوه إلى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه وفرح فرحاًشديداً وأطعم كثيراً، وقال هذا نزر لحق هذا المولود فسمى نزار، وهو أوّل مَنْ كتب الكتاب العربي وقيل، أوّل مَنْ كتب العربي اسمعيل، لأن آدم عليه السلام كتب الكتب الإثني عشر، وهي العربي والسرياني والعبراني

والفارسي والحميري واليوناني والرومي والقبطي والبربري والأندلسي والهندي والصيني في طين وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فأصاب اسمعيل الكتاب العربي وأما ما جاء أوّل مَنْ خط بالقلم ادريس فالمراد به خط الرمل.

ونزار ابن معدّ بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة قيل له معد لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل، ولم يحارب أحداً إلا رجع بالنصر والظفر، وكان متقشّفاً يقنع من العيش بأدناه ولذا قال صلى الله عليه وسلم: «تمعددوا واخشوشنوا واستقبلوا وامشوا حفاة أي تشبهوا بعيش معد في التقشف». أو ما بعده تفسير له أي تخشنوا في المطعم والملبس بالرياضة فالتقشف والتخشن فيما ذكر سنة والاستقبال خارج الصلاة مندوب ويندب الحفاء إن لم يتضرر به وأمن النجاسة، ونقل السيوطي في المسالك، أن الله تعالى أوحى إلى ارمياء أن اذهب إلى بختنصّر فأعلمه إني قد سلطنته على العرب، وأمر الله أرمياء أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة فإني مستخرج من صلبه نبياً كريماً اختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك، واحتمل معه معد إلى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل، ثم عاد بعد أن هدأت الفتن، وهو ابن عدنان على وزن فعلان من العدن قيل سمي به لأن أعين الانس والجن كانت ناظرة إليه، قال ابن دحية: اجمع العلماء والاجماع حجة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه، انتهى. وعن ابن عباس: إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان. ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً، وكان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الذِّينَ مِن قَبْلِكُم قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمودَ وَالَّذينَ مِنْ بَعْدِهم لا يعلمهم إلا الله﴾ قال كذب النسابون يعني إنهم يدّعون علم الأنساب، ونفى الله تعالى علمها عن العباد، وعن ابن عمر أنه قال: إنما ينسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو. وقالت عائشة رضي الله عنها: ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً. فالأحسن الأعراض عن ذكر ما فوق عدنان لما فيه من التخليط وتغيير الألفاظ، وعواصة تلك الأسماء مع قلة الفائدة

﴿وحاصل نسب السادة آل باعلوي﴾

إن جدهم المنسوبون إليه الجامع لهم هو علوي بن عبدالله بن أحمد بن عيسى بن محمد على العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن الامام علي بن أبي طالب، وابن البتول فاطمة ابنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهو عليه الصلاة والسلام محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان نسب كعمود الصبح، وحسن تنزه بجده الحسن عن القبح ولله در القائل:

أولئـــك آبـــائي فجئني بمـثـلهـم إذا جمعتنـا يـا جــريـر المجــامـع

قال بعضهم هذا النسب يكتب لكل شيء لأنه اشتمل على حروف الاسم الأعظم وقد جرب في مهمات كثيرة وما زال السلف يحفظونه ويأمرون أولادهم بحفظه والتبرك به وما أحسن ما قيل.

هــات لي ذكــر من أحب وخـــل كل من في الوجود يرمي بسهمه
لا أبـــالي ولـــو أصـــاب فـــؤادي إنـــه لا يضـر شيء مـــع اسمـــه

وقد قيل أيضاً.

ونسبة غـير هـاشم من اصـولهـا ومحتـــدهـا المــرضي أكــرم محتــد
سمت رتبـة علياء أعـظم بقدرها ولم تـسـم إلا بـــالـنـبـــي محـمـــد

وما أحسن قول بني قحطان في نسب بني علوي.

نسب أضاء عموده في رفعه ... كالبدر فيه ترفع وضياء
وشمائل شهد العدوّ بفضلها ... والفضل ما شهدت به الأعداء
يزهو بسلسلة كعقد جواهر ... وشذوره ياصاح تلك الأسماء
حازوا اتصالاً بالنبي محمد ... نالوا به في العالمين بناء
باؤوا بفضل ليس يدرك غوره ... هم للفضائل سادة أكفاء
وهم الهداة لحائر في تيهه ... وعمائه هم قدوة علماء
سكنوا من العلياء أعلا رتبة ... ما فوقها للمنتمين سماء
أشراف سنيون نالوا رفعة ... وطهارة تقرا بها القراء
في محكم التنزيل شرف قدرهم ... ملك الملوك فلا لهم شركاء

ولقد أحسن السيد الجليل نور الدين علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف في قوله:

هل في انتساب العرب العرباء ... مثل النبي وصفوة الأولاد
والسيد الصديق أفضل صاحب ... والعترة الفضلاء والأجواد
من آل أحمد والفتى ليث الوغى ... والسادة النجباء والعباد
وحسين مع حسن وأولاد لهم ... أهل المعاني عمدة الأوتاد
والباقر الأوّاب مع زين الملا ... وبجامع الأفضال والأسياد
نسب زكي قد زها بمناقب ... ومفاخر وخصائص الأفراد
هل في الملا أصل كمثل اصولهم ... أو مفخر أو منسب لعباد
هل مثل أهل البيت في نسب أضا ... في قوة التصحيح والإسناد
نسب إلى المختار أفضل من رقا ... نسب سما ببواذخ الأطواد
نسب تسلسل من اصول سرائر ... وعلا العلا بشوامخ الأجواد
وأضا البلاد مع العباد شموسها ... وبدور حسن نقوة الأمجاد
هم منبع الأسرار معدن نورها ... وبهم يغاث الخلق خير عماد
نسب تمكن في اصول كماله ... برواسخ الآباء والأجداد
أطواده الصديق مع خير الورى ... وعلي مع عمر الرضا النقاد
وكذاك عثمان الرضا مع حمزة ... أيضاً وبالعباس عم الهادي

ومع البتول وابنها حسن العلا ... وحسين بحر الجود والإمداد
وعلى زين العابدين وباقر ... مع نسل جعفر والملا العباد
ثم ابن جعفر العريضي الفتى ... ثم السلالة صفوة الأسياد
أعني الأئمة من سلالة أحمد ... غرر الأنام وقادة الأجواد
أعظم به نسباً علا بحماته ... وسما كقلب في حشا الأكباد
نسب كغرس في العوالم قد علا ... هو قد حكى الأرواح في الأجساد
يحكيه عقد جواهر قد فصلت ... بصفا اليواقيت البهي الوقاد
أحبار علم قد أضاء شموسها ... وإلى السعادة قد زهت لعباد
أقطاب أسرار سمت بتمكن ... وتصرف الأبدال والأوتاد
هم رحمة للخلق أفراح لهم ... وبهم دفاع الشر والإفساد
وبهم نجاة الخلق مع جلب الندى ... ومدادهم يسري على الإمداد
كم في الخيال مع القفار ونحوها ... يسري سرائر سرهم بمداد
نسب تسلسل في انتظام مشايخ ... كم كامل مثن وكم جهاد
أكرم بهم أعظم بهم من سادة ... خصوا بفضل من عظيم جواد
وجليل فضل مع لطيف سرائر ... وحقائق لم تنحصر بعداد
ومن النبي إمدادهم وجاهم ... وإليه مرجع سرهم ووداد
هم مجتلى الأنوار مظهر نورها ... وشموس عرفان الورى والباد
والرحمة الكبرى المحيط كمالها ... هو أحمد المهدي خير عباد
صلى الله عليه مع السلام الهنا ... مع آله والصحب في الإنجاد
والختم حمدا لله ربي دائماً ... شكر على الإنعام والارشاد

﴿قال المؤرخون﴾ وكان عدنان في زمن موسى عليه السلام وقيل في زمن عيسى عليه السلام ويؤيد الأول ما رواه الطبراني عن أبي امامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لما بلغ ولد معد بن عدنان أربعين رجلاً وقفوا في عسكر موسى فانتهبوا فدعا عليه موسى عليه السلام فأوحى الله إليه لا تدع عليهم فإن منهم النبي الامي النذير البشير» الحديث إذ يبعد بقاء معد إلى زمن عيسى عليه السلام وفي نهر أبي حبان أن إبراهيم هو الجد الحادي والثلاثون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا خلاف أن عدنان من ولد اسمعيل ولا يخرج عربي في الأنساب عن عدنان، وقحطان

وولد عدنان يقال لهم قيس، وولد قحطان يقال لهم يمن، وأبو العرب سام بن نوح، قال صلى الله عليه وسلم: «سام أبو العرب وحام أبو الحبش. ويافت أبو الروم». رواه الترمذي وغيره ولا يعارضه خبر البزار ولد نوح ساماً وحاماً ويافثا فولد سام العرب وفارس الروم والخير فيهم، وولد يافت ياجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم، وولد حام القبط والبربر والسردان وذلك لأنه ضعيف من سائر طرقه، وورد في العرب أحاديث أفردها الحافظ أبو الحسين عبدالرحيم زين الدين العراقي في تأليف حافل لكنه طوله بالأسانيد الكثيرة، والطرق المستفيضة الشهيرة، سماه القرب في محبة العرب، فاختصره الشيخ ابن حجر الهيثمي في رسالة دون عشرة، سماها مبلغ الأرب في فخر العرب، فمن الأحاديث الواردة فيهم ما أخرجه الطبراني عن علي كرم الله وجهه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا علي اوصيك بالعرب خيراً اوصيك بالعرب خيراً». وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «حب العرب ايمان وبغضهم كفر مَنْ أحب العرب فقد أحبني ومَنْ أبغض العرب فقد أبغضني». وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث وفي رواية احفظوني في العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي. وقال صلى الله عليه وسلم: «احبوا العرب وبقاءهم فإن بقاءهم نور في الإسلام». وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا ذلت العرب ذل الاسلام». وقال صلى الله عليه وسلم لسلمان: «يا سلمان لا تبغضني يفارقك دينك». فقال يا رسول الله: كيف أبغضك؟ وبك هداني الله قال: تبغض العرب. وقال صلى الله عليه وسلم: «حب العرب ايمان وبغضهم نفاق». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يبغض العرب إلا منافق». وقال صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب مؤمن ولا يحب ثقيفاً مؤمن». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي». وقال صلى الله عليه وسلم: «من اقتراب الساعة هلاك العرب». وقال صلى الله عليه وسلم: «ليفرّن الناس من الدجال في الجبال قالت ام شريك يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم قليل». وقال صلى الله عليه وسلم: «إني دعوت للعرب فقل: «اللهم من لقيك منهم معترفاً بك فاغفر له أيام حياته وهي دعوة ابراهيم

واسمعيل على نبينا وعليهما الصلاة والسلام وإن لواء الحمد يوم القيامة بيدي وإن أقرب الخلق من لوائي يومئذ العرب». وفي رواية: «اللهم من لقيك منهم مصدقاً موقناً فاغفر له وفي الحديث الصحيح المتفق عليه «غفار غفر الله وأسلم سالمها الله». وفي رواية صحيحة. «والله ما أنا قلته ولكن الله قاله وورد لقبائل منهم فضائل، قال صلى الله عليه وسلم: «قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار وأشجع موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله»، وقال صلى الله عليه وسلم: «الملك في قريش والحكم». وفي رواية «القضاء في الأنصار والدعوة». وفي رواية «الأذان في الحبشة الحديث». وفي رواية «والسرعة في اليمن والأمانة في الأزد». وقال صلى الله عليه وسلم «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله». وقال صلى الله عليه وسلم: «آية الايمان حب الأنصار». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الحي من الأنصار حبهم ايمان وبغضهم نفاق». وقال صلى الله عليه وسلم لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله ورسوله»، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحبني أحب الأنصار ومَنْ أبغضني فقد أبغض الأنصار لا يحبهم منافق ولا يبغضهم مؤمن مَنْ أحبهم أحبه الله ومَنْ أبغضهم أبغضه الله الناس دثار والأنصار شعار ولو سلك الناس شعباً والأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار». وقال صلى عليه وسلم «أسلم وغفار وشيء من مزينة وجهينة أو قال أو شيء من جهينة ومزينة خير عند الله. قال: أحسبه قال يوم القيامة من أسد وغطفان وهوازن وتميم». وقال صلى الله عليه وسلم: «اسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من تميم وبني عامر ومن الخليقين بني أسد وغطفان». وقال صلى الله عليه وسلم: «خير الرجال رجال أهل اليمن والايمان يمان إلى لخم وجذام وعامر وماكول حمير خير من أكلها وحضرموت خير من بني الحارث وقبيلة خير من قبيلة وقبيلة شر من قبيلة والله ما أبالي أن يهلك الحارثان كلاهما لعن الله الملوك الأربعة حمداً ومحوساً ومسوحاً وأبغضه وأختهم العمودة». وقال صلى الله عليه وسلم: «مأكول حمير خير من أكلها وحضرموت خير من كندة». وقال صلى الله عليه وسلم: «الأزد أسد الله في الأرض يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم، وليأتين على الناس زمان يقول الناس يا ليت أبي أزديا ويا ليت امي أزدية، وقال صلى الله

عليه وسلم: «نعم الحي الأسد أي الأزد يقال بالسين والزاي والأشعريون لا يفرون في القتال ولا يغلون هم مني وأنا منهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «أحبوا بني تميم». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تقل لبني تميم إلا خيراً فإنهم أطول الناس رماحاً على الدجال». وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم اهد ثقيفاً» وقال صلى الله عليه وسلم: «جهينة مني أنا منهم غضبوا لغضبي ورضوا لرضاي أغضب لغضبهم وأرضى لرضاهم مَنْ أغضبهم فقد أغضبني ومَنْ أغضبني فقد أغضب الله ورسوله». وقال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله حميرا أفواههم سلام وأيديهم طعام فهم أهل أمن وايمان». وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم اهد دوسا وائت بهم». فلما قدموا عليه قال صلى الله عليه وسلم: «مرحبا بأحسن الناس وجوهاً وأطيبهم أفواها وأعظمهم أمانة». وقال صلى الله عليه وسلم: «أنا حجيج من ظلم عبد القيس» وقال صلى الله عليه وسلم خير أهل المشرق عبد القيس». وقال صلى الله عليه وسلم: «اسلمت عبد القيس طوعاً وأسلم الناس كرهاً بارك الله في عبدالقيس وموالي عبدالقيس». وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم اغفر لعبد القيس ثلاثاً». وقال صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه وفد عنزة «بخ بخ بخ بخ نعم الحي عنزة صبغي عليهم منصورون مرحبا بقوم شعيب واختان موسى». ثم لما أرادوا الانصراف، قال: «اللهم ارزق عنزة كفافاً لا قوتاً ولا اسرافاً» وقال صلى الله عليه وسلم: «رحم الله قيساً إنه كان على دين اسمعيل» وقال صلى الله عليه وسلم: «أكثر القبائل في الجنة مذحج» وأعلم أن مذحجاً بالذال المعجمة كمجلس قبيلة باليمن والأشعريون والأزد وهمدان والمغافر قبيلة باليمن ولخم قبيلة من قحطان وبنو عاملة وطي وحمير وأسلم، فكل هذه القبائل تجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وبنو بكر بن وائل وقضاعة ومنهم جهينة وخولان العالية يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في معد بن عدنان، وعبدالقيس يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في نزار بن معد، وعنزة حي من ربيعة بن نزار وقيس عيلان بالمهملة وابن مضر وقيل قيس بن غيلان بن مضر وعيلان بالمهملة فرسه أو كلبه وهوازن من قيس عيلان والنخع قبيلة من مذمج وسليم وأشجع يجتمعون معه صلى الله عليه وسلم في

مضر بن نزار وثقيف وتميم ومزينة يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الياس بن مضر.

واختلفوا في طبقات العرب فعن الزبير بن بكار أنها ست شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين المهملة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة نظمها الحافظ زين الدين العراقي فقال.

للعرب العرباء طباق عدة فصلها الزبير وهي ستة
أعم ذاك الشعب فالقبيلة عمارة بطن فخذ فصيلة

وذكر ابن سعد اثني عشر فقال الحدم، ثم الجمهور، ثم الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم العشيرة، ثم الفصيلة، ثم الرهط، ثم الذرية، ثم العترة قال بعضهم القبائل بطون العرب والشعوب بطون العجم والأسباط بطون بني اسرائيل، وورد في خبر ضعيف غريب أنه صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده ما أنزل الله وحياً قط على نبي نبأه إلا بالعربية ثم يكون بعد بلغة قومه بلسانه». وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية فإنه يورث النفاق».
وأما حديث أن التكلم بالفارسية يزيد في الحسب وحفظ المروءة فهو باطل أو ضعيف جداً، وقد جاء أول من فتق لسانة العربية البينة اسمعيل وهو ابن أربعة عشر وكان لسان ابراهيم عبرانياً ولسان اسمعيل عربياً ويقال لبني اسمعيل العرب المتعربة، وقال لجرهم وقحطان العرب العاربة، والعرب العرباء، ومعنى اسمعيل بالعبرانية مطيع الله وهو أوّل مَنْ سمي باسمعيل وهو بكر أبيه ولد له وهو ابن تسعين سنة وقيل ابن ست ثمانين سنة، وكانت ولادته بين الرملة وايليا لأن ابراهيم عليه السلام بعد واقعة النار هاجر إلى الشام ثم دخل مصر واتفق له مع الجبار فيها ما اتفق بسبب سارة وأخدمها هاجر، ثم رجع إلى الشام وولدت له هاجر اسمعيل، ثم أمره الله تعالى أن ينقلها وولدها اسمعيل إلى مكة، فحملها معه على البراق إلى مكة واحتمل معه قربة ماء ومزود تمر، فلما تركهما ولى فتبعته هاجر وقالت له آلله أمرك أن تدعني وهذا الصبي في هذا المحل الذي ليس به أنيس، قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا فرجعت عنه ثم نفذ ما معها من الماءفعطشت وعطش ولدها

فنظرت إلى الجبال فلم تر داعياً ولا مجيباً فصعدت على الصفا فلم تر أحداً، ثم هبطت وعينها من ولدها حتى نزلت في الوادي فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر فرأته، ثم صعدت المروة فما رأت أحداً وترددت كذلك سبعاً فعادت إلى ولدها، وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فتبادرت هاجر إليه، وحبسته عن السيلان لئلا يضيع الماء، وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لولا إنها عجلت لكانت عينا معيناً». فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل: لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتاً لله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه إن الله لا يضيع أهله ثم مرت رفقة من جرهم يريدون الشام فرأوا طيراً يحوم على جبل أبي قبيس فقالوا إن هذا الطير يحوم على ماء، فتتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم فقالوا لهاجر إن شئت نزلنا معك وآنسناك والماء ماؤك نشرب منه فأذنت لهم فنزلوا معها، فهم أوّل سكان مكة وتوفيت هاجر وقبروها في الحجر، وشب اسمعيل فتزوّج بالسيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وولدت له اثني عشر رجلاً، منهم ثابت وقيدا وفيطور وتكلم بلسانهم وكثر أولاد اسمعيل، ونموا وتوفي اسمعيل، ودفن في الحجر مع أمه وعمره مائة وثلاثون سنة، وأرسل الله اسمعيل إلى جرهم وقبائل اليمن في حياة أبيه، وفي الحديث أوحى الله إلى اسمعيل أن أخرج إلى اجياد فادع يأتك الكفر فخرج إلى أجياد فألهمه الله تعالى إلى دعاء دعا به، فلم يبق فرس بأرض العرب إلا أجابته وأمكنته من ناصيتها وذللها الله تعالى له فهو عليه السلام أوّل مَنْ ركب الخيل، وكانت قبل وحوشاً ومن ثم قيل لها العراب قال صلى الله عليه وسلم: «فاركبوها فإنها ميامين وهي ميراث أبيكم اسمعيل»، وهو أوّل مَنْ رمى بالقوس العربية، وكان كلما رمى أصاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارموا بني اسمعيل فإن أباكم كان رامياً». وقد أفرد الجلال السيوطي رسالة فيما يتعلق بالخيل سماها الذيل في الخيل، وفيما يتعلق بالرمي أخرى سماها غرس الأنساب في الرمي بالنشاب، ولم يبعث الله تعالى شريعة مستقلة من العرب بعد اسمعيل إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يشكل بما في البيضاوي كالكشاف أن بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب، وهو خالد بن سنان لأن هؤلاء بعثوا بتقرير شريعة عيسى صلى الله عليه وسلم لا بشريعة مستقلة، قال الحافظ عماد الدين كثير

في تاريخه كانت العرب على دين ابراهيم إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها، وزاد في التلبية بعد قوله لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.
قال السهيلي: كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت، ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبة بالنار أنه أوّل مَنْ غير دين ابراهيم، وفي رواية إنه كان أوّل مَنْ غير دين اسمعيل، فنصب الأوثان، ونحر البحيرة، وسيب السوائب، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، قال الحافظ السيوطي. في المسالك فثبت أن أبا النبي صلى الله عليه وسلم من عهد ابراهيم إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون بيقين ثم أورد آيات وأحاديث كثيرة، ثم قال فتحصل مما أوردناه أن أبا النبي صلى الله عليه وسلم من عهد ابراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين ابراهيم، وولد كعب بن مرة الظاهر أنه كذلك لأن أباه وصاه بالايمان وبقي بينه وبين عبدالمطلب أربعة آباء وهم كلاب وقصي وعبدمناف وهاشم لم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا، وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى.

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلألأ في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرناً فقرنا إلى أن جاء خير المرسلينا

ونقل ابن أبي حاتم في تفسيره عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين آدم تسعة وأربعون أباً، قال الشيخ ابن حجر في شرح قول الهمزية.

لم تزل في ضمائر الكون تختا رلك الامهات والآباء

﴿تنبيه﴾ لك أن تأخذ من كلام الناظم الذي علمت أن الأحاديث مصرحة به لفظاً في أكثره ومعنى في كله أن أبا النبي صلى الله عليه وسلم غير

الأنبياء وامهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يقال في حقه إنه مختار، ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في آية إنما المشركون نجس، وقد صرحت الأحاديث السابقة بأنهم مختارون وأن الآباء كرام والامهات طاهرات، وأيضاً فهم إلى اسمعيل كانوا من أهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الآية الآتية وكذا ما بين كل رسولين وأيضاً قال الله تعالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ على أحد التفاسير فيه أن المراد تنقل نوره من ساجد إلى ساجد، انتهى. وإذ قد انتهى الكلام على أشرف الأنساب فلنرجع إلى تمام ترجمة الباب.

﴿محمد بن علي العريضي﴾

أعلم أن أوّل مَنْ ارتحل من المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام إلى العراق هو الامام فخر الاسلام أبو عيسى محمد بن علي العريضي، ابن الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فسكن البصرة وكذلك ولده عيسى وتوفيا بها وولد بها الإمام أحمد بن عيسى ونشأ بها كما مر، وكانوا على غاية من التعظيم والإجلال ونهاية من الاحترام والإقبال، ولكن لكل شيء حد محدود وأمد من المقدور ممدود، ولكل شيء سبب من الأسباب، وعلة يدور عليها التقلب والانقلاب ومن أسباب ارتحاله من ذلك الوطن، أن ملك بني العباس قد ضعف وتذلل بعد العز وامتهن ودخل النقص في الدنيا والدين، وغلب أهل البدع واخوان الشياطين، وحصل على الاشراف العلويين أنواع الأذى والامتهان، وشدة الهوان والامتحان، ومن ثم أنشأ عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد قصيدته التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم وأتى فيها بما تمجه الاسماع وتنفر منه الطباع، وما أنصف فيما ادعاه، وإن أتى بشعر بليغ في معناه وما أحسن قول الأديب ابن الرومي رحمه الله تعالى:

في زخرف القول تزيين لباطله — والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه — وإن تعب قلت ذا في الزنابير
مدحاً وذماً وما جاوزت حدهما — سحر البيان يرى الظلمات كالنور

وهذا منتخب قصيدة ابن المعتز سامحه الله تعالى.

ألا من العين وساكبها — تشتكي القذى وبكاها بها
ترامت بنا حادثات الزمان — ترامي القسي بنشابها

ويـارب ألـسـن كـالـسـيـوف | تـقـطـع أرقـاب أصـحـابـهـا
وكـم دهـى المـرء مـن نـفـسـه | فـمـزقـه حـد أنـيـابـهـا
وإن فـرصـة أمكنت في العـدوّ | فـلا تـبـد فـعـلك إلا بـهـا
فـإن لم تلج بـابـهـا مسـرعـاً | أتـاك عـدوّك مـن بـابـهـا
ومـا نـافـع نـدم بـعـدهـا | وتـأمـيـل أخـرى وأنى بـهـا
ومـا ينقص من شباب الـرجـال | يـزد في نهاهـا وألـبـابـهـا
نهيـت بـني رحمي نـاصـحـاً | نـصـيـحـة بـربـا نـسـابـهـا
وقـد ركـبـوا بغيهـم وارتـقـوا | مـعـارج تهـوى بـركـابـهـا
ورامـوا فـراس أسـد الشـرى | وقـد نـشـبـت بـين أنـيـابـهـا
دعـوا الأسـد تفرس ثم اشبعـوا | بمـا يفضـل الأسـد في غـابـهـا
قـتـلـنـا أمـيـة في دارهـا | ونـحـن أحـق بـأسـلابـهـا
ولمـا أبى الله أن تمـلـكـوا | نهضـنـا إلـيـهـا وقـمـنـا بـهـا
ونـحـن ورثـنـا ثـيـاب النبي | فـكـم تجـذبـون بـأهـدابـهـا
لـكـم رحـم يـا بـنـي بـنـتـه | ولـكن بـنـو الـعـم أولىٰ بـهـا
فـمـهـلاً بـني عـمـنـا أنـهـا | عـطـيـة ربـنـا حـيـانـا بـهـا
وكـانـت تـزلـزل في العـالمـين | فـشـدت لـدنـيـا بـأطـنـابـهـا
وأقـسـم بـأنـكـم تـعـلـمـون | بـأنـا لهـا خـير أربـابـهـا

ورد عليه شاعر زمانه الصفي الحلي بقوله:

ألا قـل لـشـر عـبـيـد الإلـه | وطـاغـي قـريـش وكـذابـهـا
أأنـت تـفـاخـر آل الـنـبـي | وتجـحـدهـا فـضـل أنـسـابـهـا
بكم بـأهـل المصطفي أم بهم | فـرد الـعـداة بـأوصـابـهـا
أعـنكـم نفـي الـرجس أم عنهـم | لـطـهـر الـنـفـوس وألـبـابـهـا
أمـا الشرب واللهـو من دأبكم | وفـرط الـعـبـادة مـن دأبـهـا
هم الصـائمـون هم القـائمـون | هـم الـعـالمـون بـآدابـهـا
هم الـزاهـدون هم العـابـدون | هـم الـسـاجـدون بمـحـرابـهـا
هـم قـطـب مـلة ديـن الإلـه | ودور الـرحـا بـأقـطـابـهـا
تـقـول ورثـنـا ثـيـاب النبي | وكـم تجـذبـون بـأهـدابـهـا
وعـنـدك لا تـورث الأنـبـيـاء | فـكـيـف حـظـيـتـم بـأثـوابـهـا

أبوهم وصى نبي الاله — وأهل الوصية أولى بها
أجدك يرضى بما قلته — وما كان يوما بمرتابها
وكان بصفين من حربهم — لحرب البغاة وأحزابها
وصلى مع الناس طول الحياة — وحيدر في صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم — وهل كان من بعض خطابها
وإذ جعل الأمر شورى لهم — فهل كان من بعض أربابها
وقولك أنتم بنو بنته — ولكن بنو العم أولى بها
بنو البنت أيضا بنو عمه — وذلك أدنى لأنسابها
وقلت بأنكم القاتلون — أسود أمية في غابها
كذبت ولولا أبو مسلم — لفرت على جهل طلابها
وقد كان عبداً لهم لا لكم — رأى عندكم قرب أنسابها
وكنتم أسارى بطون الحبوس — وقد شفكم لثم أعتابها
فأخرجكم وحياكم بها — وقمصكم فضل جلبابها
فجازيتموه بشر الجزا — لطغوى النفوس وإعجابها
فدع للخلافة فضل الخلاف — فلست ذلولا لركابها
وما أنت والفحص عن شأنها — وما قمصوك بأثوابها
وما ساورتك سوى ساعة — فما كنت أهلاً لأسبابها
ودع ذكر قوم رضوا بالكفاف — وجاؤا القناعة من بابها
عليك بلهوك بالغانيات — وخل المعالي لأربابها
ووصف العذار وذات الخمار — ونعت العقار بألقابها
فذلك شأنك لا شأنهم — وجري الجياد بأحسابها

ومن أسباب هجرتهم ظهور طائفة الزنج الملاعين، وفتكهم بالمسلمين، واستيلاؤهم على البصرة وما قاربها من البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وسبوا نساء المسلمين، وكانوا ينادون على الواحدة بدرهمين وقتلوا في البصرة في يوم واحد ثلثمائة ألف، وذكر الصولي أن جملة من قتلوه ألف وخمسمائة ألف وكان كبيرهم يدعى بهبول، يزعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي وهذا نسب لم يصح، وكان يوهم أصحابه أنه يطلع على المغيبات، وأنه أرسل

إلى الخلق، وكان يسب عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية، وهو رأي الأزارقة، وكان الخليفة يومئذ المعتمد بن المتوكل منهمكا في اللذات والأمور كلها بيد أخيه الموفق، فانتدب لقتال هؤلاء اللئام فهزم عسكرهم المخذول، وقتل كبيرهم بهبول، وهبت ريح بالبصرة صفراء، ثم صارت خضراء، ثم سوداء، وامتدت في الأمصار ووقع عقبها برد وزن البردة مائة وخمسون درهماً، وقلعت الريح ستمائة نخلة، ومطرت قريةبحجارة سودا وبيضا، وظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطي نسبة إلى قرمطة احدى قرى واسط، وكان كيالاً بالبصرة يسخر به فخرج إلى البحرين وانضاف إليه بقايا الزنج، فأفسد وتفاقم أمره حتى بعث إليه الخليفة جيوشاً وهو يهزمها، وكان ظهوره سنة ست وثمانين ومائتين، واستمر إلى أن مات سنة احدى وثلثمائة، وفي سنة سبع وثمانين ومائتين أغار على البصرة ونواحيها، فسار لحربه العباس بن عمرو الغنوي في عشرة آلاف مقاتل، فأسر القرمطي الغنوي وجميع من معه من الجيش وقتلهم وحرقهم، وأطلق العباس الغنوي فجاء إلى المعتضد وحده فعد من العجائب، ثم فاض البحر على الساحل، فأخرب ما لم يعهد مثله وهبت ريح بالبصرة أيضاً قلعت عامة نخلها ولم يسمع بمثل ذلك، وفي سنة ثلثمائة كثرت الأمراض والعلل بالعراق وكلبت الكلاب والذئاب بالبادية فأهلكت خلقا كثيراً، وانقضت الكواكب انقضاضاً شديداً، وفي سنة سبع وثلثمائة دخلت القرامطة البصرة، فقتلوا وسبوا ونهبوا واستباحوا الحرم ورمى الناس نفوسهم في الماء فغرق كثيرون، وفي سنة تسع وثلثمائة قتل حسين بن منصور الحلاج ببغداد، وجرى مع ذلك فتن وأهوال، تشيب منها الأطفال، حتى عاد الدين غريبا، واشتعل رأسه شيبا وأظلمت تلك الديار، ووجبت الهجرة منها والفرار، وفي سنة سبع عشرة وثلثمائة هاجر الإمام شهاب الدين أحمد بن عيسى إلى الله ورسوله، طالباً من الله بلوغ مأموله وسوله، فامتطى غارب الغربة وركب التطواف مع كل صحبه شعر.

إن كان لابد من أهل ومن وطن — فحيث آمن من الغي ويأمنني

ولمشقة الغربة في العادة زادت رتبة الهجرة في العبادة، وقال صلى الله عليه وسلم: «موت الغربةشهادة»، وكان يقال مفارقة الأوطان صعبة ولو عن

سم العقارب، والغربة كربة ولو بين الأقارب، وغريب الديار ولو نال مناط الثريا فيكفي أن يقال له غريب، وبعيد المزار ولو تهيأ له ما تهيأ، فما له في الراحة سهم ونصيب وليس هو رضي الله تعالى عنه بأوّل من ارتحل عن وطنه وبان وهاجر إلى الأوطان خوف الافتتان.

وكم بانت الأوطان يوما بأهلها — فأورثهم عز الحياة التغرب
وهذا رسول الله فارق مكة — على جفوة لم ترضها فيه يثرب

وسافر معه بولده عبدالله لصغره وتخلف ولده محمد على أمواله واستمر محمد بالبصرة إلى أن توفي بها وله بها عقب مذكور في كتب الأنساب وارتحل مع الإمام أحمد بن عيسى من بني عمه اثنان هما في الفضل فرسا رهان أحدهما محمد بن سليمان بن عبيدالله بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمحام بن عون ابن الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط رضي الله عنهم أجمعين الملقب بالأهدل على ما قاله السيد علي المحدث الطاهر بن الحسين الأهدل في كتابه بغية المطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب وغيره قال والأهدل لقب شريف قال بعضهم معناه الأدنى الأقرب يقال هدل الغصن إذا دنا وقرب وقال أبو السعادات الفاكهي المكي سمي الأهدل لأنه على الإله دل وقد نظم بعض الفضلاء نسب الشيخ علي المذكور في قوله:

علي بن فاروق أبوه محمد — ثم سليمان الرضي المسدد
عبيد عيسى علوي محمد — حمحام عون كاظم مؤيد
جعفر الصادق قل محمد — بن حسين وعلي السيد

وأما محمد الكامل بن أحمد بن جعفر الصادق كما قاله العلامة محمد بن أبي بكر الأشخر قال وأما شرف بني الأهدل فقد تواترت به المصنفات واشتهر في كثير من المؤلفات على ألسنة جماعة من المسلمين يؤمن تواطؤهم على الكذب فقد ذكر بدر الدين حسين بن عبد الرحمن الأهدل في تحفة الزمن والشرجي في طبقات وصاحب العقد الثمين وصاحب النفحة العنبرية فقال بعد ذكر السيد عبدالرحمن المذكور ومن ولده بنو الأهدل بفتح الهمزة وسكون

الهاء ودال مهملة بعدها لام قيل وأوّل من تظاهر بالتصوف واخفاء اسم الشرف عنه محمد الكامل بن تقي الدين وكان خرج من العراق ولم أعرف صورة اتصال أبي عبدالله محمد الأهدل بالشريف عبدالرحمن بن سالم انتهى بمعناه وذكر الشرجي أن سبب اخفاء شرفهم أن جدهم كان إذا سئل عن نسبه انتسب إلى الفقر ونحوه في تحفة الزمن وأفاد فيها أن منهم بني مطير بضم الميم وفتح المهملة انتهى والثاني السيد الكريم جد السادة الأشراف بني قديم بضم القاف مصغراً الذين اشتهر منهم كثيرون منهم الإمام ابراهيم بن أحمد بن أبي بكر الغربادي بن علي محمد النجيب بن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن علي بن آدم بن إدريس بن حسين بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ذكره الأهدل في تحفة الزمن والشرجي في الطبقات ومن متأخريهم الشيخ الكبير الولي الشهير أبكر صائم الدهر وتبعهم جماعة من خدامهم ومواليهم والذي اشتهر من خدام الإمام أحمد بن عيسى مخدَّم بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة وهو من عرب البصرة ومن مواليه اثنان مختار وشويه بفتح الشين المعجمة وكسر الواو واسكان الياء التحتية ولهؤلاء الثلاثة عقب بحضرموت لم يزالوا محترمين ومن أراد بهم سوأ عجل الله له بالعقوبة قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم ومن ثم قال الإمام الشافعي رضي الله عنه تحرم الزكاة على موالي بني هاشم والمطّلب كما مر ثم قدم الإمام أحمد بن عيسى ومن معه إلى طيبة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وأقاموا بها ذلك العام ففازوا من جدهم بأوفى الحظ والإنعام وهذه السنة أعني سنة سبعة عشر وثلثمائة هي التي ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها كل الحاضر والباد دخل أبو طاهر بن أبي سعيد القرمطي مكة المشرفة بعسكره يوم التروية والناس حول الكعبة ما بين مصل وطائف ومشاهد فدخل المسجد الحرام بفرسه وركض بسيفه مشهوراً وهو سكران ووضعوا السيف وقتلوا في المطاف ألفا وسبعمائة ورموا بهم في بئر زمزم وقتلوا خارج المسجد أكثر من ثلاثين ألفا وملؤا بهم الآبار والحفر ونهبوا الديار وسبوا النساء والصغار وأخذوا خزانة الكعبة وما فيها من القناديل والكسوة والباب وقسم ذلك بين أصحابه وطلع على الباب وأنشد:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

ولم يسلم إلا مَنْ اختفى في الجبال ولم يقف بعرفة ذلك العام الا قليلون خاطروا بأرواحهم وأتموا حجهم مستسلمين للموت وقلع الحجر الأسود وأمر بقلع الميزاب فطلع لقلعه رجل فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فخر ميتاً وطلع آخر فسقط ميتا فهابوا فقال أبو طاهر اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي يزعم أنه منهم وأراد أخذ المقام فلم يظفر به لأن سندنته غيبوه في بعض الشعاب وصار بزندقته يقول:

فلو كـان هـذا البيت لله ربنـا — لصبت علينا النار من فوقنا صبا
لأنّا حججنا حجـة جـاهليـة — مجللة لم تبق شـرقاً ولا غـربا
وأنّا تـركنا بئر زمـزم والصفا — جنائـز لا تبقى سوى ربها ربا

ويقال أن عسكره نحو سبعمائة نفس فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وحمل الحجر الأسود معه يريد أن يحول الحج إلى بيت بناه في هجر وخطب لعبيد الله المهدي أوّل الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أوّل ظهوره وكتب بذلك إلى عبيد الله فكتب في جوابه أن أعجب من العجب ارسالك بكتبك إلينا ممتناً بما ارتكبت في بلد الله الأمين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترماً في الجاهلية والإسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه يصافح بها عباده وحملته إلى منزلك ورجوت أن أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله ثم لعنك الله والسلام من على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل الى القرمطي انحرف عن طاعته وبعد عود القرمطي الى هجر رماه الله تعالى في جسده بداء حتى تقطعت أوصاله وتناثر الدود من لحمه وطال عذابه واستمر الحجر عندهم نحو عشرين سنة طمعا أن يتحول الحج إلى بلدهم وبذل حكم التركي مدير الخلافة خمسين ألف دينار في رد الحجر الأسود فأبوا كذلك أرسل المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي إلى أحمد بن أبي سعيد أخي أبي طالب بخمسين ألف دينار ليرده فلم يفعل ولما أيست القرامطة من تحويل الحج ردوا الحجر وَحملوه على قعود هزيل فسمن ولما ذهبوا به مات تحته أربعون جملاً وقالوا أخذناه بأمر ورددناه بأمر وقد طال الكلام في هذا المقال وهو وإن كان خارجاً عن المقصود يتعلق بما نحن فيه وإليه يعود إلى ما فيه من العبر لمن اعتبر

والإتعاظ بحال من مضى وعبر (ولنعد لما نحن بصدده) فانه المهم والله المرشد اللهم وفي سنة ثمانية عشر وثلثمائة حج الإمام أحمد بن عيسى ومعه من بني عمه ومواليه ولم يتيسر لهم التوطن بأحد الحرمين وسألوا الله تعالى أن يختار لهم ما يرضاه من البلاد ثم رأوا أن اقليم اليمن في ذلك الزمن سالما من المحن والفتن ورأوا سحائب الخير عليه ماطرة وانديته عليه بالنعم والجود عامرة مع ماور فيه من الأحاديث والآثار التي لا يطرقها طعن ولا إنكار فقد قال صلى الله عليه وسلم إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن فانها مباركة وقال صلى الله عليه وسلم عليكم باليمن إذا هاجت الفتن فإن قومه رحماء وأن أرضه مباركة وللعبادة فيه أجر كبير وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا وفي نجدنا قال: «اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال: «هناك الزلازل والفتن.» وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أشار نحو اليمن وقال: «الآن الايمان ها هنا.» وقال صلى الله عليه وسلم «الله أكبر جاء نصر الله وجاء الفتح وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الايمان يماني والفقه يماني والحكمة يمانية». وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً الايمان يماني والحكمة يمانية والفخر والخيلاء في أصحاب الابل والسكينة والوقار في أهل الغنم». وقال صلى الله عليه وسلم: «الايمان ههنا وأشار بيده إلى اليمن والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر» قال القسطلاني: أشار بيده إلى اليمن أي أهلها لا من ينسب إليها ولو كان من غير أهلها. وفيه رد على من زعم أن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الإيمان يماني الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل لأن في اشارته إلى اليمن ما يدل على أن المراد به أهلها حينئذ لا الذين كان أصلهم منها وبه الثناء عليهم بذلك إسراعهم إلى الايمان وحسن قبولهم له ولا يلزم من ذلك نفيه من غيرهم كما لا يخفى انتهى. وفي اليمن أحاديث كثيرة أفردها غير واحد منهم الشيخ بهاء الدين الجندي، والامام ابن أبي الحب والشيخ جمال الدين عبد الباقي بن عبد المجيد القرشي جمع أربعين حديثاً في فضائل اليمن، وذكر صاحب كتاب بهجة الزمن في أخبار اليمن، والإمام المحدث عبد الرحمن الديبع في كتاب قرة العيون.

بأخبار اليمن الميمون، والشيخ عبدالله بن اسعد وابن سمـرة، والخزرجي ذكروا جملة كثيرة، ثم توطن الإمام جد السادة المهادلة بوادي سهام، والسيد الكبير جد بني قديم بوادي سردد، بضم المهملة وسكون الراء وضم الدال المهملة المكرره وهذان الواديان مشهوران باليمن، خرج فيهما كثيرون اشتهروا بالفضل والولاية وقد ألف الشيخ محمد بن أبي بكر الأشخر رسالة سماها (كشف الغين عمن بوادي سردد من ذرية السبطين) فقال: جملة أبناء الحسنين بوادي سردد وماداناها بنو القديمي وبنو الشحر وبنو أحمد وبنو الولي وبنو الصوفي وبنو اسمعيل وبنو العرب وبنو الجروفي وبنو حجر وبنو الصديق وبنو البحر وبنو الثلج وبنو الشاح، فهذه ثلاثة عشر قبيلة يجمعها حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله ابن حسين بن علي بن آدم بن ادريس بن حسين بن محمد بن الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق.

ومنهم بنو سهيل وبنو العطار وبنو محيمس وبنو صلاح وبنو مهدي وهم غير بني مهدي الذين من ذرية الحسن بن علي فهذه الخمس قبائل من ذرية الجديد الشريف الوافد على الشريف حسن بن يوسف في زمنه وذكر أن نسبه في محمد الجواد، قال ومن الأشراف القاطنين بسردد بنو أبي هريرة يرجع نسبهم إلى الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم ابن الحسن المثنى، ومنهم بنو المعروف بنواحي صبيا يتصلون بالحسن المثنى ومنهم بنو بزار بنو ( ) وبنو مهدي بنو مطاعن وبنو بدر، وأما المباخصة فليسوا بأشراف بل يرجعون إلى عبيدة. انتهى. ولما أراد الله سبحانه وتعالى بأهل حضرموت خيراً واحساناً وظهور الفضل فيهم كرماً وامتناناً وقضى لهم بالسعادة العظمى والفوز بالعقبى وقد رفع الله المحن والفساد، وأطفأ نيران البدع من تلك البلاد أهدى لهم السيد أحمد بن عيسى الميمون الذي يحق أن يفرش لمجيئه الجفون، بل سواد العيون وان يبذل له المال والأهل والبنون فلم يزل يمتطي مطية الارتحال ويستعذب الغربة ومشقة الانتقال كأنه النجم في السماء يهتدى به من الضلال أو البدر يستضاء به في ديجور الليال أو شمس عم نفعها الدنيا سهلها والجبال إلى أن استقر بحضرموت هو وأهله ومواليه قاطبة وتديرها وضراتها له خاطبة وأول بلد أقام بها مدينة الهجرين وهي من مدينة تريم على

نحـو مرحلتـين، قال الشيـخ، عبدالله بن مخـرمة الهجـراني هجـرين بلدة بحضرموت بين صقع يقال له الكسر، وصقع يقال له دوعن بيتها وبين دوعن أقل من يوم خرج منها جماعة كثيرون من العلماء والصالحين، نفع الله تعالى بهم انتهى.

قال في القاموس والهجران قريتان في رأس جبل حصين قرب حضرموت يقال لأحداهما قيدون والأخرى دمون انتهى. وأقام بها برهة من الزمان واتحف فيها برد الأمان واشترى بألف وخمسمائة دينار نخيلاً وعقاراً ثم سافر منها يبتغي عوضا عنها ووهب عتيقه شويه ذلك العقار الذي اشتراه بتلك الديار، ثم سكن قارة بني جشير، بضم الجيم وفتح الشين المعجمة ثم ياء تحتية ثم راء تصغير جشر بالتحريك وهو الرجل الغريب أو نسبه الى الجاشرية قبيلة من العرب ويقال جشيب بالموحدة ولم تطب له فرحل عنها إلى الحسيسة بضم الحاء وفتح السين المكررة المهملتين بينهما تحتية مشددة مكسورة، وهي قرية على نصف مرحلة من تريم، واستوطنها واشترى أكثر أرض صوح، بفتح المهملة وسكون الواو آخره مهملة وهي من القلعة المعروفة وفيها إلى البئر العلوية التي بأعلا مدينة بور بفتح الباء الموحدة، وهذه البئر مشهورة حفرها السيد الجليل علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى وطواها بحجارة كبار وكتب اسمه على كل حجارة من الحبل الأعلا، وهو المدماك، ولما وصل السيد الإمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار، وعملت المطى إليه من أقصى القفار، واستبشرت بوصوله الأرواح الطاهرة، وخافت منه النفوس الفاجرة، وعلم الفضلاء أنهم ظفروا بضـالتهم المنشودة، وبغيـة أنفسهـم المفقودة، ودخلت الخوارج تحت الطاعة وعلمت الأباضية أنهم ليس لهم بأهل السنة استطاعة، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد الاضمحلال، ولاح بدرها في أوج الكمال وطلعت شمسها بعد الزوال، وأظهر امامه الإمام الشافعي رضي الله عنه بنشر مذهبه وأقعد النسب الهاشمي في عليا رتبة، وتاب على يديه خلق كثير، ورجع عن البدعة إلى السنة جم غفير بعد أن ركبوا الصعب والذلول في تشتيت شمله والله يجمعه واجتهدوا في خفض مناره والله تعالى يرفعه وضربت على من تمادى غيه على الذلة والمسكنة، وأبدله الله تعالى مكان السيئة الحسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه: «لأن يهدي الله بك رجلاً

واحداً خير لك من حمر النعم» متفق عليه، وحكي عن الشيخ الكبير عمر بن ميمون لما توطن أحور كتب إليه الشيخ الجليل اسمعيل ابن محمد الحضرمي كيف آثرت سكنى أحور على تهامة فأجابه: بأن أكثر أهل تهامة مشاة على أقدامهم وأني وجدت أحور بلد الساقط لكثرة ما فيها من الفواحش فأرجو أن ينقذ الله تعالى أحداً منهم على يدي، فكتب إليه اسمعيل الحضرمي هنيئاً لك فقد ظفرت بما لم نظفر به، فهدىٰ الله تعالى به خلقاً كثيراً من أجلهم الشيخ أحمد بن الجعد ولهم قدس الله أرواحهم مقاصد حسنة يرشدهم تعالى إليها، ويكون هو المتولي لهم فيها لقوله تعالى ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصالحين﴾ ومن ثم سلمت ذرية الإمام أحمد بن عيسى مما شان أهل العراق من البدع وظلماتها وموافقة الرافضة في قبائح معتقداتها، وصار أولاده للأرض أوتادا ولأهلها سنداً وعمادا، ولم يزل متوطناً بالحسيسة إلى أن قدم عليه بريد أجله فأقدم على ما قدم من صالح عمله وكان انتقاله إلى رحمة الله تعالى سنة خمس وأربعين وثلثمائة، ودفن في شعب الحسيسة الشرقي المعروف بشعب مخدم وقبره الآن بها مشهور بالزيارة والقراءة معمور وعمل عليه بناء وبني بقربه مسجد وحفر بئر، وكان أكابر السادة يقصدونه بالزيارة لاسيما الشيخ عبدالرحمن السقاف، والشيخ عبدالله العيدروس فانهما كثيرا الزيارة في الشعب المذكور أدام الله عليه سحائب الرحمة والرضوان وأسكن صاحبه غرف الجنان وقد تقدم بعض ذكر عند ذكره في سلسلة النسب، وكانت الحسيسة قرية عامرة بالسكان والمسافرين إلى أن أخربها عقيل بن عيسى الصبراني سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وأعقب أحمد ابنين محمد الذي خلفه بالبصرة كما مر، والثاني عبدالله وقد سبقت ترجمته وهو الذي خلف أباه علمًا وزهدا وعبادة وارتحل بعد والده إلى سمل، ووهب أرض صوح لمولاه جعفر مخدم واستوطن سمل واشترى بها أموالاً، وتزوج بابنة سمول واولدها جديداً واستمر بها إلى أن توفي سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة كما سبق، وسكنها ولده محمد وبنو عميه بصرى وحديد برهة من الزمان ثم ارتحلوا عنها وكانت بالسادة من أشهر القرى لما يوجد فيها من كثرة القرى ملجأ للخائف وملاذ للبادي والعاكف، فلما ارتحلوا عنها صارت طللا من الأطلال ودمنة تلعب بها هبوب الجنوب والشمال:

ولم يبق بها أنيس   إلا اليعافير وإلا العيس

ثم سكنوا بيت جبير، بجيم مضمومة فموحدة فتحتية فمهملة تصغير جبر، وهي مدينة لطيفة الهواء عذبة الماء ووجدوا بها جماعة من أعيان ذلك الزمان، فطاب لهم الاستيطان وأسسوا مسجد التقوىٰ في ذلك النادي، وتقدس بهم ذلك الوادي، وكان لهم حارة تسمى العلوية، لم تزل أنوارهم بها مضية وآثارهم إلى الآن موجودة، وللتبرك بها مقصودة. وكانت كالرياض في زهرتها وكثرة عمارتها وحسن نضارتها وكانت قصورها عالية وغرفها سامية، إلى أن تفرق أهلها بدداً ، وصارت مأوى البوم والصدى وهدمت ديارها حجراً حجراً وتركت خبراً لا أثراً، وأصبحت تلك القصور كالمحو من السطور.

كأن لم يكن فيهم أوانس كالذي واقبال ملك في بسالتهم أسد
فمن حاتم في جوده وابن مامة ومن أحنف إن عد حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فأصبحوا لنا عبرة تدمي الحشا ولم تعد

كان السادة في مدة استيطانهم ببيت جبير يكثرون الدخول إلى مدينة تريم، ويترددون في أرجائها تردد النسيم، فرأوها ذات رياض أريضة وأهوية صحيحة مريضة، ووجدوا ماءها أحلى من العسل وثمارها يقوم مقام الأسل، ووجدوا بها بساتين قد بكت أنهارها وتضاحكت أزهارها وطاب روح نسيمها، وصح مزاج اقليمها ووجدوا بها من أرباب العلوم والآداب وأصحاب الفهوم والألباب ما شغلهم عن الأهل والوطن وأذهلهم عن كل خل صفي وسكن، فتدانوا منها ولا تداني المحبين، وعانقوها ولا عناق العاشقين. وقابلوها بمقام لا يرى لهم معه محيص، وأقبلوا عليها اقبال النهم الحريص، فحينئذ نصبوا بها خيامهم الزواهي، وظلتهم سحائب الكرم الالهي، وتغنت لوصولهم أطيارها، وتمايلت طرباً أشجارها، وأشرقت فيها شموسهم وبدورهم، وفاح بها مسكهم وعبيرهم، وازدهت بهم حيث صارت محلتهم، وفخرت حيث آلت إليها نقلتهم ، وقال المحل بلسان الحال:

بقدومكم نزل السرور بساحتي وغدا بها طير الهناء يغرّد
ولقد سموت على الديار بقربكم حتى كأني فوقهن الفرقد

سبحــان من بـالعــز أبـدل زلتي ... وأنــالني منحــاً عليهــا أحســد
إن البقــاع إذا نــظرت رأيـتهــا ... تشقى كـما تشقى الرجـال وتسعد

ولما طلعت الشموس العلوية وسطعت أنوار البضعة المحمدية أنشد منشد السعد في الغور والنجد.

طـابت تريم وطـاب تـرب محلهـا ... أضحوا بها القنديل وهي المسجـد
تختـال زهوا في العـراص بحسنهـا ... بحلول سلمى حسنهــا لا تـفقــد
أضحت تـريم بهم عروساً تجتلي ... تــزكــو بمســك نشــره يتــردد
ورّاث طــه لــلخـليــقــة قــدوة ... جــرثـومــة علويـة قــد مهــدوا
سبـل الهـدايــة بـالعلوم وبــالتقى ... للســاكنـين وللغــوى فيــرشــدوا
يــا ربــع سـلمى رحمــةً وتحيــة ... مني عليـك بمـدى الـزمـان يـردد

وكان حلولهم بمدينة تريم سنة احدى وعشرين وخمسمائة، وأوّل من سكنها الإمام العارف بالله علي بن علوي الشهير بخالع قسم وأخوه سالم ومن في طبقتهما من بني بصرى وجديد. ﴿وهھنا﴾ خطر ببالي ولاح في خيالي أن أذكر بعض محاسنها وأتعرض لذكر بعض أماكنها ولقد جاء في الأثر عن سيد البشر حب الوطن من الإيمان ومن المحبة نشر المحاسن والتشبب بذكر الأماكن شعر.

كـرر حـديثــك مخـطئــاً ومصيبـاً ... إن كـان عهـدك بـالـديـار قـريبـا
فلقد رجعت إلى القلوب بروح ما ... حــدّثـت أرواحــاً لنــا وقـلوبــا

وهي مدينتنا الذي عقدت بها التمائم، ونلت فيها الغنائم، بها ولدت أنا وأبي وجدي وجد جدي ونشأت بها وقرأت بها إلى أن ارتحلت عنها في زمن الشبيبة، فأقول هي تريم وزنها كقدرها عظيم، أوّلها مثناة فوقية فراء تحتية وآخرها ميم هي المدينة الحائزة للمفاخر بلاثنيا، المتقلدة من المآثر حلياً الروضة الغنا التي لها أجياد الجياد تثنى، ويحق أن تهتز لها القراطيس إذا عليها يثنى، مجمع الأولياء العظام والسادات الكرام ومعدن العلماء الأعلام، ومحطُ رحال أولي المحابر والأقلام، حضرة العارفين الأكابر، الحائزين للفضائل والمفاخر، وجنة العلوم والعرفان وروضة الأسرار والإيمان، وحديقة كمال صفاء اليقين والإحسان، ومغارس

أشجار الفضل والأدب، وذهب المعاني الذي يفوق على الذهب، فكم فيها من ولي نفعت المسلمين آثاره، وحبر فاقت تصانيفه وراقت أخباره، وفقيه أسنى من درج وحافظ حدّث عنه ولا حرج، قال الفقيه طحه بطاء مهملة مكررة: أعرف في تريم ثلثمائة مفت في زمان واحد وكذلك حكي عن الشيخ العارف بالله علي بن سلم، وكان الصف الأوّل من الجامع يوم الجمعة كلهم علماء وسميت باسم الملك الذي اختطها وهو تريم من حضرموت، وقيل إن الذي اختطها سعد الكامل، وذكر العلماء عدة من البلدان سميت باسم بانيها، منها همدان وأصبهان سميا باسم أخوين هما ابنا فلوح بن يعطف من بني يافث، وحلوان بناها حلوان بن الجاف، وكذا تفليس ولدان وفارس والدي وجرجان وبلخ وبخارى، قال الرافعي في التدوين ويمكن أن يكون مثلها قزوين وذكروا قبل ذلك في النواحي وأنها سميت باسم من نزل بها، كاليمن باسم ولد قحطان كان يسمى يمنا، وقيل ليمنه وقيل لأنه عن يمين الكعبة وكذا الشام وخراسان وعمان وحضرموت، وقيل الشام سميت باسم سام بن نوح فغيرت سينها شينا وقيل لشامات سود وبيض في أرضه وقيل لاختلاف الترب والبقع وقيل لشؤمه لأنه عن شمال الكعبة وقيل الشام بالسريانية الطيب وسميت بذلك لطيبها وخصبها، وسمي الحجاز حجازاً لأنه حجز بين الشام واليمن أو بين نجد وتهامة، أو لأنه احتجز من الجبال، وسمي العراق عراقاً لاستواء أرضه حتى خلت من جبال تعلو وأودية تنخفض، والعراق في كلام العرب الاستواء قال الشاعر:

سقتم إلى الجوّ لهم وساقوا سياق من ليس له عراق

أي ليس له استواء ومن أسماء تريم الغناء بفتح الغين المعجمة والنون المشددة، سميت بذلك لكثرة أشجارها وأنهارها وتسمى مدينة الصديق رضي الله عنه لأن عامله زياد بن لبيد الأنصاري لما دعا لبيعة الصديق أوّل من أجابه أهل تريم، ولم يختلف عليه أحد منهم وكتب للصديق بذلك فدعا الله تعالى لهم بثلاث دعوات أن تكون معمورة وأن يبارك في مائها وأن يكثر فيها الصالحون، ولهذا كان الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد يقول إن الصديق رضي الله عنه يشفع لأهل تريم خاصة، وكان إذا ذكرت عنده يقول سعدوا أهلها،

وكانت مدينة تريم مُسَوَّرة فقد ذكر السيد الجليل المؤرخ أحمد بن عبدالله شنبل في تاريخه أن في سنة احدى وستمائة بنى لها سور من قارة الغز إلى حيد، ثم أخربه السلطان بدر بن محمد الكثيري سنة خمس وتسعين وثمانمائة ثم عمر ثم أخربه السلطان عبدالله بن راصع سنة عشر وتسعمائه، ثم أعاده السلطان محمد بن أحمد سنة ثلاث عشرة وتسعمائة لما وليها، وأحكمه احكاماً متقناً، وعمل لها أبواباً عظيمة وجعل للمدينة ثلاثة أبواب، أحدها من جهة الجنوب بالقرب من حصن عند البئر التي تسمى عاسل بفتح العين وكسر السين المهملتين، والباب الثاني من جهة الشرق عند حارة آل باشريف، والثالث من جهة الشمال عند حارة القصارص، وأما جهة الغرب فيحيط بها جبال يعسر سلوكها ولا وجود لسورها الآن ولا أثر له قيل والظاهر أن السلطان بدر بن عبدالله أبا طويرق لما أخذها من أحمد بن محمد المذكور سنة ست وعشرين وتسعمائة، وكان بعض المشايخ يقول أن حارة الأزمرة[1]، المدينة القديمة ثم اتسعت عمارتها، وخطتها وعمارتها تزيد وتنقص بحسب الأزمان والولاة والأمن والرحابة وضدها وهي الآن عامرة جداً، واتسعت خطتها لا سيما من جهة الشمال.

ومن خصائص هذه المدينة أنها ليست على الجادة التي يسلك فيها من المشرق إلى المغرب ومن اقليم إلى اقليم بل هي مزورة عنها، وإنما يدخلها من يتخذها مقصداً وللزيارة موعداً، أو للتبرك ممن فيها من السعداء بخلاف البلاد الواقعة على الجود فإنها كثيراً ما تقع منزلاً لا مقصداً فلا يكون واردها قاصداً وما أحسن قول من قال:

قنعنا بها عن كل من لا يريدنا	**وان حسنت أوصافه ونعوته**
فمن جاءنا يا مرحبا بمجيئه	**يجد عندنا وداً صحيحاً ثبوته**
ومن صَدَّعنا حسبه الصد والقلا	**ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته**

---

(١) الصحيح حارة «الأزراء» وهي حارة جنوب شرقي تريم القديمة وفيها مسجد السقاف الأزراء، وسميت بهذا لكثرة نوع من النخيل المعروف بالأزراء جمع زار بها.

(الناشر)

ومنها ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية.

رياض نجد عرفها ضائع ونشرها الأرجاء قد عما

ومنها طيب العيش بها خصوصاً لأهلها الذين لا تعلق لهم بالدول والدنيا ومنها بركة الطعام على غيرها ومنها طيب ثمارها مع وفور منافعها وقصور مضادها، ومنها نزاهة مياهها من المستخبثات، وهواها عن العفونات، وتربتها عن المستقذرات نهارها يبهر ناظره، فيرتاح إليه ناظره، وليلها يبتسم بالأنوار منه الثغور، ويتضاعف فيه السرور والحبور.

﴿فائدة﴾

ذكر أهل الخواص أن من قدم أرضاً فأخذ من ترابها فجعله في مائها ثم شربه عوفي من بلائها، وقالوا: إذا قدم المسافر أرضاً وجعل من تراب أرضه التي ولد بها شيئاً في ماء تلك الأرض وشربه سلم من ضرره، ولقد أحسن الإمام جمال الدين محمد بن أحمد أبي الحب مشيراً إلى بعض خصائصها بقوله من جملة رسالة أرسلها لسلطانها أبي بكر عبدالله بن أحمد.

تجنب أرضك الوبأ الوخيم وجانب سوحك السدم السديم
فلا زالت مصححة النواحي فلا يلقى بها أبداً سقيم
رياح لواقح الأرواح فيها ولا يوما تهب بها عقيم
تعداها السموم ولا سموم تهيب بالسموم بها نسيم
ومن كانون في كن كنين فليس على مواردها يحوم
مجاج تخومها فيه شفاء إذا نجت على الأرض النجوم
وان غشيت غيوم في زمان فما يخشى بأزمنها الغيوم
نسيم جنوبها أبدا صحيح وطبع الجوّ فيها مستقيم
فطبع بيارها في الصيف برد ولكن في الشتاء هي الحميم
تعادل حرها والبرد فيها فلا ضر يضر ولا سموم
وطبع البرد فيها فيه لطف بطيب نسيمه تنمو الجسوم
وحر الشمس فيها ليس يؤذي وبرد شتائها برد سليم

لها صبح صبيح غير جهم | وليل أضحيان لا يهيم
بلاد طاب مسكنها وطابت | مباركة لها رب رحيم
فلو نظرت فلاسفة إليها | لقالوا جنة الدنيا تريم
حماه الله من بلد وأبقى | أبا بكر ودام لها النعيم

وقال الشيخ العارف بالله تعالى عمر المحضار بن عبدالرحمن السقاف نفعنا الله بهم آمين.

ألا وانازحاً عن بلاد الطب مالك | فرح وارجع إليها واجعلها حلالك
بها ترزق من الله بها توفيق حالك | تراك إن رحت منها فما ترزق كمالك
لها مشموم كالمسك وزادوه بنفسج | وهي كالدر منظوم أو خز منسج
وهي شربة من القلت صافي ليس يخمج | تراك إن رمت تسعد فاجعلها حلالك
وقد خصت بأقوام خصوا بالسرائر | لهم أنوار تعلو على فوق المنابر
نجوا بالفضل يا صاح من كل الكباير | بهم ربي أفدني نوالاً من نوالك

وقد أكثر السادات والفضلاء في أوصاف تريم ومدحها من النثر والنظم، وهو متداول بين أبناء الزمان فلا حاجة إلى ايراده وما أحسن قول بعضهم هذا.

فأما وصفها بالشعر | فذاك شيء مثل موج البحر
لم يحصه الضبط لذاك عدا | لأنه إلى الفوات عدا
قصائد بيوتها جواشق | كأنها من حسنها حدائق
وكل مقطوع غدا موصولا | بلدة عن الردى مفصولا
لها معان بالعقول تلعب | من رام يحكيها فذاك أشعب
فطر إلى زرعها والنخيل | فليس تحوي الأرض كالسحيل
فنسأل الله لنا الاقامة | في صحة منها وفي سلامه

وأعظم خصائص هذه المدينة العظيمة هذه الذرية السنية الكريمة. التي سواها الله تعالى من طينة السرور والحب، وغرس دوحتها بمعدن العلم الزاكي المحتد والنسب، فلقد شرفت بهم وسمت اتسمت من الفضائل بما اتسمت،

فهي بهم كالعروس تتهادى بين أقمار وشموس، ونمت في ساحتها أنوار السعادة بأنوار السيادة، وربت في باحاتها نعم الفضائل بالحسنى وزياده، ومن ثم قال بعض الصوفية أنهم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم: «أني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن فكم انبجست منها عيون الكرم وتفجرت فيها ينابيع الحكم». وما أظرف قول من نظم.

ألا إن وادي الجزع أضحى ترابه — من المس كافورا وأعواده رندا
وما ذاك إلا أن سلمى عشية — تمشت وجرت في جوانبه بردا

فأكرم بها من بلدة زكت بأطيب الفعال، وشرفت بأهل الكمال ولقد أحسن من قال.

هو السعد كم من مقام رفع — ففاخر بسعد وإلا فدع
أضيف إلى السادة أسمى ومن — إلى ذي ارتفاع أضيف ارتفع

وما مدحت الديار إلا لكونها محلاً للأخيار وما أحسن قول بعض العظام وهو من حر الكلام ومن النظام.

ما كل من كانت على رأسه — عمامة يحظى بسمت الوقار
ما قيمة المرء بأثوابه — السر في السكان لا في الديار

ولقد أحسن من قال وعن عهد الوفاء ما حال.

ولو قيل لمجنون ليلى بوصلها — تريد أم الدنيا وما في زواياها
لقال غبار من تراب نعالها — أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

ومن قال.

عليّ لربع العامرية وقفة — ليملي عليّ الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لأهلها — وللناس فيما يعشقون مذاهب

وبالجملة فقد اشتملت هذه المدينة على محاسن تستحسنها العقول، وأناس ما بين القلب وهمومه تجول ولطائف تعطر أندية الأفكار طيباً، وتعطي لمن تعرض لنفحاتها من عرفها الطيب نصيبا.

وحـدثتني يـا سعـد عنهـا فـزدتني ... شجوناً فزدني من حديثك يا سعد

وحكي عن بعض أهل الأحوال الصادقين في الأقوال والأفعال أنه لما وصل مكة دهش عند رؤ ية الكعبة الشريفة ثم أفاق وبكى وأنشد:

هــذه دارهــم وأنــت محــب ... مــا بقاء الــدمــوع في الآمــاق

أي لا عذر في ذلك إذ بقاء الدموع بها من غير سيلان يدل على خمود نار الحب التي من شأنها اذابة الفضلات لتخرج الدموع. وحكي عن امرأة انها لما لاح لها البيت العتيق استندت نحوه والتصقت به فما رفعت إلا ميتة وأنشدوا على لسان حالها

هــذه دارهــم وأنــت محــب ... مــا بقــاء الأرواح في الأجســاد

وظاهر أن حال الرجل المذكور أعلا لأنـه في تمكين والمرأة لم تصل لذلك، ومن ثم لما كانت امرأة العزيز في تمكين لم تقطع يديها بخلاف النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وتفاوت الأحوال معروف، وها هنا مسئلتـان الأولى صرح غير واحد من العلماء بندب زيارة آثار الصاحلين والتبرك بموارد المتقين، واستدلوا بما في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ بادر الصحابة رضي الله عنهم إلى وضوئه يتبركون بالماء الذي مس أعضاءه صلى الله عليه وسلم، وكانوا لا يتنخم صلى الله عليه وسلم نخامة إلا دلكوا بها أجسامهم، وشربت أم أيمن بوله وأبو طيبة الحاجم دمه وكذا عبدالله بن الزبير رضي الله عنهم.

وبقول الله تعالى حكاية عن يوسف على نبينا وعليه أفضـل الصلاة والسلام: ﴿اذهَبوا بِقَميصي هَذا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أبي يَأْتِ بَصِيرا﴾ ولم يقل على عين أبي لأنه أراد أن يعم بركته جملة الوجه وسائر البدن يعبر عنه بالوجه قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام:﴿إني وَجَهْتُ وَجْهي لِلذي فَطَرَ السمٰواتِ والأرضَ﴾ وكان ذلك القميص من الجنة. وبما حكي عن الأمامين الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، أن كل واحد منهما غسل قميص الآخر وشرب غسالته رجاء عود نفعه وبركته قال بعض العلماء العالم الورع الذي يصدق قوله فعله وعلمه عمله حري بأن يقتبس من

أنواره ويتبرك بآثاره، وسئل العارف بالله تعالى الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس عن معنى التبرك بآثار الصالحين فقال: لأن أماكنهم مباشرة لثيابهم وثيابهم ملاصقة لأجسادهم وأجسادهم متصلة بأرواحهم وأرواحهم ملابسة لحضرة ربهم ثم أنشدوا.

تفوح أرياح نجد من ثيابهم عن القدوم لقرب العهد بالدار

وقال بعض العارفين إن المشايخ إذا ماتوا تركوا همتهم متعلقة بقلوب من استند اليهم، كما أنهم يتبركون بزواياهم التي كانوا يعمرونها بذكر الله وطاعته. أرواحاً من عبادتهم يعمرون بها ذلك الموضع، ولذلك يجد كل من دخل مكان كبير في الدين حي أو ميت خشوعاً ورقة وإنابة إلى الله تعالى لا يجدها في غير ذلك المكان وما أحسن قول كثير عزة.

خليلّي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصكما ثم احللا حيث حلت
ومسا تراباً طالما ما مس جلدها وبيتاً وظلاً حيث باتت وطلت
ولا تيأسا أن يقبل الله منكما اذا أنتما صليتما حيث صلت

قال بعض العلماء ينبغي لمن زار المواضع المشهورة ان يستحضر معنى هذه الأبيات (وحكي) أن الشيخ أبا الفضل بن العربي التلمساني والشيخ علاء الدين بن سلام وجماعة من الفضلاء الأعلام اجتمعوا بمزار السيدة زينب بنت الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة فأنشد الشيخ علاء الدين بن سلام للشيخ جلال الدين بن خطيب داريا.

يا عين إن بَعُد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

فقال الشيخ أبو الفضل هذا قريب مما قاله لسان الدين بن الخطيب وأنشد.

إن بان منزله وشط مزاره قامت مقام عيانه أخباره
قسم زمانك عبرة أو عيرة هذا ثراه وهذه آثاره

وحكي عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه أنه قال إني أشفع

لمن مر على باب مدرستي وأنه قيل له أنا نسمع صراخ ميت دفن منذ أيام فقال: ألبس مني خرقة فقالـوا: لا نعلم، فقال: أحضـر مجلسي، قالـوا لا نعلم، فقال: أأكل من طعامي، فقالوا: لا نعلم، فقال: أصلى خلفي، قالوا لا نعلم فقال المفرط أولى بالخسارة، ثم أطرق ساعة تتجلله الهيبة ويعلوه الوقار ثم قال: إنهُ رآني وأحسن الظن بي وإن الله قد رحمه لذلك فلم يسمع له صراخ.

وحكي أن بعض التجار كانوا في متنزهاتهم فبعثوا من يشتـري لهم طعاماً، فمر بجماعة يتغالون في ثمن بطيخة لمسها سري السقطي بيده فزاد في ثمنها واشتراها وأتاهم بها، فأكلوا منها فتاب الله عليهم، وحكي أن مروحة أهديت إلى صلاح الدين بن أيوب فرأى في أحد وجهيها هذه هدية ما أهدي مثلها لأحد من الملوك فغضب ثم قلب الوجه الآخر فوجد فيه.

أنـا مـن نـخـلـة تجـاور قـبـرا ساد من فيه سـائـر الخلق طـرا
شـملتـني سـعـادة الـقـبـر حتى صـرت في راحة ابن أيـوب أَقْرَأْ

فقال صدق وفرح بها ووضعها في ذخائره، وقد قال أصحابنا يندب أن لا يعد لنفسه كفناً إلا ان سلم عن الشبهة وكانت فيه أخف أو كان من أثر من يتبرك به، وسيأتي ما وقع للسادة بني علوى من ذلك في ضمن تراجمهم إن شاء الله تعالى، وينبغي أن لا يدخل مواضع الظلمة والفسقة ولا يسكنها فقد قال العلماء في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُم في مَساكنِ الذينَ ظَلَموا أَنْفسَهُمْ﴾ فيه تنبيه على أن الانسان لا ينبغي أن يسكن في أماكن الظلمة مخافة أن يصيبهم بلاء فيصاب به أو تسرق طباعه من طباعهم، ولو كانت خالية منهم لأن آثارهم مذكرة بأحوالهم وربما أورثت قسوة وجبروتاً في القلوب.

﴿المسئلة الثانية﴾

تقبيل الأشياء المعظمة ووضع الخد عليها.

وحاصل ذلك أن تقبيل الحجر مندوب بلا خلاف، وأما غيره ففيه خلاف بين الأئمة فمذهب الإمام مالك كراهته قال ابن الحاج في المدخل والحذر مما يفعله بعضهم من تمسحه بالبناء فذلك من البدع لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له صلى الله عليه وسلم ولأجل ذلك كره علماؤنا التمسح بجدار الكعبة أو المسجد أو المصحف، وتعظيم المصحف قراءته والعمل بما فيه لا تقبيله، ولا القيام له كما يفعله بعضهم، والمسجد تعظيمه الصلاة فيه واحترامه لا التمسح بجداره وكذلك الورقة يجدها الانسان مطروحة فيها اسم الله تعالى فتعظيمها بازالتها من موضع المهنة لا تقبيلها، وكذلك الولي تعظيمه اتباعه لا تقبيل يده انتهى. محل الحاجة منه

وعند الحنابلة لا بأس بذلك، وأما عند الشافعية فيسن تقبيل نحو يد الزاهد والصالح والشريف والعالم والكبير في السن والطفل الذي لا يشتهى، ولو لغير شفقة ورحمة ووجه صاحب قدم من سفر، لما روى الترمذي ان اليهوديين اللذين سألا النبي صلى الله عليه وسلم عن التسع الآيات فأجابهم قبلا يده ورجله ولم ينكر عليهما، وابن حبان عن كعب بن مالك قال: لما نزلت توبتي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده وركبته، وروى أيضاً حديث الاعرابي في اتيان الشجرة للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ائذن لي أن أقبل رأسك ورجلك وفيه ائذن لي في السجود فقال لا يسجد أحد لأحد ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها، وفي حديث وفد عبدالقيس حتى أتوا إليه وأخذوا بيده فقبلوها إلى غير

ذلك من الطرق، وفي بعضها أن علياً كرم الله وجهه قبل يدي العباس ورجله ويقول أي عم إرْضَ عني وأخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد يد ابن عباس، وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم ولا بأس بتقبيل وجه ميت صالح، ومحرم شفقة ورحمة وتقبيل الكعبة غير الحجر الأسود ويكره لأجل غنى أو شوكة، أو وجاهة عند أهل الدنيا، ويحرم بشهوة مطلقاً، وتقبيل أمر بكل حال، قال الحافظ زين الدين العراقي وتقبيل الأماكن الشريفة على قصد التبرك وأيدي الصالحين يمكن أن يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الأركان جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكراهة قال: وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد بن أبي بكر عن الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي الصيف أن بعضهم كان إذا رأى المصاحف قبلها[١]. قال ولا يبعد هذا والله أعلم في كل ما فيه تعظيم لله تعالى انتهى. وقال الشيخ ابن حجر[٢] في الايعاب قال الزركشي وسن تطييبه أي المصحف وجعله على كرسي وتقبيله، وسئل السبكي عن الدليل على تقبيله فقال القياس على الحجر الأسود ويد العالم والصالح والوالد ومعلوم أنه أفضل منهم انتهى، وقوله ومعلوم الخ قد ينازع فيه قوله صلى الله عليه وسلم للكعبة في الحديث الصحيح: «وللمؤمن اعظم حرمة عند الله منك» وقد يقال الكلام في مقامين: مقام التعظيم بالظاهر كالقيام والتقبيل فالكعبة والمصحف أحق بهذا من مطلق المؤمن، ومقام الاحترام بأن لا يصل اليه إيذاء والمؤمن أحق بهذا منهما لكن يعكر على هذا ان تلويثهما بالقذر كفر وإن لم يستحله بخلاف تلويث المسلم بل قتله بمجرده لا يكون كفراً وقد يجاب بأن الكفر ليس لذات المصحف والكعبة، بل لاستلزام تلويثهما بالقذر الاستهزاء بالدين ولا كذلك في المسلم فهو من حيث ذاته أعظم حرمة منهما وهما من حيث التعظيم الظاهر أعظم حرمة منه، وإن كان فيه ما فيه، إلا أنه أحوج إليه ضرورة الجمع بين متفرقات كلامهم، انتهى. كلام الايعاب.

وفي فتاوى الجلال السيوطي رحمه الله تعالى مسئلة تقبيل الخبز هل هو بدعة أم لا، وإذا كان بدعة هل يكون حراماً أم لا وقد قال ابن النحاس في تنبيه

---

(١) في هذا الموضع من الأصل جملة حذفت من هذه الطبعة.

(٢) هو أحمد بن حجر الهيتمي في مصنفة الايعاب شرع العباب.

الغافلين ومنها أي من البدع تقبيل الخبز وهو بدعة لا يجوز، وقد أفتى جماعة انه يجوز دوسه ولا يجوز بوسه لكن دوسه خلاف الأولى وربما كرهه بعضهم، وأما بوسه فهو بدعة وارتكاب البدع لا يجوز، ، وانظر إلى قول عمر رضي الله عنه في الحجر الأسود إني لأعلم أنك لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك هذا وهو الحجر الأسود الذي هو من ياقوت الجنة، وهو يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما ورد في الحديث فكيف يجوز تقبيل الخبز، ولكن يستحب إكرامه ورفعه من تحت الأقدام من غير تقبيل وقد ورد في إكرام الخبز أحاديث لا أعلم فيها شيئاً صحيحاً ولا حسناً، هذا نصه بحروفه فهل ما قاله هو الصحيح المعتمد أم لا ؟ الجواب البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة ولا شك أنه لا يمكن الحكم على هذا بالتحريم لأنه لا دليل على تحريمه ولا بالكراهة لأن المكروه ما ورد فيه نهي خاص ولم يرد في ذلك نهي، والذي يظهر أن هذا من البدع المباحة فإن قصد بذلك إكرامه لأجل الأحاديث الواردة في إكرامه فحسن ودوسه مكروه كراهة شديدة بل مجرد إلقائه في الأرض من غير دوسه مكروه لحديث في ذلك.

والمقصود من ذلك هضم النفس والتواضع، ولذلك قال العلماء يستحب للمصلي أن يصلي ويسجد على الأرض والصلاة على الحصير أفضل من السجادة وذلك لكثرة التواضع بوضع الجبهة على مواطىء الأقدام ولا شك ان الاستغراق في المحبة يحمل لي الأذن في ذلك، والقصد به التعظيم والناس تختلف مراتبهم فمنهم من يملك نفسه ومنهم من يغلبه الشوق فيبادر إلى ذلك من غير اختيار على حد قول القائل.

فقلت ومن يملك شفاها مشوقة اذا ظفرت يوماً بمنيتها القصوى

ونحن لما لم نَرَ ذاتهم وصفاتهم التي لبسوها اكتفينا بالآثار التي لمسوها والأرض التي داسوها كمن وصل الأعتاب وقنع من الغنيمة بالإياب ولقد أحسن من قال وأنشد على لسان الحال

لي أسوة في العاشقين وقصدهم لثم الطلول لأهلهن تذكرا
وبكاؤهم تلك المعاهد طلة تحت الطلال على الغرام توفرا
أفلا أمرغ فيه شيبي راشداً وأريق دمعي وسطه مستنصرا

﴿ذكر مساجد تريم﴾

وإذ قد انتهى الكلام في هذا المقام فلا بأس بتنميق هذه العجالة، وترويق هذه الرسالة بذكر بعض ما في هذه المدينة من المساجد والمآثر. أما مساجدها فهي كثيرة وبأنواع الطاعات والعبادات منيرة وأنا أذكر مشاهير أشهرها تبركاً بذكرها، وأعظم مساجدها بالاتفاق، وأشهرها على الإطلاق، مسجد القوم المعروف قديماً بمسجد بني أحمد، واشتهر بمسجد آل باعلوي في هذا الزمان وهو المسجد المؤسس على تقوى من الله ورضوان، المعمور بالصلاة وتلاوة القرآن، من منذ أسس إلى الآن، وأوّل من أنشأ هذا المسجد المكرم السيد المعظم محمد بن علي خالع قسم بعد توطنهم بمدينة تريم وبناه من طين بيت جبير لطيب تربتها فكانوا ينقلون اللبن إلى تريم على الآلة المعروفة بالجراديم، وهي آلة توضع على أعجال تجرها الأبقار والبغال وتسمى العرابة، وكان يعمل هو وسائر خدامه وأعانه الله تعالى على إتمامه وبناه بالآجر والنورة. على أحسن وضع وأجمل صورة، ثم تضعضع بعده بعض أركانه وكاد أن ينقض عالي جدرانه، فرممه ولده محمد صاحب مرباط وأتم ما رامه، وعمد إلى ما يريد أن ينقض فأقامه، ثم طال به الزمان ودار عليه الدوران، وأكلت أخشابه الأرضة والديدان، فانتدب لعمارته الشيخ عمر المحضار، وجمع جميع ما يحصل من وقفه في ذلك العام وهدمه من جميع الجهات إلا الصف الأول من الأسطوانات فهي باقية على عمارة الشيخ محمد بن علي الى الآن، ولما وضع الأساس حضره أعيان الناس، وبني على غاية الاتقان والإحكام، ونهاية الحسن في المبدأ والختام، ثم بنيت له منارة في آخر بابه على هيئة منائر تلك الجهة وليست على أسلوب منائر الحرمين لأن منائرهما من أوضاع الأروام، ثم بنى له محل كنين للصلاة أيام الشتاء ملاصق له من جهة الشرق ووقف

مسجداً يسمى عندهم حماماً وذلك سنة إحدى وثمانمائة ولكونه كنيناً، ويعمل بالقرب منه برك يسخن فيها الماء سموه حماماً لأن الحمام مأخوذ من الحميم، وهو الماء الحار، وليس هو الحمام العجمي الذي ورد النهي عن الصلاة فيه الوارد فيه قوله صلى الله عليه وسلم: «احذروا بيتاً يقال له الحمام» قالوا يا رسول الله: انه ينقي الوسخ قال فاستتروا، وقوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا بيتاً يقال له الحمام فمن دخله فليستتر». وقال صلى الله عليه وسلم: «ستفتح عليكم أرض العجم وفيها بيوت يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بالإزار وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء». وفي سنة عشر وتسعمائة أنشأ لهذا المسجد السيد علوي بن أبي بكر خرد بركة كبيرة منفردة عن الجوابي وتعرف الآن بالبكرية وما أحسن قول بعضهم

لقد قابلتنا بالعجائب بركة ... مكملة الأوصاف في الطول والعرض
كأنّ الذي يرنو إليها بلحظه ... يرى نفسه فوق السما وهو في الأرض

وأكثر الناس الوقف على هذا المسجد وعلى من يرد عليه من الفقراء وعلى من يفطر فيه في رمضان وعلى من يقرأ فيه بل وقف كثيرون من ذوي الثروة ثلث أموالهم عليه، وأكثر الناس وقفاً عليه السيد الولي والسر القوي عبدالله باعلوي، فإنه وقف أراضي ونخيلاً تنيف قيمتها على مائة ألف، وكان بعض المشايخ يقول إن مصرف هذه الأوقاف على عمارته وإطعام من يأوي إليه من الفقراء، وإفطار الصائمين في رمضان، وما فضل يصرف لأولاد الشيخ عبدالله باعلوي، وقد كان الشيخ عبدالله قائمًا بنفقة جميع آل باعلوي الموجودين في زمانه فلما توفي اقتسموا الأوقاف وتركوا للمسجد ما يفي بالمذكورات، ولما صار الشيخ عمر المحضار شيخاً على آل باعلوي أمر بالأوقاف أن ترد على أولاد عبدالله باعلوي، وقال انها مخصوصة بهم فامتثلوا أمره إلا أخاه عقيلاً فانه امتنع من ذلك، وبقي ما كان عنده تحت يده واستمر مع أولاده بعده إلى الآن، وكان للسادة والمشايخ الأعلاء بهذا المسجد اعتناء تام، وكانوا يحترمونه غاية الاحترام بحيث كان لا يتكلم أحد فيه بمباح الكلام، وينكرون على من فعل ذلك من العوام، ولا يمد أحد رجله فيه بل يجلس متأدباً كأنه في الصلاة، وكان كل أحد يحرص فيه على الإكثار من

الطاعات ويجتهد على أن يمضي فيه أكثر الأوقات، وكان كثيرون من السادة المتجردين عن الأهل والمال ملازمين للاعتكاف فيه لا يخرج أحد منهم منه إلا لضرورة أو حاجة منهم السيد الجليل محمد بن أحمد واخوانه، ولهذا كانوا يسمونهم حمامات المسجد، وكان السيد الولي عبدالله باعلوي يجلس للتدريس فيه في الصف الأول ويستمر إلى أن يصلي الظهر، وكان ابن عمه السيد أبوبكر بن أحمد يدرس في الصف الثاني، ويستمر من الضحى إلى أن يصلى الظهر، وكان الشيخ فضل بن عبدالله بافضل يُدّرِسْ في هذا المسجد بعد وفاة شيخه عبدالله باعلوي، وكان يحضر درسه السيد الجليل محمد مولى الدويلة، وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف لا يدع التهجد والصلاة فيه آخر الليل، وكان يأمر أصحابه بملازمة الصلاة فيه وكان يقال

شيئان أحلى من عناق الخرد — وألذ من شرب القراح الأسود
وأعز من رتب الملوك عليهم — حلل الحرير مطرزاً بالعسجد
سود الدفاتر أن أكون نديمها — أبدُ الزمان وبرد ظل المسجد

وكان يجتمع فيه في وقت السحر جم غفير من السادة وغيرهم لتلاوة القرآن مدارسة ويستمرون إلى أن يقرب طلوع الفجر فيذهب كل من له وظيفة في مسجد من إمامة وأذان وغيرهما إلى وظيفته ويستمر الباقون إلى طلوع الشمس، ولكثرة عبادتهم فيه وملازمتهم الطاعات به يجد داخله من النشاط والأنس والانبساط ما لا يجده في غيره، قال بعض العارفين أقمت بمكة المشرفة سنين وكنت أجد في المسجد الحرام أنساً جسيماً، وتجلياً عظيماً، فلما وصلت تريم ودخلت مسجد آل باعلوي وجدت ذلك الأنس والتجلي، وكذا وجدته في مسجد عمر المحضار ومسجد محمد بن حسن جمل الليل[1]. وكان[2] بعد ان توطن الشحر يقول حبب إلي في تريم ثلاثة مجالس مجلس في مسجد آل باعلوي ومجلس عند ركن الجبانة ومجلس في مسجد الهجيرة ويقال أن الدعاء في هذه المواضع مستجاب.[3].

---

(١) هنا من الأصل جملة حذفت من هذه الطبعة.
(٢) أي الشيخ فضل بن عبدالله بافضل الذي ذكر اسمه في الجملة المحذوفة.
(٣) في هذا الموضع من الأصل جملة حذفت من هذه الطبعة.

وكان الشيخ علي بن أبي بكر يقول أن روح الفقيه المقدم ما تخرج منه أصلاً وكانوا يثابرون على الأذان فيه لما اشتهر أن من باشر الأذان فيه للصلوات فتح الله عليه سريعاً والأعمال بالنيات، وللشيخ عمر المحضار رضي الله عنه.

بلغ الله بنا وصل الأحباب	**عند ذاك المصلى المبارك**
مسجد القوم يا صاح جمعا	**من ركع فيه ركعة تبارك**
قد دخل فيه كم من مشمر	**عابد صالح ثم ناسك**
قد دخل فيه سادة أكابر	**كم من مُنَوَّرْ وعالم وسالك**
من دخل فيه نجاه ربي	**من ذنوبه ومما هنالك**
من طلب فيه حاجة ظفرها	**من دخل فيه ما هو بهالك**
يرزق اسلامه عند موته	**ثم ينجيه من دار مالك**
واتركوا له صداقه جميعاً	**عذ من ابليس ما هي بمالك**
من صداق وفطرة وغير	**إنها داء ما هي دوالك**
راقبوا فيه ملك العوالم	**خافوا الله رب الممالك**

وينبغي أن يتبرك بأساطينه المأثورة عن الأولياء بأن يصلى إليها، ويدعو الله عندها، وكل اسطوانة من اسطواناته ما تخلو من صلاة بعض الأولياء عندها. ومنها الأسطوانة المشهورة عند العامة بالمقصورة[٤]. وهي التي كان الأستاذ الفقيه المقدم يصلي عندها، ويقال انهم لما بنوه زمن الشيخ عمر المحضار توقفوا فيماذا يبنونها به وعلىَ أي صفة ثم تركوها وبنوا غيرها، فلما أصبحوا وجدوها قد بنيت ليلاً على هذه الهيئة الموجودة والله أعلم بحقيقة حالها، ومنها الأسطوانة التي كان الشيخ عبدالله باعلوي يستند إليها وقت درسه وهي في الصف الأول بالقرب من المحراب، ومنها الأسطوانة التي كان السيد الجليل العارف بالله تعالى أحمد بن علوي باحجدب يجلس عندها للدرس ويصلي الصلوات وهي في الصف الأولّ من الحمام فيتأكد على طالب الآخرة والمثوبات أن يستفرغ جهده بأنواع القربات تعرضاً للنفحات، وأن يواظب على

(٤) المعصورة بالعين لا بالقاف.

حضور الجماعات وأن يختم القرآن فيه ولو ختمة واحدة، وإن انضم إلى ذلك قراءة كتاب أو سماعه فحسن وأن يستحضر عظم البقعة غاض الطرف عما يلهي مكفوف الجوارح من العبث متغافلاً عن الشواغل عن القيام بكمال أدب الحضرة حسب جهده ملاحظاً أن أرواح السادة الأشراف وغيرهم من أكابر العارفين لا يعزب عنه، والفرص الخيرية تغتنم والقواطع كثيرة وما فات من الزمان لا يمكن تداركه، والناس في ذلك تتفاوت بحسب الاعتقاد والاستعداد.

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

وكان يقال الفوائد في العقائد والمنح مواهب والمواهب منح ولذلك يفتح لشخص دون الآخر من الأبواب ما لا يطرق إليه بسبب من الأسباب شعر

فما كل عين بالجمال قريرة ولا كل من نودي يجيب إذا دعي
فقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع

جعلنا الله وإياكم ممن تعرض لنفحاته، ووفق لمرضاته، ورأيت بخط سيدي الوالد رحمه الله تعالى أن طول مسجد آل باعلوي من جهة المشرق إلى المغرب اثنان وثلاثون ذراعاً ونصف وربع طول الرواق القبلي من ذلك أربعة عشر ذراعاً ونصف، والصحن ثمانية عشر ذراعاً وربع ذراع، وعرضه من جهة الشمال إلى الجنوب اثنان وعشرون ذراعاً ونصف عرض الصحن من ذلك ثمانية عشر ذراعاً، والرواق الشمالي أربعة أذرع ونصف، وطول الحمام من المشرق إلى المغرب إحدى عشر ذراعاً ومن الشمال إلى الجنوب سبعة عشر ذراعاً وربع تقريباً في الجميع، وهذا الذراع غير الرواق الشرقي انتهى. وهذا الرواق الشرقي كان بعضه مخزناً لزيت المسجد ونحوه فأدخله السيد علوي بن حامد المنفر في المسجد في بضع وأربعين وألف من الهجرة ليتسع، وهذا المسجد مع هذا يتسع للناس فإنه يجتمع فيه خلائق لا يحصون لا سيما في الليالي المشهورة كليلة المولد الشريف والمعراج والنصف من شعبان لأن من عادتهم أن حديث المولد يقرأ في ليلته، وحديث المعراج في ليلته في هذا المسجد، ويجتمع أكثر أهل البلد لاستماعه ويعدون اتساعه في هذه الليالي من آياته الباهرة، ومنها مسجد الشيخ عبدالرحمن بن محمد السقاف معدن الأنوار، ومجمع المشايخ

الكبار، والسادة الأخيار، ومساجد السقاف كثيرة في تريم غيرها وأشهرها وأعظمها هذا المسجد الذي كان الشيخ ملازماً له من حين بناه إلى أن توفي إلى رحمة الله وهو أوّل مسجد بناه، وكان تأسيسه سنة ثمان وستين وسبعمائة[1]. وكان يجلس فيه بعد العشاء وكان أصحابه يسمعون ليلة الخميس وليلة الإثنين ويحضر هذا السماع كثيرون من المشايخ واستمروا عليه بعد وفاته إلى الآن إلا أن إمام الزيدية لما استولى على حضرموت منعهم من الدف واليراع[2].

قالت بنته العارفة بالله تعالى مريم من له حاجة فليأت مسجد أبي ليلة راتبه ويقف بين السارية التي يجلس إليها أبي وبين السارية التي يجلس عندها المستمعون ويسأل حاجته فإنها تُقضىٰ إن شاء الله تعالى، جددت عمارة هذا المسجد سنة سبع وتسعين وثمانمائة. ﴿ومن مساجد السقاف﴾ مسجد وجده بضم الواو وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وهو مشهور بالخير لمن واظب على الصلاة فيه لا سيما آخر الليل حصل جمع الفتح فيه، وفي سنة عشر وتسعمائة جدد عمارته الشيخ أحمد بن محمد كرزل، ومن مساجده أيضاً مسجد خميس ولم أقف على هذه النسبة وأصله كان قائمًا بخدمته وهو بالبركة مشهور والخير والفتح المبين مذكور، وفي سنة ثمان عشرة وتسعمائة جدد عمارته السيد الجليل علوي بن أبي بكر خرد باعلوي وأنشأ له بركة.

ومن المساجد المشهورة مسجد الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وهذا المسجد قديم فإنهم ذكروا أن عمارته كانت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وأن الرواق الشرقي أسفله مسجد والعلو مملوك فكأن الشيخ عبدالله العيدروس جدد عمارته فأضيف إليه وما بين هذه المساجد الثلاثة أعني مسجد آل باعلوي ومسجد السقاف ومسجد العيدروس يسمى الحوطة، ولم تزل محترمة يحترمها السلطان فمن دونه ولهذا كثرت قيمة أرضها وضاقت شوارعها. ومنها مسجد الشيخ عمر المحضار المحترم عند الكبار والصغار المشهور بالخيرات والأنوار المعمور بالطاعة في الليل والنهار، ما استجار فيه أحد من شيء إلا نجاه وما دعا فيه ذو الحاجة إلا ظفر بها، وإذا دخله مستجير ولو قاتلا لم يقدر أحد أن يناله بمكروه بل يرصدوه حتىٰ يخرج منه بل شوهد بعض الحيوان إنه إذا دخله أودخل

(١) في هذا الموضع من الأصل بعض الجمل المحذوفة في هذه الطبعة.

(٢) في هذا الموضع من الأصل جملة حذفت من هذه الطبعة.

حريمه كف عنه طالبه وكان إذا حلف فيه أحد كاذباً عوجل بالعقوبة وربما التصقت رجله بالأرض حتى يعاهد الله أن لا يعود فهابت الناس الحلف فيه نظير ما قالوه في المساجد الثلاثة، روي أن عمر بن عبدالعزيز أمر بحمل عمال سليمان ابن عبدالملك إلى الصخرة ليحلفوا عندها فحلفوا إلا واحداً فدى نفسه بألف دينار فما حال الحول على واحد منهم بل ماتوا كلهم، ولكن لما كثرت الخيانة وقلّت الأمانة ارتفع ذلك حتى صار يحلف فيها البار والكاذب، ومنها مسجد الشيخ أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف مشهور بالفضل الكبير والخير الشهير كان الشيخ أبو بكر وبنوه يعمرونه بالعلوم الفاخرة، والطاعات الزاهرة، وكان حفيده الشيخ عبدالرحمن بن علي يشير إليه ويأمر بالصلاة فيه، وأنشأ له حماماً سنة سبع عشرة وتسعمائة، ومنها مسجد ولده الشيخ علي المعمور بالطاعة في جميع الأوقات وهو مشهور باستجابة الدعوات ومن داوم على قراءة الحزب فيه بعد الفجر، وبعد المغرب حفظ القرآن سريعاً، وجدد عمارته سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وزيد فيه الصحن والرواق القبليين، ومنها مسجد الجامع المشهور وبالأنوار والاسرار مذكور، وعمر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ثم جددت عمارته سنة خمس وثمانين وخمسمائة ثم في سنة اثنين وتسعمائة، كتب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل إلى السلطان عامر بن عبدالوهاب بأنه ضاق المسجد بالناس وطلب منه أن يوسعه فأرسل عامر المذكور بمال جزل مع السيد الجليل محمد بن أحمد باسا كوته وأمره بتوسعته، فقام بالعمارة السيد المذكور وعمره عمارة أكيدة وهي إلى الآن موجودة، ثم في سنة سبعة عشر وتسعمائة عمر له ابن السلطان حماماً ووقف عامر المذكور عليه أوقافاً كثيرة وكان يحصل لناظره مال جزيل، ولهذا كانوا إذا أعسر أحد ولوه نظارته إلى أن يستغني قال بعض العلماء والصلاة في الجامع أفضل منها في غيره، وحمل عليه حديث الطبراني الصلاة في المسجد الجامع تعدل الفريضة وحجة مبرورة، والنافلة بحجة متقبلة، وفضلت على من سواه من المساجد بخمسمائة، ومنها مسجد سجيعة تعبد فيه جمع من الأولياء وبناه سجيعة سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وهي السنة التي أخذ فيه حصن دمون، ثم هدم بناءه وجدده الشيخ أحمد بن رضوان بافضل وأنشأ له حماماً سنة ثمانية عشر وتسعمائة، ومنها مسجد عُزَيْرَة، كان كثير من الصالحين والأولياء يقصدونه بالزيارة وكان الشيخ

العارف بالله تعالى عمر بن عبدالله بن أحمد بامخرمة إذا زار تريم يكثر الاعتكاف فيه، وهو مشهور بانجاح الحاجات لا سيما إذا صلي فيه صلاة الحاجة المعروفة وفي سنة ثمانية عشر وتسعمائة هدمته العارفة بالله تعالى مريم بنت عبدالله باجرش وجددت عمارته، ومنها مسجد الخطيب المشهور برجال الغيب، وكان الإمام الشيخ فضل بن عبدالله بافضل يكثر الصلاة فيه ويقول أربعة مساجد لا تخلو من رجال الغيب مسجد الخطيب ومسجد سجيعة ومسجد وحدة ومسجد عزيرة، ومنها مسجد الجبانة اجتمع كثيرون بالنبي صلى الله عليه وسلم فيه، وحصل لجمع الفتح فيه وحكي أن بعض السياحين قدم تريم لزيارة من فيها والصلاة في مساجدها ثم ترك السياحة ولازم مسجد الجبانة فسأله بعض خواصه عن ذلك فقال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيه مراراً لا سيما ليلة الاثنين والخميس، وأما مصلى العيد المشهور الجبانة فهو غير مسجد فيجوز للجنب الجلوس فيه وأول من بناه راشد بن سجيعة ثم تهدم فجدده الشيخ يحيى بن أحمد بارشيد سنة أربعة عشر وتسعمائة، ومنها مسجد السيد الجليل السيد حسن بن محمد بن أسد الله والد جمل الليل، كان السيد حسن ملازماً له وكذلك ولده محمد جمل الليل لازمه من بعده وكان يشهره ويشهر مسجده الذي بروغة ويأمر بملازمتها، وكذلك جمع لازموه بالعبادة، منهم السيد أحمد بن عبدالله باحسن وأنشأ له حماماً سنة سبع عشرة وتسعمائة، ومنها مسجد آل جديد ويعرف الآن بمسجد بروم لأن السيد الكبير شهاب الدين أحمد بروم بن محمد بن علوي الشيبة جدد عمارته وأنشأ له بركة سنة تسع عشرة وتسعمائة، وهذا المسجد من بقايا السادة الكرام بني جديد رحمهم الله، ومنها مسجد سرجيس المشهورة بالعبادة معمور اجتمع كثير من الصالحين بالخضر عليه السلام فيه ومن لازم فيه العبادات وحضور الجماعات وجد لذلك تأثيراً عظيمًا، كما وقع لكثيرين من أهل السلوك. ومنها مسجد فضل المعروف بمسجد الرباط مشهور باستجابة الدعاء، وكان الشيخ عمر بن محمد بافضل الشهير بالعطاس ملازماً له في عباداته وكان قد تهدم بعض جدرانه فهدمه جميعه وجدد عمارته سنة سبع عشرة وتسعمائة، ومنها مسجد باجرش تعبد فيه كثير من الصالحين، وفي سنة عشر وتسعمائة جدد عمارته الشيخ عمر بن عبدالرحمن بامصباح، وأنشأ له منارة وأحدث له باباً من جهة

الشمال، ومنها مسجد بايعقوب تعبد فيه جمع ولازمه كثيرون وكان شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن محمد ملازماً له ولا يخرج منه إلا للزاوية التي عنده، وانقطع آخر عمره فيه لا سيما بعد أن عمي وكان يأمر بملازمته واشتهر عند العامة أن من احتلم فيه ولم يخرج منه أصبح خارجه فاتفق لبعضهم ذلك ونام فيه فأصبح على شفير البئر، ومنها مسجد باشعبان المشهور بالخير والاحسان لازمه غير واحد من أكابر الأولياء ومن تعبد فيه وجد التأثير ومن أساء فيه الأدب عوجل بالعقوبة، وكان السيد الجليل حسين ابن الشيخ عبدالله العيدروس يتعبد فيه، وكان ملازماً فيه للتدريس وجدد عمارته سنة ثمان وتسعمائة وهو الآن منسوب له وكان بنوه ملازمين له في الصلوات وحضور الجماعات، ولازمه من ذريته كثير منهم الشيخان محمد وعبدالله ابنا أحمد بن حسين المذكور، ومنها مسجد الخلع لازمه كثير من الأولياء وفتح فيه على كثير من السالكين ومن أساء الأدب فيه عوجل بالعقوبة، وقال عباد بن مبارك باحييل بتحتية مكررة مصغراً وقع مني سوء أدب فيه دخلت الجرر لآخذ جريدة أكتب فيها ثمن حنيذ بعته على جماعة متفرقين فقطعت جريدة فأصابتني شوكة فوق الثدي فخرجت جزاً فاذا اثنان من النوبة بيد كل منهما كرباج فضرباني حتى سقطت مغشياً علي فلما أفقت خرجت في طلبهما لأستعين عليهما بقرابتي فلم أجدهما فسألت عنهما فلم أسمع لهما خبراً، ثم اعترفت بذنبي واستغفرت ربي، ومنها مسحد مديحج المشهور بالفتح العظيم والنور الجسيم لازمه خلق فحصل لهم فيه المطلوب وكان الشيخ العارف بالله السيد محمد بن عقيل بن شيخ بن علي وطب ملازماً في جميع الأوقات، ومواظباً في حضور الجماعات كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى وفي مدينة تريم ما ينيف على مائة مسجد، وكلها معمورة وغالبها تقام فيه شعار الدين كالأذان والجماعة ويقرأ فيها الحزب بين العشائين وبعد الصبح إلى طلوع الشمس، وفي بعضها يقرأ ورد من الاذكار المشهورة يقرأه من لا يحفظ القرآن عن ظهر قلب، وهم قليلون جداً فإن أكثر هذه المدينة تحفظ القرآن عن ظهر قلب وقليل من يقرأه في المصحف، والنزر القليل جداً من لا يحفظه أصلاً وفي القرب من كل مسجد بركة تسع نحو أربع قلل، وبقرب الحمام برك يسخن فيها الماء أيام الشتاء وهذه البرك تفرغ وتملأ كل يوم، وعند كل مسجد إلا

القليل بئر برشاها ودلوها وبكرتها وعلى جميع ذلك أوقاف معسورة تقبل الله من واقفيها، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اتخذوا على أبواب مساجدكم المطاهر، قال الشيخ ابن حجر في شرح العباب يجوز بناء المطاهر بالقرب من المساجد والتوضي وليس فيه إخلال بالمروءة غالباً ففي كتاب الطهور لأبي عبيد عن ابراهيم النخعي قال كانوا يتطهرون من مطاهر المساجد، وروي فعل ذلك عن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما، انتهى. وفي أكثر المساجد يحيون الليالي المشهورة بالفضل من غروب الشمس إلى طلوعها بالقراءة والصلاة والتكبير ليلتي العيدين وليلتي المولد والمعراج الشريفين، وليلة النصف وليلة عاشوراء، وقد قال صلى الله عليه وسلم من أحيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب.

وفي رواية من قام ليلتي العيد محتسباً لله تعالى لم يمت قلبه حين تموت القلوب، والمراد بموتها شغفها بحب الدنيا أو الكفر أو الفزع يوم القيامة وهو الأنسب وقال صلى الله عليه وسلم يسح الله عز وجل من الخير في أربع ليال سحا: ليلة الأضحى والفطر، وليلة النصف من شعبان ينسخ الله فيها الآجال والأرزاق ويكتب فيها الحاج وفي ليلة عرفة إلى الأذان، وقال صلى الله عليه وسلم: «يسح الله الخير في أربع ليال ليلة الأضحى والفطر وليلة النصف من شعبان ينسخ الله فيها الآجال والأرزاق ويكتب فيها الحاج وفي ليلة عرفة إلى الأذان» وقال صلى الله عليه وسلم: «خمس ليال لا يرد فيهن الدعاء ليلة الجمعة وأول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين». وقال صلى الله عليه وسلم «من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة ليلة التروية، وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان». ولم أقف على ما يدل لندب إحياء غير الليالي المذكورة في هذه الأحاديث وذكر في إحياء علوم الدين ندب احياء ليالي غير هذه المذكورات، ولعله مستندهم. وورد في بناء المساجد أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها وأبغض إلى الله تعالى أسواقها وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة». وقال صلى الله عليه وسلم« «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله له مثله في الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بني الله له بيتاً في الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم «من بنى لله مسجداً بنى الله له في الجنة أوسع منه». قال

النووي رحمه الله تعالى ويدخل فيها من عمره إذا استهدم فيتأكد عمارتها وبناؤ ها وتعهدها وإصلاح ما تشعث منها ولو اشترك جماعة في ذلك حصل لكل منهم بيت في الجنة، كما لو أعتق جمع عبد فإن كلا منهم يعتق من النار، ويسن بناؤ ها في الدور والمراد بها القبائل والمحال ويكره إتخاذها في المحال التي تكره فيها الصلاة إلا الحمام والمقبرة التي درست وأصلح ترابها لأمره صلى الله عليه وسلم أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طواغيتهم، ولخبر الصحيحين أن مسجده صلى الله عليه وسلم كان فيه قبور مشركين فنبشت ولا بأس أن يقال مسجد بني فلان على جهة التعريف، والدار البعيدة منها أفضل لكثرة الخطا وللأحاديث الواردة في ذلك، نعم إن فات بمشيه إليها مهم ديني كاشتغال بنحو علم فالقريبة في حقه كالضعيف عن المشي أفضل والمشهور عدم كراهة اتخاذ المحاريب للمساجد، وقيل يكره لقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا هذه المذابح قال في الدر النثير وهي المحاريب أي اجتنبوا اتخاذها في المساجد والوقوف فيها، قال الحافظ العلقمي في شرح الجامع الصغير، قال شيخنا يعني الحافظ السيوطي، ومن خطه نقلت أن قوماً خفي عليهم كون المحراب في المسجد بدعة وظنوا أنه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه، ولم يكن في زمانه محراب ولا في زمان الخلفاء الأربعة، فمن بعدهم إلى آخر المائة الأولى وإنما أحدث أول المائة الثانية مع ورود الحديث بالنهي عن اتخاذه وإنه من بنيان الكنائس وإن اتخاذه في المسجد من اشراط الساعة، قال شيخنا قال الزركشي كره بعض السلف اتخاذ المحاريب في المسجد، قال الضحاك ابن مزاحم أول شرك في هذه الصلاة هذه المحاريب، أخرجه عبدالرزاق وفي مصنف عبدالرزاق عن الحسن أنه صلى واعتزل الطاق أن يصلي فيه والمراد بطاق المسجد المحراب الذي يقف فيه الإمام، وفي شرح الجامع الصغير للحنفية لا بأس أن يكون مقام الإمام في المسجد وسجوده في الطاق، ويكره أن يقوم في الطاق لأنه يشبه اختلاف المكان ألا ترى أنه يكره الانفراد قال الزركشي والمشهور الجواز بلا كراهة، ولم يزل عمل الناس عليه من غير نكير، قال شيخنا بل المختار الكراهة لورود النهي عنه من طرق ولا نقل في المسئلة في المذهب ومستنده في قوله المشهور استمرار عمل الناس، وهذا ليس بحجة مع ورود الحديث بذمه، والنهي عنه وكم من بدعة لم يزل عمل الناس عليها انتهى. وحمله بعضهم على ما فيه تشبه بالنصارى ويدل له

خبر لا تزال أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى، بخلاف ما إذا كان شعاراً على معرفة عين القبلة فإنه يندب بل يجب على العارف بذلك، ومنع محراب في بلد كثر اختلافهم في عين القبلة أو كان فيه محراب منحرف ولم يكن فيهم عارف، لأنه صار في هذه الأزمنة علمًا على عين القبلة ويكره زخرفة المسجد وتزيينه لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم».

﴿ استطراد فيما يندب لقاصد المسجد ﴾

يندب أن لا يقصده إلا للعبادة لا لنحو استراحة ونوم وأن يكون ماشياً إلا لعذر وبطريق أطول وسكينة ووقار وإن خاف فوت الجماعة نعم إن لم يمكنه ادراك الجمعة إلا بالسعي وجب وأن يقدم رجله اليمنى دخولاً واليسرى خروجاً كسائر الأمكنة الشريفة، ويسن التيامن في ما هو للتكريم كترجيل شعر وتسريحه وسواك ولبس نحو ثوب واكتحال وتقليم أظفار وقص شارب وحلق رأس ونتف ابط وتخلل نحو صلاة ومصافحة واعطاء وأخذ، ويسن التياسر في ضد ذلك كخلع نحو ثوب وتشمير وكف شعر وحمل نعل ولو طاهرة جديدة لم تلبس، ومن ثم حرم وضع المصحف عليها، وأن يقول عند الدخول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله والحمد لله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اغفر ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك». وإذا خرج قال مثله لكن يقول أبواب فضلك بدل رحمتك فإن طال عليه فليقتصر على ما في مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك». وأن ينوي الاعتكاف كلما دخل ولو ماراً أن وقف وقفة تزيد على قدر سبحان الله فإن نواه ولم يقف أو وقف دون ذلك لم يصح على الأصح وصح على مقابله، وأن يصلي التحية قبل أن يجلس وتفوت بجلوسه ولو سهواً أو جهلاً إلا أن قصر الفصل أو قعد بنية فعلها جالساً والاحتياط أن يحرم بها قائمًا ثم يجلس، ولو دخله وقرأ آية سجدة أو سمعها فقيل يحرم بالتحيه ويقرأ الآية فيها ويسجد ورد بأنه إن قرأ الآية في الصلاة كان السجود لها لا للقراءة السابقة بل طريقه أن يحرم بالسجدة ويسجد فإذا رفع رأسه وجلس لا يسلم بل ينوي

زيادة صلاة ركعتين ويقوم مصلياً لأن النفل المطلق تجوز فيه الزيادة والنقص بالنية، قال بعضهم وهو بعيد والأقرب أنه يسجد ثم يصليها لأنه قعود قصير لعذر فلا تفوت به فإن لم تتمكن منها قال أربع مرات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لأنها الباقيات الصالحات وصلاة الحيوانات والجمادات وهي التسبيح في قوله تعالى ﴿وإنْ مِنْ شَيْء إلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، والقرض الحسن في قوله تعالى ﴿مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً﴾، والذكر الكثير في قوله تعالى إذْكُروا الله ذِكْراً كثيراً﴾ ويكره للمحدث دخوله لغير حاجة لا لجلوس فيه ما لم يضيق على المصلين أو المعتكفين والأحرم دخوله ولو خالياً لذوي ريح كريهة بلا حاجة لقوله صلى الله عليه وسلم من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مساجدنا، وفي رواية: «من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقرب مساجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم» أما الحاجة كتداو فلا يكره لأنه صلى الله عليه وسلم أنكر على المغيرة بن شعبة لما وجد منه ريح ثوم بقوله من أكل من هذه البقلة فلا يقربن مسجدنا «فاعتذر إليه وأخذ بيده الشريفة فأدخلها في كمه إلى صدره فوجده معصوباً فقال: «إن ذلك عذر» وسمعت شيخنا شيخ الإسلام محمد بن علاء الدين البابلي يقول في درسه بالمسجد الحرام: من قال اللهم صلى على النبي الطاهر خمس عشرة مرة في نفس واحد فأكل ذا ريح كريه لم يجد له ريحاً وجربناه مراراً فصح ويمنع كل ذي ريح كريهة في بدنه أو ملبوسه، ومن به بخر أوصنان مستحكم وكذا نحو الأبرص والأجذم، بل ومن مخالطة الناس مطلقاً، ومن الشرب من السقايات المسبلة، وينفق عليه من بيت المال فمياسير المسلمين. ويكره ادخاله نحو بصل بلا حاجة كخوف ضياع وإخراج ريح لقوله صلى الله عليه وسلم «الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم». وقوله صلى الله عليه وسلم: «الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث أو يؤذ فإنْ ضره كتمه». أخرجه بل يجب أن تحقق ضرره ويحرم إدخال النجاسة فيه، ومن خيف تلويثه كغير مميز من صبي ومجنون وبهيمة وذي جرح نضاح، ودهن نجس وقتل قمل وبراغيث، ولحم نيء وتغسيل ميت ولو بغير سدر وعصر بطن وفصد وحجامة. لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله تعالى». ويحرم البصاق في شيء منه إن لم يضطر إليه لمصلحة

الصلاة مثلاً وبقي جرمه لا ان استهلك بماءمضمضةوكفارته إن لم ينجس دفنه أو مسحه بنحو خرقة وهو أولى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها». وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا تنخم أحدكم في المسجد فليغيب نخامته أن تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه». ومعنى كفارتها أنه يقطع التحريم لا إنه يرفعه ومثله المخاط ويسن لمن رأى فيه بصاقاً ونحوه إزالته وتطييب محله لأنه صلى الله عليه وسلم رآه في جدار القبلة فحكه متفق عليه، وعند أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في قبلة المسجد وهو يخطب فتغيظ على الناس وحكها قال الراوي وأحسبه دعا بزعفران فلطخه به، وعند النسائي غضب حتى احمر وجهه فحكتها امرأة من الأنصار وجعلت مكانها خلوقاً، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أحسن هذا». وعند مسلم جعل مكانها عبيراً، ولا يكره النوم والأكل والشرب والوضوء فيه إن لم يتأذ بذلك أحد أو يضر أرض المسجد أو حصره بما يتولد من نحو قشور مأكولة أو نواة أو عظمة وإلا حرم والأولى تركه ويحرم تلويثه بالطعام كالقهوة ونضحه بالمستعمل ولو مر بوله في هواء المسجد ووقع خارجه حرم، وإن لم يلوثه بخلاف ما إذا مر نحو بصاقه في هوائه ووقع خارجه فلا يحرم ومن رأى من يفعل محرماً كالبصاق في المسجد لزمه منعه إن قدر ومن علم فيه نجاسة أو مستقذراً وجب عليه إزالتها فوراً وإن رصد الواقف من يقوم بذلك بمعلوم على الأوجه وإن لم يتعد فاعلها، ويحرم القاء نحو القمل ميتاً فإن كان حياً فعن المالكية جوازه في البراغيث لا القمل لأن البرغوث يأكل التراب بخلاف القمل، وظاهر كلام النووي أنه لا يحرم، وَوَجهه بعضهم بأنموتها فيه وإيذاءها غير محقق بل ولا غالب على الظن لكن ظاهر كلام الجواهر التحريم وبه أفتى شيخ الاسلام أبو العباس الرملي ويؤيده الخبر الصحيح، إذا وجد أحدكم القملة في المسجد فليصرها في ثوبه حتى يخرج. ويجوز إغلاقه في غير وقت الصلاة إن خيف امتهانه أو على ما فيه ولم يحتج لفتحه، ولم يكن فيه مسبل ويكره السؤال فيه لا إعطاء السائل ورفع الصوت فيه ولو بالذكر إن لم يشوش على غيره، وإنشاد الشعر إن لم يكن فيه شيء من أعمال الخير كمدح النبوّة والاسلام وحث إلى نحو زهد والا لم يكره، وعليه حملوا ما جاء عن الصحابة ككعب بن زهير في بانت سعاد وغيره، ويحرم أن كان فيه مذموم

شرعاً كهجو محرم أو صفة خمر أو نساء أو افتخار محرم لقوله صلى الله عليه وسلم: «من رأيتموه ينشد في المسجد شعراً فقولوا له فضّ الله فاك ثلاث مرات». وقوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يمتلىء جوف أحدكم نجسا خير له أن يمتلىء شعراً». ولا ينافيه قولهم لا يحرم التشبيب إلا بامرأة أو غلام معين لأن الحرمة هنا من حيث المسجد ويمنع مما ذكره المؤرخون من قصص الأنبياء كفتوح الشام للواقدي فإن غالبه موضوع أو مأخوذ ممن لا يوثق به من أهل الكتاب وما فيه ذكر صفات الخمر المحرمة ولو خارج المسجد، وقد أفتى الشيخ ابن حجر بحرمة مطالعة حلية الكميت نعم إن دلت قرينة على أن المراد غير المحرمة كما يقع الكثيرين انهم يعنون بها ريقَ المحبوب، أو فواتح الحق على عباده ونحو ذلك فلا يحرم وعليه حملوا ما جاء عن بعض السلف ولا بأس بقراءة الرقائق والمغازي ونحوهما مما تحتمله عقول العوام وليس موضوعاً ومنه نحو مقامات الحريري فليست من الكذب في شيء ويكره البيع والشراء وسائر العقود فيه حيث لم يحتج إليه كنفقة نحو معتكف ونشد الضالة، وانشادها لقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك، وإن رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك». وقوله صلى الله عليه وسلم: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا». وسمع صلى الله عليه وسلم من ينشد جملاً أحمر فقال: «لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له». نعم يسن عقد النكاح فيه لقوله صلى الله عليه وسلم: «أعلنوا النكاح في المسجد». ويكره عمل صنعة غير خسيسة فيه، ولم يتخذه حانوتاً والا حرم ولا بأس بصنعة يشمل نفعها المسلمين كنسخ علم وآلات جهاد وتكره الخصومة فيه. لقوله عليه الصلاة والسلام: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وأمواتكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم واتخذوا على أبواب مساجدكم المطاهر». والأولى أن لا يدخله بسلاح إلا لحاجة، ويسن أن يمسك على حده لقوله صلى الله عليه وسلم: «من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض نصالها بكفه إن لم يصب أحداً من المسلمين منها بشيء، ويسن تعليق القناديل فيه ويحرم اتخاذها من النقد.

ومن البدع المنكرة إيقاد القناديل الكثيرة العظيمة السرف في بعض

الليالي فتحصل منه مفاسد كإضاعة مال ومضاهاة مجوس في الاعتناء بالنار وامتهان المسجد وحد السرف في ذلك أن يزيد على المحتاج إليه، ويباح اتخاذ المقاصير فيه وإن كانت بدعة إذ أول من فعله معاوية رضي الله تعالى عنه بجامع دمشق، ومد الرجل والاتكاء والتحدث بمباح وأن اقترن بنحو ضحك، ومن ألف موضعاً من المسجد لقراءة علم أو قرآن حرم عليه غيره الجلوس فيه وقت جلوسه فيه، وله اقامته منه ما لم يفارقه وينقطع عنه أو لنحو صلاة مما ليس فيه نفع عام اختص به ما دام جالساً فيه، أو قام لعذر وَعاد وإنْ لم يترك نحو سجادة، لقوله صلى الله عليه وسلم إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به نعم إن أقيمت الصلاة في غيبته واتصلت الصفوف فالوجه سد الصف مكانه لمصلحة إتمام الصفوف، والجالس للاستماع ان انتفع أحد بسؤاله فهو كالجالس للقراءة والا فكالجالس للصلاة، ويسن كنسه وفرشه وتنظيفه وتطييبه، قال صلى الله عليه وسلم: «عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد». الحديث وملازمة الجلوس فيه لقوله صلى الله عليه وسلم: «المساجد بيوت المتقين فمن يكن المسجد بيته تضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة». وقال صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». متفق عليه.

وقد نظمهم أبو شامة فقال:

وقال النبي المصطفى أن سبعة ... يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشيء متصدق ... وباك مصل والامام بعدله

وقد جمع الحافظ السيوطي في الخصال الموجبة لظل العرش جزأ حافلاً وصلت إلى سبعين خصلة وللمساجد أحكام كثيرة أفردها غير واحد كالإمام ابن العماد في تسهيل المقاصد ومختصره للشيخ عبدالرؤف المناوي والامام الزركشي في كتاب مفيد.

﴿ذكر مقابر مدينة تريم﴾

﴿وأما مقابر مدينة تريم﴾ فأعظمها وأحقها بالتقديم مقبرة زنبل بفتح الزاي وسكون النون وفتح الموحدة آخرها لام، وهي مقبرة السادة الأشراف، وفيها من العلماء العاملين والأولياء والصالحين ما لا يحصى، وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف يقول فيها من أكابر الأولياء أكثر من عشرة آلاف ، وفيها ثمانون قطباً من الأشراف، ونحو ذلك حكي عن الشيخ الولي سعد بن علي ويقال أن فيها عصبة من الصحابة رضي الله عنهم أرسلهم الصديق الأكبر رضي الله عنه لقتال أهل الردة مع زياد بن عبيد الأنصاري فمات كثيرون منهم بتريم ولم نعرف قبورهم لكن حُكِيَ عن الشيخ عبدالرحمن السقاف أنه قال: إن قبورهم شرقي قبر الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم بقدد رمية حجر وذلك بقرب مشهد العارف بالله أبي بكر باشميلة رضي الله عنهم ونفعنا بهم. (وبالجملة) فهي بقعة تأرجت بطيب تربها، وأشرقت أرضها بنور ربها، الثانية مقبرة الفريط تصغير فرط وهو كما في القاموس الجبل الصغير أو رأس الأكمة والعلم المستقيم يهتدي به جمعه أفرط وافراط سميت باسم الجبل الذي بقربها، وهي مقبرة آل بافضل والخطباء وغيرهم من مشايخ تلك الجهة وفيها أيضاً من العلماء والفضلاء والأولياء ما لا يحصى، وحكي عن الشيخ عبدالرحمن السقاف أن فيها أكثر من عشرة آلاف ولي، وقد شاهد كثير من أهل الكشف أن الرحمة أول ما تنزل من السماء على هذه المقبرة ثم تعم سائر الجهات، وحكي عن عبدالرحمن السقاف وحكاه السيد الجليل عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن الاستاذ الأعظم عن بعض مشايخه بمكة أنهما قالا أن تحت الفريط الأحمر روضة من رياض الجنة.

وحكي عن غير واحد من الأولياء أنه شاهد نوراً ساطعاً على قبور الخطباء لاحقاً بعنان السماء[١] (الثالثة) مقبرة أكدر بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح المهملة فراء، وتسمى هذه المقابر الثلاث بشار بفتح الموحدة وتشديد المعجمة آخره راء وهو اسم الواقف لها وهذه المجنات مشهورة بالبركات، في كل واحدة منها جم غفير من الأولياء العارفين ظاهرين ومستورين من آل بصري وجديد وعلوي ومن آل بافضل، والخطباء وآل باحرمي وآل بامحسون وآل بامروان وآل باعيسى وآل باعبيد وغيرهم، إلا أن كثيراً منهم لا يعرف عين قبره بل ولا جهته لأن المتقدمين كان يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه المتأخرون لأمور منها أن يعرف الميت هل بلي أولا لأن المشهور عندهم أن الميت لا يبلى إلا بعد أربعين سنة أو نحوها، ومنها أن يعرف صاحب القبر ليزار ويتبرك به، ويدفن عنده أقاربه، ونحو ذلك من المقاصد الحسنة. وكان الشيخ محمد بن أفلح يقول من مسجد عبدالله بن يماني إلى آخر زنبل كلها قبور من ثم يقع لكثير من المشايخ إنه يخلع نعليه إذا جاوز المسجد المذكور وقد كان كثيرون من أهل الكشف يشاهدون البركات الظاهرة والأنوار الباهرة في هذه الجنان وشاهد غير واحد منهم أنهم على غاية من النعيم والنور الجسيم، رأى جماعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورهم، وكذا الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[١].

وحكي عن الشيخ الزاهد الورع السيد حسن بن علي وكان من أهل الكشف أنه قال سأل رجل من أهل الفريط رجلاً من أهل زنبل عن أهل مقبرته فقال خيلنا تحمل رجلنا[٢] وللشيخ الامام علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف رضي الله عنهم:

وكم بدور بذاك الحي قد برزت	**تمد زوارها من فيضها الزخر**
وكم على بيته الأسرار قد غمرت	**بفضل هطالها الزوار كالمطر**
وذات دن دنت ترمى يحس بها	**زوّارها في سواد الليل والسحر**
وذات أكدر للأكدار مجلية	**تشفى بمرهمها الزُوارِ عن ضرر**

(١) في هذا الموضع من الأصل بعض من الجمل حذفت من هذه الطبعة.

(و٢) فى هذا الموضع من الأصل جمل حذفت من هذه الطبعة.

وأرجع إلى ذكر وتوحيد ومعرفة ... خُصوا بها صفوة صفواً عن الكدر
وامنحوا من عظيم الفضل كم منح ... وكم عطايا وكم جودُ وكم غمر
وكم حقائق توحيد لها وهبوا ... وكم جواهر أنوار وكم درر
وكم مواقيت أسرار ومعرفة ... وكم تماكين تصريف وكم قدر
شيوخنا في بحار من حقائقها ... قد مكنوا الكل بالأسرار والسير
حظوا وخصوا بجاه لا يحد له ... وسع ولا فضلهم يحصى بمستطر
رسوخ أقدامهم يحكي رواسيها ... أسود نهام تحمي الجار عن ضرر
بحور علم شموس في دياجرها ... تهدي الضوائل والسلاك في السفر
أئمة الدين آل المصطفى فلهم ... مكارم عدها يربو على الزهر
وراث طه على التحقيق إن لهم ... محاسن أدهشت ألباب ذي الفكر
أولوا الصفا والوفا أجناد خالقهم ... أولوا العبودة حقاً صفوة البشر
هم عمدة الكون أحبار العلوم بهم ... باهى المهيمن للأملاك في الخبر
فلا مزيد على مدح الاله لهم ... وذكره فضلهم في الآي والسور
فالقحط عنا مع البلوى يزال بهم ... أيضاً وفي الجدب نسقى وابل المطر
وهم بدور لنا في كل مظلمة ... وهم لنا عمدة في اليسر والعسر
قوم إلى الله طاروا عن هيا كلهم ... حتى دنوا من رياض القدس والقدر
أهل التقي والنقى طابت مغارسهم ... فاينعت بثمار القصد والظفر
فحسن الظن واعتمد يا أخي بهم ... كي في معاد تفز بالأمن والوطر
واقصد رضا الله في الدنيا بحرمتهم ... لعل تحظى بحور الخلد والظفر

وقال الشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس رضي الله عنهم ونفعنا بهم:

في جنان بشار ... خيامهم قد طنبت والأخدار
وكم بها من قمار ... تلألأت أنوارهم بالأقطار

وقال:

ولم يزل عني الكدر ... إلا إذا زرت آل أكدر
وأهل الفريط المشتهر ... وقبر الشيخ المنور
العيدروس بحر الدرر ... ليث الضراغيم الغضنفر

والمقابر المشهورة في حضرموت أربع، مقبرة تريم، ومقبرة شبام، ومقبرة

الهجرين، ومقبرة الغيل الأسفل ونظم بعضهم المشايخ المشهورين بباب سهام الذين قيل فيهم من زارهم سبعة أيام قضيت حاجته فقال:

ببـاب سهـام سبعـة من مشايـخ لقـاصـدهم ذخـر وكنـز لمقلل
فيـونس ابـراهيم مـرزوق خيـرتي وأفلح صياد كذا ابن الرضا علي
زيـارتهم نجـح لكـل حـوائـج وفي الخلد سكنى للذي زار مقبل

فعارضه الامام مبدي العلوم الغريبة والأخبار العجيبة الشيخ علي بن أبي بكر فقال:

تـريم بهـا منهم ألـوف عـديـدة بساحة بشار شموس الـورى قبل
زيـارة كـل مـنهـم صـح أنها لما شئت من جلب ودفع تحصـل
وإن قيـل تـرياق ببغـداد جـربـا ففي ربع بشار شفـا كل معضـل
ويـاحبـذا ذاك الفـريط وظـله فكم قد حوى من كامل السر منهل
فكم معـدن كم موردكم معـظم وكم حبـر تحقيق وشيـخ مـدلـل
وبلبـل قلبي نفـح مسـك بـزنبـل بها من كنوز السـر كم من مجلل
وكم جهبذ فيهـا بنـو أكدر بهـا بهم ينـزل الله الغيـوث لممحـل
فـلا تحتقرهـا رب أشعث خـامـل سمـاسرة فضـلاً على كـل معضل

وأشار بقوله وإن قيل ترياق ببغداد الخ إلى ما قيل أن زيارة قبر الشيخ معروف الكرخي ترياق مجرب وقال الشيخ علي بن أبي بكر أيضاً:

كم بـالفـريط مشـايـخ وأئمـة كم في ربـا بشـار ألف مجـامع
كم في أراضي أكـدر من مسعـد وإلى ابن دن كم همـام شـافعي

(وكيفية زيارتهم)

أن يبدأ أولاً بزيارة الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم قال الشيخ أحمد بن محمد باحرمي رأيت الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في المنام فقالا لي إذا زرت فَزُرْ الفقيه المقدم أوّلاً ثم زر من شئت قال بعض السادة الأكابر من زار أحداً قبل الفقيه المقدم بطلت زيارته، ثم يزور حفيده الشيخ عبدالله باعلوي وقبره ملاصق لقبره ثم أباه علوي ابن الأستاذ، ثم الامام سالم بن بصري وقبره بقرب قبر الشيخ علوي وهو الآن غير معين ثم من في صفهم كالشيخ عبدالله ابن الاستاذ الأعظم، وعلي بن محمد صاحب مرباط أبي الأستاذ ومحمد وعلي ابني عبدالله باعلوي، ثم يزور الشيخ عبدالرحمن السقاف وأباه محمداً مولى الدويلة، وأباه علياً ابن الاستاذ، ثم جدهم الأعلى علي بن علوى خالع قسم، وبقربه محمد بن حسن جمل الليل، وأباه وجده، ثم الشيخ محمد بن علي عيديد وهو في صف الاستاذ وابنيه عبدالله، وعلي ومحمد وعلوي وشيخ ابني السقاف، ثم يزور الشيخ عمر المحضار وبجنبه ابن أخيه الشيخ علي بن أبي بكر، ثم الشيخ حسن الورع وأباه وَالشيخ محمد بن عبدالرحمن الذي قيل أن الدعاء عند قبره مستجاب ثم بقية الأولياء والصالحين كالقاضي أحمد بن باعيسى[1] رضي الله تعالى عنه ثم يزور الوالدين والأقارب والأصحاب ثم يزور الشيخ عبدالله العيدروس ومن في قبته من الأولياء، ثم الشيخين محمداً وعبدالله ابني أحمد بن حسين العيدروس ومن جاورهم من الصالحين وليختم بخاتمة الأولياء الشيخ عبدالله بن شيخ ومن في قبته، كشيخ الاسلام وعلم العلماء الاعلام السيد علي زين العابدين ابن الشيخ عبدالله وابن أخيه شيخنا

---

(١) في هذا الموضوع من الأصل جملة حذفت من هذه الطبعة.

العارف بالله تعالى عبدالرحمن السقاف نفعنا الله بهم، ثم يأتي مقبرة الفريط. ويبدأ بمقدمها الشيخ سالم ابن فضل ثم الشيخ فضل بن محمد ابن الفقيه أحمد، والشيخ فضل بن محمد ثم الشيخ أحمد بايحيى وأباه وعمه فالدعاء عند قبورهم مستجاب لا سيما الدعاء بولد فإنه مجرب، ثم الشيخ ابراهيم بن يحيى بافضل، ثم الشيخ أبابكر بن الحاج، ثم الامام القدوة علي بن أحمد بامروان والعارف بالله عمر بن علي باعمر القرشي وقراءة يس عنده مشهورة لقضاء الحاجات، والامام أحمد بن محمد بافضل وبقربه والده وعمه، ثم الشيخ علي بن الخطيب والشيخ عبدالرحمن بن يحيى الخطيب والشيخ أحمد بن علي الخطيب، ثم الامام العلامة أحمد بن محمد بن أبي الحب وأخويه وابنه سعيد، ثم يختم بخاتمة الأتقياء وعلم الأصفياء، الامام الولي سعد بن عَلِّيْ ثم يأتي مقبرة أكدر ويبدأ بمقدمها الامام العارف بالله تعالى يحيى بن سالم وأخيه أحمد، ثم من جاورهما من الصالحين، ثم يزور الشيخ الكبير العلم الشهير **بادون** والشيخ محمد الغريب بقربه، واعلم أن القبور التي تزار في هذه المدينة يطول تعدادها ولا يحسن التطويل بذكرها في هذا المحل لأن البعيد عنها لا ينتفع بوصفها ومن كان فيها سهل عليه البحث والمراجعة من بعض ثقات أهل المدينة ومن مقابرها أيضاً مقبرة مسائل ومقبرة بلج بالموحدة والجيم ومقبرة بريح بفتح الموحدة وبالراء والمثناة التحتية والحاء المهملة وكانت قرية عامرة في قديم الزمان، ثم خربت ولم يبق منها إلا مقبرتها فينبغي الاعتناء بزيارة هؤلاء الكرام وبها يحصل القصد والمرام وكم حصل لزائرهم من بلوغ الآمال والمطالب التي لا تخطر على بال ولقد أحسن العارف بالله تعالى الصرصري حيث قال:

هم حماة بقاع الأرض لا بظبا ... ولا ذوابل بل يحمون بالهمم
تهمى الغمام بهم في كل نازلة ... تسقى بأنفاسهم مع فيضها العمم
وانهم لمحبيهم وآملهم ... ذخر وإنْ أصبحوا بالموت في رحم[1]

وقد أجمع العلماء على ندب زيارة قبور المسلمين كما حكاه إمام الفقهاء

(١) في هذا الموضع من الأصل بيت شعر حذف من هذه الطبعة.

العارفين محي الدين النووي رحمه الله قال بعض الظاهرية بوجوبها سواء من تستحب زيارته في الحياة وغيره، وما وقع للشعبي والنخعي مما يقتضي كراهة زيارة القبور شاذ لمخالفته إجماع غيرهما على أنه مؤوّل، واختلفوا في ندب السفر لها والصواب ندبه كما دلت عليه الأحاديث فإذا كانت الزيارة قربة كان السفر إليها قربة كما بَيَّنَهُ الامام تقي الدين السبكي وغيره وقيل لا يندب خروجاً من الخلاف قال الغزالي: ما حاصله استدل بعض العلماء بحديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد على المنع من الرحلة لزيـارة المشاهـد وقبور الشهداء والصالحين وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» والحديث ورد في المساجد الثلاثة وليس في معناها باقي المساجد بخلاف المشاهد فإنها متفاوتة بحسب الدرجات نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحل إلى موضع فيه مسجد، ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء، كابراهيم وموسى ويحيى والمنع من ذلك في غاية الاحالة وإذا جوز فقبور الأولياء والعلماء في معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد، انتهى. وقد ورد في زيارة القبور أحاديث منها ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عليه إلا استأنس ورد عليه حتى يقوم» . وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام». وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد مر على قبر رجل يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام». وعن أبي هريرة قال: قال أبو رزين: يا رسول الله إن طريقي على الموتى فهل من كلام أتكلم به إذا مررت عليهم؟. قال: «قل السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين المؤمنين أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». قال أبور زين: يا رسول الله يسمعون؟. قال: «يسمعون ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا». قال: «يا أبا رزين ألا ترضى أن يرد عليك بعددهم من الملائكة وقوله لا يستطيعون أن يجيبوا أي جواباً يسمعه الحي وإلا فهم يردون حيث لا يسمع وهي إما لمجرد ذكر الموت والآخرة فيكفي الوقوف عند القبر، وأما لنحو الدعاء فيسن زيارة

كل مسلم وأما للتبرك فتختص بأهل الخير والصلاح لأن لهم في البرزخ تصرفات وأما الأداء حق نحو صديق ووالد، وهو الوارد في الأحاديث ويندب أن يقصد بها تذكر الموت والترحم على الميت وإظهار تعظيمه بإحياء مشهده ونحو ذلك من أفعال الخير، ويندب الوضوء لها والدنو من القبر كدنوه من صاحبه لو زاره حياً مع رعاية الأدب معه بعد وفاته كما في حياته من الاحترام وترك الخوض فيما لا ينبغي، ويقف ووجهه إلى جهة القبر فإن قعد فالافتراش أولى، ثم الجثي على الركب وأن يسلم على أهل المقبرة عموماً عند دخوله ثم يسلم خصوصاً، وأن يأتي بالسلام والدعاء الوارد في ذلك فيقول بصوت مقتصد بحيث يسمعه من بقربه السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين والمؤمنين، ويرحم الله المتقدمين والمتأخرين، إنكم لنا فرط ونحن لكم تبع، اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي لك مؤمنة أدخل عليها روحاً منك وسلاماً مني وبرد عليهم مضاجعهم، واغفر لهم مع رعاية الأدب بخضوع ووقار وذلة وانكسار، غاض الطرف مكفوف الجوارح مستحضر عظمة المسلم عليه، ويسلم مقتصداً متلذذاً بالخطاب، فإن التلذذ مع الأحباب من مقاصد أولى الألباب، ويطيل الدعاء عنده ويتوسل به في جميع مهماته كما قاله الامام السبكي وغيره، وإن قال ابن عبدالسلام رحمه الله تعالى إن سؤال الله تعالى بعظيم من خلقه ينبغي أن يختص بنبيّنا صلى الله عليه وسلم فذكر المحبوب المعظم قد يكون سبباً للإجابة، وفي العادة من توسل بمن له قدر عند أحد أجاب وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلا منه وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار مع كونها أعراضاً فالسؤال بالأولياء أولى وقد استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما ويندب أن يقرأ شيئاً من القرآن اتفاقاً والأولى أول سورة البقرة وآخرها وسورة يس وسورة الاخلاص إحدى عشر مرة وقد ورد أن من قرأها العدد المذكور عند المقبرة ثم أهداها لأهلها كان له من الأجر بعدد كل ميت وميتة فيها وثواب القراءة ولو عند القبر للقاريء والميت كالحاضر ترجى له الرحمة والبركة بها فإن المشهور من مذهب إمام الأئمة الشافعي رضي الله عنه أن القراءة لا تصل للميت لكن حمله جمع على ما إذا قرأ لا بحضرة الميت ولم ينو

القارىء ثواب قراءته له، ولم يدع له قال ابن الصلاح وينبغي الجزم بنفع اللهم أوصل ثواب ما قرأناه لفلان لأنه إذا نفعه الدعاء بما ليس للداعي فما له أولى، وفي وجه أنها تصله وهو مذهب الأئمة الثلاثة رضي الله عنهم واختاره جمع من الشافعية، ويندب الدعاء للميت، وينفعه إجماعاً قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرفع درجة العبد في الجنة باستغفار ولده». ويكره تقبيل القبر واستلامه، والصاق البطن والظهر به والانحناء والصلاة إليه والجلوس والاتكاء عليه، والاستناد إليه ودوسه، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»، وقال صلى الله عليه وسلم: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر». وفسره أبو هريرة بالجلوس للبول والغائط ويدل له رواية «من جلس على قبر يبول عليه أو يتغوط». وهذا حرام إجماعاً ولا يكره دوسه لحاجة كحفروَزيارة ويباح المشي بالنعل بين القبور الأولى الحفاء، وأمره صلى الله عليه وسلم لصاحب النعلين السبتيتين بخلعهما لما فيهما من النجاسة أو الخيلاء فأحب صلى الله عليه وسلم دخول المقابر بزي التواضع وبقي آداب وأحكام لهذا المبحث تطلب من محلها.

﴿وأما شعاب هذه المدينة وأوديتها﴾

فهي كثيرة فمن أشهرها شعب النعير بالمهملة كزبير اسم رجل وهو شعب مبارك تعبد فيه كثيرون من الأولياء والصالحين وشهره كثير من العارفين، وممن تعبد فيه وشهره الشيخ عبدالرحمن السقاف، والشيخ عبدالله العيدروس، تعبدا فيه أول سلوكهما ومتعبد الشيخ عبدالله العيدروس محل فيه معروف يزار ويتبرك به واعتزل فيه للعبادة كثيرون منهم السيد الجليل نور الدين علي بن علوي بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم، فكان يتعبد فيه الليالي والأيام المتعددة، وكان الشيخ أبو بكر بن عبدالله العيدروس، وابن عمه عبدالرحمن بن علي يتعبدان فيه ليلاً ويصلي كل واحد في جانب منه، ثم يرجعان قبل الفجر وبالقرب من هذا الشعب جبل يزار ويعرف عندهم بجبل القطب الرباني عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا به يقصده العوام والنساء في كل سنة مرة للزيارة ولم أقف لذلك على سند ولا لهذه النسبة، ومنها شعب خيله وهو في الأصل مصدر خال الشيء يخاله ظنه وهذا الشعب كان يتعبد فيه الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم وحفيده الشيخ عبدالله باعلوي وغيرهما من السادة وكثيرون من مشايخ تريم وفضلائها من آل بافضل، والخطباء وآل حاتم وكان كثير من العباد والسالكين يكثرون العبادة في هذين الشعبين، وينعزلون فيهما فظهرت عليهم الكرامات وتواترت عليهم الاشارات والبشارات ومن ثم تجد الأنوار عليهما لائحة وروائح الأنس فيهما فائحة، ومنها شعب مخاران جبل شامخ جداً وهو غربي المدينة فيسترها فيؤه عقب العصر ويمنع عنها ريح الدبور ومسيل هذه الشعوب الثلاثة تجري بين دور المدينة، ويخرج إلى أراضي ونخيل كثيرة، ومنها شعب عيديد، الركن الشديد وهو متصل بمقابر بشار، وتعبد فيه جمع من المشايخ الكبار ومن ثم كثرت فيه

المدائح والثناء الفائح، وكان السيد الكبير والعلم الشهير محمد بن علي يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم انقطع فيه وتديره، ومن ثم قيل له محمد عيديد وتبعه أولاده وأولادهم فعمروه حتى صار قرية كبيرة، ومنها شعب الغبرة بفتح المعجمة وسكون الموحدة وفتح الراء آخرها هاء والظاهر أنَ أصلها ألف لأنها لغة أرض كثيرة الأشجار وهذه كانت كذلك لأنها كانت ذات عيون جارية، وإنما سدها معن بن زائدة كما سيأتي وكان الشيخ العارف بالله تعالى عبدالكبير باحميد في هذا الشعب وانعزل فيه عن الناس فأظهر الله تعالى له عيناً تجري على الأرض واستمرت إلى هذه الأزمان، ومنها شعب الهادي وهو شعب عليه النور لائح وتعبد فيه غير واحد من المشايخ، وكثرت فيه المدائح وأما أوديتها فأعظمها وادي ثبى المشهور، وبالخير والبركة مذكور، وهذا الوادي إذا سال سقى معظم نخيل المدينة على كثرتها واتساعها وإذا سال وسقى النخيل استبشر الناس بكثرة الأثمار ورخص الأسعار، ومنها وادي دمون الوادي الميمون الذي حل فيه الصالحون والأولياء العارفون، وهو أيضاً متسع البساتين والأراضي يسقي سيله نخيلاً شاسعة وأرضاً واسعة، ومنها وادي عيديد فإن فيه نخيلاً كثيرة وأرضاً منيرة ومنها وادي قتبة بالقاف والمثناة الفوقية فموحدة وهاء وهو بقرب وادي عيديد وهو ذو نخيل وبساتين سكنه جمع من العارفين والأولياء الصالحين وماء هذه الأودية مباح يستوي فيه الناس، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «الناس شركاء في ثلاثة الماء والكلأ النار». وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا تمنع الماء والكلأ والنار». فلا يجوز لأحد أن يحجرها ولا للإمام إقطاعها إجماعاً. وعند الازدحام وقد ضاق المشرع أو قل الماء يقدم الأعلى فالأعلى ويرجع في قدر السقي والحاجة للعادة الجارية أما إذا اتسع المشرع والماء فيسقي كل متى شاء وفي هذه المسائل بسط ليس هذا محله، وما أحسن قول بعضهم:

ولي شجن في سر سري ببلدة ... نشأت بها تبري لكل عليل
وهل أتوضأ في جبال بقربها ... بدمون أو عيديد قل كطفيل
على غبرات .. قلوت فماؤها ... شفاء لمعلول وبرد غليل
إذا ما خطر لي ذكر سرجيس حول ... خيلة أو لغير ذاك خير مقيل
أو البلدة الفيحاء أو عرض قبة ... وسفح جبال للجبال ظليل
بها بركات في جبال ومسجد ... لتربتها كم من كبير حفيل

أميل طرباً بل أستريح حقيقة	بهن أحيبابي وكل خليل
ربيت بذاك الربع والأثل تحته	فحياه ربي بالحيا وهميل
هناك مني قلبي وسري وبغيتي	وعين سروري جمع كل خليلي
وثم أناس بالعبادة قد نشوا	بهم رب بلغني بكل جميل
وصلّ الهي كلما مزنة بكت	على المصطفى الهادي وخير رسول

وللأولياء العارفين في هذه الشعاب والأدوية المذكورات مجاهدات وما جريات ظهرت لهم فيها خوارق العادات وحصل لهم مطالب طلبوها ومآرب نالوها، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي حراء فيتحنث أي يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أفضل الناس يعد المجاهدين رجل يعتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه». وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره، وقال صلى الله عليه وسلم: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشرة في الاعتزال عن الناس، وقال صلى الله عليه وسلم: «الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت». وأما أهل هذا الزمان وأهل العصر والأوان فصيروها معدة لاجتماع الأصحاب ومنادمة الأحباب، وقد حضرت في تلك المحالات أوقات طيبات وأياماً شريفة مشهودة وليالي منيفة مسعودة، رقمتها الليالي والأيام في صفحات أوراقها وأثبتتها في دفاترها وأطباقها، مع جماعة من الأتراب، وخواص من الأصحاب، في مذاكرة علوم وآداب وكم بتنافيها ليلة عاطرة النفح تزري بلية السفح.

يا طيبها ليلة لولا تذكرهم	ما كنت منها أشق الجيب من ألم
أقول إذا انسوا فيها هناك ولي	عن قولهم صنمم ناهيك من صمم
ردوا علي ليالي التي سلفت	لم أنسهم وما بالعهد من قدم

وينبغي لمن قدم هذه المدينة العظيمة، ومحلاتها الكريمة، أن يستشعر عظمة مَنْ فيها من السادات الأصفياء، وجلالة مَنْ فيها من الأولياء الأتقياء، ويلتزم سلوك الأدب، ليحظى بالقبول وبلوغ الارب، حتى مَنْ فيها من العوام فيقابلهم بالبشاشة والاكرام، فلا يترك اكرام الجار ولو جار ولا يزول عنه

شرف مساكنته في الدار كيف دار فيرجى للعاصي أن يختم له بالحسنى، ويمنح ببركة القرب الصوري قرب المعنى: وأن يصافح من لاقاه فإنه سنة بالاْجماع عند أوّل التلاقي وكذا عند الوداع على ما قاله بعض المالكية وأقره الشيخ ابن حجر وليحترز من مصافحة الأمرد وَيُسَّنُ تقبيل كل يد نفيسة ويضم إلى ذلك البشاشة، وحسن التلقي بكلام أو دعاء بنحو جزاك الله خيراً، وأن يقوم لمن فيه فضيلة من نحو صلاح أو علم أو ولادة قال بعضهم أو يرجى خيره، أو يخشى من شره ولو كافراً خشي منه ضرراً لا يحتمل عادة ويكون على جهة البر، والاكرام لا الرياء والاعظام، بل أفتى ابن عبدالسلام وابن الصلاح بوجوبه في هذا الزمان وجرى عليه أكثر المتأخرين، لأن تركه صار علمًا على القطيعة ووقوع الشحناء والتباغض، ويحرم على الداخل أن يحب قيامهم له لقوله صلى الله عليهوسلم: «مَنْ أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوّأ مقعده من النار» وهو محمول على ما إذا أحب قيامهم وهو جالس وطلبا للتكبر على غيره، وأما مَنْ أحبه جودا منهم عليه لما أنه صار شعاراً للمودة فلا حرمة، وجرت عادة المحبين إذا سمعوا بذكر ولادته صلى الله عليه وسلم أن يقوموا تعظيًا له صلى الله عليه وسلم. ﴿وحكي﴾ أن منشداً أنشد في ختم شيخ الإسلام تقي الدين السبكي درس البخاري والقضاة والأعيان بين يديه قول المحب الصادق الصرصري.

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب — على فضة من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه — قياماً صفوفاً أو جثيا على الركب

فنهض الشيخ تقي الدين وقام وقامت الناس لقيامه وحصل لهم ساعة طيبة ذكر ذلك ابنه في الطبقات ﴿وأعلم﴾ إن حضرموت كسائر اليمن افتتحت بالقرآن العظيم، وجميع أهل اليمن أسلموا على عهده صلىٰ الله عليه وسلم، وبعث صلى الله عليه وسلم عماله إلى اليمن وهم علي ومعاذ وأبو موسىٰ وخالد بن الوليد. وخالد بن سعيد بن العاص، وزياد بن لبيد، وهاجر بن امية المخزومي، وغيرهم فوصل علي كرم الله وجهه إلى صنعاء، وقيل دخل عدن أبين وخطب على منبرها خطبة بليغة وبعث زياد بن لبيد ابن ثعلبة بن سنان الخزرجي البدري إلى حضرموت، سنة عشر أميراً علىٰ الصدقة، ولما

توفي صلى الله عليه وسلم كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى زياد بن لبيد يخبره بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأقره على ما هو عليه من الامارة، فجاءه كتاب الصديق وهو بمدينة تريم فقرأ على أهلها كتاب الصديق رضي الله تعالى عنه ودعاهم للمبايعة فبايعوه، ولم يختلف عليه اثنان ثم بايعه أكثر أهل حضرموت وامتنع من مبايعته أهلِ النجير، وأهل خباية وانضم اليهم قبائل من حضرموت، وكتب زياد إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما بذلك فدعا الصديق رضي الله تعالى عنه لأهل تريم بالدعوات المتقدم ذكرها وكتب إلى مهاجر بن امية وكان عاملاً له على اليمن أن يمد زياد بن لبيد فسار هو وجماعة من الصحابة وغيرهم وقاتلوا أهل خباية حتى أدوا الطاعة والزكاة، ثم ساروا إلى النجير، وهو بنون فجيم فتحتية فراء حصن حصين، وكان فيه كندة مع قبائل ممن أبى البيعة للصديق، وكان فيه جماعة مستسملون ولم يرتضوا فعل القوم منهم الأشعث بن قيس وامرؤ القيس بن عانس بنون فسين مهملة ابن المنذر الشاعر، فكتموا أمرهم خوفاً من بني عمهم لكونهم أهل شوكة ودام حصارهم، وحصل جرح كثير في الفريقين ثم أظهروا الطاعه واستسلموا، فلما انصرف الصحابة رضي الله عنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من الردة فعاد المسلمون إلى قتالهم وقاتلوهم ونصر الله المسلمين، وقتل من أهل النجير خلق كثير وأسر منهم ستة آلاف، واصيب جماعة من الصحابة بجرّاح وعادوا إلى مدينة تريم ليتداووا فماتوا بها وقبروا بمقبرة زنبل كما سبق، وقدم عليهم عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه في جمع من المسلمين وهم يقسمون الغنائم، وساروا بالأسارى إلى الصدِّيق رضي الله عنه، قال بعض أهل التاريخ: ومن عجيب ما جرى في أيام الصديق رضي الله عنه أنه حصل مطر عظيم بحضرموت، فأبرز السيل باباً مفتوحاً فهاب الناس فتحه وظنوه كنزاً وكتبوا إلى الصديق رضي الله عنه، فأرسل أمناءه ففتحوا الباب فنفذ بهم إلى مفازة فدخلوها فإذ فيها سرير عليه رجل ميت عليه حلة منسوجة بالذهب، وفي يده لوح مكتوب فيه:

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاض السماء

وفي يده الأخرى خاتم مكتوب فيه، ﴿وَمَا وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْد﴾ الآية، وعند رأسه مكتوب.

يـا لائمي في هجـوهم جـاهـلاً　　عـذري منقـوش عـلى خـاتمي

وسيف أخضر مكتوب عليه هذا سيف هود بن عاد بن أرم، انتهى، ثم في سنة تسع وعشرين ومائة استولى على هذا الاقليم طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الأعور، واجتمع عليه الخوارج، ثم سار إلى صنعاء واستولى عليها فجبى الأموال، ثم جهز إلى مكة عشرة آلاف وغلبوا عليها ولما سمع بخبرهم مروان ابن محمد وكان بالمدينة جهز لحربهم والتقى الجمعان بقديد في صفر، فانهزم أصحاب مروان وقتل منهم ثلثمائة نفر من قريش، منهم حمزة بن مصعب بن الزبير وابنه عمارة، وابن أخيه مصعب بن عكاشة وامية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، وقتل من بني أسد أربعون وفيه يقول النابغة:

مـا لـلزمـان　ومـالـيـه　أفنى　قـديـد　رجـالـيـه

ثم بعث مروان بن محمد أربعة آلاف عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي، والتقوا مع أصحاب طالب الحق بمكة المشرفة فانتصر أصحاب مروان وقتلوا أصحاب طالب الحق، فلما بلغه ذلك أقبل من اليمن في ثلاثين ألفاً وسار ابن عطية لقتاله والتقى الجمعان بتبالة فانهزم طالب الحق وتبعه ابن عطية فالتقوا ثانياً ودام القتال حتى قتل طالب الحق وقتل معه ألف حضرمي، وبعثوا برؤ وسهم إلى مروان قال القاضي ابن خلكان: وتباله بفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ثم ألف ولام وفي آخرهاهاء وهي بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة، وهذا المكان كثير الخصب له ذكر في الأخبار والأمثال والأشعار، وهي أوّل ولاية وليها الحجاج بن يوسف الثقفي، ولم يكن رآها قبل ذلك فخرج إليها فلماقرب منها سألَ عنها فقيل له انها وراء تلك الأكمة فقال لا خير في ولاية تسترها أكمة، ورجع عنها محتقراً لها وتركها فضرب العرب بها المثل، وقالت للشيء الحقير أهون من تباله على الحجاج، انتهى. ثم في سنة ثنتين ومائتين ملك حضرموت محمد بن زياد أمير اليمن من قبل المأمون وهو الذي اختط مدينة زبيده سنة أربع ومائتين، ثم ملكها بنو

معن ملوك عدن وليسوا من بني معن بن زائدة، ثم في سنة خمس وخمسين وأربعمائة استولى عليها علي بن محمد الصليحي داعية بني عبيد، ثم غزاها عثمان الزنجاري الذي جعله شمس الدولة توران شاه على عدن، وتغلب عليها بعد وفاة شمس الدولة سنة أربع وسبعين وخمسمائة وقتل خلقاً كثيراً من الفقهاء والقراء والصلحاء منهم يحيى بن أكدر، وقبضوا على عبدالله بن راشد وأخيه أحمد وابنه وحملوا إلى عدن وولي الزنجاري حضرموت جميعها، ثم في سنة ثمان وخمسين وستمائة جهز المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول ثاني ملوكهم، واستولى على جميع حضرموت وفيه يقول صاحب السيرة من قصيدة مدح المظفر بها.

فاسأل به الأعلام فهو عقيدها ... والعلم فهو مصنف ومؤلف
وأهل شبام وحضرموت وأهلها ... أو عيد يوسف صادق أم يخلف

ولم تزل الأباضية ظاهرين في هذا الاقليم وشوكتهم قائمة، إلى أن قدم المهاجرإلى الله تعالى أحمد بن عيسى ابن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط للرسول صلى الله عليه وسلم، فطهر الله تعالى به البدع والضلال بما أورده من صحيح الإستدلال وأحياه تعالى بسببه، وأنشره بعدما أماته فأقبره، ثم تلاه الإمام العالم الشيخ سالم فأنزل البدعة إلى أنزل رتبتها ونشر العلوم وأظهر فضيلتها ثم عززهما الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم، فقدس به ذلك الوادي وأسس على التقوى مسجد ذلك النادي، وأظهر في هذا الاقليم عقائد أهل السنة والجماعة وأحيا العلوم على الصراط المستقيم، قاصداً بذلك وجه الله الكريم، ومن خواص الديار الحضرمية أنه لا يعرف بها غير الشافعية، وكذلك الديار المصرية والحجازية والشامية لا يعرف أن غيرهم حكم في مصر منذ وليها الامام أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي سنة أربع وثمانين ومائتين، وكذا دمشق لم يلها بعد أبي زرعة المذكور إلاشافعي غير البلاساعوني التركي، وكان لا يلي القضاء والخطابة والإمامة إلا الشافعية، واستمر ذلك إلى زمان الظاهر، فضم القضاء إليهم واستثنى لهم الأوقاف وبيت المال والنواب وقضاء البر والأيتام ومع ذلك قال أندم على ثلاث ضم غير الشافعية إليهم والعبور بالجيوش إلى

الفرات وعمارة القصر الأبلق بدمشق، وذكر التاج السبكي عن أهل التجربة أن اقليم الحجاز ومصر والشام متى كانت اليد فيها لغير الشافعية خرجت ومتى قدم سلطانها غيرهم زالت دولته سريعاً، وإن من خواص الإمام الشافعي رضي الله عنه أن من تعرض له أو لمذهبه بسوء أو نقص هلك قريباً، وأخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أهان قريشاً أهانه الله تعالى». وذكر جمع من المؤرخين أنه ولي قضاء مصر جماعة من الحضرميين، منهم عبدالله بن بلال الحضرمي، وكان يقول أنا تاسع تسعة ولوا القضاء بمصر من أهل حضرموت، وهو يونس بن عطية وأوس ويحيى وتوبة وجبر وعون ويزيد وعيسى قال الشاعر:

لقد ولي القضاء بكل أرض ... من الغر الحضارمة الكرام
رجال ليس مثلهم رجال ... من الصيد الجحاجحه الضخام

وقال:

يا حضرموت هنيئاً ما خصصت به ... من الحكومة بين العجم والعرب
في الجاهلية والإسلام تعرفه ... أهل الرواية وَالتفتيش والطلب

وقال بعضهم: والأصل في الرغبة فيهم ما رواه ابن عبدالحكم في فتوح الشام عن أبي الاسود عن أبي لهيعة عن الحارث بن يزيد أن معاوية رضي الله تعالى عنه كتب إلى مسلمة وهو على مصر أنْ لا تولي عليها إلا أزديا أو حضرمياً فإنهم أهل أمانة، ومن خواص هذا الاقليم أن الخمر والنبيذ وسائر المنكرات لا توجد فيه، ثم حدث بعضها في الأزمنة المتأخرة ومع ذلك لا يتأتى اظهارها إلا بضرب حيلة أو انتهاز فرصة أو خوف من الإنكار من سلطان فحينئذ يتجرّعون غيظاً، ومنها كثرة حفاظ القرآن بها، ومداومتهم على تلاوته وكثرة الاشتغال بعلم الفقه والتصوّف، ومنها عموم الأمن في نواحيها من السراق وقطاع الطريق بخلاف أكثر البلاد ومنها كثرة حجاجها الوافدين إلى بيت الله الحرام بحسب ما يقدرون عليه ماشين وراكبين، ومنها غلبة الفقر على أكثر أهلها وقناعتهم بالمراتب النازلة في المطعوم والملبوس وزوى الله عنهم أسباب البطر والأشر حتى أن حلاوتهم الرطب والتمر، ولباسهم القطن وفرشهم الحصر، ولعمري هذا من المحاسن عند أهل الشريعة والطريقة

والحقيقة، فالقاطنون في رياضة من حيث لا يشعرون، ومن العصمة أن لا نقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون ومن ثم وقع للإمام المجتهد أبي الحسن البكري أنه قال، في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا﴾ الآية إلا أهل حضرموت لأنهم أهل ضنك في المعيشة ونظير ذلك ما ذكره الشرجي في طبقاته إن ابراهيم بن عبدالله بن زكريا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له: يا ابراهيم اقرأ سورة مريم فلما قرأ قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا﴾ قال نعم يا إبراهيم إلا أهل اليمن قال أي أهل اليمن قال أهل اليمن من صحالب إلى حيس قال وبم نالوا ذلك قال بصبرهم على جور ولاتهم، انتهى. قال أهل التاريخ وكانت حضرموت كثيرة الأشجار، كثيرة العيون والأنهار، إلى أن برز ما سطر في الكتاب وحدث فيها ما حدث من الخراب فأورثها الله قوماً آخَرِيْنَ لَمْ يَكونوا فيها مَوجودين، فابتلاهم فوجدهم شاكرين، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجوعِ وَنَقْصٍ مَن الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَمَراتِ وَبَشرِ الصابِرين﴾، وأوّل ذلك ما وقع من معن بن زائدة الشيباني لما كان والياً على قطر اليمن من قبل المنصور العباسي لما أرسل أخاه أميراً على حضرموت فتظاهر بالفسق، وأكثر فيهم القتل فقتلوه ولما بلغ معن بن زائدة أمر بسد العيون التي فيها وقطع الأشجار المشهورة بها وحكم عليهم بلبس السواد، ثم استمرت عادتهم بلبس السواد بل صار لبسه عندهم من جملة الزينة، ومن ثم قال الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة في شرح العدة والسلاح في مبحث إلا حداد قولهم يجوز المصبوغ لا لزينة كالاسود هو ظاهر في أهل ناحية لا يعدونه زينة، أما في مثل أهل جهتنا فيعدون بعض أنواعه كالبراق من الزينة، وعليه فيتجه تحريمه في حقهم كما في نظيره فيمن يعتاد التحلي بغير الذهب والفضة، انتهى.

وقد ورد في لبس السواد أحاديث أفردها الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في مؤلف سماه (ثلج الفؤاد في أحاديث لبس السواد) منها أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وأنه صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سوداء، وعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عمامته سوداء يلبسها في العيدين ويرخي طرفها خلفه وكلما أرادوا أن يخرجوا تلك العيون لم يتيسر لهم ذلك وقد عوضهم الله

تعالى عن تلك الأشجار والأثمار بكثرة النخل، وأنواع ثمرها فهي بكثرة نخيلها كأنها جنة على وجه الأرض ولقد أحسن مَنْ قال:

كأن النخيل الباسقات وقد غدت ... مناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت من قينها زينة لها ... قناديل ياقوت بأعراش عسجد
فياحسن هاتيك الرياض وطيبها ... فكم قد حوت حسناً يجل عن الحد
ولا سيما تلك السواني فإنها ... تجدد حزن الواله المذنف الفرد
أطارحها شجوى وصارت كأنما ... تطارح شجواها بمثل الذي أبدي
وما بين هاتيك النخيل عمارة ... تجدد ما قد فات من سالف العهد
وفي سفح ذاك الجزع أي كواكب ... تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
سقى سفحها وبل من الغيث هاطل ... وحيى حماها بالعبير وبالند
فكم قد نعمنا في ظلال رياضها ... بعيش هنيء في أمان وفي سعد
فمن لي بها مع مَنْ أود دنوه ... ومن لي بها في غير بلوى ولا جهد

ولهم اعتناء تام بغرس النخيل ولسان حالهم ينشد ما قيل.

لقد غرسوا حتى أكلنا وإننا ... لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

وبالجملة فهي ذات رياض أنيقة، وقصور وثيقة، بها النخيل التي لا تحصى، والأثمار التي لا تستقي، غياضها مشهودة، وحياضها موروودة.

وقد ورد في فضل النخل آيات وأحاديث قال الله تعالى ﴿والنَخْلُ باسِقاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ قال عكرمة الباسقات الطوال والنضيد المتراكم وقال تعالى ﴿فيها فاكهةٌ والنَخْلَ ذَاتِ الأكمامْ﴾. قال ابن عباس: هي أوعية الطلع. وقال تعالى ﴿وَمِنَ النَخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دَانِيَةٌ﴾ قال ابن عباس: المتدلية معذوق النخل. وقال تعالى ﴿وَهُزيْ إليْكِ بِجذْعِ النَخْلَةْ تسُاقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيًّا﴾ وقال تعالى ألَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيبَةً كَشَجَرَةٍ طَيبةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وفِرْعُها في السَماءِ تؤ تي أُكُلُها كُلُّ حِيْنٍ بإِذْنِ رَبِها﴾. وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع من بسر فقال: «مثل كَلمة طَيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هي الحنظل». وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: « كشجرة طيبة هي التي لا ينقص ورقها هي

النخلة». وقال صلى الله عليه وسلم: «أخبروني عن شجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فقال صلى الله عليه وسلم: «في النخلة». ولما نزل قوله تعالى﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً﴾ الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون أي شجرة هذه قالوا: الله ورسوله أعلم قال هي النخلة». قال ابن عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لقد وقع في نفسي إنها النخلة ولكني كنت أصغر القوم لم احب أن أتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير». وعن ابن عمر قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم». أخبروني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي إنها النخلة، وفي رواية فظننت إنها النخلة من أجل الجمار الذي أتى به فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فقال صلى الله عليه وسلم: «هي النخلة». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ما هي؟ قالوا لا. قال: «هي النخلة» ولا تسقط لمؤمن دعوة قال في فتح الباري عرفت من هذا الحديث وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق، ثم قال وفي لفظ عند البخاري أن من الشجرة لما بركته كبركة المسلم. قال: وهذا أعم من الذي قبله، وبركة النخل موجودة في جميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته، وقال القرطبي موقع الشبه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وإن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوتٌ للأرواح مستطاب وأنـه لا يزال مستوراً بدنـه وأنه ينتفـع بكل ما يصدر عنه حياً وميتاً، وقال غيره المراد بكون فرع المؤمن في السماء رفع عمله وقبوله. وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن مثل النخلة ما أتاك منها نفعك». وقال بعضهم: موقع الشبه بين المسلم والنخلة من جهة كون النخلة إذا قطع رأسها ماتت، وإنها لا تحمل حتى تلقح وإنها تموت إذا غرقت، وإن ريح طلعها كريح مني الآدمي وإنها تعشق وإنها تشرب من أعلاهـا وإنها خلقت من فضلة طين آدم، وقال صلى الله عليه وسلم: «اكرموا عمتكم

النخلة فإنها خلقت من فضلة طينة أبيكم آدم». وليس من الشجر شجرة أكرم على الله تعالى من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران فاطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر، وقال صلى الله عليه وسلم: «خلقت النخلة والرمان، والعنب من فضلة طينة آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله تعالى من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران» وقال صلى الله عليه وسلم: «النخل والشجر بركة على أهله، وعلى عقبهم بعدهم إذا كانوا شاكرين الله»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها». وقال صلى الله عليه وسلم: «نعم المال الراسخات في الوحل المطعمات في المحل». وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم بارك في الجدامى». وفي رواية «بارك الله في الجدامى وفي حديقة خرج منها هذا».

وروى أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ غرس نخلة فله بكل تمرة حسنة ويحسن ههنا ذكر بعض الوارد في التمر لتقوى رغبتك فيه. قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يُحِبُّ من يحب التمر». وقال صلى الله عليه وسلم: «نعم تحفة المؤمن التمر». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر». وقال صلى الله عليه وسلم: «بيت لا تمر فيه جياع أهله». وقال صلى الله عليه وسلم: «بيت لا تمر فيه كالبيت لا طعام فيه». وقال صلى الله عليه وسلم: «أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه مَنْ كان طعامها في نفاسها التمر خرجَ ولدها حليمًا فإنه طعام مريم حين ولدت ولو علم الله تعالى طعاماً هو خير لها من التمر لأطعمها اياه». وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء الرطب فهنوني وإذا ذهب فعزوني». وقال صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة إذا جاء الرطب فهنيني». وقال صلى الله عليه وسلم: «أبت الأنصار إلا حب التمر». وقال صلى الله عليه وسلم: «انظروا حُبَّ الأنصار التمر». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تصبح بسبع تمرات من العجوة لا أعلمه إلا قال من العالية لم يضره يومئذ سم ولا سحر». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أكل سبع تمرات من ما بين

لابتيها حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي». وقال صلى الله عليه وسلم: «إن في العجوة العالية شفاء إنها ترياق أول الباكورة واعلموا أن الكمأة دواء للعين وإن العجوة من فاكهة الجنة». وقال صلى الله عليه وسلم: «جيد الكمأة من المن وماؤها شفاءٌ للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم». وقال صلى الله عليه وسلم: «ينفع من الدوّام أن تأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة كل يوم تفعل ذلك سبعة أيام» والدوام يأخذ الانسان في رأسه فيدوّمه وهو الدواء، وكانت عائشة رضي الله عنها تأمر للدوّام والدوار بسبع تمرات عجوة من عجوة المدينة في سبع غدوات على الريق، وكانت العجوة أحب التمر إليه صلى الله عليه وسلم، قال العلماء: تخصيص العجوة دون غيرها وعدد السبع مما لا نعلم حكمته، قال ابن الأثير العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد وهو مما غرسه النبي صلى الله عليه وسلم بيده في المدينة، وقال السيد السمهودي وهو النوع المعروف الذي يأثره الخَلَفْ عن السلف بالمدينة ولا يرتابون في تسميته بذلك وقال شيخنا أحمد بن محمد القشاشي والظاهر أنه المعروف عند أهل حضرموت بالمديني، وقال صلى الله عليه وسلم خير تمركم البرني يخرج الداء ولا داء فيه، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أرضكم رفعت لي منذ قعدتم فنظرت من أدناه إلى أقصاها فخير تمراتكم البرني يذهب الداء ولا داء فيه». قال صاحب المحكم: البرني ضرب من التمر أصفر مدور واحدته برنية، وهو أجود التمر، وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يفطر على الرطب ما دام الرطب وعلى التمر إذا لم يمكن رطب، ويختم بهن ويجعلهن وتراً ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يفطر قبل أن يصلي على رطبات، فإن لم يكن رطبات فعلى تمرات فإن لم يكن تمرات حسى حسوات من ماء. وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أحدكم صائمًا فليفطر على التمر». زاد الشافعي في روايته «فإنه بركة فإن لم يجد التمر فعلى الماء فإنه طهور». وأخذ منه ابن المنذر وغيره وجوب الفطر على التمر. وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ وجد تمراً فليفطر عليه ومَنْ لم يجد فليفطر على الماء فإنه طهور». وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالباكرة من الثمار وضعها على عينيه، ثم قال: «اللهم كما أطعمتنا أوله فأطعمنا آخره»، ثم يأمر به للمولود من أهله، وكان إذا أتى بالباكورة من التمر قبلها وجعلها بين عينيه، وفي رواية:

«إذا أتى بالباكورة من كل شيء قبلها ثم وضعها على عينه اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً الحديث وعن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة لشيء من الشجر تخرج مثل آذان الحمر، ثم تشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون كالزبرجد الأخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ثم تنيع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج اكل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا هي التي أنبتها الله تعالى على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله تعالى ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله فإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فكان.

واتفق العلماء على أن التمر والعنب أفضل الثمار وأن شجرهما أفضل الأشجار ثم اختلفوا أيهما أفضل فالجمهور على أن التمر أفضل من العنب، والنخل أفضل من شجر العنب واستدلوا بما ذكرنا من الايات والأحاديث وغير ذلك مما يطول بيانه، وذهب بعضهم إلى أن العنب أفضل وأن شجره أفضل من النخل وذهب بعضهم إلى أن العنب أفضل من التمر وأن النخل أفضل من شجر العنب، وحكى بعضهم الإجماع على أن النخل أفضل من شجر العنب واستدل بعضهم في تفضيل العنب باعتدال طبعه وبتقديم العنب في الكهف وعبس الرعد وبأنه تعالى قال: ﴿عَسَى رَبُّنا أَنْ يُبدِلَنا خَيراً مِنهْا﴾، وكانت من نخل فجاء البدل عنباً وغير ذلك مما يطول شرحه، وأفرده بتأليف وممن ألف في تفضيل العنب على التمر الإمام جمال الدين الريمي كالعلامة عبدالله بن عمر بامخرمة ووقفت على تأليفه الذي ذهب فيه إلى تفضيل الكرم على النخل، والعنب على الرطب واستدل بأشياء ساقطة ومع ذلك فلا دلالة فيها، انتهى. قال الشيخ عبدالرحمن بن زياد: وهنا سؤال وهو أن الأفضلية ترجع إلى كثرة الثواب فما فائدة المفاضلة هنا قلت قد يقال فائدته إن غرس النخل أفضل من غرس العنب لعموم النفع بالنخل، انتهى. قال العالي ذكروا عند عمر بن الخطاب أيهما أفضل الرطب أم العنب فقال عمر رضي الله تعالى عنه ارسلوا إلى أبي حثمة

فقال يا أبا حثمة: أيتهما أطيب العنب أم الرطب فقال ليس كالصقر في رؤوس الرقل الراسخات في الوحل المطعمات في المحل تحفة الصائم ونقلة الصبي ونزل مريم بنت عمران، وينضج ولا يعيي طابخه ويحترس به الضب من الصلقاء ليس كالزبيب الذي إن أكلته ضرست وإن تركته غرثت، انتهى. والصقر الدبس بلغة الحجاز والرقل الطوال من النخل واحدتها رقلة والنزل ما ينساغ من الطعام، والصلقاء الأرض التي لا ثبات بها قال محمد ابن اسحق كل نخلة على وجه الأرض فمنقولة من أرض الحجاز نقلها النماردة إلى المشرق والكنعانيون إلى الشام والفراعنة إلى اليون وأعمالها والتبابعة إلى اليمن وعمان والشحر وغيرها، وقال صاحب مناهج الفكر: يقال مما أكرم الله به الاسلام والنحل إنه قدر جميع نخل الدنيا لأهل الاسلام فغلبوا على كل موضع هو فيه، وذكر العلامة بدر الدين الزركشي في كتابه المسمى عمل من طب لمن حب إن النخلة لا تسمى شجرة، وأن قوله صلى الله عليه وسلم فيها إن من الشجر شجرة على سبيل الاستعارة لارادة الألغاز، انتهى. قال الحافظ جلال الدين السيوطي، وفيما قاله نَظَرٌ فإن الأحاديث والآثار متظافرة على تسميتها شجرة في غير محل الألغاز وقد سميت في القرآن شجرة في قوله تعالى كشجرة قال ثم رأيت التصريح في كلام أهل اللغة بتسميتها شجرة، قال الزجاج في كتاب الاشتقاق لنخل يسمى الشجر قال الشاعر:

وأخبث طلع طلعكن بأهله وانكد ما خيرن من شجرات

انتهى.

قال في القاموس أول البسر طلع فإذا انعقد فنياب فإذا اخضر واستيدر فجدال وسراد وخلا فإذا كبر شيء فيفو فإذا عظم فبسر، ثم مخطم ثم موكب ثم تزنوب ثم حمبية ثم نعته وخالع وخالعه فإذا انتهى نضجه فرطب ومعو، ثم تمر وبسطت ذلك في كتاب الروض المسلوف، فيما له اسمان إلى الألوف انتهى. وأنواع التمر كثيرة جدا، قال الجوني كنت بالمدينة فدخل بعض أصدقائي فقال: كنا عند الأمير فتذاكرنا أنواع تمر المدينة فبلغت أنواع الأسود ستين نوعا، وذكر السيد السمنهودي أن الموجود في المدينة مائة نوع وعشرة أنواع وسمعت

سيدي الوالد رحمه الله تعالى يقول إن السيد الجليل عبدالله بن شيخ العيدروس استقر أنواعه الموجودة بحضرموت فبلغت ثلثمائة نوع، وسمعت شيخنا العلامة محمد بن علاء الدين البابلي رحمه الله تعالى يقول: إن بعض الملوك تتبع أنواعه في جميع البلدان فبلغت ستمائة نوع انتهى. ثم ولي: قطر حضرموت بنو قحطان فملكوه برهة من الزمان ثم ظلموا الناس وأخذوا أموالهم بالقهر والبأس، فنفرت قلوب الخلق عليهم، ورموا بسهام الأدعية الصالحة إليهم وعاقبه الدعاء وخيمة والصالح طريقه سليمة قال الشاعر:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمر انقضاء

ثم انطوى ملكْ بني قحطان وآل الأمر والسلطان إلى آل أحمد والصبرات وكثر في أيامهم الفرح والمسرات إلى أن طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وملك كل واحد منهم بلاد، وجمع عَدداً وعُدداً ومن قتل قتيلا أو التجأ إليه لا يمكن الوصول إليه فكثر بسبب ذلك القتل والقتال، والجلاد والجدال إلى أن تولى بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن عمر علي بن عمر الكثيري، فعمل فيهم الحيل والخداع في أخذ تلك الحصون والقلاع، وأيد بالقدرة الالهية، والارادة الربانية، حتى أخذ ملوكهم واحداً واحداً وفرقهم في البلاد بدداً، ﴿وَوَجَدوا ما عَمِلوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُكَ أَحَداً﴾.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

وأزال الظلم عن الرعية، وأقام الأحكام الشرعية، ونشر أعلام الشريعة، وأحيا معالمها المنيفة المنيعه وولي بعده أولاده مدة مديدة، وأعواما عديدة إلى أن أراد الله ما أراد، واختلت أحوال العباد،وساروا في سيرة ذميمة وظلموا مظالم وخيمة، فخرج عليهم امام الزيديه بخيله وعساكره ورجله، فاستولى على جميع حضرموت وزيد في الآذان حي على خير العمل، وترك الترضي على الشيخين وكم أهريق بسبب هذه الفتنة دم لا ذنب لصاحبه، وكم قتلت بالتوهم نفوس لا جرم لها في هذا البلاء ونوائبه، وقد جرت العادة

بانقضاء الدول واختصاص البقاء لله عز وجل، قال في القاموس حضرموت وقد تضم الميم بلد وقبيلة يقال هذا حضرموت، ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء. وإن شئت لا تنون الثاني والتصغير حضيرموت. انتهى قال في تهذيب الأسماء هو برفع وجر التاء وتنوينها والنسبة إليه حضرمي وجماعته حضارمة وتصغيره حضيرموت مصغر الأول فقط. قال جمع من أهل اللغة حضرموت اسم بلد باليمن، وهو أيضا اسم القبيلة واختلف المتكلمون على حديث أن رجلاً من حضرموت فالمراد بحضرموت في هذا الحديث قيل البلد وقيل القبيلة، وهو الأظهر انتهى. ومن القبيلة ما في الحديث الصحيح حضرموت خير من بني الحارث وفي آخر حضرموت خير من كنده، وقال القزويني في عجائب المخلوقات حضرموت ناحية باليمن مشتملة على مدينتين يقال لأحداهما تريم والأخرى شبام، وسبب تسميتها بذلك ما قيل أن صالحا لما هلك قومه سافر بمن معه من المؤمنين فلما انتهى إليها مات فقيل حضرموت، ونقل الحافظ السيوطي عن المبرِّد أنه لقب عامر جد اليمانية كان لا يحضر حرباً إلا كثر القتل فيها فيقولون عندما يرونه حضرموت بتحريك الضاد ثم كثر ذلك فسكنت انتهى. وذكر السلطان الغساني في كتابه اللباب في معرفة الأنساب، أن حضرموت بن سبأ الأصغر قال فمن ولده الحرث ومرة وشبيب وربيعة ومنهم تريم وشبام وسبا قال وهم الأسباء بحضرموت قبائل كثيرة، قال وأكثر قبائل حمير من ولد سبأ الأصغر ابن كعب كهف الظلم بن سهل بن زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم العطمي بن عبدشمس الملك بن وائل الغوث بن حيدان بن قطن بن غريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الملك ابن سباالأكبر بن يشحب بن يعرب بن قحطان، وسمي سبأ لأنه أوّل من سبى السبايا من العدوّ، وذكر نحو ذلك في طرفة الأحباب، وقال الشيخ أبو بكر بن عبدالرحمن بن شراحيل في كتابه مفتاح السنة: حضرموت بلاد مشهورة متسعة من بلاد اليمن تجمع أودية كثيرة وهو بضم ميمها، وقد اختص بهذا الاسم وادي ابن راشد طوله مرحلتان أو ثلاث وقد يطلق على بلاد كثيرة ساحلها العين وبروم إلى الشحر ونواحيها، ويحدها من جردان ونواحيها إلى تريم إلى قبر هود عليه السلام وما وراء ذلك بلاد مهرة والأحقاف بلاد عاد جمع حقفة وهو كثيب الرمل ذكره الواحدي في

البسيط في تفسير الأحقاف. قال ابن عباس: الأحقاف واد بين عمان ومهرة، وفي سيرة ابن هشام بلاد عاد بين حضرموت وعمان، وقيل الأحقاف رملة الشحر وليس شيء إلا أن يراد بالرملة ما وراء جبل الشحر عند ظفار الحبوظي، فثم رملة متصلة بطرف عمان والأحساء والله أعلم انتهى.

﴿وحكي﴾ في عجائب المخلوقات عن رجل قال وجدنا سنبلة حنطة في فخار فوزناها فكانت منًّ وكل حبة كبيض الدجاجة، وكان في ذلك الوقت شيخ له خمسمائة سنة وله ولد له أربعمائة سنة وولد له ثلثمائة سنة، فذهبنا إلى ابن الابن فوجدناه بليدا بعيد الفهم، ثم ذهبنا إلى والده فوجدناه أقرب إلى الفهم من ولده ثم ذهبنا إلى صاحب الخمسمائة سنة فوجدناه سليم العقل والفهم، فسألناه عن ولد ولده فقال كان له زوجة سيئة الخلق لا توافقه في شيء أصلا فأثر فيه ضيق خلقها ودام عليه الغم بمقاساتها، وأما ولدي فكانت له زوجة توافقه مرة وتخالفه أخرى فكان أقرب إلى الفهم، وأما أنا فلي زوجة موافقة لي في جميع الأمور فلذلك سلم فهمي وعقلي، فسألناه عن السنبلة فقال هذا زرع قوم من الأمم الماضية كانت ملوكهم عادلة، وعلماؤهم أمناء وأغنياؤهم أسخياء، وعوامهم منصفة انتهى. ولم أقف لهذا الاقليم العظيم القدر على تاريخ مختص به يشرح الصدر لا للمتقدمين ولا لأحد من أهل العصر مع كثرة من فيه من مشايخ الاسلام والفضلاء الأعلام الذين يزاح بنور علومهم الظلام وذكر الامام المحدث محمد بن علي خرد أن للقاضي أحمد بن محمد باعيسى تاريخا غير واسع، ولم يقرب فيه كل شاسع، وأن لبعض علماء تريم تاريخا سماه الياقوت الثمين. فيما يتعلق بالعلماء والأولياء والصالحين، وأنه وقف على نسخة منه قد ذهب أكثرها من القدم وأن للشيخ عبدالرحمن بن حسان تاريخا سماه البهاء، وكتاباً في مناقب آل باعلوي وآل باعباد وأن للفقيه عبدالله بن عبدالرحمن باوزير كتابا في ذلك سماه التحفة النورانية، وذكر سيدي الوالد تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته، أن للسيد الأكمل أحمد بن عبدالله شنبل تاريخا في ذلك مشتملاً على ما يتعلق بما هنالك ولم يتيسر لي الوقوف على واحد من المذكورات مع البحث عنها من سائر الجهات، وقد شرع سيدي الوالد تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان في

تاريخ جامع في هذا المعنى فائق في بابه لطافة وحسنى ذكر فيه تاريخ أعيان تلك البلاد من العلماء والفضلاء والسلاطين الأمجاد، ثم تقلبت به الليالي والأيام ومنعت الموانع من حصول المرام، وأكثر استمدادي في هذا المجموع من مسوداته التي ذكر ذلك فيها ولكن لم أطلع على ما استضيء به في قوادمها وخوافيها واسأل الله تعالى أن يجازي كلا على نيته، وأن يبلغه من رضوانه منتهى أمنيته، وأن يرحمهم وايانا أجمعين، وأن يبوئنا جنات عدن فيها خالدين، وقد أطلنا الكلام في هذا المقام وكأني بمعترض من الأنام قد فوق نحوي سهام الملام، وجوابه أني تذكرت عهود الأوطان، ومخاطبة الاخوان، وقد قال سيد ولد عدنان، حب الوطن من الايمان، وقد قيل أهنأ العيش ما كان في الوطن والنعيم المقيم انما يكون في الأهل والسكن، وقد روي أن أبان بن سعيد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فقال: «يا أبان كيف تركت مكة»، فقال: تركتهم وقد جندوا وتركت الأذخر وقد أعذق وتركت الثمام وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومعنى أعذق خرجت ثمرته وخاص صار له خوص ولأجل نزوع النفس إلى مسقط الرأس ودائرة الميلاد. نزل قوله تعالى ﴿إنَ الذيْ فَرضَ عَلَيْكَ القُرْآنَ لَرادُّكَ إلى مَعَادْ﴾ وأنشد سيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه وهو بالمدينة.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة　　بواد وحولي أذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة　　وهل يبدون لي شامة وطفيل

والأذخر والجليل نبتان مشهوران، وشامة وطفيل جبلان بمكة معروفان وقد أخذ هذين البيتين السيد الجليل عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء وغيرهما بقوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة　　بواد وحولي عشرق ونخيل
وهل أنظرن يوما قبوراً لسادة　　وتبدو لعيني خيلة وسحيل

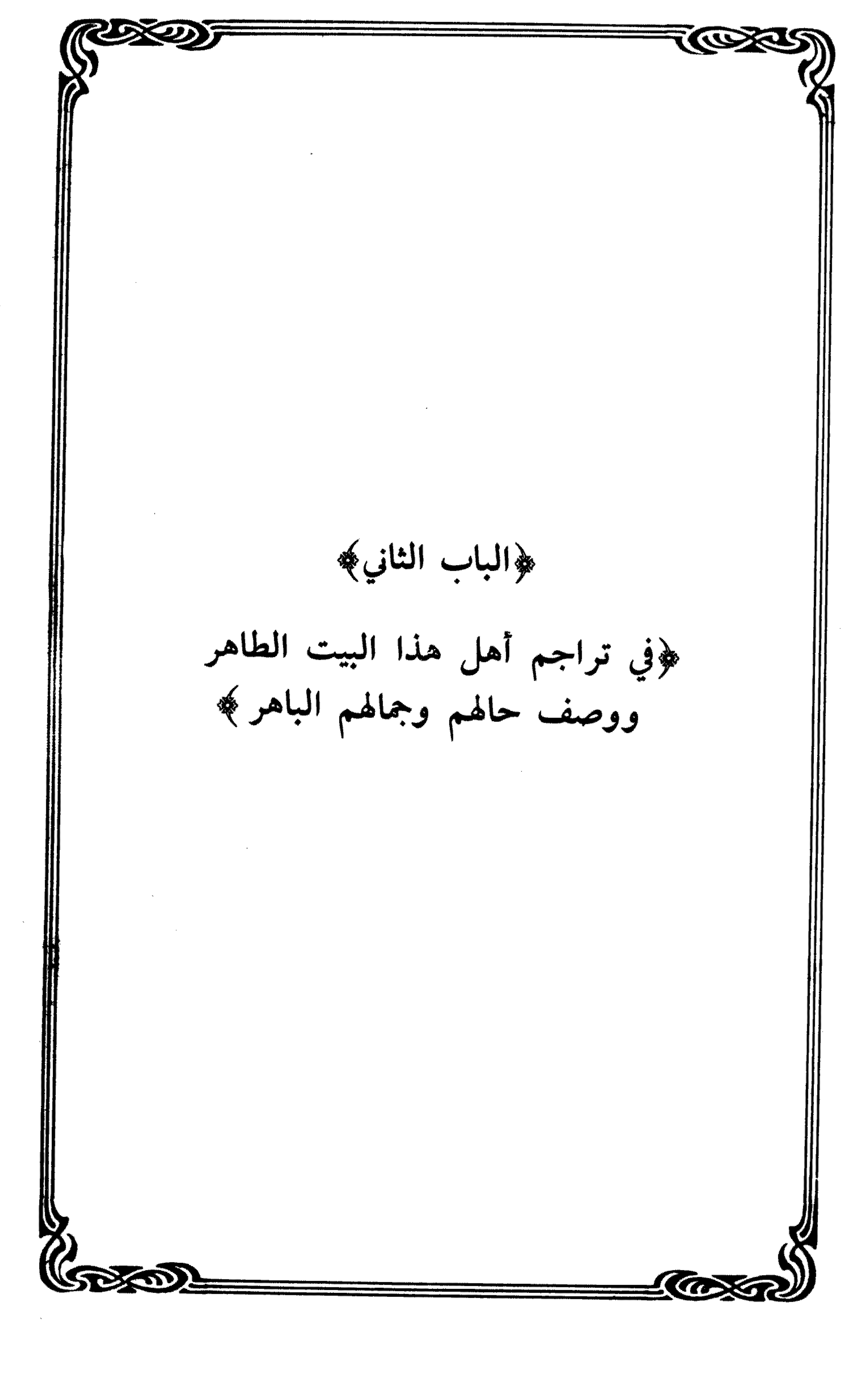
ومما ينتظم في هذا المحل من التشوّق إلى الوطن والحنين إلى السكن ما قاله رفاعة بن عاصم القعنبي وأنشدها البكري لامرأة من طيء.

ألم تعلمي يا دار سلمى بأنني　　إذا اختضبت أو كان جدبا يعابها

أحب بـلاد الله مـا بـين منعـج   إلي وسلمى أن يصـوب سحـابهـا
بـلاد بهـا عق الشبـاب تمـائمي   وأوّل أرض مس جلدي تـرابهـا

وقال الأديب ابن الرومي الشهير:

ولي وطـن آلـيت أن لا أبيـعـه   وأن لا يرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شـرخ الشباب ونعمـه   كنعمـة قوم أصبحـوا في ظـلالكـا
وحبب أوطـان الـرجـال إليهـم   مـآرب قضـاهـا الفؤاد هنـالكـا
إذا ذكـروا أوطـانهم ذكـرتهـم   عهـود الصبا فيهـا فحنوا لـذلكـا



﴿الباب الثاني﴾

﴿في تراجم أهل هذا البيت الطاهر ووصف حالهم وجمالهم الباهر﴾

وهذا الباب هو المقصود من الكتاب لما فيه من التراجم التي قصد جمعها واشتغل أهل الأخبار بوضعها:

يحـركنـا ذكـر الأحـاديث عنهم	**ولولا هواهم في الحشا ما تحـركنا**
ولـولا معـانيهم تـراهـا قلوبنـا	**إذا نحن أيقـاظ وَفي النوم إن نمنـا**
لـذبنـا أسى من لـوعـة وصبـابـة	**عـلى أن في المعنى معـانيهم معنـا**
فقل للذي ينهى عن الوجـد أهله	**إذا لم يذق معنى شراب الهوى دعنا**
وسلم لنـا فيـا عنينـا فـإننـا	**إذا غلبت أشـواقنـا ربمـا بحنـا**

ولنقـدم أولاً ما يشـير إلى أوصـافهم التي لا تحصى، ومنـاقبهم التي لا تستقصى، ليكون كالدليل على فضائلهم الكثيرة. واللمعة اليسيرة من أنوار بدورهم المنيرة، وإن كانت لا تحتاج إلى بيان إذ أغنى عن خبرهـا العيان لا سيما من كرع من منهلها وعلم مشربه وعلم أن أفعالهم وأقوالهم مراهم مجربة.

﴿أعلم﴾ أرشدنا الله تعالى واياك إلى سواء السبيل، وأوردنا مناهـل الرحيق والسلسبيل، أن من أعظم العلوم نفعاً وأكثرها لخيري الدنيا والآخرة جمعا. وأشدها في حياة القلوب وقعا، معرفة سير أولياء الله تعالى العارفين الذين بأفعالهم وأقوالهم على الله دالين. فيحصل بذلـك حسن الظن بهم ومحبتهم الموصلة إلى أعلى الرتب، لقوله صلى الله عليه وسلم: «المرء مع من أحب»، وجاء عن السلف الأوّلين أن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين وقد أوجب الله تعالى على عباده المؤمنين أن يسألوه في الصلاة التي هي عماد الدين

وأن يهديهم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأمر الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وسلم في كتابه بالاقتداء بأحبابه وأخبره بفائدة أمناء رسله، والاطلاع على أخبار الماضين من قبله. فقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فؤادك﴾، ولذا قال سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوي بها قلوب المريدين، وقال التصديق بعلمنا هذا ولاية وإذا فاتتك المنية في نفسك فلا يفتك أن تصدق بها في غيرك فإن لم يصبها وابل فطل، وقال بعض العارفين التصديق بالفتح لا يكون إلا بفتح، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نوراً فَما لهُ مِنْ نور﴾، وتفاضل الناس بعضهم على بعض أظهر من أن يحتاج إلى دليل وتفاوتهم فيه ولو بالسعي والاجتهاد غني عن التعليل، وليس ذلك إلا بقدر تحصيلهم للعلوم والمعارف كما يظهر ذلك للمتأمل العارف.

ولما كان العمر أقصر من أن يحيط بكلها جملة وتفصيلاً، ويستقصي أصلها علما وتحصيلا. وجبت المنافسة في الأنفس الموصل إلى المحل الأقدس، ولا ريب عند ذوي الطبع السليم أن طريق السنة هو الصراط المستقيم، والمنهج القويم، وكان المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تتسمى أفاضلهم في عصرهم بسمة الصحبة لشرفها على كل وصف ونسبة، ثم تسمى من أدركهم بالتابعين، ثم لما بعد عهد النبوّة وتوارى واختلفت بعد ذلك الآرا، انفرد خواص أهل السنة بصالح الأعمال وسني الأحوال، واشتهروا بالصوفية وصار ذلك رسما مستمرا وخبراً مستقراً، واختلفت عباراتهم في تعريفه ومن ثم قال الشيخ أبو محمد الجويني لا يصح الوقف على الصوفية لأنه لا حد لهم معروف والصحيح صحته وأحسن الأقوال فيه ما قاله الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وهو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه، وأما تعريفه بمعنى العلم فهو علم بأصول يعرف بها صلاح القلب وسائر الجوارح، وقال بعض المحققين الصوفي هو العالم والعامل بعمله على وجه الإخلاص قال: ولا يصح أن يرتقي عن هذا الحد، قال الحافظ السيوطي وكثير من الناس يظن أن من مارس كتب الصوفية وقرأ شيئا منها وكتب وعلق يسمى صوفيا وليس كذلك إنما التصوّف علم الحال لا علم القال. وهو أن

يتخلق بمحاسن الأخلاق التي وردت بها السنن النبوية، ولهذا قال التصوّف ارتكاب كل خلق سني وترك كل خلق دني، وقال بعض الأئمة التصوّف علم مركب من الحديث وأصول الدين فمن تضلع منهما وعمل بما علم، وكان اعتقاده صحيحاً كان صوفياً ألا ترى أن بعضهم امتنع من أكل البطيخ لأنه لم يثبت عنده كيفية أكله صلى الله عليه وسلم له وان ثبت أصل أكله له، ولقد كان سلفنا بنو علوي لهذه الطريقة سالكين وبعلمهم عاملين فانفقوا نفيس العمر الفاضل متباعدين عن العوارض والشواغل، في تتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والعمل بها وكلما عمل انسان بسنة رقاه الله تعالى الى فعل أخرى لم يكن يعمل بها، قال الجنيد رضي الله عنه الحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة، والسيئة بعد السيئة عقوبة السيئة، فعملوا بواجب الخدمة على حسب الطاقة البشرية، وسوابغ المدد الربانية، وأكثروا من العبادات وترك الشهوات وإذا جن الظلام قاموا على الأقدام، وافترشوا وجوههم، وجرت دموعهم وإذا كبر أحدهم طوى بساط المنام، وتجنب مخالطات العوام، إلا لحاجة أو ضرورة، وإذا خالطهم لذلك كان على حذر من المخالفات، وإذا مرض أحدهم ولم يَعِدْهُ صاحبه رأى له الفضل بذلك، وإذا لم يجتمع بأحد في يوم عده من الأعياد، وكان بعضهم يخرج إلى الجبال والأودية يتعبد فيها ليلا ونهاراً، وبعضهم ليلاً ويصبح في داره كبائت فيه، وبعضهم نهارا ويأتي أهله ليلا فلا يعرفه أولاده ومع ذلك يواظب على الجمعة والجماعة أوّل الوقت إلا لعذر شرعي، وبعضهم يقطع نهاره في التدريس والافتا، ويستغرق أوقاته في نفع الناس وقتا فوقتا، وإذا وقعت مشكلة تتبع كلام العلماء فيها، واستقصى أمرها حتى يعطيها حقها ويعرفها، فإن شك فيها توقف عن الافتاء بها، وإذا ظهر الحق أنه على خلاف ما قاله أو أفتى ذهب إلى من أفتاه، واعترف بالرجوع إلى الحق، وكان لهم اعتناء تام بكتب الامام الغزالي لاسيما الإحياء والبسيط والوسيط والوجيز والخلاصة، وكان لهم اعتناء تام بالحديث، وبلغ كثير منهم رتبة الحفاظ ولما رأى المتأخرون في زمانهم ما أنذر به الرسول صلى الله عليه وسلم من علامات وآيات ما كانت تقع فيما مضى كالتعلم لغير العمل، والتفقه للدنيا والشح المطاع والهوى المتبع، وولي الأمر غير أهله، وظهر الفحش من كل جاهل على قدر جهله، وغير ذلك مما وردت به الأحاديث

تركوا، الافتاء والتدريس والتأليف، وأقبلوا على خاصة أنفسهم ورأوا أن ذلك هو الأهم وهو في الحقيقة اشتغال بالمعنى المعبر عنه بالدراية، وهو أفضل من المبنى الذي يقاله الرواية وكانوا يتدافعون الفتوى لشدة التقوى، وإذا سئلوا عن الكثير أجابوا عن اليسير، وكانوا يختارون من الأعمال أتعبها، ومن الطاعات أصعبها، ويجتهدون في الخروج عن خلاف العلماء وأن تكون طاعتهم مجمعا عليها، وقد قال العلماء يستحب الخروج من الخلاف القوي إذا لم يخالف سنة صحيحة وأمكن الجمع وإلا فلا يسن مراعاته كالرواية المنقولة عن أبي حنيفة في بطلان الصلاة برفع اليدين، وكالمشهور من قوله: إن العمرة تكره للمقيم بمكة، في أشهر الحج وكقول الإمام مالك إن العمرة لا تكـرّر في السنة. وكالقول بحرمة الصلاة في الحرم المكي في الأوقات المكروهة، وكقول بعض الشافعية إذا قرأ المأموم الفاتحة قبل إمامه وجب عليه إعادتها إذ لا يمكن الجمع بينه وبين قول بعضهم إن تكرير الفاتحة مبطل، والقاعدة في ذلك أنه إذا تعارض خلافان قدم أقواهما وكالوتر يوجب بعضهم فيه الوصل وبعضهم الفصل، وقول أبي حنيفة أوّل وقت العصر مصير ظل الشيء مثليـه مع قول الاصطخري أن هذا آخر وقت العصر ومثله الصبح. وقت الأسفار، لكن قال جمع يمكن الجمع بين القولين بالصلاة مرتين، فهذه هي طريق الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «حفت الجنة بالمكاره»، وقال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه طريقتنا مضبوطة بالكتاب والسنة، وقال إذا رأيتم الرجل تنخرق له العادات وتتواتر منه الكرامات فانظروا حاله عند الأمر والنهي فإن قام بهما فولي كامل، وإلا فلا عبرة به عند الأولياء، ومن لم يؤمن على الأدب الشرعي كيف يؤمن على سر الولاية المرعي، وبما تقرر يعلم أن السادة بني علوي حازوا شرف النسب من جهاته الثلاث، فقد قال الامام الغزالي شرف النسب من ثلاث جهات، أحداها الانتماء إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعادله شيء، الثانية الانتماء إلى العلماء فانهم ورثـة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الثالثة الانتماء إلى أهل الصلاح والتقوى، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبوهُما صَالِحاً﴾ انتهى. وكانوا يخفون العبادة خوفا من الرباء، وإذا تكلم أحدهم في الوعظ أو غيره وخاف الرياء عدل إلى غيره، مما لا يدخله ذلك إذا طرقه البكاء في تلاوة أو قراءة حديث أو وعظ صرفه إلى التبسم ولا يذم نفسه

في الملا ويكره أن يسأله غيره عن عمل عمله وإن يسأل غيره عن ذلك وإذا بلغه أن أحدا من الأعيان عزم على زيارته في يوم درسه تركه، وإذا دخل على غفلة كره ذلك، وأوجز، وكانوا رضي الله عنهم زاهدين في الدنيا والرياسة فيها قانعين بالكفاف منها ملبسا ومطعما ومسكناً، فلا يبني أحدهم إلا ما يضطر إليه ولا يقبل أحد منهم من مال السلطان وأعوانه شيئا ولو كان محتاجاً بل يكتفي بكسرة من الحلال أو بقطعة تمر منه، فإن لم يجدها طوى إلى أن يجد حلالاً ولا يفرح بشيء أقبل من الدنيا، ولا يحزن على شيء أدبر منها، وربما انشرح صدره إذا صرفت عنه وكان أحدهم يأتي عليه الشهر والشهران ما يأكل إلا التمر، ويعيش عمراً ما يطوى له ثوب ولا يأمر أهله بصنعة طعام، ولا عانى أحدهم ركوب الخيل ولا الملابس الفاخرة ولا الأطعمة النفيسة ولا الجلوس على الكراسي، ولا السكون في القاعات المزخرفة اللهم إلا إنْ وجد من الحلال فربما استعمله بعضهم في نادر الأوقات أو يكون ممن لا تدبير له مع الله تعالى بل ربما هذا كان لباسه أغلى ثمناً من ملابس الملوك وكانوا يكرهون ادخار القوت إيثاراً لفراغ اليد من الدنيا على امساكها، أو إتهاماً للنفس، أو علم أنه رزقه بطريق الكشف، ويقدم كل واحد منهم وقد يدخر بعضهم علىٰ اسم عائلته تأسياً بفعله صلى الله عليه وسلم، أو تسكيناً للاضطراب الذي ربما يقع ،كسب الحلال على سائر مهماته، وينفق المال في إطعام الجائع وكسوة العاري ووفاء الدين ،وكان ينفق المال ولا يمسكه في بدايته ولا يجمعه ويجمعه في نهايته للانفاق إذ الانسان في الطريق حكمه حكم الرضيع يحتاج إلى وضع صبر على الثدي عند الفطام ليكرهه فإذا كبر عافه فكذا المنتهي يعاف الدنيا فيكون الكمال في إمساكها لينفقها على مستحقيها، وكان كل واحد منهم يخدم الضيف بنفسه ويأكل ويشرب مع خادمه وعبده، يحمل بضاعته من السوق ويصافح الغني والفقير والصغير والكبير والشريف والوضيع، ويسلم على كل من لقيه، ولا يرى أن له عندالله حالاً ولو بلغ من الأعمال ما بلغ، بل ربما يحسب أنه يستحق العقوبة لما يشهد فيها من سوء الأدب بالنسبة لجنابِ الله تعالى، وكلما ترقى في المقامات رأى أنه أهون خلق الله عكس حال من قرب من السراج لشهود عظمة الله تعالى. كل ذلك بعد التخلق بمحاسن الأخلاق الطاهرة والتضلع في العلوم الظاهرة، فإذا رؤي أحدهم ذكر الله

تعالى، فرؤيتهم تحمل غيرهم على ذكر الله تعالى، وروى الحاكم والطبراني النظر إلى علي عبادة قيل معناه أن عليا إذا رآه الناس قالوا لا إله إلا الله فكانت تحملهم على كلمة التوحيد فكل ما يكون النظر إليه يدل على الحق فهو عبادة. شعر:

وجوه عليها للقبول علامة ... وليس على كل الوجوه قبول
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها ... سجدن على أعتابهن عقول

قال الشيخ عبدالوهاب الشعراني: وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر في طريق الله تعالى الا من تبحر في علم الشريعة، وعلم منطوقها ومفهومها أو خاصها وعامها وناسخها ومنسوخها، وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازها واستعارتها وغير ذلك فكل صوفي فقيه ولا عكس ومنها الوقوف في اظهار ما يطلعهم الله عليه من المغيبات ويخصهم من الكرامات على اذن شرعي كفائدة دينية من تزكية أو إشارة أو نذارة، لأن كتمان الكرامة مما لا خلاف فيه بين أهل الطريق، بل لا يجوز عندهم إظهارها إلا لحاجة أو قصد صحيح لما في إظهارها من الخطر، وسيأتي أن كثيرا من آل باعلوي ظهرت عليهم من الكرامات والمكاشفات الدالة على ولايتهم ما يكاد يبلغ حد التواتر، وليس ذو الكرامة أفضل من غيره على الاطلاق بل قد تنبىء الكرامة عن ضعف يقين أوهمة، فتعجل لمن أريد به عناية حتى يزول عنه كل من ذينك أو أحدهما بل قد تقع الكرامة لمحب أو زاهد ولا تقع لعارف مع أن المعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين، وأفضل من الزهد عند الكل لأن الزهد من أوائل المقامات، والمحبة أول الأحوال الناشئة عن مجاوزة المقامات، ومن ثم قال الإمام أبويزيد: العارف طيار والزاهد سيار قال غيره، وأنى يلحق السيار بالطيار والمراد أن غلبة المعرفة أفضل من غلبة المحبة، فإن العارف لابد أن يكون محباً ومنشأ الأفضلية قوّة اليقين قال الجنيد رضي الله عنه: مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش من هو أفضل منهم يقينا. وقال الشيخ شهاب الدين السهر وردي: خرق العادات إنما يكاشف به المرء مع ضعف يقين المكاشف رحمة من الله تعالى لعباده وثوابا معجلا لهم، وفوق هؤلاء أقوام ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشرت بواطنهم روح اليقين، وصدق المعرفة، فلا

حاجة لهم إلى مدد من المخرقات ورؤية القدر والآيات. ولهذا ما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم إلا القليل، ونقل عن المتأخرين والمشايخ الصادقين أكثر من ذلك لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومجاورة الوحي وَتردد الملائكة وهبوطها تنورت بواطنهم، وعاينوا الآخرة في الدنيا وتزكت نفوسهم، وتخلفت عاداتهم وانصقلت مرايا قلوبهم، فاستغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامة واستماع أنوار القدرة. انتهى.

وكرامات الأولياء من تتمات معجزات الأنبياء

لأنها تشهد للولي بصدقه المستلزم لكمال دينه المستلزم لصدق نبيه فيما أخبر به من الرسالة فكانت الكرامة من جملة المعجزة بهذا الاعتبار وظهور الكرامة على الأولياء حق دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع.كقوله تعالى: ﴿كُلما دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَريا المِحْرابِ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً﴾الآية﴿وَهُزي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَخْلَةِ تُساقِطُ عَلَيْكِ رِطَباً جَنِيًّا﴾ وعجائب الخضر بناءً على أنه ولي وقصة ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وقصة الذي عنده علم من الكتاب، وتكليم الطفل لجريج وانفجار الصخرة عن الثلاثة الذين في الغار بدعائهم، وتكثير طعام أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قصته مع ضيفه حتى صار بعد الأكل أكثر مما كان قبله بثلاث مرات، روى هذه الثلاثة البخاري ومسلم وغير ذلك مما رواه الشيخان وغيرهما، وصح عند مسلم «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره» قال اليافعي رحمه الله تعالى: لو لم يكن إلا هذا الحديث لكفى في الدلالة لهذا المبحث والذي عليه المعظم أنه يجوز بلوغها مبلغ المعجزة في جنسها و ظمها، وإنما يفترقان في أن المعجزة تقترن بالتحدي وهو دعوى النبوة أي باعتبار ما من شأنه فلا ينافي أن أكثرها لم يقترن به والكرامة لا تقترن بدعوى النبوة وقد تقترن بدعوى الولاية وهو قليل وقد تظهر على يد الولي من غير دعوى شيء، وهو الأكثر فيجوز استواؤهما في ما عدا التحدي من سائر الخوارق، حتى إحياء الموتى وولد من غير والد وقلب جماد بهيمة، صرح بذلك أمام الحرمين، وقال الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي، ومما تفارق الكرامة فيه المعجزة أن المعجزة يجب على النبي عليه السلام اظهارها، والكرامة يجب على الولي اخفاؤها، إلا عند ضرورة أو لدى حال غالب لا يكون له فيه اختيار، أو تقوية يقين مريد قال واطلاق المحققين

أنه يجوز له إظهارها يحمل على بعض هذه الصور للعلم بأن اظهارها لغير غرض صحيح لا يجوز. انتهى.

وتتميز الكرامة عن السحر والاستدراج أن الخارق الذي لم يقترن بالتحدي إن ظهر على يد صالح وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد فهو الكرامة، أو على يد من ليس كذلك فهو سحر أو استدراج، ويتميز الولي من غيره بالسيما والآداب إذ ليس السيما ولا الآداب كالآداب. وغير الصالح ما عسى أن يلبس لابد أن يترشح من نتن فعله، أو قوله ما يميزه عن الصالح فعلم أن كرامات الأولياء مما اتفق عليه العلماء فيتعين على المؤمن أن لا يعترض عليهم في شيء من أمورهم كإنفاقهم المال وإمساكه، وانقباضهم عن الناس ومعاشرتهم لهم، وأخذهم للشيء وتركه وتوجه إلى شخص وأعراض عن آخر واختيارهم الاقامة ببلد دون آخر، إذ لهم رضي الله عنهم مقاصد صالحة ومطالب شريفة ما يعقلها إلا العالمون ولا يلقاها إلا الصابرون.

﴿وأنا أورد قصة﴾ فيها أبلغ زجر وآكد ردع من الأنكار على أولياء الله تعالى، وأتم حث على اعتقادهم والتأدب معهم وحسن الظن بهم ما أمكن وهي ما حكاه امام الشافعية في زمنه أبوسعيد عبدالله بن عصرون قال: دخلت بغداد في طلب العلم فرافقت ابن السقاء بالنظامية، وكنا نزور الصالحين، وكان ببغداد رجل يقال له الغوث يظهر إذا شاء فقصدنا زيارته ومعنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وهو يومئذ شاب فقال ابن السقاء لأسأله مسألة لا يدري جوابها، وقلت لأسأله مسألة وأنظر ما يقول، وقال الشيخ عبدالقادر معاذ الله أن أسأله شيئاً وأنا بين يديه أنتظر بركته، فدخلنا عليه فلم نره إلا بعد ساعة، فنظر إلى ابن السقاء مغضباً وقال ويحك ابن السقاء تسألني مسألة لا أدري جوابها وهي كذا وجوابها كذا إني لأرى نار الكفر تتلهب فيك ثم نظر إليَّ وقال: يا عبد الله تسألني مسألة لتنظر ما أقول فيها وهي كذا وجوابها كذا لتخران عليك الدنيا إلي شحمة أذنيك باساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبدالقادر وأدناه منه وأكرمه وقال له يا عبدالقادر لقد رضيت الله ورسوله بأدبك كأني أراك ببغداد وقد صعدت الكرسيّ متكلما على الملأ وقلت قدمي هذه على رقبة كل ولي وكأني أرى الأولياء في

وقتك وقد حنوا أرقابهم إجلالاً لك ثم غاب عنا فلم نره بعد قال فأما الشيخ عبدالقادر فقد ظهرت إمارات قربه من الله وأجمع عليه الخاص والعام وقال قدمي هذه على رقبة كل ولي فأجابه في تلك الساعة أولياء الدنيا قال جماعة وأولياء الجن وطأطؤا رؤوسهم وخضعوا إلا رجلا باصبهان فسلب حاله وممن طأطأ رأسه أبو النجيب السهروردي، وأحمد الرفاعي وأبو مدين والشيخ عبدالرحيم القناوي، قال ابن أبي عصرون وأما ابن السقاء فإنه اشتغل بالعلوم حتى فاق أهل زمانه، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم وكان ذا لسان فصيح، وسمت مليح فأدناه الخليفة وبعثه رسولاً إلى ملك الروم فأعجب به وجمع له القسيسين وناظرهم فأفحمهم وعظم عند الملك فأراد فتنته، فتراءت بنت الملك فافتتن بها فسأله أن يزوجها له فقال لا إلا أن تنتصر فتنصر والعياذ بالله وتزوجها، ثم مرض فألقوه بالسوق يسأل القوت فمر عليه من يعرفه فقال له ما هذا فقال فتنة حل بي بسببها ما ترى، فقال هل تحفظ القرآن قال لا إلا قوله تعالى ﴿رُبَما يَوَدُّ الذينَ كَفَروا لَوْ كانوا مُسْلِمين﴾ ثم جاز عليه وهو في النزع فقلبه إلى القبلة فاستدار عنها فعاد فاستدار عنها فخرجت روحه لغير القبلة وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه قال ابن أبي عصرون وأما أنا فجئت إلى دمشق فاحضرني السلطان نور الدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف، فوليتها وأقبلت على الدنيا إقبالاً كثيراً، فقد صدق الغوث فينا كلنا (انتهى).

فهذه الحكاية التي كادت تتواتر في المعنى بكثرة ناقليها. وعدالتهم فيها ابلغ زجر عن الانكار على أولياء الله تعالى خوفاً أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقاء نعوذ بالله من ذلك وَالولي من الولي بسكون اللام وهو القرب فولي الله تعالى القريب منه بامتثال طاعته واجتناب نواهيه، لأنه بذلك ينال محبة الله تعالى لاتباع سنة حبيبه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى ﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتبعوني﴾ الآية وقال تعالى ﴿ألا أن أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنُونَ الذين آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقون﴾. وقال صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه. «ما تقرب المتقرّبون إلَيّ بمثل أداء ما افترضت عليهمّ ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل». الحديث فالمتقون: هم أولياء الله تعالى وبحسب اجتهادهم في دقائق التقوى تتفاوت مراتبهم في مقام الولاية فأفضلهم الغوث الذي به غياث عباد

الله تعالى وبواسطته تنزل رحمة الله تعالى، ثم الإمامان وهما كالوزيرين له، ثم الأربعة الأوتاد الحافظون لجهات الأرض، ثم السبعة النجباء الحافظون للأقاليم السبعة، ثم النقباء الاثنا عشر الحاكمون على البروج الإثني عشر، وما يلزمهم من الحوادث، ثم الأربعون البدل الساعون في قضاء حوائج المسلمين، ثم التسعة والتسعون الذين هم مظاهر الأسماء الحسنى، ثم الثلثمائة والستون، الأولياء الصالحون من المؤمنين، وأهل هذه المراتب لا بد من وجودهم في كل زمان إلى نزول عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وكلهم مستمدون من القطب داخلون تحت نظره ولله تعالى أصفياء أخفياء يقال لهم الأفراد خارجون عن نظر القطب، والله يختص برحمته مَنْ يشاء فإذا مات القطب أبدل بخير الإمامين أو مات أحد الإمامين أبدل بخيار الأربعة، وهكذا فإذا أراد الله قيام الساعة اماتهم الجميع وذلك أن الله تعالى يدفع بهم عن عباده البلاء وينزل قطر السماء.

وذكر الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي في ذلك حديثاً، ولم يذكر من أخرجه الحفاظ لكن وردت أحاديث تؤيد كثيراً مما فيه وتخالفه في بعضه وظاهر أن تلك الأعداد ترجع إلى اصطلاحات ولا مشاحة في الاصطلاح نظراً إلى مراتب عبروا عنها بالابدال، والنجباء والنقباء والأوتاد وغير ذلك والكل متفق على وجود تلك المراتب والأعداد، وهؤلاء المذكورون هم رجال الغيب سموا بذلك لعدم معرفة أكثر الناس لهم، ورأسهم القطب الغوث ومكانه من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها يدور في الآفاق كدوران الفلك في السماء، وقد سترت أحواله عن العامة والخاصة، غير أنه يرى عالماً كجاهل أبله كفطن، تاركاً آخذاً قريباً بعيداً سهلاً عسراً آمناً حذراً، وكشفت أحوال الأوتاد والنجباء والنقباء والبدلاء للخاصة. وسترت عن العامة وكشف الصالحون للعموم والخصوص، وقد يطلق القطب على غير الغوث من أهل دائرة كأقطاب الجهات والأقاليم، وورد في رواية لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة وإنما بلغوا ذلك بالسخاء وصحة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين، وفي أخرى أنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قال ابن مسعود رضي الله عنه وبم أدركوها يا رسول الله قال: «بالسخاء والنصيحة

للمسلمين». وقال صلى الله عليه وسلم: «الابدال ستون رجلاً ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين ولا بالمعجبين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء الأنفس وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم إنهم في أمتي أقل من الكبريت الأحمر». وقال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث مَنْ كن فيه فهو من الابدال الرضاء بالقضاء والصبر عن محارم الله تعالى والغضب في ذات الله عز وجل إن ابدال أمتي لم يدخلوا الجنة بالأعمال وإنما دخلوها برحمة الله تعالى وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور والرحمة لجميع المسلمين». وفي رواية «لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ولكن دخلوها برحمة الله» والبدل له إطلاقان كما علم من الأحاديث في تخالف أعدادهم وعلامتهم وصفاتهم، وأنهم قد يكونون في زمان أربعين وفي آخر ستين وقد يكونون ثلاثين قال بعضهم هم أهل العلم النافع وقال الإمام أحمد هم أصحاب الحديث ومراده مَنْ هو مثله ممن جمع بين الظاهر والباطن كالأئمة الثلاثة ونظرائهم، واتفقوا أن الامام الشافعي من الأوتاد، قال بعضهم، وتقطب قبل موته وكذا النووي قال الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي وكثير من هذه الطائفة أعني الصوفية جمعوا بين الوله والتجريد في ظاهر الشرع تخريباً بائناً أسقطهم عن أعين الناس ليستتروا عن شهرة الصلاح يخفون محاسنهم ويظهرون مساويهم، ومنهم مَنْ يكشف عورته بين الناس، ومنهم مَنْ يرى أنه ما يصلي وهم يصلون ويجتهدون فيما بينهم وبين الله تعالى وقد شوهد كثير منهم يصلي في الخلوات وجوف الليل لأنهم كانوا يبالغون في نفي رؤية الخلق واسقاطها من قلوبهم ولا يبالون بمدحهم وذمهم استجلاباً بالكمال الاخلاص، وستر للنفوس من شوائب الشرك الخفي الذي لا يسلم منه إلا الخواص ولا يبالي أحدهم بكونه عند الناس زنديقاً، إذا كان عند الله صديقاً كنسوا بنفوسهم المزابل لتحيا لمولاهم حياة طيبة قبل يوم المعاد، ومنهم مَنْ يحتجب بحاله عن أعين الناس وهم معهم في الصلوات وهؤلاء أطوار لا يدركها العقل وإنما تدرك بالنور ويعرفها العارفون بالله تعالى، فقد روينا أن بعضهم كان لا يرى أنه يصلي فاقيمت الصلاة يوماً وهو جالس، فقال له بعض الفقهاء قم فصل مع الجماعة مع انكار عليه، فقام وأحرم معهم وصلى الركعة الاولى والفقيه المنكر ينظر إليه فلما قاموا للركعة الثانية نظر الفقيه إلى مكان

الرجل فإذا فيه غيره يصلي، فتعجب من ذلك ثم رأى في الركعة الثالثة شخصاً ثالثاً ثم في الرابعة رابعاً فزاد تعجبه فلما سلم من صلاته التفت فرأى صاحبه الأول جالساً مكانه وليس عنده أحد، فتحير الفقيه مما رأى فقال له الفقير وهو يضحك يا فقيه أي الأربعة صلى معكم هذه الصلاة فاعترف بفضله وزال ما عنده من الانكار. والحكايات في هذا كثيرة وما نحن معهم إلا كما يحكى عن أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا جرى ذكر الصالحين أنشد:

لا تعرضن بذكرنا عن ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

ولا اورد من الكرامات إلا ما رواها عدل متيقظ ضابط عن مشاهدة أو عمن يقبل خبره كسائر الأخبار ولا أثبتها بمجرد اشتهار فإن الكذب يقع فيها كثيراً فإن أكثر العوام يجهل شروط النقل وبعضهم مغفل يروي كلما سمعه ويحسن الظن بناقلة كائناً ما كان.

﴿وها أنا أذكر تراجم هؤلاء السادة الأفاضل﴾ الوارثين علم السلف الأوائل بحسب ما انتهى علمي إليه ووقفت بحسب الحال الحاضر عليه كالمقتبس من تلك المصابيح ذبالة، والمغترف من ذلك البحر بلاله، على إني لو ذهبت إلى أن أذكر مَنْ فيهم من الأعيان وأبين تراجمهم بعض البيان، لاستدعى ذلك تأليفاً طويلاً، وكتاباً حافلاً جليلاً، وأرتب أسماءهم على حروف المعجم ليسهل طرازها المعلم، من غير تقديم مؤخر عن مقدم، ولا تأخير عظيم من أعظم، وأورد المتسميين بالاسم الواحد على حروف الهاء في أسماء آبائهم في الاعداد وأسعى في ايراد المتفقين في الاسم واسم الآباء على ترتيب الحروف في الأجداد، كل ذلك بعد أن أقدم المتسميين بأشهر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محمد توقيراً له عليه الصلاة والسلام بتقديم أشهر أسمائه الغرر واقتداء بمن سلك هذه الطريقة من علماء الأخبار والأثر فأقضي لمن اسمه محمد بالتقديم وإن كان الترتيب يقتضي لمن اسمه ابراهيم وأوصل نسب كل واحد إلى أقرب جد مشهور. وبالعلم والولاية مذكور، وأذكر لقبه الشهير وفخذه أو بطنه الكبير ﴿المحمديون﴾.

﴿محمد بن أبي بكر بن أحمد ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

كان رضي الله تعالى عنه أوحد الأصفياء، وعمدة الأولياء وأحد الأتقياء، ولد بمدينة تريم ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم، وصحب الأكابر من العارفين وأخذ عن العلماء العاملين من أجلهم الامام شيخ الاسلام عبدالرحمن السقاف، ولازمه ملازمة تامة حتى تخرج به وقرأ عليه كتباً كثيرة في عدة من العلوم لا سيما علم الفقه والتصوف، فقرأ عليه احياء علوم الدين مراراً وسمعه بقراءة غيره، وألبسه خرقة التصوف ولقنه الذكر وحكمه، وأجازه في الالباس والتحكيم، وكان يقول منذ صحبت الشيخ عبدالرحمن السقاف ذهبت عني محبة الدنيا ورياستها بالكلية، وزالت عني صفات من صفات النفس كنت أعرفها وعوضت بها صفات محمودة وكان السقاف يحبه ويثني عليه وكان يسميه الصباغ، لصبغه القلوب بالصفات الحميدة، وكان مجتهداً في الطاعات، كثير التلاوة لقراءة القرآن وربما ختمه في يوم وليلة مع القيام بوظائف العبادة من الاشتغال بالعلم النافع والسعي في مصالح العباد، وكان كثير السعي فيما يمكنه من مصالحهم ووصول البر والاحسان اليهم، لا سيما الفقراء والمساكين، بحيث انتفع به كثيرون منهم نفعاً عظيماً وكان كثير الصوم قليل الأكل، وكان جيد الفهم والادراك، تام العقل خبيراً بالامور بحيث أن كل مَنْ أشكل عليه شيء من اموره أو استصعبه وأتى اليه أزال أشكاله واستصعابه أو بين له ما يزيله وكان شديد الورع شريف النفس حسن العشرة، عالي الهمة سليم الصدر كثير التحمل لمن أسى عليه ولم يزل من الخير في ازدياد. إلى أن دعاه رب العباد، فمات ولم يخلف أحداً من الأولاد، ودفن بمقبرة زنبل رحمه الله تعالى عز وجل.

﴿محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكر بن علوي بن عبدالله بن علي ابن الشيخ الامام عبدالله باعلوي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

عرف جده بالشلي، وهو عم سيدي الوالد رحمه الله تعالى ذو المعارف والعوارف. واللطائف والظرائف. ملك أعنة المحاسن، وورد من مناهلها عذباً غير آسن، وخاض مع الأولياء فركب في فلكهم ولازمهم حتى انتظم في سلكهم، ولد بتريم، ونشأ بها فحفظ القرآن العظيم والجزرية والأذكار النووية، وغيرها وأخذ عن والده وجده وجد في الطلب حتى ظهرت عليه أنوار جده وأخذ عن الإمام المحدث محمد بن علي خرد صاحب الغرر، ولازمه في دروسه في الحديث وغيره وأخذ الفقه عن الإمام المحدث الشهير القاضي أحمد شريف، والشيخ الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج ومَنْ في طبقتهم وأخذ التصوف عن والده وغيره من العارفين، وارتحل إلى اليمن، ودخل مدينة عدن فأخذ عن الشيخين الشهيرين محمد بن أحمد بافضل، والشيخ عبدالله بن أحمد بامخرمة، ثم عاد لبلده فلازم عالمها وقاضيها الإمام القاضي أحمد بن علي شريف، حتى قرأ عليه جميع مقروآته، وأحبه وأثنى عليه لجودة فهمه وحسن حفظه ولزم الجد في الطاعات، ولزوم الجماعات وكان كثير التلاوة للقرآن وكان كثير الصمت ملازماً لزيارة قبور الصالحين لا سيما قبر الاستاذ الأعظم، وحصل كتباً كثيرة ولم تزل هذه عادته، إلى أن انقضت من الدنيا مدته، فانتقل إلى رحمة الله تعالى لخمس خلون من المحرم سنة احدى وستين وتسعمائة، وصلي عليه بالجبانة ودفن بمقبرة زنبل، وقبره بها معروف رحمه الله تعالى وايانا رحمه الأبرار وجمعنا به في دار القرار.

﴿محمد بن أبي بكر بن عمر بن حسن بن محمد بن حسن بن أبي بكر بن أحمد ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

الجهبذ النقاد والكوكب الوقاد المقتفي آثار سلفه الكرام المرتقي بهمته العلية إلى أشرف مقام ذو الفضائل العديدة، والشمائل الحميدة، ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم، والإرشاد وغير ذلك ثم اشتغل بالفقه حتى حصل منه طرفاً صالحاً وقرأ الأصلين والعربية على الشيخ الجليل محمد بن أحمد الزبيدي ثم رحل إلى اليمن، ودخل زبيد وعدن، واشتغل بهذين البلدين على جماعة من علمائها ثم ارتحل إلى مكة المشرفة، وأخذ الحديث والتفسير والفقه على كثيرين منهم الشيخ الكبير محمد بن عراق ولازمه في دروسه وجاور بمكة وتجرد فيها. آخر عمره. للعبادة من تلاوة وطواف وعمره، وممن أخذ عنه التصوف الشيخ محمد الحطاب وولده يحيى، وقرأ عليهما الاحياء وعدة كتب في عدة فنون أخذ عن الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس، والشيخ عبدالرحمن بن الشيخ علي، ولم يزل مجاوراً بمكة المشرفة إلى أن دعاه مولاه فانتقل إلى رحمة الله سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ودفن بالمعلاة بجنب قبر شيخه الامام محمد بن عراق رحمه الله تعالى.

﴿محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن الشيخ عبدالرحمن السقاف﴾

ذو المقام الكريم العالي الراقي بحسبه ونسبه إلى أوج المعالي، ذو البسالة التي لا تضاهى والمناقب التي يعترف البليغ بالعجز عن استقصاها، ولد بمدينة تريم وحفظ القرآن العظيم، وصحب جماعة من أكابر الصالحين منهم الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، وابنه زين العابدين والسيد الجليل عبدالرحن بن عقيل، ثم تدير البلدة المسماة بالقارة وهي قريبة من مدينة تريم، وصحب الامام العارف بالله تعالى أحمد بن عبدالله الحبشي، ولازمه ملازمة تامة وأخذ عنه التصوف، وقرأ عليه كتباً كثيرة وصاهره بابنته، وحج بيت الله الحرام وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، وأخذ عن جمع بالحرمين وصحب كثيرين منهم عم أبيه السيد الجليل علوي بن علي بن عقيل وكان يحبه ويثني عليه، ودعا له بدعوات ظهرت عليه آثارها، ثم رجع إلى وطنه وأقام بالقارة مأوى للوافدين، ومقصداً للفقراء والمساكين، وكان يطعم الطعام ويكرم الضيفان، حسن الأخلاق لين العريكة، سليم الصدر متواضعاً حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه، ثم طلبه ولده صاحبنا السيد أبو بكر لما حصل له مرض شديد إلى مكة فرحل إليها وجاور بها وصحب بها الإمام العارف بالله تعالى محمد بن علوي، وحصل بينهما اتحاد وصحبة شديدة ومودة أكيدة، وصحب الشيخ الجليل عبد الرحمن المغربي وكان يحبه ويثني عليه وصحبته مدة مديدة وحصل لي منه دعوات مفيدة ثم زار جده محمداً صلى الله عليه وسلم وأخذ بالمدينة عن غير واحد من العلماء العارفين منهم شيخنا الشيخ أحمد بن محمد القشاشي، ورجع إلى مكة ونيته الرجوع إلى وطنه، وحاوله أصحابه أن يقيم بمكة لكبر سنه والتزم له ولده بجميع ما يحتاجه فلم يقبل فلما صمم على الارتحال وافاه نذير الآجال فتوفي بمكة لخمس خلون من محرم سنة اثنتين وستين وألف ودفن بالمعلاة.

﴿محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله العيدروس﴾

الشاب الناشيء في طاعة الله، فلم تعرف له صبوة من صباه، تفرع من جرثومة الشرف والنبوة وتدرع جلباب المجد والفتوة، وتبسم نشر صباه وشمائله، فجال في الفضل في خمائله ورفل في حلل الزهد والتقى، ورقي من الشرف والفضل أشرف مرتقى، ولد بتريم ونشأ بها فحفظ القرآن العظيم والجزرية والملحة والإرشاد وعقيدة الغزالي، وغيرها وعرض بعض محفوظاته على مشايخه، وأخذ الحديث والفقه عن السيد الكبير المحدث الفقيه محمد بن عبدالرحمن بلفقيه، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بالحاج بافضل وصحب الشيخ حسين بن عبدالله العيدروس، وأخذ عنه التصوف وألبسه جماعة من مشايخه واشتغل بالعلوم الشرعية، وشارك في العلوم الآلية، وأضاف إلى العلم العمل وتضاعف له الحبور والجذل، وجمع الله على محبته القلوب، وأناله كل محبوب ومرغوب، وكان كريماً لا سيما في بذل الأموال، محافظاً على السنة النبوية في الأقوال والأفعال، متواضعاً للخاص والعام باذلاً جاهه لجميع مَنْ جاءه من الأنام، إلى أن استأثر به الواحد العلام فانقضت أيامه كأنها أحلام توفي سنة ثمانية عشرة وتسعمائة، ودفن بتربة بشار داخل قبة جده عبدالله العيدروس رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه فسيح دار القرار وايانا آمين.

﴿محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبدالله الشلي بن أبي بكر ابن علوي الشيبة بن عبدالله بن علي بن الشيخ الإمام عبدالله باعلوي بن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

شقيق سيدي الوالد المبرز في العلوم الخالد منها والتالد، أحد فحول الرجال، وأسد أسود الأبطال جلالي الأحوال، الجامع بين الحقيقة والشريعة، الواصل إلى مراتب الفضل بأوثق ذريعة، ولد بمدينة تريم سنة ثمانين وتسعمائة ونشأ بها وحفظ القرآن وبعض الإرشاد وبعض المنهاج والملحة وغيرها، وأكب على كسب العلم وتحصيله، وتأثيل الفضل وتأصيله، فتفقه على الشيخ الكبير عبدالرحمن بن شهاب الدين، والفقيه محمد بن اسمعيل، بافضل وتصوّف على والده وعلى الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، والإمام العارف بالله محمد بن عقيل مديحج وغير هؤلاء وكتب كتباً كثيرة واعتنى بجامع المختصرات للنسائي قراءة ومطالعة فكان لا ينفك عن مطالعته، وكاد أن يحفظه عن ظهر قلبه واتقن علم الحديث والفقه والعربية، وبرع في الفرائض والحساب وعلم الميقات، وكان له في صغره عزامة غريبة، وشراسة عجيبة.

يحكي عنه في ذلك غرائب وحكايات عجائب وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «عزامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره» رواه الحكيم وغيره ثم حبب الله إليه الرحلة والاغتراب عن الأهل والأتراب، فرحل إلى اليمن، وجال في بلدانه برهة من الزمن، وأخذ عن جماعة من العلماء العارفين والأئمة المحققين، ثم ارتحل إلى الديار الهندية، وأقام بها مدة بهية، في عيشة هنية ثم سافر بندرآشي المشهور، المحفوف بالمسرة والحبور، واتصل بسلطانها وهو يومئذ امرأة فوسعته بأسنى أفضالها وأهنى صلاتها، وعظمه وزراؤ ها، وامراؤ ها من الرجال وهبت عليه من قبلهم رخاء الاقبال وعاش في كنفهم بين نضرة العيش ورخاء البال وأملكه أحد الوزراء ابنته، ورفع في

مراتب العلياء رتبته وولد له جملة أولاد ولم يزل بها في ازدياد، حتى انصرمت من الحياة أيامه، وقوضت من هذه الدار الفانية خيامه فانتقل إلى رحمة الله شهيداً، وعاش حميداً أسكنه الله فسيح الجنان وحف ترتبه بالروح والريحان.

﴿محمد بن أحمد بن حسن باساكوته بن أحمد مشرفة بن عبدالله ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط﴾

ذو المناقب الجميلة والأفعال المستحسنة الجزيلة، ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم، وشارك في الفقه فعرف الحلال والحرام. وصحب جماعة من العلماء الاعلام، وتبين له الهدى من الضلال واجتهد في صالح الأعمال، ثم حبب اليه الأسفار، فرحل من تلك الديار بتجارة رابحة غير خاسرة، وحمدت موارده ومصادره، وكانت معاملته حسنة وتصرفاته مستحسنة، ملازماً للتقوى في جميع أمره ملازماً للخشية في حلوه ومره، وكان كريماً جواداً عظيمًا يحب الفقراء والمساكين والعلماء العاملين والأولياء العارفين وكان يكرمهم اكراماً عظيمًا، ويسدي اليهم معروفاً جسيمًا، وكان مقبول الشفاعة عند الملوك، وكان ابن عبدالوهاب ملك اليمن يحبه ويكرمه ويحترمه وكان يعطيه أموالاً ينفقها على المستحقين وفوض اليه عمارة أشياء كثيرة في مدينة تريم، وأرسل معه مالاً كثيراً لذلك منها عمارة مسجد الجامع فجدد عمارته جميعها وعمره أحسن عمارة وكذلك فوّض اليه عمارة مجاري سيل ثبى المشهور، ولم يزل ينتقل في بلدان اليمن حتى توفي في بندر عدن سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

﴿محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط

الشهير النقعي بالنون والقاف غيضه من غياض الشحر ولد بتريم، ونشأ بها وأخذ عن والده الشيخ الإمام الفقيه أحمد وصحب جماعة من العارفين أصحاب الأحوال وشرب من صافي شرابهم الزلال وكان زاهداً في الدنيا متقللاً منها، ثم سافر إلى الشحر وأقام بها برهة من الزمان، ثم اختار العزلة عن ابناء الزمان فاختار الاقامة بالنقعة المذكورة، وتخلى للعبادة وغرس شجرة الليمون، وكان يجني من ثمرها ألف ليمونة ينفق ثمنها على مؤنة ممونه، وكان الناس يتغالون في ثمن ثمرتها ووقع لجماعة أنهم أتوها ليلاً وجنوا ثمرها فلما أرادوا الانصراف أعمى الله أبصارهم، ولم يبصروا الطريق إلى أن أتاهم صاحب الترجمة فاعتذروا، واستغفروا وتابوا فعاهدهم على أن لا يعودوا لمثلها فقبلوا وانصرفوا، وكان إذا أتاه الضيف أكرمه بما عنده مع البشاشة وطلاقة الوجه، ولم يزل على تلك الأفعال السارة والأعمال البارة إلى أن وافاه القضاء المحتوم فانتقل إلى رحمة الملك القيوم، رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

﴿محمد بن أحمد ابن الشيخ عبدالله بن علوي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

المعروف بمقدم تربة قسم المسماة تلك التربة بالمصسف المشهور بجمل الليل السيد الفاضل السند الأصيل الأوحد المعتمد الجليل، أحد المشايخ العارفين وأكابر الصوفية الكاملين، الكارع من عين اليقين، والمتبع لسنة سيد المرسلين، الإمام الذي أضاءت بأنواره حنادس الظلام، وأقرت بفضله العلماء الاعلام، وزهت بذكره الأقلام والأعلام، ولد بتريم ونشأ بها فحفظ القرآن العظيم، وغيره وطلب العلم من صغره وأخذ عن أبيه وجده الشيخ الإمام وأعمامه الأئمة الاعلام، وأخذ التصوف عنهم وحكموه وأذنوا له في الألباس والتحكيم، وتفقه على الفقيه فضل بن عبدالله بافضل، واجتهد في الطاعات، وجد في العبادات، وكان يضرب به المثل في حفظ الأوقات، وكان مواظباً على قيام الليل صيفاً وشتاءً، وكان يحرم بركعتين بعد صلاة التهجد والوتر فإذا سلم منهما طلع الفجر، كأنما الفجر مربوط بتسليمه من تلك الركعتين وربما قرأ القرآن في ليلة ومن ثم سمي جمل الليل لأنه قامه واتخذه جملًا، قال بعض العلماء مَنْ اتخذ الليل جملًا أدرك ماله جملًا ولا يؤثر السهر على النوم، إلا مَنْ ذاق شراب القوم، وكان لا يترك قيامه في حضر ولا سفر ولا في صحة ولا في مرض.

قال الشيخ أحمد بن عبدالرحمن السقاف سافرنا مع السيد محمد بن أحمد لزيارة قبر النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فلما جاوزنا بجر حصل علينا مطر شديد وكان السيد محمد بن أحمد ضعيف القوى ناحل الجسم فحصل لنا تعب شديد فلم نصل إلى القبر إلا وقد اشتد بنا التعب من المطر والجوع والمسير فزرناه وكل منا نام ولم يقدر يتحرك، إلا السيد محمد بن أحمد

فإنه قام يصلي على عادته حتى طلع الفجر، وأقام في آخر عمره في مدينة قسم واستوطنها، وكان بها مقصداً للوافدين، وعلماً للقاصدين، وركناً للفقراء والمساكين، وانتفع به كثيرون في التصوف وتخرج به غير واحد من العارفين، وكان يربي السالكين لمقامات الدين، وكان قانعاً من الدنيا باليسير، وما زاد على نفقة يومه أنفقه على الفقراء وكان قلبه صافياً لا يظن أن أحداً يكذب متعمداً وباطنه كباطن الطفل لا غل فيه ولا حسد ولا حقد ولا رياء ولا عجب، ولا كبربل جبله الله تعالى على الأخلاق المحمدية والصفات النبوية، ووصفه بعض العارفين بقوله صاحب الكرامات الظاهرة، والمعارف الزاهرة، والمقامات العلية، والأحوال السنية، والآداب السنية، الرباني المربي السالك لمقامات الدين أحد أكابر العارفين، وأجل المشايخ المجتهدين، الصابرين الزاهدين، القائمين مقدم تربة المصف قلب الصف إن قال انصف وإن تواعد قصف[1] أسد الاسود ومنسب الجدود ومانع الحدود البركة الشاملة لكل موجود سلطان الوجود المعروف بالكرم والجود، انتهى.

وكان الشيخ عبدالرحمن السقاف يحبه، ويثني عليه وهو ممن أخذ عن صاحب الترجمة وكان يقول شيخنا محمد بن أحمد من الابدال وكذلك الشيخ الكبير الجليل الشهير بجمل الليل الثاني، كان يثني عليه ويترجمه ترجمة عظيمة[2] ولم يزل بمدينة قسم إلى أن وافاه الأجل المحتم وناداه إلى حضرته الرحيم الرحمن، فبوأه غرف الجنان فتوفي سنة سبع وثمانين وسبعمائه بتقديم السين في الكلمتين وقبر بمقبرة قسم المسماة بالصف وقبره بها ظاهر ظهور النهار تلوح عليه الأنوار.

(١و٢) في هذا الموضع من الأصل بعض من الجمل حذفت من هذه الطبعة.

﴿محمد بن أحمد بن علي الخون بن علوي بن عبدالرحمن بن محمد ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

الإمام العلامة الهمام الفهامة المقر له بالنجابة والبراعـة، والفصاحـة والبلاغة ورد عذب الفضل نهلاً وعللاً وفاز من سهامه بالقدح المعلى القائم على قدم أسلافه في سلوك الطريق المثلى، ولد سنة أربع وتسعين وثمانمائة بتريم وحفظ القرآن والجزرية والشاطبية والارشاد والألفية، وغير ذلك وعرض محفوظاته على مشايخ وحققها مع شروحها وتفقه بالإمام القاضي أحمد شريف، واعتنى بالمنهاج وشروحه اعتنـاء تامـاً، وقرأ الحـديث على الامـام المحدث محمد بن علي خرد فقرأ عليه الشفا وشرحه وبعض الامهات، وتخرج به في فن الحديث وقرأ البخاري على الشيخ علي بن عبدالرحمن باحرمى وقرأ العربية على جماعة من فضلاء عصره، وكان شريكه في الطلب السيد الجليل ابراهيم بن علي خرد فكانا فرسي رهان ورضيعي لبان وفيهما يقول شيخهما محمد بن علي خرد:

أليفـان في ذات الإلـه تحـابـبـا	**إلى الواحد المعبـود خالقنـا الأجل**
همـا أسمـا العليـا بـأعـلا همـة	**وباهمة ارتقيـا إلى أشرف المحـل**
فضيـلان حـازا للفضـائـل والتقى	**فـما لهـما في قـطرنـا أبـداً مثـل**
فـأعـظم بـابـراهيم نجـل عليهم	**كذا وجمال الدين راق على القلل**

ثم ارتحل صاحب الترجمة إلى اليمن ودخل زبيد وعدن، وأخذ بهما عن جماعة من المحققين العربية والأصلين، ثم سافر إلى الحرمين، فحج وزار سيد المرسلين، وجاور بهما عدة سنين وقرأ على مَنْ فيهما من العلماء المحققين، والأولياء العارفين، وأخذ التصوف على جمع كثير وجمّ غفير ونال بصحبتهم الرتب العلية، والمقامات السنية ومنحه الله تعالى التمسك بحبله المتين، وكمال

الاقتداء بسيد المرسلين، ولم يزل بمكة المشرفة مكباً على الاشتغال مع مزيد الرغبة والاقبال، ونضرة العيش وفراغ البال إلى أن انقضت أيامه الفانية وانتقل إلى الدار الباقية، فتوفي سنة تسع وعشرين وتسعمائه ودفن بالمعلاه رحمة الله تعالى.

﴿محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمـر بن علوي بن علي بن أحمد بن محمـد أسد الله ابن حسن بن عـلي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

عرف جده الأعلى وهو علوي بالشاطري صاحبي في الطلب ورفيقي في الجثي بين يدي المشايخ على الركب السابق لغايات العلوم المنطوق منها والمفهوم البراز المطلع على دقائقها شهد له بذلك ذوو التخليق، وشهد البحث أن بحر فكره عميق، له نسب في السيادة أعرق وحسب في بني علوي مثل الشمس أشرق، وهمة دون السماء لا يقصرها وحكمة عن سبق القـدماء لا يؤخرها ولد بمدينة تريم ونشأ بها حفظ القرآن والجزرية، والأذكار النبوية، وحفظ الارشاد وساعده الامداد، وفتح الجواد وتربى في حجر خاله شمس الشموس، شيخنا الشيخ عبدالله بن أحمـد العيدروس ولازمـه في المجالس للدروس، فاكتسب أعطافه حلة الشرفين فنشأ فيها مختالاً، وأضحى نسيب الطرفين أباً وخالاً وجد في الطلب فاستوعب أعوامه، واستغرق في التحصيل لياليه وأيامه، فأخذ عن شيخنا العلامة أبي بكر بن شهاب الدين الحديث والفقه، وعن شيخنا الفقيه عبدالرحمن بافقية الفقه، وعن شيخنا عبدالله بن أبي بكر ابن الخطيب الفقه والنحو والاصول وعن شيخنا أحمد بن عمر البيتي الفقه والنحو وغير هؤلاء ممن يطول. ذكرهم ويفوح نشرهم، ثم رحل إلى خاله السيد الجليل السيد حسين بن أحمد العيدروس، ببندر عدن المحروس، فورد من بحار خاله عذب امتنانه، وافضاله، ثم دخل الهند في عنفوان عمره، وابتداء حاله وأمره فأخذ بها عن جماعة من الفضلاء، وكثير من الأدباء النبلاء، ثم سافر إلى مدينة آشي المشهورة لكونها بالفضل معمورة، فأكرم سلطانها نزله، وقلد بأيدي منته بذله، ووحد بها جماعه أضربهم رجل من جهال المشبهة اضراراً بيناً وحملهم من عظائم الامور أمراً ليس هيناً، فاجتهد في رجوعهم عن

ذلك الاعتقاد، فازدادوا عناداً أي عناد، ومن يضلل الله فما له من هاد، وافترق الناس فرقتين واتفقوا على أن يرفعوا الأمر إلى علماء الحرمين، فحج في ذلك العام، ورفع تلك الأسئلة إلى العلماء الاعلام فأجابوا بالحق الواضح المبين، وحصل بذلك علم اليقين، ورجع إلى وطنه مدينة تريم وهو الآن بها مقيم.

﴿محمد بن أحمد ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

وهو الإمام المتسربل سربال الورع والتقى المتعلق بأستار الرقى والارتقا، لا تدرك في السبق غايته ولا تتأخر عند ازدحام القوم رايته، ولد بتريم ونشأ بها وصحب العلماء الاعلام مشايخ الاسلام فأخذ عنهم الفقه والتصوّف منهم الشيخ الإمام عبدالله بن علوي ابن الاستاذ الأعظم، ومَنْ في طبقته من آل بافضل والخطباء وآل باحرمى وسار سيرة السلف من أهل السنة والجماعة، وصبر على أنواع القرب لا يصرف ساعة في غير طاعة، فسلك سلوك مسلكهم حتى انتظم في سلكهم ومنحه الله تعالى السعادة والاقبال حتى علت منزلته في معارج الكمال، وكانت له مجاهد شديدة فكان يعتكف في المسجد المدة المديدة لا يخرج منه إلا بعد الشروق ساعة، وبعد العشاء أخرى يصلح فيهما ما يحتاجه هو وممونه، ثم يرجع إلى المسجد فيقطع الليل تسبيحاً وقرآناً، وقياماً لله لا يفارقه أحياناً، وبكاؤه يفيض من خشية الله ألواناً، وكان كثير الحزن كثير البكاء ما رؤي ضاحكاً قط، وكان يقول إن رأيتموني ضاحكاً فكبروا علي، وكان متقشفاً لا يتدرع معه غير ثوب العفاف ولا يتطلع إلى فوق مقدار الكفاف، وكان له شاة يكتفي بلبنها عن القوت فسرقت فأحلها لسارقها، وكان له سهمان في بستان فلم يعطه شريكه إلا سهمًا واحداً فقبله، فقيل له أن لك سهمين فقال ما جاء من الدنيا كفى، وكان حفيده الشيخ محمد بن عمر يقول إن جدي محمد ملك أعضاءه السبعة فكان لا يصرفها إلا في طاعة، وكان أخوه الامام أبو بكر يقول ما أعلم أن أحداً يقدر على مجاهدة أخي محمد قال لي: مكثت خمسة وعشرين سنة ما أنام من الليل إلا قدر قراءة جزء من القرآن، ثم مكثت سبع سنين ما أنام فيه إلا قدر ربع جزء وكف بصره آخر

عمره[١]، وكانت عادته يوم الجمعة أنه يمكث معتكفاً في المسجد حتى يأتي إليه مَنْ يقوده إلى الجامع[٢] ولم يزل على الحال الرضية والأعمال المرضية إلى أن وافاه حمامه، وانقضت أيامه، فتوفي في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وقبر بمقبرة زنبل رحمه الله عز وجل.

(١) (٢) في هذين الموضعين من الأصل جملتان حذفتان من هذه الطبعة.

﴿محمد بن حسن بن عبدالله بن هرون بن حسن بن علي بن محمد جمل الليل رضي الله تعالى عنهم﴾

اشتهر بالجنة أحد عباد الله الصالحين، والأولياء المعتقدين المخصوص بالأخلاق الرضية والشمائل البهية المرضية ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن المجيد، وتلاه بالتجويد واعتنى به قراءة وفهمًا، وكتابة ورسمًا واشتغل في عنفوان شبابه بطلب العلم والاعتناء به ودلت على النجابة والفلاح مخائله واشتملت على كرم الطباع شمائله، ثم غلب عليه كثرة العبادة والطاعات ولزم الخلوة مع حضور الجمعة والجماعات، وسلك سلوكاً مرضياً، فبوّأه الله مكاناً علياً، وكان يكثر من تلاوة القرآن ليلاً ونهاراً سراً وجهراً، وكان عند تلاوته كثير البكاء كثير التضرع والدعاء وربما صاح بأعلا صوته لما يظهر من قلبه من الشوق المحرق، والتوق المقلق، وربما خرّ مغشياً عليه ووقع له أنه خرج إلى بستان نخلة راكباً على حماره فقرأ القرآن وهو راكب، وليس معه صاحب، فكثر الشوق لديه، وسقط على الأرض مغشياً عليه، فلما أفاق ذهب إلى بستانه، فوجد حماره فيه ثم سافر إلى زيلع، فأقام بها يعلم أولاد السيد الجليل محمد الشاطري، فقام بحقوقه أتم قيام، وأكرمه الاكرام التام، ومن كراماته أنه دخل عليه السيد محمد المذكور، وهو يبكي فقال وما يبكيك؟ فقال: مات جدي عبدالله بن هرون فكان موته في ذلك اليوم وكان كريم الأخلاق. كثير الصدقة والانفاق، يعتقد الصالحين، ويحب الفقراء والمساكين ثم قصد حج بيت الله الحرام وزيارة جده عليه الصلاة والسلام، فركب البحر قاصداً ذلك على يقين فحال بينهما الموج فكان من المغرقين، فعاش حميداً ومات شهيداً، ولم أقف على سبب شهرته بالجنة ولعله كان يكثر طلبها من الله. أنجح الله مطلبه ومسعاه، وحقق له ما تمناه ورحمنا وإياه.

﴿القاضي محمد بن حسن ابن الشيخ علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف﴾

قاضي تلك الديار، المتقدم الذي لا يشق له غبار، شيخ الاسلام ومرجع القضاة والحكام، إمام أهل زمانه وفارس ميدانه، والقائم بنصرة دينه بقلمه ولسانه، والداعي إلى الله في سره واعلانه، امام العلوم وعلامها والمنشورة به في الخافقين أعلامها، ولد بتريم وحفظ القرآن والجزرية والجرومية والقطر وألفية ابن مالك والارشاد، وقطعة من المنهاج وعرض محفوظاته على مشايخه وتفقه بالقاضي أحمد شريف ولازمه في دروسه حتى تخرّج به، وأخذ عن أخيه المحدث الامام محمد بن علي خرد علم الحديث وغيره وكان جلّ انتفاعه بهذين الشيخين، وأخذ التصوّف عن الامام أحمد بن علوي باجحدب ولازمه كثيراً، وكان يحبه ويثني عليه ودعا له بدعوات صالحة، أنوار بركاتها عليه لائحة، ثم رحل إلى اليمن، ثم إلى الحرمين وجاور بمكة المشرفة سنين، وأخذ عن جمع كثير وجم غفير منهم الشيخ ابن حجر المكي وتلميذه العلامة محمد الأشخر والاستاذ الكبير أبو الحسن البكري والعلامة المحقق عبدالعزيز الزمزمي، وبرع في الأصلين والفقه والعربية والفرائض، والحساب وغيرها وأجازه غير واحد من مشايخه بالإفتاء والتدريس، ثم عاد لبلده تريم وجلس للتدريس، وأحيا معالم العلم الدريس، ونصب نفسه لانتفاع الناس، وإزالة المناكر المختلفة الاجناس، وحضر دروسه جمع من المشايخ والأعيان، وانثالت الطلبة إليه من جميع البلدان، وكان صاحب لسان طلق فصيح، ولفظ منتظم مليح، ثم ولي قضاء مدينة تريم. بعد امتناع وجهد عظيم، فاستمر يحكم ويقضي ويصفح ويغضي ويمنح الجزيل ويعطي ملازماً للورع والتقوى جارياً على الأمر الأحرى، ملازماً للعبادة والتنسك والآداب الشرعية وطرح التكلف وإتيان

البيوت من أبواب فضلها، ووضع الأشياء في محلها، ولم يزل يرفع منار شريعة الاسلام ويطرز أردان الأقضية والأحكام، إلى أن ناداه منادي الحمام فتوفي ليلة الثلاثاء منتصف شوّال سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ودفن بمقبرة زنبل رحمه الله تعالى عز وجل.

﴿محمد بن حسن بن علي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

الشهير بأسدالله، المخصوص بعناية مولاه، المسارع إلى ما يحبه ويرضاه، الحري بأن يعطى ما تمناه ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم، وصحب أباه ومن في طبقته من العلماء، ولزم دروس الأولياء، ولكن غلب عليه الاجتهاد في الطاعات، ولزوم أنواع العبادات، وترك مجالسه الأقران، وواظب على تلاوة القرآن، وإذا قرأه استغرق مدة طويلة من الزمان وربما غاب عن إحساسه، ولم يظهر له نفس من أنفاسه، وربما صاح بأعلا صوته أنا أسد الله في أرضه، وكان يقوم الثلث الأخير من الليل، وكان قليل الأكل متقشفاً قانعاً من الدنيا باليسير، وكان يفرّ من أعوان الدولة فراراً عجيباً وكان محبوباً عند الناس معتقداً عند الخاص والعام[1]، ولم يزل مواظباً على تلك الحال حتى قدم على الكبير المتعال، فتوفي يوم الثلاثاء لأحد عشر خلت من شوال سنة ثمان وسبعين وسبعمائة رحمه الله تعالى ونفعنا به.

(١) في هذا الموضع من الأصل عدة جمل حذفت من هذه الطبعة.

﴿محمد بن حسن المعلم بن محمد أسد الله بن حسن بن علي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله عنهم فهو حفيد أسد الله المقدم﴾

وتلقب صاحب الترجمة بالشيبه واشتهر بجمل الليل صاحب الأحوال الباهرة، والمقامات الفاخرة، والكرامات الظاهرة، شيخ زمانه بلا نزاع ودوحة عصره بغير دفاع، وامام أهل الشريعة والحقيقة بالاجماع حجة الله على العارفين، وناشر ألوية مكارم آبائه الأمجدين، كان مولده رحمه الله سنة خمسين وسبعمائة بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم،وصحب أباه وعمه أحمد وتفقه على الامام الفقيه محمد بن علوي بن أحمد ابن الاستاذ الأعظم، وأخذ عن الامام الشيخ محمد بن أبي بكر باعباد التفسير والحديث وأخذ التصوّف عن الإمام المعلم محمد بن عمر بن محمد بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم والشيخ محمد بن حكم وألبسه الخرقة كثيرون وأذنوا له في الباسها وحكموه، وأذنوا له في التحكيم ثم نصب نفسه لانتفاع الأنام، الخاص منهم والعام، فأخذ عنه جماعة كثيرون، وكان يربي السالكين، ويفيد الطالبين، وكان يعرف أحوال الصوفيةالعارفين، ويشرحها شرحاً شافياً للراغبين، ويقرر اصطلاحاتهم أحسن تقرير، ويحررها أحسن تحرير، فممن أخذ عنه وتخرج به ولداه علي وعبدالله والشيخان الجليلان الشيخ عبدالله العيدروس، والشيخ علي بن أبي بكر، والشيخ الولي سعد ابن علي والشيخ عبد الرحمن الخطيب، والفقيه علي بن أحمد بافضل، وكان ذا كرم وفتوة وإيثار ومروءة وكان ذا حشمة ظاهرة، وحرمة وافرة، جمع الله تعالى القلوب على محبته، والقبول التام لشفاعته وانتهت إليه رياسة زمانه، وأذعنت له أعيان عصره وأوانه، وكان زاهداً في الدنيا ورياستها متحققاً رداءتها وخساستها، وكان كثير العبادة بالليل والنهار، كثير القيام بالأسحار، وكان يكثر من تلاوة القرآن وإذا قرأ استغرق

فيها مدة من الزمان، وكان يفتح عليه من القرآن ما يبهر العقول، وتعجز عن إدراكه الفحول، وكان يردد الآية الواحدة نصف ليلة وربما مضت عليه ليلة كاملة وهو يرددها، ويتفكر فيها فقرأ ليلة ﴿إنَ الذينَ آمنوا وَعَمِلوا الصالحَاتِ سَيَجْعَلُ لهَمُ الرَحْمَنُ وِداً﴾، وليلة اخرى قرأ وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وليلة قرأ الذي أحلنا دار المقامة من فضله إلى آخر الآية، وكذلك قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية، وكان يقول يفتح علي من القرآن ما لا أقدر أن أصفه ويظهر لي شيء ما أحسن أعبر عنه وكان يقول: إذا ظهر لي شيء غبت عن الوجود حتى لو ضربت بالسيف لم أشعر به قال وقد يعرض لي شيء من قلب الأعيان فأعرض عنه، وكان كثير الذكر، وكان يقول لأصحابه أما افناء الحروف فهو سهل وأما افناء الصوت بذكر الله فهو عسر، قال: وقلت مرة أين الناس؟ فهتف بي هاتف الناس راحوا في الكأس، فقلت: أي كأس؟ فقال: كأس الدنيا، وقال إذا غرق ابناء الدنيا فيها قالوا كيف العمل أين الطريق؟ أين الخلاص؟ شبه السكارى أو الغرقى في البحر وما بعد كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم طريق. وقال الرجوع إلى الله تعالى هو طريق الآخرة، وقال أعرف نفسك حتى تعرف بها ربك وهو مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه، واختلف العلماء في معنى هذا الحديث حتى أفرده الجلال السيوطي في جزء سماه القول الأشبه. في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، وقال رضي الله تعالىعنه: ولد صالح خير من متعلم سنة، وقال الطبع السفلي مولع بسوء الظن، وقال:

شغلنا بحاجاتنا وحاجات من عاش لا تنقضي

وقال إذا طهر القلب لم يشبع من تلاوة القرآن، وكان يقيم بالقرية المشهورة بروغه فشرف به ذلك النادي، وأشرقت أنوار ذلك الوادي، وأما كرمه فبحر زاخر وروض باهر، فكان يبالغ في إكرام الأضياف، لا سيما السادة الأشراف، وكان يحب الفقراء والمساكين، والغرباء والمنقطعين ويكرمهم أتم الاكرام، ويطعمهم أطيب الطعام.

وحكي أنه نفر عصافير كانت تأكل من زرعه فناطقه أحدها وقال له

تطردنا عن الطعام، وفضلك قد عم الخاص والعام، وكان ذا خلق حسن، وطبع مستحسن فكان لا يغضب أبداً ولا يشتم أحداً، وحاول الشيطان اللعين أن يغضبه فلم يقدر عليه، وكان مع ذلك لا تأخذه في الحق لومة لائم، ويسطو على إزالة المنكر وان رغم أنف الراغم، وكان يأخذ في جميع أموره بالعزائم، ولا ينشد إلا على قدر أهل العزم تأتي العزائم[١]، وكان مجاب الدعاء دعا لجماعة من أصحابه بأمور دينية ودنيوية فنالوها، وكان السيد عبدالله بن علوي بن محمد مولى الدويلة مجتهداً في العبادة والرياضة جداً، وكان يترقب الفتح فقال له صاحب الترجمة ما يفتح الله عليك إلا في آخر عمرك، فكان الأمر كما قال، ﴿وحكي﴾ أن سارقاً سرق بعض ثمر نخله فأصابه جرح في جسده وتألم به حتى منعه النوم، فلما أصبح جاء إلى الشيخ معتذراً وجاء آخر قد سرق من نخله معتذراً أيضاً من ذلك فقال للأول: إذهب إلى قبر فلان، واطرح من ترابه على الجرح ففعل فعوفي، وقال للآخر كان قصدك السرقة وقد وصلنا حقنا فاذهب واحذر أن تعود لمثلها، وفيه يقول محمد بن علي خرد:

فقيه جليل للشريعة قد حوى ... كذا في الطريقة سالك ومسلك
فبحر الحقيقة خاضه منه شارب ... فطود لعلم عالم ثم ناسك
مرب لسلاك بأحواله التي ... زكت في المعالي صالح ومبارك
فراساته تنبيك عن عظم حاله ... بنور إلهي وللنفس مالك
كراماته ما ليس يحصر حاصر ... له رتب مرفوعة وسنابك
رقاها بعلم ثم حال عوالي ... مفسر للقرآن في الدين سالك
فيسمع بالله الهواتف في الهوى ... مكاشف ما قد كان في الغيب فاتك
مخاطب في حال التلاوة مدرك ... لمعان يحيى بالسلام الملائك
عليه فقل ما شئت فهو مصدق ... له سيرة محمودة ليس تأفك
فقيل له الأشراف في كل برزخ ... فيخبر بالأموات للسر ماسك
بأحوالهم يخبرك إن شئت علمهم ... تجده مع التحرير شيخ مشارك
عليك به يا مالك الملك ربنا ... تنجي لشخص أفزعته الدكادك

---

(١) في هذا الموضع من الأصل جمل حذفت من هذه الطبعة.

وكن عونه وقت الشدائد مدرك	لـه نجد مهما أتته المهالك
وعمره وأعمر داره وديارنا	له أصلح بكون لما يرضاه مولاه سالك
وصلي الـه كل حين وساعة	على المصطفى ماجن سود حوالك
وسلم عداد الرمل والقطر في الفلا	مع الآل والأصحاب ما استن سالك

وكانت وفاته ليلة الاثنين لثلاثة عشرة بقين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين وثمانمائة رحمه الله تعالى وفيه يقول السيد الجليل عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء:

شريف الأصل من بحر الوصال	سقى كأساً فشاهد ذا الجلال
وغاب عن الوجود يبحر فرد	تعالى عن شريك أو وصال

ودفن بمقبرة زنبل وقبره بها معروف يزار لائحة عليه الأنوار.

﴿محمد الهادي بن عبدالرحمن بن أحمد شهاب الدين بن عبدالرحمن ابن الشيخ علي رضي الله تعالى عنهم﴾

أحد العلماء الذين يستضاء بنورهم في الظلمات ويهتدى بهم كنجوم السماء، الفاضل العلامة والنحرير الفهامة، ذو الفهم الثاقب الذي لا يمنعه كلال ولا إعياء والفكر الذي لا يروج عليه تمويه الأغبياء المستعلي بهمته على كل هام والفائز بالظفر على إرغام كل ضرغام إمام الدرس والفتيا، والمقتدى به في أمور الآخرة والدنيا، ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وتربى في حجر والده السيد الكريم، وحضر دروسه في الفقه والحديث لا سيما المنهاج الذي اعتناه المتأخرون بالكلام عليه في القديم، والحديث وأخذ عنه العلوم الشرعية وآلاتها، وكشف مشكلاتها، وعويصاتها وأخذ الفقه عن الشيخ محمد بن اسمعيل بافضل وأخذ التصوّف عن الشيخ عبدالله ابن الشيخ العيدروس، وأخذ عن غيرهم من علماء ذلك الزمان، وتشرف بأشرف ما شرف به الانسان، ولبس الخرقة الشريفة من كثيرين من الأولياء العارفين، وأذن له جماعة من مشايخه في التدريس والافتاء، وأقرأ كل علم يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا فتصدر وجلس، وأقرأ ودرس في العلم الأنْفَس ، فشاع ذكره في تلك الديار، وقصدته الطلبة من الأقطار، وانتفع به جم غفير، وتخرج به جمع كثير، منهم ولده السيد الجيل أحمد نزيل مكة المشرفة وسيدي الصنو أحمد وشيخنا عبدالله بن زين بافقيه والسيد علي بن عمر فقيه وغيرهم من العلماء والأدباء الفضلاء، ورزق في العبادة أوفر نصيب، وفاق فيها كل أديب، فأصبح ملجأ لكل سالك طالب وباباً مرصداً لتسهيل المطالب، وإنالة المآرب، وكان جواداً كريماً، عفيفاً حليمًا، وكان له في العبادات جلد وقدرة ولا يعتريه ما يعتري بعضهم من الفترة، وكان يحيى الليالي بالقيام، والأيام بالصيام، وكان بصيراً

بزمانه مقبلاً على شأنه، مراعياً لمشايخه وأقرانه، متواضعـاً للخلق أجمعين. سالكاً سبيل السادة الأقدمين المقدمين، زاهداً في الدنيا الفانية قائمًا بنصرة دين الله سراً وعلانية، وبلغني أنه له رسائل في علم التصوّف مشتملة على عبارة كالشمائل أو ألطف، ولم يزل سالكاً أحسن طريقه متصفاً بأكمل أوصاف أهل الحقيقة متمتعاً بروضاتها الأنيقة، حتى انقضت أيامه ودنا حمامه وانتقل إلى رحمة رب العالمين سنة ألف وأربعين ودفن عند قبور سلفه الصالحين، رحمهم الله تعالى وإيانا أجمعين.

﴿محمد بن عبدالرحمن الأسقع ابن الفقيه عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

أبو عبدالله عرف والده بالأسقع امام أهل زمانه بالاجماع، وشيخ أوانه بغير دفاع، ودوحة عصره بلا نزاع، شافعي الزمان، إذا تشاجر الأقران، والمرجع إذا غابت المسألة عن العيان، سيبويه زمانه والمبرد البحر الذي لا يعرف الجزر بل المد، جامع شوارد المتفرقات، وفاتح غوامض المشكلات، ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن والحاوي الصغير للقزويني، ومنظومة البرماوي في الأصول، وألفية ابن مالك والملحة وبعض التنبيه، وغير ذلك من الرسائل الصغار واشتغل ببلده على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بافضل بالعلوم الشرعية، من تفسير وحديث وفقه وعربية، وأخذ عن الشيخ علي بن أبي بكر بن السقاف عدة علوم وقرأ عليه فيها كتباً كثيرة، منها الاحياء قرأه عليه أربع مرات والقوت والعوارف وفي الحديث مؤلفات كثيرة وألبسه الخرقة الشريفة بيده وحكمه التحكيم الخاص، وأذن له في الالباس والتحكيم، وأجازه إجازة عامة في جميع مؤلفاته، ومروياته وكذلك عن الشيخ عبدالله العيدروس ابن أبي بكر السقاف وعن الركن الشديد الولي محمد بن علي عيديد، ثم رحل إلى اليمن ودخل بندر عدن وأخذ عن خاله الامام العلامة محمد بن أحمد بن عبدالله بافضل، وقرأ عليه الامهات الست وهي الصحيحان وسنن أبي داود والترمذي والنسائي، وابن ماجه وقرأ عليه في العربية الصحاح وغيرها، وفي الأصول والنحو والمعاني والبيان كتباً كثيرة وكذلك قرأ على الامام العلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة في العلوم المذكورة كتباً كثيرة نحو ما قرأه على خاله وصافحاه الشيخان المذكوران، وشابكاه المشابكة والمصافحة المتصلة الاسناد، وأجازه كل منهما في جميع مؤلفاته، وجميع مروياته قال عبدالله بامخرمة

في إجازته بعد أن ذكر الكتب التي قرأها عليه ومدحه وأثنى عليه فلما تيقنت معرفته وورعه، وعلمت تفقهه في منقوله ومخترعه، أذنت له أن يروي عني جميع هذه الكتب المذكورة وجميع ما يجوز لي وعني روايته من سائر أنواع العلوم.

وقال الشيخ محمد بافضل في أجازته له أجزت السيد الفقيه العالم العلامة جمال الدين أحد عباد الله الصالحين محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله باعلوي أن يروي عني جميع ما أجازني به الفقيه القاضي محمد بن مسعود أبو شكيل الأنصاري عن شيخه العلامة محمد بن سعيد بن كبن الطبري العدني من مصنفات النووي، والمزني والذهبي وابن النحوي وزين الدين العراقي وابن دقيق العيد والبيهقي، وأبي بكر الخطيب وابن الحاجب والبيضاوي وابن مالك وابن الأثير والأسنوي القرشي وأبي اسحق الشيرازي، والغزالي وابن الصلاح وابن الجوزي والزمخشري وصحيح البخاري، وصحيح مسلم والتفسير والوسيط للواحدي وعوارف المعارف والأربعين الحديث، وعدة الحصن الحصين، وسيرة ابن هشام، ركاب النجم والكوكب للأقليسي والمصافحة للنبي صلى الله عليه وسلم والتشبيك والمناولة، انتهى. ثم رحل إلى زبيد وأخذ عن العلامة محمد الطيب الناشري والعلامة محمد بن أحمد باجميش وغيرهما، ثم سافر إلى مكة وأخذ عن السيد العارف بالله تعالى عبدالله بن محمد المشهور بصاحب الشبيكة قديماً، وهو غير عبدالله بن محمد المشهور الآن بصاحب الشبيكة الذي على قبره القبة لأن هذا ابن صاحب الترجمة وستأتي ترجمتهما إن شاء الله تعالى، وأخذ أيضاً بمكة عن القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة، وعن الحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوي وأجازه في جميع مروياته، وسافر إلى المدينة لزيارة جده محمد صلى الله عليه وسلم، وأخذ عن جماعة بها وجاور بمكة ثم عاد لوطنه، وأذن له مشايخه في التدريس والافتاء فجلس للتدريس، ثم رحل ثانياً إلى عدن وأقام بها نحو أربع سنين، ثم أتى إلى مكة وجاور بها خمس سنين وجد في تحصيل العلوم واقتناص الشوارد من حقائق المنطوق والمفهوم، ثم عاد إلى وطنه ومصره منفرداً في زمانه وعصره متضلعاً من كل علم نفيس واعترف له بالتقدم كل عالم رئيس، وجلس للتدريس والاقراء، وأقبل على نشر العلم يلقي دروساً تجلو عن الاسماع عروساً وروى الأكباد الصادية، بأسانيده العالية، فكثر الآخذون عنه

ودام به الانتفاع، وحاز سعة التلامذة والأتباع، وتخرج به كثيرون من العلما العاملين والأولياء العارفين منهم ولداه عبدالرحمن وعبدالله وقاضي القضاة أحمد شريف بن علي خرد وأخوه الامام المحدث محمد بن علي مصنف الغرر والشيخ العارف بالله حسين بن عبدالله العيدروس، والشيخ أحمد شهاب الدين بن عبدالرحمن بن علي والشيخ الولي عبدالله بن محمد بن سهل باقشير والشيخ أحمد بن سهل باقشير والشيخ علي بن عبد الرحمن باحرمي، والفقيه فضل بن عبدالله باعبدالله والفقيه أحمد بامصباح والشيخ يحيى بن أحمد بن مبارك بارشيد وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم، ويعسر حصرهم، من سائر البلدان، وكان مجلسه مقصد الأئمة والفصحاء ومحط رحال العلماء، وكل من وفد عليه اغترف من بحره واعترف بدره واغتنق من دره ومما جبله الله تعالى عليه أنه يولي المسيء إحساناً والمذنب غفراناً، والخائف أمانة، وإذا دعاه صغير أو كبير جليل أو حقير ذهب معه حيث أراد ولا ينصرف عنه حتى يبلغه ذلك المراد وكان يخاطب كل أحد على حسب علمه ويتنزل للطالب البليد على حسب فهمه، ومن ثم قال شيخه الشيخ علي بن أبي بكر أنَ الفقيه محمد بن عبدالرحمن يفقه الحمير، وكان خطه حسن، وعند كل أحد مستحسن، وكان يكتب كل يوم ورقة واحدة فحصل بخطه ما ينيف على أربعين مجلداً وعدّ ذلك من كراماته، وأما مواظبته على السنن والآثار والأدعية النبوية والأذكار، والقيام في الأسحار، والتمسك بالسبب الأقوى، من التقوى فلا يطيق أحد على فعله ولا يقوى، وكان رضي الله عنه كسلفه لا يتنافسون إلا في الاستقامة ويتباعدون عن إظهار الخارق للعادة والكرامة ولم يسمع له بكرامة إلا ما حكى تلميذه محمد بن علي خرد في الغرر أن بعض خدّامه سرق جميع ما في داره من ماله ومال غيره، فتألم لذلك تألماً شديداً، وشكى ذلك لسيده صاحب الترجمة فقال له: إذهب إلى شعب خيلة تجد جميع ما سرق عليك تحت البريمات وهي بالتصغير صخرات معروفة في ذلك الشعب، فذهب الخادم إليها فوجد جميع ما ذهب عليه، وكان من عاداته إنه لا يدعو على أحد وأن جاهره بالعداوة، وإذا قيل له ادع الله عليه دعا له بالهداية وجرت عادة الله معه إن من آذاه عاقبه الله في الدنيا، ووقع لبعض الجاهلين أنه سفه عليه بمحضر من تلامذته ولم يرد عليه جواباً

فلم تمض مدة يسيرة إلا عوقب وهلك[1].

ومن كلامه رحمه الله تعالى حفظ الموجود أولى من تحصيل المفقود، ومنه كل قرصك والزم خلصك، أشار بذلك إلى القناعة والعزلة عن الناس، ومنه لا يصلح لمن في تريم إلا أن يكون كالتراب أو كالغراب ومنه، ما وقع اللطف في شيء إلا زانه ولا وقع العنف في شيء إلا شانه، وهو مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم: «عليك بالرفق إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه». عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش ومدحه المحدث محمد خرد بقوله:

فقيه شريف حاز فضلاً ورفعة	له نسبة تعلو على كل نسبة
منيف عفيف هاشمي مهذب	ورتبته مجد قد سمت كل رتبة
ولي حي في الصلاح قد ارتقى	لأعلا المعالي فاق في كل خصلة
ومع ورع زهد وسالك وناسك	كذا حسن سمت في الصفات الرضية
وسيرته محمودة عالم الورى	وعلامة فهامة في الشريعة
وعالم بالعلم الشريف وعامل	وقوّام تلاء بوقت الدجنة
ومجتهداي في العبادة مخبت	له خلق مرضي وحسن استقامة
وعارف في كل العلوم ومنفتح	لمشكلها يسمو إلى كل رفعة
إلى عالي العلياء رقى فاستقر في	علا ذرى تلك المعالي العلية
يزاحم في كل العلوم لأهلها	جواباته تشفي بذكر الأدلة
فراساته بالنور بالله يهتدي	وأقواله علم لأهل البصيرة

ولم يزل يدرس ويفتي بما يبهر به الألباب، ويبرز مخبآت العلم بيض الوجوه كريمة الاحساب. مع رياضة النفس وسلوك الطريقة والخوض بالأعمال الصالحة في بحار عميقة وكمال الزهد والورع والقناعة ومتابعة أهل الكمال من أهل السنة والجماعة إلى أن دنى حمامه ومأواه، ودعاه داع المنون فلباه، فتوفى في شوال سنة سبع عشرة وتسعمائة ودفن بمقبرة زنبل وقبره بها معروف ورآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فقال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر ورثاه غير واحد من الفضلاء رحمه الله تعالى وإيانا آمين.

---

(1) في هذا الموضع من الأصل بضع جمل حذفت من هذه الطبعة.

﴿محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن حسين ابن الشيخ عبدالله العيدروس﴾

ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وأكب على كسب العلوم وتحصيلها واجتهد في تحقيق المعارف إلى أن حاز جملة تقصر عنها يد المتناول وان اقتطفها متنبه بأطراف الأنامل، وسلك طريقة سلفه الأخيار ولم يفتر عن سلوكها، ولم يتقهقر عن أن ينتظم في سلوكها، وأخذ عن شيخنا القاضي عبدالله بن أبي بكر الخطيب وشيخنا محمد بن أحمد باجبير، وشيخنا السيد الجليل سهل بن أحمد باحسن، ومن في طبقتهم ممن لا أتحقق أخذه عنهم، واجتهد في الفروع والأصول، وحصل له من ذلك جل الوصول، وخصه الله بأوفر حظ من العُلى والاحسان، وبلغ رتبة أهل العلم والعرفان، وأما الفقه فهو الحامل للوائه، والقائم بحفظه وأعبائه، ثم جلس لانتفاع الطالبين، يلقي دروساً ويدير من العلوم والمعارف لأهلها كؤوساً ويحرر مشكلاتها، ويكشف عويصاتها، فكثر لديه الطالبون، وتخرج به كثيرون، وأوتي بالمكيال الأوفى من الورع والتقوى، ولزوم الطريق الموصلة لرضاء الرحمن، من كثرة تلاوة القرآن، وقيام الليل في الدجا والوقوف في مقام الخوف والرجاء، مع ذكاء اياس وحلم أحنف يعلم ذلك كل من رأى وروى وأنصف، وهو الآن بمدينة تريم موجود، وبعناية الله ولطفه ممدود، باشر علم الفتوى والفتوة على مفارق الأنام ناشل كنانة الفوائد في قبائل المستفيدين من سام وحام.

﴿محمد بن عبدالرحمن بن محمد ابن الشيخ الامام عبدالله بن علوي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

الشهير بحميدان خلاصة أهل الايمان، وسلالة أهل العرفان، السالك طريق سلفه الموصلة لرضاء الرحمن ذو الأنوار والعوارف والمعارف، واللطائف والظرائف، ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم، وصحب الامام العارف بالله عبدالرحمن السقاف. وأولاده ومن في طبقتهم ممن حفتهم الألطاف وجليسهم من ريب الزمان لا يخاف وقرأ في الفروع وبعض الأصول، وحصل له بعض الوصول، وجد في علم التصوّف إلى أن تقدم فيه وبرع وجمع من فوائده ما جمع، ثم غلب عليه الاجتهاد في العبادة ولاحظته العناية والسعادة، فإذا جن عليه الليل ترك الهجوع، وأسال الدموع، وكان مواظباً على الجماعة وتكبيرة الاحرام، إلا لعذر يمنعه عن القيام، رضي بالله صاحباً وترك الناس جانباً، لا يعرف الشهوات واللذات، ولا يسأل عمن راح ومن هو آت. وغير ذلك من الصفات التي تتعطر بذكرها المجالس والمحاضر ويتحف بجميل ذكرها البادي والحاضر إلى أن بلغ ما اعترف عنه غيرة بقصوره والوقوف عن إدراك يسيره، ولم يزل على ذلك إلى أن وافاه القضاء المحتوم، فقدم على الحي القيوم، سنة سبع عشرة وثمانمائة رحمه الله.

﴿محمد ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف﴾

أحد أعيان السادة الأشراف، وواسطة عقد جوهرها الشفاف، وأحد الأئمة الأعلام الذين يقصر عن استيفاء أوصفاهم الأرقام، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، ارتقى سنام ذروة المجد وحاز من الفضائل ما فاق به السعد، ولد بتريم وصحب أباه وتربى في حجره من صباهُ. إلى أن بلغ منتهاه، وأخذ عن جماعة من العلماء العاملين إلى أن تفقه في الدين، ولكن غلب عليه طريقة الصوفية في تحريهم وإجتهادهم، وحسن أتباعهم وباهر انقيادهم، فتفيأ من تلك الرياض في ظلها الوريف، وتضوع من عبير عرفها اللطيف، ثم غلب عليه أحوال غريبة، وواردات عجيبة تغيبه عن حسه، فلا يعرف يومه من أمسه، ولا سيما عند السماع وانقطاع الأصوات، والأسماع فيتحرك عند ذلك منه ساكن القلق ويثير كامن الحرق فيتواجد تواجداً جليلاً، ويستمر فيه زماناً طويلاً، وربما أخبر بما هو آت، وأوضح ما في نفوس الحاضرين من المشكلات، وربما ظهر عند ذلك نور يدهش الأبصار، ويحير العقول والأفكار، ووقع لبعضهم أنه لما شاهد التواجد المذكور، وظهر له ذلك النور، خرّ مغشياً عليه،وبعضهم هام على وجهه وجرى برجليه، وكان والده يحبه ويثني عليه، وكان يقول إن الدعاء يستجاب عند تواجد ولدي محمد فكان الناس عند ذلك يسألون الله ويدعونه فينالوا ما يطلبونه، وكان أخوه الشيخ عمر المحضار يقول في حقه لو وضع في كفة وآل باعلوي في كفة لرجح بهم[1]. وكانت له مكاشفات كثيرة، منها أنه كان يرى الكعبة وهو بتريم، ودخل رجل المسجد وهو جنب فأخرجه منه فعاد ثانياً فأخرجه فسئل الرجل فقال كنت جنباً،

---

(١) في هذا الموضع من الأصل عدة جمل حذفت من هذه الطبعة.

ودعته امرأة للضيافة فأكل قليلاً فتقيأه، وقال هذا سرقة فسئلت المرأة فقال سرقته من مال زوجي، وحكى أن والي تريم يماني بن محمد بن راصع سأله عما سيقع فقال: املأ حضنك طعاماً وإلا أكلت الجلود فلم يلتفت لقوله فقال: رأيت والدي فتح السدة لدوس بن راصع فلم يلبث إلا أياماً حتى جاءه دوس وحاصره حتى أكل الجلود، ثم سلم الحضن لعمه دوس وكراماته كثيرة، وأحواله شهيرة ذكره كثيراً منها في الجوهر الشفاف، وما منحه الله من جميل الأوصاف، ولما قدر الله ما قضاه في الأزل ودنى منه حلول الأجل توفاه الله عز وجل سنة ست وعشرين وثمانمائة.

﴿محمد بن عبدالرحمن ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

المعروف بالأغيبر تصغير غبر ذو السر الأبهر والنور الأظهر، السالك سبيل السلامة والنجاة المراقب لله في سره ونجواه، العامل بما ينفعه في آخرته ودنياه، المجتهد في العبادة حتى أشرق عليه نورها وكلما سود جنح الليالي بيض ديجورها، لا يعتريه في تلك الأعمال خلل ولا يشوب صفوه كدر ولا ملل. ولد بمدينة تريم وحفظ القرآن، وصحب أباه وأعمامه المشهورين، وغيرهم من العلماء العارفين وتفقه بالشيخ أحمد بن محمد باحرمي، ولازمه في دروسه الفقهية وغيرها، وكان يحبه ويثني على فهمه وسلك الطريق المستقيمة وتجنب الأفعال الذميمة، وكان لا يسمع بحضرته غيبة ولا نميمة وكان الغالب عليه العزلة عن الناس والقناعة في الأكل واللباس، والزهد في الدنيا والرياسة فكان يتجنبها كما يتجنب النجاسة، وكان يؤثر الخمول ويتحرى فيما يفعل ويقول، وسبب شهرته بالأغيبر أن والي تريم يماني بن عمر أخذ بعض أمتعة ابن عمه الشيخ الإمام عبدالله بن علوي، وكان غائباً في مدينة العجز فلما سمع بذكره صاحب الترجمة أتى إلى الوالي فوجده يريد أن يركب فتشفع في رد ما أخذه فلم يفعل، فحذره عن ذلك وكان يعجل في كلامه، فقال الوالي ايش يقول هذا الأغيبر ووضع رجليه في ركاب فرسه فنشبت فيه ولم يقدر أن يحرك أحد رجليه فاعتذر إلى السيد ورد ما أخذه إليه، ولما بلغ ذلك الشيخ الإمام عبدالله باعلوي لامه على فعله وحذّره أن يعود إلى مثله، ولم يزل على ذلك إلى أن آن أوان الأمر المحتوم فتوفاه الحي القيوم! تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته.

﴿محمد بن عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن حسن بن علي بن جمل الليل محمد بن حسن﴾

اشتهر كسلفه بالغصن ولعله لقب به لما اتصف به من لين الجانب، والميل إلى الأقارب والأجانب صاحب الفضل اليقين، والدين المتين، والزهد والورع والصلاح، وغيرها من الصفات التي ظهر عليه نورها ولاح، وتمسك بالأسباب القوية من التقوى، وأقام منها بما لا يطيقه غيره ولا يقوى، ولد بتريم ونشأ بها، وحفظ القرآن وغيره كالجزرية والعقيدة والأربعين النووية، وصحب جماعة من أكابر الصوفية، واشتغل بالفقه حتى حصل منه طرفاً صالحاً، ولازم العارف بالله تعالى عبدالله بن سالم صاحب خيله ملازمة تامة وعول عليه في أموره الخاصة والعامة، وجرى في أحواله على منواله، غير متعرض إلى غيره وسار على منهج الطريق الواضح أحسن سير حتى تخرج به في تلك الصناعة وأدخله في عداد الجماعة، وكان له ذكاء يسحر الألباب، وفكر يفتح به ما استغلق على غيره من الأبواب، ولزم الجد في العلم والعبادة ليلاً ونهاراً فلو كان لتلك المحال ألسنة لشافهته جهاراً وشكرت له السعي إليها إقبالاً وإدباراً ثم ظهرت له لوائح البشائر ونصبت للتهاني الأشاير، فانقشع عن سماء قلبه رين السحاب، وظهر له ما لم يكن له في حساب، فحصلت له جذبه، أدهشت عقله ولبه، وغيبت إحساسه وقلبه، فاعتنى به شيخه السيد عبدالله[1] وأقبل عليه غاية الإقبال ورد ماضي من فعله إلى الاستقبال ورجع إلى حاله القديم، وعاد له ما تعود من المدد الجسيم، وكان رحمه الله تعالى قانعاً من الدنيا بالكفاف، متقشفاً لا يتدرع غير ثوب العفاف، حافظاً للسانه مقبلاً على شانه، وقف نفسه على الاستقامة وقصرها، ولو شاء العادّ أن يحصر

---

(١) أي السيد عبدالله مولى خيله المذكور قبلاً. (الناشر).

كلماته لحصرها، وكان لا يخاف في الحق لومة لائم، ولا يخشى بطشه ظالم، وكان عجباً لمن رآه فإنه يراه في غاية من التغابي والخمود بحيث يقضي عليه الجمود، فإذا خاطبه وجده حسن المذاكرة، فكه المحاضرة، أرق من النسيم نفساً، .وأعذب مما في الكؤوس لعساً، وكنت صحبته مدة مديدة وحصل لي منه فوائد عديدة، ولم يزل معاملاً لله تعالى بمحض الاخلاص، ولزوم ما هو سبب النجاة والخلاص إلى أن كر إلى مأواه، ودعاه الداعي فلباه، فانتقل إلى رحمة الله، ودفن بمقبرة زنبل رحمه الله تعالى.

﴿محمد العيدروس بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبدالله العيدروس﴾

المقبور ببندر سورة المحروس أحد العلماء العارفين، والأئمة المجتهدين، الإمام الذي لا يدرك محله والجواد الذي لا يجاريه إلا ظله، شمس الجود وبدر الوجود، والرحمة الشاملة لكل موجود، وبحر عنبري الأرج، فحدث عنه ولا حرج، طراز العصابة، وسهم الإصابة، ولد بمدينة تريم سنة سبعين وتسعمائة يجمعها بالجمل عدد حروف ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرْ﴾ فحفظ القرآن العظيم، وتربى في حجر والده وأرضعه ثدي خالده وتالده، وقرأ عليه عدّة علوم، وتخرج به في طريق القوم، ولما سمع بصفاته جده شيخ بن عبدالله طلبه إليه، واستدناه فرحل إليه، وهو باحمد أباد وهي في بلدان الهند أشهر بلاد، واجتمع به فيها سنة تسع وثمانين وتسعمائة وأشار إلى ذلك جده المذكور في بعض قصائده بقوله (قدومك حافظ للشمل فاجمع) فإن عدد حافظ كذلك، ولازم جده في جميع دروسه وأحواله، واقتدى به في أقواله وأفعاله، فبلغ ما لم يبلغه المشايخ الكبار، وبرع في الفضائل براعة لا يشق لها غبار، وقرأ عليه في كثير من العلوم عدة شروح ومتون، وتخرج به في عدة فنون وألبسه الخرقة الشريفة، وصافحه المصافحة الشهيرة المنيفة وحكمه التحكيم التام وأذن له في الإلباس والتحكيم الأذن العام، وجعله ولي عهده والقائم في مقامه من بعده، ثم انتقل جده شيخ المذكور سنة تسعين وتسعمائة فقام بمنصبه الكريم أتم قيام، من إطعام الطعام، والنفع العام للخواص والعوام، وأنفق على جميع من كان يمونه جده من أهل الهند وأهل حضرموت، وأجرى الصلة على من كان يواصله ولو مرة قبل الموت، ولما سأل عنه والده عبدالله السيد الولي، أحمد بن علي أجابه بقوله الذي اعتقده فيه أنه أحسن من أبيه، فسجد والده شكرا لله وقال هذا الذي كنت أوده وأتمناه، ولا يود أحد أن

يكون أحد أحسن منه إلا البار من بنيه ولو كان ذلك الغير أخاه أو أباه، وناهيك بها شهادة بفضله واعترافاً بسمو مقداره ونبله وبعد انتقال والده أجرى ما كان يجريه والده من نفقة وكسوة وغيرها فكان الوارث لأبيه وجده، وحامل راية المفاخر من بعده، ثم ارتحل من أحمد أباد إلى بندر سورة واستوطنه فاشتهر كل الاشتهار، وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار، واعتقده أهل تلك الديار المسلمون منهم والكفار وكان سلطان الهند يعرف قدر محله ومكانه، ويرجحه على سائر أهل زمانه ويجري عليه كل يوم ما يكفيه من النفقة العظيمة، ويوصله بصلات جسيمة، وكان كثير العطايا والمكارم كريماً لا يقاس كرمه إلا بحاتم، وكان مع كثرة مدخوله لا يفي ذلك بنفقته وربما زاد عليها ضعفين أو أكثر بالدين، وكان قطب الشريعة وأساسها، وقلب الحقيقة إذا صلح صلحت رؤسها، وكان الطلبة ترحل من الشرق والغرب إليه، وتتمثل بالجلوس بين يديه، فشاد دروس العلم بعد دروسها، وأحيوا مواتها حتى لاحت نور شموسها، فانتفع به كثير من الطالبين، المقيمين منهم والوافدين. وكان مواظباً على سنة سيد المرسلين، وطريقة سلفه الصالحين، وكان من أكابر الزاهدين، والعلماء الورعين حافظاً للسانه، موزعاً لأوقاته وأزمانه وكان يتفكر في الملك والملكوت أحياناً، وربما استغرق فيه أزماناً وكان من شدة استغراقه فيه لا يشعر بمن دخل عليه، وغير ذلك من الصفات الحميدة التي شهد بها العيان، ولا اختلف فيها اثنان، ولم يزل موفور العز والجاه، سالكاً سبيل الفوز والنجاة إلى أن دعاه مولاه فلباه، فتوفي إلى رحمة الله سنة إحدى وثلاثين أو سنة ثلاثين وألف بضبطه عدد (لاح بالهند ضياء)، ودفن ببندرسورة وبنى عليه الخواجا زاهد بيق قبة عظيمة وبنى عندها مسجد وبركة ماء وأجرى لمن يقرأ عليه أجرة وأوقف على ذلك ضياعاً وأراضي ورياعاً[1].

---

(١) في هذا الموضع من الأصل جمل حذفت من هذه الطبعة.

﴿محمد ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

أحد الأئمة العارفين وأجل الزهاد الورعين وأكمل العلماء أهل الكمال الذين تضرب بها الأمثال خلاصة أهل الجود والكرم، المعروف بمحاسن الأوصاف والشيم، كيف لا وقد تفرع من جرثومة النبوة وتدرع جلباب الشرف والمجد والفتوة، ولد بتريم، ونشأ بها في عز مقيم، وجاه عظيم واشتغل بتحصيل العلوم والمعارف، واقتناص الآداب واللطائف، فأخذ الفقه والتصوف عن والده ولازمه في دروسه وأخذ عن غيره من علماء عصره، منهم السيد أحمد بن عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط والشيخ عبدالرحمن بن علي الخطيب، ثم رحل إلى اليمن فسمع على جماعة كثيرين، ثم إلى الحرمين وأخذ عن علمائهما عدة علوم وجاور بهما وكان كثير الرياضات، كثير الاجتهاد في العبادات، ملازماً للسيرة النبوية، متمسكاً بالكتاب والسنة المحمدية، يحب الفقراء والمساكين، ويتردد على الغرباء والمنقطعين ويسعى في قضاء حوائج المسلمين مع التواضع التام، والزهد العام وله كرامات، خارقة للعادات[1]. منها أن بعض بني عمه نذر له بخمسة دنانير في نفسه فلما جاءه طلب منه الخمسة الدنانير فقال له متى فقال في يوم كذا وأنت في السفينة الفلانية فاعترف بذلك، ومنها ان بعضهم نذر بكبش معين ثم أتى له بكبش آخر فلم يقبله، وقال كبشي صفته كذا وكذا وغير ذلك. من الكرامات الطاهرة والأمور الباهرة. وكان كريماً ينفق جميع ما في يده ويقول: كل يوم له رزق، وكان متقللاً من الدنيا ورياستها متباعداً عن مستلذاتها،

---

(١) في هذا الموضع من الأصل عدة جمل حذفت من هذه الطبعة.

وسمعه بعض أولاده يضرب شيئاً ويدفعه فسأله عنه فقال هذه الدنيا تريد تدخل علينا من حيث لا نشعر ولم يزل مشمراً ذيل الجد والاجتهاد، ساعياً في مصالح العباد إلى أن آن وقت الرحيل إلى دار المعاد، فتوفي ليلة الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وقبر بمقبرة زنبل بقرب قبر عبدالله ابن الأستاذ الأعظم رحمه الله وإيانا.

﴿محمد بن عبدالله بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

المجتهد في تحصيل الفضائل، المخصوص بحسن الشمائل، الحائز لفضيلتي الكرم والحلم الفائز بشرفي الكتب والعلم جميل الأوصاف نخبة الأشراف ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم وصحب أباه وعمه الشيخ عبدالرحمن السقاف، وتخرج به ومنحه الله السعادة والاقبال، والتوفيق في جميع الأحوال، وتفقه وتصوف على جماعة من العارفين وسلك سلوك الأئمة المجتهدين، مع الاجتهاد في الطاعة والعبادة وغير ذلك مما يرجو به الحسنى وزيادة، والتنسك والزهادة، ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وأخذ بهما عن جماعة من العلماء العارفين، وإلى ظفار الحبوظي وغيرها ثم عاد إلى وطنه وألقى عصا السير ونصب نفسه لنفع الصغير والكبير، وكان مقصدا للوافدين، ومأوى للفقراء والمساكين، وما خاب من قصده وعمد إلى جنابه، ويقوم بمؤنته إلى ذهابه، وكانت له كرامات كثيرة، وأنوار منيرة منها أنه لما رجع من الحج تلقاه أهل بندر الشحر بموكب عظيم وازدحمت الناس للسلام عليه، وكان يوم الجمعة فقيل إن خرجت إلى الجمعة، أتعبتك العامة بالازدحام، وتقبيل الأيدي والأقدام، فقال أخرج ولا يروني فخرج وصلى الجمعة ولم يره إلا خواص أصحابه. ومنها أن بنته سقطت من ظهر جمل على مكان كثير الحجارة وكان هو بالشحر فرآه بعض أصحابه كأنه أمسك شيئا، فسأله عن ذلك فقال بنتي علوية طاحت فأمسكتها بيدي فكان سقوطها في ذلك الوقت ولم يصبها شيء قالت بنته لما سقطت غبت عن حسي ورأيت والدي حملني ووضعني على الأرض، ومنها أنه كان بظفار وسافر أهل حضرموت منها لحضور الخريف وتأخر بعضهم واجتهد أن يجد من يلحقه بالقافلة فلم يجد فتعب لذلك فأتى إلى صاحب الترجمة فشكى إليه حاله وأنه إن تأخر فاتت مصالحه،

فبشره بلحوق القافلة، ثم جاء اثنان إلى صاحب الترجمة يختصمان فأصلح بينهما ثم أمر أحدهما أن يركب بالرجل المذكور، ويلحقه بالقافلة وبين ظفار وحضرموت برية مخوفة لا يمشي فيها إلا القافلة فسافر به إلى أن ألحقه بالقافلة، ومنها أنه سافر بأهله فنفذ ماؤهم ومحل الماء بعيد عنهم وعطش أهله عطشاً شديداً وقال الجمال لا أعلم ماء في هذا المحل فأخذ صاحب الترجمة وغاب عنهم زمناً يسيراً وجاء بالقربة مملوءة ماء، وكان الغالب عليه سلامة الصدر وطبائع البادية وكان عمه يقول له أنت من بدو الصوفية ولما كبر قال له أنت الآن من كبار الصوفية، وكان مواظباً على الرواتب والسنن حتى في المرض الشديد ويتكلف الوضوء بالماء والقيام في الصلاة، ولما مرض مرض الموت أرسل إلى العارف بالله تعالى عبدالله بن أبي بكر العيدروس، فأتاه فسأله عما يثبت القلب عند الموت فقال له كثرة قراءة آية الكرسي، فقال له صدقت وكنت أرى أن الذي يثبت القلب دعاء الكرب المشهور ثم أوصى ثم غشي عليه فقال له ابن أخيه عبدالله بن أحمد قل لا إله إلا الله فقال ما تركتها حتى تذكرني بها لا تخف علي أنا ثابت إن شاء الله ثم اشتد به المرض فصلى المغرب والعشاء جمعاً ولما احتضر قال لمن عنده ليقرأ كل واحد منكم آية الكرسي مائة وثلاثة عشر مرة وقرأ هو سورة البقرة فخرجت روحه الشريفة مع فراغها، ورؤي بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال أعطاني ما لا نهاية له ولا خطر لي ببال، فقيل له: بم نلت ذلك فقال بكثرة ذكر الله تعالى فقيل له إذا مات أحد من الأولياء أبدل الله مكانه شخصاً فمن بدلك فقال لا يطلع عليه إلا من أطلعه الله عليه رحمه الله وإيانا.

﴿محمد بن عبدالله ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

الشهير بالنقيطي ذو الفضائل العديدة، والشمائل الحميدة، المرتقي بهمته العلية إلى المراتب السنية زمام أهل الايمان والإسلام، والعروة الوثقى التي من استمسك بها فلا انصرام، ولد بتريم ونشأ بها وصحب أباه وأعمامه الكرام، ومن في طبقتهم من السادة والعلماء العظام، وسار على أحسن نظام سيرة جده محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأخذ الفقه والتصوّف عن الشيخ الإمام عبدالله باعلوي وتخرّج به وكان كريماً سخياً تصـدق بجميع مـاله، ويخفي صدقته حتى لا يعلم ما تنفق يمينه من على شماله، وكلما دخل عليه شيء أنفقه في يومه، وعم نفعه قومه وغير قومه، وكان له صبر شديد على شدة الجوع، وكثرة السهر، وقلة الهجوع.

وحكي أنه جاع ليلة من الليالي فدار في بيته لعله يجد كسرة من الحلال حتى غشي عليه وطاح، واستمر كذلك إلى الصباح، حتى جاءه نبي الله تعالى أبو العباس الخضر عليه السلام فأتاه بأطيب طعام وكان لا يبيت على معلوم ولا يترك شيئاً في بيته من المشروب والمطعوم لما علم أن الخضر عليه السلام لا يجتمع إلا بمن كان هذه حالته فكيف بمن جعلها عادته، وحكي أن بعض أصحابه رأى عنده رجلاً غريباً، وهو مقبل عليه بكليته فظن أنه يسأله عن مسئلة فسأله عن مسألته فقال له ذاك أبو العباس الطيب الأنفاس لم لا سألته الدعاء بما تريد، فقال: أنت عوضي فيما أريد وصحبـه كثيرون وانتفعـوا بصحبته، ونال كل واحد منهم كمال أمنيته، فمنهم من انتفع به في الدين ومنهم من نال خير الدارين. (وحكي) أن أخته فاطمة كان معها بقرة فغصبها الوالي، فلما سمع بذلك أتى إلى جدار البيت التي هي فيه وتكلم بكلمات

فانهدم الجدار، ورجعت البقرة إلى صاحبتها. وحكي أن الصبرات حصل منهم أذىً لبني علوي بعد موت صاحب الترجمة، فرآه بعض أصحابه في المنام، يقول أنا النقيطي، وكان يعرف به في حياته، وكبر في أربعة مواضع، فلما أصبحوا وجدوا أربعة من مشايخ الصبرات كل واحد مقتول في محل من مواضع التكبيرات، وكان رحمه الله يحب الخمول ويتحرى ما يفعل، ويقول كثير الحزن والبكاء، كثير التضرع والدعاء، لا سيما في الأسحار، وأطراف النهار. وكان كثير الخلوة والانعزال، وربما حصل له بعض الخبال، فيداويه باجتماع أصحابه، والمذاكرة مع أحبابه ولم يزل على تلك الحالات، إلى أن آن وقت الممات.

﴿محمد المعلم بن عبدالله الشهير بعبود بن محمد مغفون بن عبدالرحمن بن أحمد بن علوي بن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط رضي الله عنهم﴾

اشتهر بصاحب باجليل السيد الجليل الفقيه النبيل، واسطة عقد الأكرمين غوث الضعفاء والمنقطعين نتيجة العلماء المحققين برؤيته تنشرح الصدور وبدعائه ترتجى الرحمة للأحياء وأهل القبور، ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن والجزرية وبعض الشاطبية وأحكم علم التجويد، وقرأ في الفقه حتى حصل منه ربع العبادات، وأخذ علم التصوف عن جماعة من السادات، ثم نصب نفسه لتعليم القرآن العظيم احتساباً لوجه الله الكريم، فختم القرآن عليه خلق كثير وجم غفير، وكان حسن الأخلاق يجلو أبكار الأنس من خدورات الأوراق، كثير الضحك والتبسم، كثير البشاشة عند التكلم ترتاح النفوس برؤيته ارتياحاً، وتنشرح الصدور بطلعته انشراحاً، وكان يحب عمارة المساجد فإذا علم بمسجد خراب اجتهد في عمارته، من مال تجارته، فعمر مساجد كثيرة، وأوقف عليها ما بقي بعمارتها وصيرها منيرة، منها مسجد الشيخ الجليل الشهير بباجليل، ولم يكن شريفاً وكان صاحب الترجمة يكثر الاعتكاف فيه فاشتهر به مع أنه عمر مساجد كثيرة، وكان رحمه الله يكثر الاعتكاف لا سيما في الجامع يوم الجمعة، وكان كثير التحمل لأجلاف العوام يخاطبهم بلين الكلام، وقاسى من بعض الحساد مشقة شديدة ودب إليه عقارب مكره، فرد الله كيده في نحره، والله غالب على أمره، وكان يحسن إلى من أساء اليه ولا قط يوماً دعا عليه، ولم يزل على غاية الرضى والسرور إلى أن قرب وقت الرحيل الى القبور، فتوفي إلى رحمة الله سنة خمس وسبعين وتسعمائة رحمه الله تعالى.

﴿محمد بن عقيل بن شيخ بن علي بن عبدالله وطب بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله عن الجميع﴾

المشهور بصاحب مديحج أفضل المتأخرين، وعلم الأكابر الزاهـدين، وإمام العلماء العارفين وسر الأئمة الورعين، حل من العلوم أعلى رواق، وحاز في مضمار المعارف قصب السباق، وارتوى من بحار الكمالات فلم يـزل كؤوسه دهاق، ورقي من المكارم ذراها، وتمسك من الشريعة بأوثق عراها ولد بتريم ونشأ في سوحها العظيم ، محفوظاً من الشيطان الرجيم وحفظ القرآن المجيد وتلاه بالتجويد وقرأ في علم التوحيد، ما حقق دلائله لا بالتقليد، ثم اشتغل بعلوم الشريعة والطريقة، ثم بعلوم التصوف والحقيقـة، فقرأ عـلى القاضي السيد محمد بن حسن المتقدم في الفقه والعربية وعلى العارف بالله حسين بن عبدالله بالحاج بافضل كثيراً في العلوم الثلاثة الشرعية، وكذلك على الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن والسيد علي بن عبدالرحمن، ثم لازم الإمام العارف بالله تعالى أحمد بن علوي باجحدب في جميع دروسه وأحواله، واقتدى به في جميع أفعاله وأقواله، إلى أن رسخ قدمه ومد باعي لسانه وقلمه، وقطع الله عنه العلائق، وأزاح عنه الموانع والعلائق، والعوائق، ثم جلس للإقراء والتدريس، في كل علم نفيس، فوفد الطلبة عليه الجفلا ووردوا من علومه نهلاً وعلا، وتخرج به جماعة من العارفين منهم السيد أبوبكر بن علي خرد والسيد الجليل عبدالرحمن بن عقيل، والسيد عمر بن أحمد منفر والسيد عبدالرحمن بن عمر بارقيه، وكان له اعتناء تام بإحياء علوم الدين، ويفضله على سائر كتب المصنفين فكان يقرأ منه جزأ كل يوم سوى غيره من سائر العلوم وكان ملازماً للاعتكاف في مسجد مديحج المشهور، وبالأنوار والبركات

مذكور، وبالطاعات والجماعات معمور، لا يخرج منه إلا لعذر مانع أو لصلاة الجمعة في الجامع، وكان يصلي الصلوات أول وقتها، ولا يؤخرها إلا بقدر راتبتها، ومن لم يكن متوضئاً قبل الوقت فاتته جماعتها، وكان يحضر الجماعة معه خلق كثير وجمّ غفير بحيث أن المسجد بهم يضيق ويصلي بعضهم خارجه في قارعة الطريق، ولم يتزوج كشيخه تقديماً لما هو أحق بالاهتمام، ومعلوم أن باختلاف الأحوال تختلف الأحكام، وسيأتي الجواب عن هذا بما يزيل الإشكال فيه والإبهام، وكان يتحرى الاحتياط في جميع أحواله، ويجتهد في الخروج من خلاف الأئمة في جميع أحواله وأقواله وأفعاله، وكان يجري أوقاته بالوظائف، وجعل لكل وقت ما يليق به من الأعمال الشاقة واللطائف، وكان يحب الفقراء ويكرمهم ويعظم العلماء، ويحترمهم ولم يزل متصدياً لنشر العلوم والعرفان، على الطريقة التي توصل إلى رضاء الرحمن إلى أن وافاه القضاء المحتوم فانتقل إلى جوار الحي القيوم سنة خمس وألف، وحضر الناس للصلاة عليه من كل فج عميق حتى ضاقت بهم الطريق، ودفن بمقبرة زنبل وقبره بها معروف رحمه الله تعالى ونفعنا به.

﴿محمد بن علوي بن أحمد ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم رحمهم الله تعالى﴾

إمام العلماء العارفين، وشيخ الأئمة المجتهدين، وحامل لواء المتأخرين، سبح في بحار العلوم مع تلاطم أمواجها، وسرى في ليالي الفهوم مع غيهب أدلاجها، ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم والتنبيه وأكثر المهذب وتفقه على الفقيه عبدالله بن فضل وأخذ العلوم الشرعية والتصوف عن الشيخ الإمام عبدالله باعلوي، وتربى به في السلوك وتخرج به وألبسه الخرقة الشريفة وحكمه التحكيم الشريف وأذن له في الإلباس والتحكيم، وأخذ الطب والفلك والحساب عن الشيخ سعد الفقيه بن محمد بافضل، ثم رحل إلى اليمن فأخذ عن جماعة من علماء زبيد وتعز وعدن، ثم حج بيت الله الحرام وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام وجاور بالحرمين، وأخذ عن علمائها المستوطنين والوافدين، وأكثر من السماع في هذه الأقطار،والأخذ عن المشايخ الكبار، ممن يطول ذكرهم ويعسر حصرهم،ثم رحل إلى بندر مقدشوه الشهير وكان بها إذ ذاك من العلماء كثير، فأخذ عن علمائها عدة علوم ولازم بها الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن عبدالصمد الجهوي واعتنى به الشيخ وقرأ التفسير والحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية، وتقدم في هذه العلوم وبرع وجمع فيها ما جمع، وشارك في الأصلين والمعاني والبيان والمنطق، وكان يقرأ عليه المهذب في سنة والتنبيه والوسيط والوجيز في سنة، وكان في أول طلبه سمع أن علي بن أحمد با مروان كان يقرأ كل واحد منها في سنة فطلب من الله تعالى أن يرزقه ذلك فاستجاب الله دعاءه وأعطاه ما تمناه، وكانت قراءته عليه قراءة تحقيق مع بحث وتدقيق، وكان يطالع قراءته بالليل فيستغرق نصفه أو جله، وربما استغرق الليل كله، وحكي أنه احترق عليه بالسراج ثلاثة عشر عمامة عند مطالعته لشدة استغراقه فيها وإذا أحس بالنوم خرج إلى ساحل البحر

يكرر محفوظاته وليحفظ أوقاته، ولم يزل على ذلك حتى حاز علوماً فاق بها أهل زمانه، وتقدم بها على أقرانه، ثم رجع إلى بلده تريم متضلعاً من كل فن عظيم، فسطع بها بدره، وعلا صيته وارتفع قدره، ثم جلس للإقراء وانتفاع الناس وأحيا العلوم بعد الاندارس، فرحلت الطلبة إليه، وتمثلت بين يديه، وقصد من كل نادوواد وألحق الآحفاد بالأجداد. فممن أخذ عنه وتخرج به الإمام العارف بالله عبدالرحمن السقاف والشيخ محمد بن أبي بكر باعباد وأجاز هذين إجازة عامة في جميع مروياته والإمام الكبير محمد المعلم بن عمر ابن محمد ابن أحمد بن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم والسيد الجليل أحمد بن محمد أسد الله والشيخ الفقيه سعد المعلم باعبيد والعارف بـالله فضل بن عبـدالله بافضـل ومحمد بن أبي بكر باعباد وغيرهم من آل بافضل والخطباء وآل باحرمي، وآل باقشير وآل باعباد والعموديين وغيرهم من سائر الآفاق ممن تضيق عن حصرهم بطون الأوراق، وكان أفصح أهل وقته قلمّا وأمكنهم في دقائق العلوم قدماً، وأسرعهم بياناً وأثبتهم جناناً. وأعلاهم إسناداً وأرفعهم عماداً وكان في طريق القوم قطب رحاها، وشمس ضحاها وكان متواضعاً لم تسمع منه دعوى في شيء من العلوم، وكان كثير الصمت قليل النوم زاهداً في الدينا وريـاستها ومناصبها ولا تفرج على الملوك في مواكبها، وكان يرى حلال الدنيا كالميتة لا يأخذ منها إلا ما اضطر إليه، وكان كريماً جوّاداً وكان ينفق على ممونه النفقة الطيبة، وكان ينفق على ثلاثة بيوت تبرعاً واحتساباً، وكان يكرم الضيف ويفرح به وكان كثير الاعتناء بجيرانه كثير التعهد لأصحابه، وأعوانه وكان يقول لهم من لم يكن عنده نفقة فليأت إلينا، وما طلب منه أحد إلا أعطاه ما طلبه فإن لم يكن عنده أعطاه ثمنه أو استصبره، ثم اجتهد فيه حتى يحصله وأكثر أعماله متعدية إلى غيره مع حسن النية وطيب الطوية، وأكثر طاعاته قلبية، وكان يحيي ما بين العشاءين وكان يكثر من قراءة إذا زلزلت وقد ورد في الحديث أن قراءتها مرتين بختمة، وكان يكثر زيارة القبور ويكثر المكث عندها لا سيما ضريح الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم لكثرة ما يحصل له من مزيد الفضل، وكان كثير الاعتناء بالأذكار النبوية، والأخلاق المحمدية وكان يقول لو نظرنا إلى أنفسنا بعين التحقيق كنا من المجانين صرفاً، ومن كلامـه إذا حصل الاعتقاد زال الانتقاد، ومن علامة المحب أن يجعل لما يفعل المحبوب تأويلاً،

كم من مشهور في بركة مستور أولئك قوم أحبهم الله فسترهم، وكان له صبر على الأمراض والأسقام، وكانت تعتريه في كل عام، ولما انكسرت رجله جيء له بمن يصلحه فقال: لا يمكن إصلاحها إلا بعد تمام كسرها فإن كان لك صبر على ذلك فعلت فقال افعل فكسرها ولم يتأوه، ولم يتألم فسئل عن ذلك فقال: تفكرت عذاب أهل النار فأذهلني عن هذا الألم وأنشد

لذكر البان أذهلني إلى أن فني كلي عن الاحساس طرا

له كرامات كثيرة منها ان الشيخ فضل بن عبدالله خرج مع صبيان يلتقطون المتساقط من السدر فرآه صاحب الترجمة فناداه وعصر أذنه حتى أوجعه وقال: ما يليق بك هذا استعد لما يطلب منك أو كما قال فقال الشيخ فضل فأثر ذلك في قلبي، واجتهدت في تحصيل العلوم إلى أن فتح الله وشكى إليه الشيخ فضل الوسوسة فقال: له ما تعود اليك فذهبت عنه وشكى إليه فترة في العبادة فقال: أحمد الله حيث استعملك في الخير على أي حال، ولم يستعملك في الشر على أي حال، ومنها أن بعض خدامه سرق عليهم جرم، وكان في أيام الشتاء فأتى إلى بيته فوجده قد بكّر إلى الجامع على عادته من الفجر فأتى إليه فقال له قبل أن يتكلم إرجع إلى بيتك قد رده السارق فكان كما قال[١]. وأما من أثنى عليه من مشايخه وغيرهم فكثيرون ومدحه فضلاء عصره بقصائد طنانة لم أظفر بشيء منها أثبته له كغيره من العلماء. ولم يزل بتريم إلى أن انتهى عمره وانقضى، وحان حينه وقضى، وكانت وفاته يوم الأربعاء في ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة وشيع جنازته من الخلق من لا يحصى حتى ضاق بهم الفضاء ودفن بمقبرة زنبل وقبره بها معروف يزار ويتبرك به رحمه الله رحمة الأبرار.

---

(١) في هذا الموضع من الأصل حكاية حذفت من هذه الطبعة.

﴿محمد بن علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى رضي الله عنهم﴾

أبو علوي جمال الدين محيي سنة سيد المرسلين إمام العارفين وأستاذ العلماء العاملين، الداعي إلى سبيل السالفين، الحجة الثابتة على قاضي العقل والشرع والمحجة التي فيها الأصل ويتفرع الفرع ولد بمدينة بيت جبير، ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وغيره من الكتب، وصحب أباه ومن في زمانه من المشايخ العارفين والأئمة المجتهدين، وتفقه على الإمام ابن عمه بصري وغيره من بني بصري وجديد وسمع من كثيرين واجتهد في طلب العلم النافع حتى حصل من الفقه والحديث والتصوف طرفاً صالحاً وشارك في العربية والأصلين ولازم التقوى، وما يرضاه عالم السريرة والنجوى، وكان يحتاط في جميع أموره فلم يستعمل إلا ما تحقق حله، وعلم أصله وفصله، وانتفع به كثير من طلبة العلم وغيرهم، وكان كامل الأخلاق الرضية والشمائل المرضية جواداً سخياً تقياً نقياً، وكان مجلسه مجلس وعظ وتذكير وحثّ على فعل الصدقة والخير، وكان بيت جبير كثير المياه والأنهار كثيرة الخضرة والأشجار وكان كثير التنزه من بستان إلى بستان والتنقل من شان إلى شان مع مصاحبة الأخوان والخلّان، ولم يزل في بيت جبير ملازماً لفعل الخير إلى أن اختار إليه ما عنده العليم الخبير فتوفي وله من العمر ست وخمسون سنة، ولم أقف على تاريخ مولده ولا وفاته ولا يعرف قبره ومدحه كثيرون ورثاه آخرون بقصائد بليغة ومقاطيع بديعة ولم أظفر بشيء منها أثبته هنا رحمه الله تعالى ونفعنا به.

﴿محمد بن علوي بن علي بن أحمد بن محمد بن علي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم﴾

عرف أبوه بالشاطري القائم بالأسحار، الصائم بالنهار كثير التلاوة والاذكار، حامل راية المفاخر وعلم العلماء الأكابر، ولد بتريم وحفظ القرآن وغيره من الكتب المشهورة، وكان حسن الحفظ سريعه يكاد يحفظ الكتاب من قراءته مرة واحدة، وكان يحفظ إحياء علوم الدين عن ظهر قلب، ويلقيه درسا من حفظه، وكان فقيهاً في الدين عالماً بسير الأولين لا سيما سيرة سيد المرسلين وشارك في علم الحديث والعربية ودرس في علم التصوف وغيره وانتفع به جماعة، وكان كثير الأسفار على جاري عادة التجار فرحل إلى زيلع، وأقام بها واستوطن عدن وولد له بها أولاد نجباء، وكان مقبلاً على شانه حافظاً لأعضائه ولسانه، وكان يقوم الثلث الأخير من الليل يقرأ فيه القرآن كله وكان يفضل الفقر على الغنى والخلوة على الملا ولم يزل مواظباً على الأوراد ودرس القرآن حتى انتقل إلى جوار الرحمن، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وثمانمائة، ودفن ببندر عدن المحروس رحمه الله تعالى وإيانا.

﴿محمـد بن علوي بن محمـد بن أبي بكـر بن علوي بن أحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف رضي الله عنهم﴾

نزيل الحرمين الشريفين، وامام المشرقين والمغربين، المتفرع من دوحة السيادة، المترعرع في روضة السعادة، المرتقي بهمته إلى أشرف مقام، على العلماء الاعلام، عين الأعيان ونادرة الزمان المشار إليه بالبنان، درة العقد الفريد، وغرة أطلعها الشرف في وجهه كما يريد، سطع نور فضله فأشرق وأغص الحساد بزلاله وأشرق، ولد ببندر الشحر المحروس ونشـأ بسوحـه المأنوس وكان مولده سنة اثنتين وألف وحفظ القرآن ولازم قراءته في أكثر الأزمان، وصحب العلماء الأعيان فأول من صحبه الامام العارف بالله تعالى ناصر بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتربى في حجره ولاحظه في جميع أمره وأخذ التصوّف والفقه عن الفقيه السيد عمر باعمر، ثم رحل إلى مدينة الأشراف تريم المحفوفة بالألطاف، وأخذ عن شمس الشموس زين العابدين علي بن عبدالله العيدروس، وعن السيد الجليل عبدالرحمن بن عقيل، وعن السيد الكبير أحمـد بن حسين العيـدروس والعارف بـالله عبدالله بن أحمـد العيدروس، والعارف بالله زين بن حسين بافضل وغيرهم وأمره شيخه السيد عبدالرحمن بن عقيل بالخلوة في زاوية مسجد الشيخ علي أربعين ففعل وحصل له الفتح، الأنفس والشرف الأقعس، وظهرت له أمور كالصبح إذا تنفس ثم رحل إلى قرية السادات المشهورة بعينات، وأخذ عن إمامها المقدم على أقرانه وقدوة أهل زمانه الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم، وعن أخويه الحامد والحسن وغيرهم من السادة الكبار، وأخذ عن الشيخ العارف بالله الاريب الامام حسن بن أحمد باشعيب الأنصاري، ورحل إلى الهند وأخذ عن السيدين الجليلين الشيخ عبدالقادر بن شيخ بن عبـدالله والشيخ محمـد بن عبدالله العيدروسيين، وأمره الشيخ عبدالقادر بالرحلة إلى الشيخ الولي السيد عبدالله بن علي.

فرحل إليه وهو بالقرية الشهيرة بالوهط ولازم صحبته وألبسه الخرقه الشريفه وحكمه، وأمره بالحج فحج سنة تسعة عشر وألف حجة الاسلام وزار جده عليه السلام، ثم عاد إلى شيخه وقد أحرز من الفضل النصيب الأوفر وتمسك بما أخجل طيب نشره المسك الأذفر، فأقبل عليه بوجهه الكريم، واختبره بامتحان عظيم، وعركه عرك الأديم، حتى تحلى بأدب يثني عليه الخناصر وفضل يثني عليه العناصر، وكمال ظاهر باهر، وزوجه ببنته وأسكنه في باطن مهجته، ثم انتقل شيخه سنة تسع وثلاثين وألف، فحج عن شيخه حجة الاسلام، وزار طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فورد من منهل أمله العذب المعين، وفتح عليه من المدد النبوي الفتح المبين، ثم رجع إلى وهط اليمن وأراد أن يجعلها محلاً للوطن، فلم تطب له الاقامة بها لتغير أمورها وظلم أميرها على مأمورها، وأنشد لسان حال معمورها:

أمــا الخيــام فــإنها كخيــامهــم وأرى نســاء الحي غـير نســائهـا

فانثنى إلى وطنه بندر الشحر المعمور، وكان إذ ذاك بالفضل مغمور، وكان رحمه الله تعالى في غاية الخمول المبين، ويخفي حاله حتى لا يكاد يبين، فما مضى عليه زمن قريب، إلا حصل له ظهور عجيب، ظهرت منه خوارق البرهان، واشتهر في جميع تلك البلدان، وقصده الناس من كل مكان، ثم قصد قطر الحجاز ونصب فيه خيامه، وعزم فيه على التوطن والاقامة، واعتقده أهله فوضعوه في المفارق تاجاً وأطلعوه في أفقهم سراجاً وهاجاً، وانعقد على ولايته الاجماع، وتفرد بالكمال فبهر النواظر والاسماع واصطفيت له الحدائق الزاهية، وشيدت له القصور العالية، فكان ملجأ للوافدين، وعلماً ظاهراً للقاصدين ومن قصده قال في ظل وريف، ومن لجأ إليه ظل من ثمرات فضله في خريف وهو أحد مشايخي في علم الشريعة والطريقة، ومن أجل مشايخي في علم الحقيقة، وتفيأت في ظله الوريف بين خصب وريف، وأخذ عنه الطريقة ولبس منه الخرقة الأنيقة، كثيرون لا يحصرهم عد ولا يضبطهم حد وكانت حضرته معدن المعارف والعلوم ونزهة تزيل هم كل مهموم، وأما كرمه فعباب لا تكدره الدلاء وسحاب تتقاصر عنه الأنواء، ومن كراماته الظاهرة العظيمة استقامته على الطريقة المستقيمة، فقد قيل الاستقامة أوفى كرامة يواظب على

الجمعة والجماعة ولا تمضي عليه ساعة إلا وهو مشتغل بطاعة، ومنها أن الدنيا لا تذكر في حضرته الجسيمة ولا الغيبة ولا النميمة كما شاهده العيان وشهد به الأعيان ومنها أن من رآه ذكر الله ومن شاهده ذهل عن آخرته ودنياه، وعمل بما يرضاه ربه ومولاه ومنها أنه ما دعا لأحد من أصحابه إلا استجيب دعاؤه وحصل للمدعو له ما تمناه، ومنها أني عند الملاقاة خطر بالبال والفكر أن يلقنني الذكر، فما استتم خاطري إلا وقد نظر إلي، وأقبل بوجهه علي، ولقنني الذكر الذي خطر في نفسي، الذي أرجو نفعه في حلول رمسي، وله كرامات خوارق للعادات لكنه لا يظهرها إلا عند الضرورات، أو عند المهم من الحاجات، وهي كثيرة وعند أصحابه شهيرة، وإنما لم أذكرها، لأنه كان لا يحب نشرها ولم يزل يتنقل من حرم إلى حرم وقد حل في رأس الكمال الذي لا يداس بقدم إلى أن دعي فأجاب، وكأنه الغمام أترع البلاد فانجاب، فتوفي بمكة المشرفة، بعد صلاة الجمعة لأربع عشرة خلت من ربيع الثاني سنة إحدى وسبعين وألف، وحضر جنازته سلطان مكة فمن دونه، ودفن شروق يوم السبت بمقبرة المعلاة، وعمل على قبره تابوت عظيم[1]، وهو بقرب مشهد أم المؤمنين خديجة الكبرى، رضي الله تعالى عنها ونور ضريحها.

---

(١) إنما كان ذلك التابوت في ذلك العهد، وأما اليوم فمن المعلوم أنه لا وجود له (الناشر).

﴿محمد بن علوي بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله تعالى عنهم﴾

المشرق في سماء الفضائل بدراً السامي رتبة وفخراً، ذو الفضل المدرار، والكرم الذي يخجل وابل الأمطار، الفارس الذي لا يشق له غبار، ولا يجاريه أحد من أقرانه في مضمار ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن وداوم على تلاوته، واعتنى به وتربى في حجر أبيه ودعا له بدعوات ظهر آثارها فيه، وأخذ عن عمه الشيخ عبدالرحمن السقاف، وغيره من السادة الأشراف، وتفقه وتصوّف وملك أعنة الفضل، وأصرف ترجمه الشيخ عبدالرحمن بن حسان، وقال كان فقيهاً مشاركاً في علوم شتى صاحب مروءة ومعروف وإكرام للوافدين والضيوف، وكان له معرفة بعلم الأسماء والحروف، ثُم سكن مدينة يبحر فكان بها أحسن من السحاب إذا أمطر، وانتفع به أهلها والوافدون إليها النفع العظيم فكان يرشدهم إلى الصراط المستقيم والسنن القويم، وأما كرمه فبحر زاخر ومهيع لا يعرف له أول ولا آخر، وغيث عم البادي والحاضر، وكان يكرم الضيفان ويمد لهم موائد الاكرام والاحسان، لا يشوبه نقص ولا اختلال ولا منة ولا ملال بوجه ضاحك متلألىء، وينشد عنده على قدر أهل العزم تأتي العزائم ويصدق فيه قول حاتم:

أضاحك ضيفي قبل ينزل رحله ويورق عندي والمحل جديب

وكان معتقداً عند الخاص والعام، مقبول الشفاعة عند الحكام، ومن تبع طريقته حاز السلامة والنجاة ومن عانده خسر آخرته ودنياه، ووقع لبعض الحكام أنه تعرض لأصحابه بالأذى التام فأصابته سهام الأمراض والأسقام، ومنعته طيب المنام، حتى أتى إليه وتاب من فعله على يديه فمسح بيده المباركة

عليه فشفي من جميع ما يشكيه، وما زال في تلك الديار يوضح لأهلها السبيل، ويقرر الدليل ويزيل الأباطيل، إلى أن نزل به ما لا بد منه ولا محيص لأحد عنه، وكانت وفاته ليلة الاثنين لتسع خلون من صفر سنة سبع وعشرين وثمانمائة.

﴿محمد بن علوي بن محمد صاحب عيديد رضي الله تعالى عنهم﴾

الامام الكبير العلم الشهير المقتفي سير الأئمة من القوم، ذو البـاع الواسع في تعليق العلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن وحفظ عدة متون وأخذ عن العلامة محمد بن عبدالرحمن الفقيه وعن الشيخ عبدالرحمن ابن الشيخ علي، وقرأ عليه الإحياء وكان يقول إني استفدت من قراءته فوائد غامضة وألفاظاً مشكلة، ثم رحل إلى عدن وأخذ عن الشيخ أحمد ين يحيى رشيد فحفظ عليه الارشاد، وعرضه عليه وقرأ في الفقه كتباً عديدة وسمع الحديث من جماعة ولازم الشيخ أحمد بن يحيى في دروسه الفقهية وغيرها وتزوّج بابنته وأتت له بولدين وأجـازه في جميع مروياته، وبرع في عدة فنون وناظر غير واحد في أنواع العلوم، فأفحم أولئك الخصوم، وسار من المنهج القويم، على صراط مستقيم، وسار في جميع أعماله أحسن سير، مقبلاً على شأنه غير متعرض للغير، وكان كريماً لا يقاس إلا بحاتم، قوالاً بالحق لا يخاف فيه لومة لائم، ولا بطشة ظالم، وكان يعظم الفقراء أهل الدين ولا يحتفل بأبناء الدنيا والسلاطين، وانتفع به جماعة في طريق القوم علمًا ودراية ودلهم على سبيل الرشد والهداية ولم يزل سالكاً سبيل المرشدين على سنن ويقين، لى أن انتقل إلى جنة أعدت للمتقين، وكانت وفاته سنة أربع وعشرين وتسعمائة ببندر عدن المحروس ودفن بتربة الشخ أبي بكر عبدالله العيدروس ملاصقاً لقبر شيخه أحمد بن يحيى بن رشيد.

﴿محمد بن علي بن عبدالرحمن بن محمد ابن الشيخ الامام عبدالله بن علوي ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله تعالىٰ عنهم﴾

يعرف هو بالمعلم وأبوه ببا جحدب شيخ علماء الاسلام، الناشر علم الفضائل على رؤس الأنام، المقتدى في جميع أموره بسيد الانام، عليه أفضل الصلاة والسلام امام الأئمة في زمانه وأعجوبة دهره وأوانه ولد بتريم وحفظ القرآن العظيم، وأتقن تجويده حتى ساوى من سبقه إن لم يكن فاته وتوسع في علومه وترك الناس بين يديه ذوي فاقة، وجد في تحصيل العلوم وسلك جادة طريق القوم ولاحظته عين السعادة فعمر أوقاته بالعبادة ثم نصب نفسه لتعليم القرآن فتمثل بين يديه الكهلان والصبيان وتعلم على يديه خلق كثير وجم غفير منهم شيخ الاسلام، أبو بكر بن عبدالله العيدروس وعبدالرحمن بن علي وكان يقرىء القرآن احتساباً فألبسه الله من المهابة جلباباً، وكان له أوراد كثيرة من الأذكار النبوية واعتناء تام بالأذكار النووية، وكان يحب الفقراء ويطعمهم أطيب المأكول مع كثرة من يمونه ويعول ولم يشغله ذلك عن الدرس والاسماع، بل كان يجلو من العلوم عروساً على اسماع. وانتفع به جماعة في سائر العلوم، وتخرج به غير واحد في طريق القوم، ولم يزل على هذه الأحوال مقبلاً على ما ينفعه في المآل إلى أن زمزم له حادي المنون، وناداه فأجابه ولباه، ودفن في مقبرة زنبل ولم أقف على عام وفاته رحمه الله عزّ وجلّ.

﴿محمد بن علي بن عبدالرحمن بن محمد بن علي ابن الشيخ عبدالرحمن السقاف رضي الله عنهم﴾

هو الامام الكبير العلم الشهير الحائز لرياستي الشرف والعلم، والفائز بسياستي الإغضاء والحلم، ولد بتريم ونشأ بها في نعيم مقيم، وكان له فهم ثاقب، وذهن لادراك المعاني مراقب، واعتنى بعلم الشريعة فسلك واديها فأسمع خطابها، وورد مناهلها العذبة التي طاب شرابها، فأخذ عن والده الامام علي وتربى في حجره والسيد عبدالله باهرون النحوي، والشيخ حسين ابن الفقيه عبدالله بلحاج بافضل والشيخ القدوة أحمد بن علوي باحجدب والقاضي محمد بن حسن ومد في الفقه باعاً وذراعاً وتوغل في مسالكه علماً وطباعاً ،ولاحظته السعادة فلزم العلم والطاعة، والعبادة مع زهد وصلاح وتقوى أشرق نورها في أسرة وجهه ولاح، وجلس للتدريس في مذهب إمام الأئمة محمد بن ادريس، فانتفع به الجمهور وذلل لهم الصعوب والوعور، وانشرحت بذلك الصدور، ولم يزل كذلك سالكاً أحسن المسالك، حتى انصرمت مدته، وتمت عدته، فتوفي إلى رحمة الله تعالى سنة ست وتسعين وتسعمائة بتقديم المثناة في الأخيرتين ودفن بمقبرة زنبل رحمه الله وإيانا.

﴿محمد بن علي بن عبدالله صاحب الشبيكة بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد ابن علي بن محمد بن أحمد ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله عنهم﴾

المشهور بمكة كأبيه وجده بالعيدروس، وهو السيد الذي رقي من المكارم ذراها، وتمسك من المحامد بأوثق عراها، الحرم الذي لا لمختطف الحوادث على جاره هجوم، ومجرى بحار المكارم فلحاتم منها وجوم، ولد بمكة المشرفة ونشأ بها، وأسبلت عليه الكعبة ستورها وثيابها، ورباه حجر السيادة وحرك مهده ساعد السعادة وحفظ القرآن، ولزم عبادة الرحمن، وتفقه بشيخنا عبدالعزيز الزمزمي وبالشيخ عبدالقادر الطبري وصحب أباه، وغيره من أكابر الأولياء، وأئمة العلماء الأصفياء، وظهر في حلل الجمال، ورتع في رياض الكمال، وكان واحد عصره في مصره بالاجماع، وشيخ زمانه الذي تصغى لما يقوله الاسماع، وانتهت إليه الرياسة فملك أعنة المحاسن، وورد منهلاً عذباً غير آسن، وكان يلبس الملابس الفاخرة، وتهابه الملوك إذا جلس للمحاضرة، لا ترد له شفاعة، ولو تكررت منه كل ساعة، وكانت الملوك تهدي إليه العطاء الفائق، فيجازيهم به الجزاء اللائق، وكان يقيم بمنى المدة المديدة والأشهر العديدة، فتفد عليه الأعيان من القاصي والداني، فيكرمهم بالأطعمة الفاخرة، ويعمهم بخيراته المتصلة الوافرة، وكان يعطي عطاء جزيلاً، ولا يقبل له جزاء ولا بديلاً، وكانت سيرته سيرة الملوك في اقتناء الأموال ومحاسن الأرقاء، ومشاهير الرجال، ثم شملته العناية الالهية، وأحاطت به المنح الرحمانية، فانخلع عن تلك الحالات، وترك اللهو واللذات، وتجنب صحبة أهل الظواهر وصحب العارفين الأكابر، وتجرد للطاعة والعبادة، ورغب في صحبة بني عمه من السادة، فانفصلت من ذلك النظام عروته، وقَلَّتْ بعد تلك الأموال ثروته، وكنت ممن لازمه إلى الممات، ويحضرني في الخلوات والجلوات، ودعا لي بدعوات، ظهر لي منها مزيدالبركات والخيرات، ثم ابتلى في آخر عمره بمرض لم ينفع فيه طب

ولا طبيب، ورثاه كل بعيد وقريب، ولم يزل على أحسن سيرة، وما يرضاه عالم العلانية والسريرة إلى أن شرب كأساً يشربه كل طائع وعاصي، وولج باباً يلجه كل دان وقاصي، وكانت وفاته بعد صلاة الجمعة في ذي القعدة سنة ست وستين وألف ودفن شروق يوم السبت في قبر والده في مشهدهم الشهير، وحضر جنازته جم غفير، من كل فج عميق، حتى ضاقت بهم الطريق؛ وكانت له كرامات خوارق للعادات منها أني كنت جالساً عنده فجاء بدوي فسألني عنه فأشرت إليه فلما سلم عليه قال: له هات النذر الذي معك فبهت البدوي. ثم قال: أخبرني ما هو فقال له هو كذا وكذا، فأكب البدوي على رجله يقبلها، ثم قال لي ما علم أحد بنذري غير الله، ومنها أن بعض الفقراء شكا إليه حاله فقال له: إذهب إلى شريف مكة يحصل لك مطلوبك فذهب إلى الشريف، وأنشد قصيدة وافقت ما في ضميره فطرب لذلك وأمر له بكسوة عليه، وجائزة سنية، ومنها أن طعامه من أنفس الأطعمة ويحضره جماعة كثيرون بحيث أن بعض البدو إذا رآه يقول آكل هذه الأطعمة وحدي لنفاستها وقلتها بالنسبة لمن يحضرها، فيأكل كل من يحضرها لأنها كانت مبذولة لكل من حضر حتى يشبع الحاضرون وتبقى بقية كثيرة. ومنها أن حاكم مكة مات وطلب مرتبته من شريف مكة جماعة من المتأهلين لها ووقفوا على باب الشريف ينتظر كل واحد أن يوليه إياها، وكان الأمير سليمان بن منديه يعتقد صاحب الترجمة فجاء إليه وأخبره بذلك، وكان لا يرومها الضعف حاله. وقلة ماله فألبسه السيد ثوباً من ثيابه، وقال له إذهب الآن إلى الشريف فأنت حاكمها فلما دخل على الشريف وجده متفكراً فيمن يوليه من الطالبين للحكومة فلما رآه انشرح صدره، وانحل ما عنده من القبض وخلع عليه خلعة الامارة، وتألقت شموسه وأقماره، وترنمت على أغصان السرور أطياره، فعلم القوم أنها منحة ربانية وعطية رحمانية، ومنها أن عين مكة انقطعت وقرب مجيء الحجاج والبرك فارغة، وكان الشريف بعيداً فكتب لحاكمه بمكة أن اجتهد في ملء البرك بأي وجه أمكن وعلم الحاكم عجزه عن ذلك لقرب المدة فأتى إلى صاحب الترجمة وشكا حاله إليه فقال له: اعط الخادم خمسة حروف يتصدق بها على الفقراء فلما أصبحوا أمطرت السماء وسالت أودية مكة وامتلأت البرك من السيل، وغير ذلك من الكرامات رحمة الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه دار القرار آمين.

﴿محمد بن علي بن علوي بن أحمد ابن الاستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله عنهم﴾

هو السيد المتبع لسنة جده سيد المرسلين، والناشر لألوية آبائه الأمجدين، ذو الذهن الثاقب والفهم الصائب، ولد بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن، وصحب أباه وعمه محمداً وعبدالرحمن وحصل طرفاً صالحاً من الفقه، والحديث والتصوّف ورحل إلى اليمن فصحب جماعة من أفاضل العلماء، وأكابر الأولياء، وغلب عليه الخمول، وترك الشهرة والفضول، فأقبل على شأنه، ولازم التقوى في سره واعلانه، وكان يقوم في الدجا، ويقف في مقام الخوف والرجا، وكان الغالب عليه التقشف فترك كل لذة وزهد في الدنيا وزخارفها المستلذة لا يسأل عن أهل البلد ولا عن ملوكها ولزم سيرته الشريفة فلم يفتر عن سلوكها إلى أن قبضه الله تعالى إليه، واختار له ما لديه، فمات في بعض قرى اليمن غريباً.

﴿محمد بن علي بن علوي بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد ابن الشيخ الامام عبـدالله بن علوي ابن الاستاذ الأعـظم الفقيه المقدم رضي الله عنهم﴾

عرف جده بخرد بفتح الخاء المعجمة وكسر الراء ويعرف هو بالمحدث وبالمعلم صاحب كتاب الغرر وغيره من المصنفات المنوط به أمر المشكلات أمام المحدثين في زمانه، وختام المحققين فلا ينكر أحد مكانه السابق إلى الغايات، الذي خلا له نحوها عن الطريق الحبر الذي نفحات ذكره أعطر من المسك العبيق جمع بين الفقه والحديث، ووضع أخمصه فوق النجوم مع سن حديث، وحفظه للحديث ورجاله سما فيه على أهل عصره، وتصانيفه تشهد له بمزيد علوه وفخره ولد بتريم، وحفظ القرآن ومتن الارشاد إلى النفقات وربع المنهاج وغيرها وعرض محفوظاته على شيخه الامام العلامـة محمد بن عبـد الرحمن بلفقيه، وأخذ عنه عدة علوم، منها التفسير والحديث والفقه والعربية، وقرأ عليه البخاري ثلاث مرات، وكذلك الشفاء قرأه ببحث وتحقيق وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل وأخذ عن الشيخ الكبير العلامة الحسين بن عبدالله العيدروس، وكل منهم أذنـوا له في الافتـا والتدريس، وخصّه الأوّل منهم بمزيد عنايته، واجتهد في ملازمته فقرأ عليه جميع مقروآته، وكان واسطة عقد تلامذته وأخذ التصوّف والحقائق عن الشيخ العارف بالله عبدالرحمن بن علي وألبسه خرقة التصوّف وحكمه بجميع أنواعها وأذن له في الالباس، وكذلـك الشيخ عـلي بن أبي بكر حكمـه وقرض لـه من شعره بالمقراض في أوان تمييزه ثم ارتحل إلى اليمن، ودخل بندر عدن، وأخذ بها عن شمس الشموس، الشيخ أبي بكر عبدالله العيـدروس، وسمع بـزبيد عن الحافظ عبدالرحمن الديبـع والحافظ يحيى العـامري مصنف بهجـة المحافـل وغيرها، وأخذ عن العلامة أحمد بن عمر المزجد صاحب العباب عدة علوم،

ورحل إلى مكة فحج حجة الاسلام وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، وأخذ بالحرمين عن جماعة كثيرين من المستوطنين والواردين إليهما من علماء الآفاق، لا سيما أهل الشام ومصر والعراق، وراض نفسه في سلوك الطريقة، وجمع بين الشريعة والحقيقة، وخاض في بحارها العميقة، وشهد له المشايخ بالتقديم على أقرانه، وصار هو الحجة في زمانه، وتصدر للتدريس والافتاء وكان يحضر درسه جماعة من أكابر الأولياء، فأسمعهم العالي والنازل، وأتى بما لم تستطعه الأوائل، وكان لطيف التقرير حسن التحرير، وأخذ عنه كثيرون وانتفع به جمع محققون، منهم العارف بالله السيد عبدالله ابن العلامة محمد بلفقيه، صاحب المشهد بمكة والقاضي الامام الولي محمد بن حسن ابن الشيخ علي والفقيه فضل بن عبدالله والشيخ الفقيه عبدالله بن محمد باقشير مصنف القلائد، والشيخ شهاب الدين بن عبدالرحمن، وأخذ هو عن شهاب الدين وصنف كتباً مفيدة في فنون عديدة وكان حسن الجمع والتأليف لطيف الترتيب والترصيف بليغ العبارة، لطيف الاشارة، فمن مؤلفاته في الحديث كتاب الوسائل وهو مع اختصاره من أجمع الكتب في الفضائل، وجمع فيه الغث والسمين لكنه سالم عن الوضع والمين، وكتاب النفحات وهو من المستجادات، وكتاب غرر البهاء الضوي في ذكر العلماء من بني جديد وبصري وعلوي، وهو كتاب لم يسبق إليه، ولا نسج أحد على منواله فيه، وغير ذلك من الرسائل اللطيفة، الحاوية للمعاني الظريفة، ولقد أجاد النقل من كلام الله ورسوله القديم والحديث، وسارت بفضله الركبان وبالغت في السير الحثيث، وجد بجد في حفظ السنة، حتى هجر الوسن، وأروى العطاش من عذب بحره، حتى ضرب الناس بعطن وانتهت إليه الرحلة من نواحي اليمن، وذكر سنده في علم الحديث والخرقة الشريفة والمصافحة والتحكيم في كتاب الغرر، وكان هو وأخوه قاضي القضاة أحمد شريف عليهما المعوّل في الترجيح، والعمدة في التضعيف والتصحيح، وكانا رضيعي لبان، وجوادي رهان لكن غلب على القاضي أحمد الفقه وصاحب الترجمة الحديث كما غلب على أخيهما الشيخ ابراهيم علم القراآت وكان صاحب الترجمة جامع للشريعة والحقيقة عالماً بعلوم التصوّف، والطريقة معدوداً في طبقة أولئك الرجال متحققاً بتلك المقامات والأحوال وله نظم أجاد فيه وأبدع، وأودعه من الاحسان ما أودع، وذكر منه في الغرر

مدائح عديدة ومقاطيع مفيدة، وله قصيدة طويلة نحو ثلثمائة بيت[١] مطلعها:

خليلي عـرج بالحمـاذي الكتـائب — وسل عن حما ليلى وزبغ الزيانب
وعن هند مع دعد وسلمىٰ وجيرة — في حمى الغيد الغواني الكواعب
بهـا كم مهنى كم معنى وهـائم — وكم ذاهل كم مشغف بالخراعب
وقف بجـانب الربـع وسل أهيله — عن الركب هل حلوا بتلك المضارب[٢]
فثم بدور الحسن بل هم شموسه — لهم نسبـة زانت لؤى بن غـالب
بآداب شرع المصطفى قد تمسكوا — وغاصوا على أسْرار المعالي الغوائب
ببحث وتـدقيـق وفحص مـحقـق — بعلم لتـوحيـد مشيـق لـطارب

وله تائية طويلة نحو هذه مطلعها:

لك الحمد يا منان في كـل لحظة — لك الحمد ما سار الركاب بـرمله

وكان تلميذه العارف بالله تعالى السيد عبدالله بن محمد المشهور بمكة بالعيدروس يثنى عليه وعلى كتبه، وكان يكاتبه ويطلب منه مصنفاته وأثنى عليه كثيرون من مشايخه وأعيان عصره ووصفه غير واحد بأنه وحيد دهره ولم يزل على أحسن حال مترقياً في درج الكمال إلى حين الانتقال، وكان انتقاله سنة ستين وتسعمائة وضبطه بعضهم على حساب الجمل بقوله: جنان الخلد مسكنه ومأواه. ودفن بمقبرة زنبل وقبره ظاهر للملا. أسكنه الله الفردوس الأعلى آمين.

(١) في هذا الموضع من الأصل جملة حذفت من هذه الطبعة.
(٢) يلاحظ أن الشطر الأول من هذا البيت غير موزون. الناشر.

﴿محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى بن علي ابن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنهم﴾

المشهور بصاحب مرباط، العامل في جميع أعماله بالاحتياط، شيخ مشايخ الإسلام وعلم العلماء الأعلام يتيمة عقد الأولياء الكرام، الحائز قصب السبق على الإطلاق، السابق في حلبة السباق في ذرى المعالي بالاتفاق، الفائق في الجود والكرم والانفاق، أحد علماء الشريعة والطريقة وأجل مشايخ أرباب الحقيقة فقيه الديار اليمانية ومفتيها، والمشار إليه بالعلوم والمعارف فيها، وإمامها وعابدها وصوفيها وزاهدها نطقت بالثناء عليه ألسن الأقلام شاهدة بسبقه على الجلة الأعلام، ولد بمدينة بتريم ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم، وتربى في حجر والده فغرد طائر يمنه على فنن سعده، ورباه فأحسن تربيته ولازم من صغره صحبته وألبسه الخرقة المعروفة، وصافحه المصافحة المألوفة، ثم ارتحل في طلب العلم وجد فيه فافتض أبكاره وجنى من رياضه اليانعة ثماره، وطلعت في سماء فنونه شموسه وأقماره وأجازه جمع من العلماء القادة في التدريس، والاستفادة فنصب نفسه للانتفاع، وصغت لما يقوله الأسماع، وتطابق على تقدمه بالفضل العيان والسماع، وتخرج به جماعة من السادة اشتهروا بالعلم والعرفان، والزهادة منهم أولاده الأربعة الشيخ الجليل علوي والحافظ عبدالله والشيخ أحمد والولي علي ومنهم شيخ الإسلام سالم بن فضْل والشيخ علي بن أحمد بامروان. والقاضي أحمد بن محمد باعيسى والشيخ علي بن محمد الخطيب صاحب الوعل، ومنهم الشيخ محمد بن علي تاج العارفين المشهور بسعد الدين، والإمام علي بن عبدالله الظفاريان وأما سخاؤه فبحر زاخر وغيث ماطر، لاسيما لمن توجه إلى جنابه المحروس، وألم بربع كرمه المأنوس، فكان يعطي العطايا الجسيمة، ويولي النعم العظيمة، وكان ينفق على

أقاربه ومحارمه ويقال أنه كان ينفق على مائة وعشرين بيتاً من الأنس والجن، وكان مسارعاً إلى انجاح الآمال، بالنفس والجاه والمال، وإذا نزل به الضيف بالغ في اكرامه، وفي تعظيمه واحترامه، وحكي أنه نزل به ضيفان ولم يكن عنده ما يكرمهم به فطلب من البيوت التي ينفق عليها ما بقي عندهم من نفقة أمس الماضي فاجتمع ما يزيد على اكرامهم أضعافاً وكان أكثر أمواله ونخيله ببيت جبير، فكان ينقل أهله إليها أيام الرطب وما فضل في داره من طعام أو تمر تصدق به، وكان كثير الأسفار، إلى سائر الأمصار. وما قدم بلدا إلا عرف أهلها له حقه، وقابلوه من الأكرام بما استوجبه واستحقه، ثم قصد مدينة مرباط وهي ظفار القديمة المشهورة في تلك الديار فقطن بها، وألقى عصي التسيار، فطالت به على جميع الأقطار، وصار بها مثلا للواردين وموئلاً للقاصدين، وعمدة للطالبين وملجأ للفقراء والمساكين، وصارت به معمورة محروسة وأنديتها بالفيض مغمورة مأنوسة، ورحلت إليه الناس من سائر البلاد، ونادته السؤالات من كل واد يمنح من وفد عليه جزيل مرافده، ويجزل على من قصده جميل عوائده وانتفع به كثيرون في العلوم والمعارف من جميع الفرق الموافق منهم والمخالف، مع ملازمة الجمعة والجماعة في الصف الأول إلا أن حصل مانع، والاعتكاف في المساجد لاسيما المسجد الجامع، إلى جبين كالهلال، ووقار عليه سيما الجلال ومنطق أعذب في القيل من الماء الزلال، وأدب أطيب في المقيل من برد الظلال، والزهد والتقوى والعفة، والورع الذي طرد به الشيطان. وأرغم أنفه، ولم يزل سالكاً هذه السبيل واردا من صفو عينها السلسبيل، حتى ناداه منادى الرحيل، فانتقل إلى رحمة الملك الجليل، وكانت وفاته سنة احدى وست وخمسين وخمسمائة ودفن بمدينة مرباط المعروفة بظفار القديمة المحفوفة بالأنوار العظيمة وقبره بها مشهور يقصد ويزار وظاهر ظهور الشمس ضحوة النهار[1] ومرباط بكسر الميم وسكون الراء فباء موحده فألف فطاء مهملة قال في القاموس مرباط كمحراب بلد بساحل بحر الهند وقال فيه ظفار كقطام بلد قرب مرباط إليه ينسب القسط لأنه يجلب إليه من الهند انتهى. وكانت مرباط المذكوره بالتجار معمورة، وبالبركة مشهورة ثم اختط

---

(١) في هذا الموضع من الأصل جملة حذفت من هذه الطبعة الناشر.

أحمد بن محمد الحبوظي ظفار الحديثة فانتقل إليها من في مرباط من نساء ورجال وصارت طللاً من الأطلال، ولم يبق فيها إلا شرذمة قليلون، ومساكين في البحر يعملون، وبين البلدتين المذكورتين نحو مرحلتين، ولم تزل مرباط محترمة عند الخاص والعام، ومن أساء الأدب فيها استهدف لسهام الانتقام وهذا السيد المترجم له هو مجمع الموجودين من آل باعلوي السادة المشهورين الذين رووا أحاديث السيادة مسلسلاً بالسلالة براعن برعن صاحب الرسالة، وهم القوم كل القوم إذا افتخر كل قبيل بأقوامهم وإذا تصادمت الآراء رزأ الحق إلى أعلامهم، وكيف لا وهم نتيجة مقدماتها الوصي والبتول فلا غرو أن زكت الفروع لزكاء هاتيك الأصول.

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

لبس فيهم إلا من خاض بحر الفضائل ولجة عبابها وذلك من الأمور مشكلات صعابها إلى أن انتهىٰ إلى مدينة العلم وبابها، فهم بين العلماء أئمة مكتهم. والمنشدين عند طلوع أهلتهم.

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم والطوالع

أعقب صاحب الترجمة ابنين أحدهما علي وهو أبو الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم، والثاني علوي المشهور بعم الأستاذ الأعظم، ومن هذين الإمامين تفرع نسبهم الطاهر ومفخرهم ومحتدهم الظاهر وإليهم تنسب المفاخر:

من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم مثل النجوم الذي يسري بها الساري

﴿محمد بن علي بن علوي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم رضي الله عنهم﴾

الشهير بمولى الدويلة هو الامام الذي باسمه تنشرح الصدور، العارف الذي بوجوده روض الفضائل معمور، خصه الله بأوفر حظ من العلي والإحسان، باتفاق أهل العلم والعرفان، ولد بتريم ونشأ بها وحفظ نصف القرآن، وكان إذا غلط القارىء في النصف الآخر رده إلى الصواب، مات أبوه وهو صغير فكفله عمه الشيخ عبدالله ونشأ في حجره ورباه وعاش في كنفه ونعماه، وشمله بنظره وعنايته وسلكه على منهاج طريقته إلى أن رسخ قدمه في درجات النهاية وطال باعه في أحكام الولاية، وارتحل إلى الحرمين الشريفين، وأدى ما وجب عليه من النسكين وزار جده سيد الكونين، وأخذ بهما عن جماعة من العارفين، والفقهاء الكاملين، واجتمع في رجوعه بالشيخ العارف بالله علي بن عبدالله الطواشي، فاعترف كل لصاحبه بمقامه الشريف، وتمتع بمقيل ظله الوريف، وتضوع من عبير عرفه اللطيف، ولم ينقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم، ولا بعلم الكتابة والرسم ولكن كان كلما علم شيئا من الشريعة عمل به ولا ينزع رداء العمل عن منكبه، ولهذا نال ما يعز وجوده عند من خص العلم بالعناية، وحض جناح المسير إلى الرواية، وقد قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، وكان الشيخ الكبير العلم الشهير العارف بالله تعالى فضل بن عبدالله يعظمه ويثني عليه، ويتمثل بين يديه، وكان له رياضات وأحوال ومقامات، وأكثر أعماله قلبيات وكان يخفي أعماله عن أصحابه حتى عن أهله وربما اعترض عليه بعض من اتصف بالعلم وليس من أهله، حتى أن بعضهم قام يصلي والسيد عنده نائم فقال في نفسه آنا ساجد وقائم وهذا مضطجع نائم، ويدعون أنه قدوة للعالم فلما سجد عجز عن رفع رأسه فتاب عما وقع له في نفسه فأمر صاحب الترجمة

بعض من عنده أن يرفع رأسه من السجود ولما فرغ اعتذر إليه وعاهده على أن لا يعود، وكان الغالب عليه الاقامة بالبادية، وترد عليه أحوال آثار بركتها عليه بادية، وإذا ورد عليه حال تكلم على مسائل في الشريعة والحقيقة، وخاض من العلوم في بحار عميقة وسأله ولده عن ذلك فقال: ما تقول إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة أوّل ما تبدو لنا الدنيا نسحقها ثم تظهر الآخرة فنسحقها، ثم ننبذهما جميعاً حتى لا يبقى غير الله فحينئذ يقع الوجود وأنشد:

ولمـا حضـرنـا للسـرور بمجلس	**أضاءت لنا من عـالم الغيب أنوار**
وطـافت علينـا للعـوارف خمـرة	**يطوف بها في حضرة القدس خمار**
فلما شـربنـا بـأفـواه كـشفنـا	**أضاءت لنا منهـا شموس وأقمـار**
تخاطب أربـاب القلوب بلطفهـا	**وتبـدو لنـا وقت المسـرة أسـرار**
رفعنا حجاب الإنس بالأنس عنوة	**وجـاءت إلينـا بـالبشـائـر أخبـار**
وغبنـا بهـا عنـا ونلنا مـرادنـا	**ولم يبق منـا بعـد ذلـك آثـار**
وخاطبنا في سكـرنا عنـد صحونـا	**كـريم قديم فـائض الجـود جبـار**
وكـاشفنـا حتى رأينـاه جهـرة	**بـابصـار فهم لا تـواريـه أستـار**

وكان إذا طرقه الحال يضطرب جسده ويلين حتى أن بعضهم وضع أصبعه في جسده فانخسف محل أصبعه، وورد عليه حال مكث به سبعة أيام حتى تقيأ دما أسود قال ولده العارف بالله الشيخ عبدالرحمن السقاف لو لم يتقيأ لقتله ذلك الحال وتواجد يوماً بحضرة عمه الشيخ الامام عبدالله بن علوي حتى غشي عليه، ثم أقيمت الصلاة فصلى معهم فلما فرغوا قال العارف بالله علي بن سلم لعمه عبدالله صلى ابن أخيك بلا وضوء لأنه زال عقله فأخبره عمه بقول الفقيه علي بن سلم فقال وعزة الحق أني توضأت وشربت من الكوثر ونفض لحيته فتقاطر منها الماء، ثم قال يا فقيه نزل علينا شيء لو نزل على الجبال لدكت ثم أنشأ يقول:

الحـب حبـي والحبـيـب حـبـيـبـي	**والسبق سبقي قبـل كـل مجيب**
نـوديت فـأجبت المنـادي مسرعـاً	**وغطست في بحر الهوى وغدى بي**
لي تسعـة وثـلاثـة مـع تسعـة	**والعقـد لي وحـدي وعـلا نصيبي**
مـا تعلمـوا أني المقـدم في المـلا	**ليلة سـرى بـاليثـربي سـرى بي**

اختار المحَّلْ المسمى بيبحر بمثناة تحتية فموحدة فحاء مهملة فراء وهو قريب من القبر المعروف بيبحر هودعلى نبيناوعليه أفضل الصلاة والسلام ،عنده عين جاريه وبني به داراً واستوطنه وبنى كثير من جماعته بيوتا وجعله موطنه حتى صارت قرية عامرة بعد أن كانت دامرة، وروي أنه سمع هاتفاً يقول بن داراً عند العين فإنها من أنهار الجنة فتقدس بسكناه ذلك الوادي، وأسس بـالتقوى ذلـك النادي، ثم حدثت بعده قرية بقربها فقيل للأولى يبحر الدويلة ومعنى الدويلة في كلام حضرموت العتيقة، وكان لصاحب الترجمة حالات عجيبة وأمور غريبة فأحياناً يلبس ثياب االملوك وأحياناً يتزيا بزي صعلوك ومرة يلبس الثياب النفيسة الحسنـة، وأخرى يلبس الشمـال الخشنة، وربمـا مال إلى صحبـة الأعيـان والأكابر، ثم يفر عنهم ويصحب الفقراء الأصاغر وفي بعض الأحيان يجتهد في الأعمال البدنية من القيام والصيام، فقد حكي عنه أنه مكث نحو عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء وأنه صائم أربعين يوماً متتابعـة في أيام الصيف، وكانت له كرامات خارقة، وأنفاس صادقة، منها أن بعض من عنده اشتهى اللحم لطول بعده عنه فنظر صاحب الترجمة إلى قعود سمين، وقال لأصحابه اذبحوا لنا هذا القعود فبينما هم يسلخونه وإذا بصاحبه قد أقبل، وقال: للسيد قد وهبته لكم من منذ أيام فقال الحمد لله ما أخذنا إلا حقنا.
وكان يقول: ما اشترى شيئاً إلا وقد قال اشترني فإني لك حلال، ومنها أن بعض الناس رآه يكلم نسوة من محارمه فأنكر عليه في نفسه لكونه لم يعلم أنهن محارم فلما قام يقضي الحاجة وجد آلة نفسه ممسوحة فجاء إلى السيد واعتذر وتاب، فقال له نحن ما نخاطبهن إلا ونحن مثلك، ومنها أن سلطان اليمن أرسل عسكراً إلى أحمد بن يماني سلطان حضرموت ليأخذ منـه بندر الشحر وكان صاحب الترجمة وأحمد بن يماني بالبندر فنزل العسكـر بقرب البندر، وكان لا يقدر على مقابلتهم فطلب منهم أن يصبروا إلى أن صلى الجمعة، ويخرج عن البلدة ويتركها لهم، فأبوا وقالوا لا بد أن تخرج في هذه الساعة فقال صاحب الترجمة أخرج عليهم فإن الله ينصرك فخرج لمحاربتهم فلما التقى الجمعان أخذ السيد كفا من الحصباء وتَفَلَ فيه ثم رمى به في وجوه القوم فولوا مدبرين، ومنها أنه مسك بعتبة داره وقال أخرجوا جميع ما في الدار ثم تباعد عن الدار فانهدمت جميعها ودعا لجماعة بمطالبهم فنالوها، ولجماعة

من العصاة بالتوبة فتابوا وذكر في الجوهر منها كثيرا وترجمه في البرقة، والعقد النبوي والسيد عبدالقادر في كثير من كتبه، وكان يقول نذكر الله تعالى باللسان وبالقلب ثم تفنى الحروف، ثم يفنى اللسان فيبقى في القلب شمعة من نور متصلة بالله عز وجل، وكان يقول أعرف من نفسي ثلاث خصال الأولى أني أكره الموت فإن من كره الموت كره لقاء الله، الثانية أني لا أخاف الفقر لأني أعرف أن ما عند الله أقرب مما في يدي، الثالثة لا أكره الضيف، وإن لم يكن عندي شيء قال الشيخ عبدالقادر العيدروس أنظر كيف جمع التصوّف كله في هذه الكلمات مع كونه أمياً فإن الشيخ ما نقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ولا قرأ شيئا من الكتب إلى آخر ما أطال به في شرح هذه الكلمات، وحكي أنه أراد أن يؤم القوم في مسجد بني علوي المشهور فمنعوه، وقالوا له أنت بدوي لا تصلح للإمامة، فلما صلوا جلس يتكلم على سورة من القرآن بكلام عظيم، فعلموا أن هذا من العلم الوهبي، ومدحه الشيخ عبدالرحمن الخطيب بقصيدة أولها:

يحق لكم يا ابن الكرام التفاخر ... كما أوّل الفضل لكم والأواخر
فكم شاع في الآفاق من فيض فضلكم ... وأسراركم ما للورى الكل عافر
بكمّ تدفع الأسوا عن الخلق والبلا ... وفي جاهكم تنشىء السحاب المواطر

ولم يزل طائعاً لمولاه إلى أن وافته الوفاة، فانتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة خمس وستين وتسعمائة ودفن في مقبرة زنبل وقبره فيها معروف وباستجابة الدعاء موصوف رحمه الله ونفعنا به، وروي أنه عند موته تمثل بهذين البيتين:

إن بيتاً أنت ساكنه ... ليس محتاجاً إلى السرج
وجهك الميمون حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج

﴿محمد علي بن محمد بن عبدالله ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن ابن علوي بن محمد صاحب مرباط رضي الله تعالى عنه﴾

وهو المشهور بصاحب عيديد، الركن الشديد، الذي هو في عصره فريد، وفي دهره وحيد. العالم التحرير العامل بالاحتياط، والتحرير، القائم بالحجة، الدال على المحجة، شيخ الاسلام، وقدوة الأنام قطب الشريعة وأساسها، وقلب الحقيقة الذي إذا صلح صلحت رؤسها، المعوّل عليه عند كل صادر ووارد، الضارب مع الأقدمين بسهم وغيره يضرب في حديد بارد، ولد بتريم ونشأ بها وحفظ الحاوي الصغير وتفقه على جماعة منهم الشيخ الكبير محمد بن حكم باقشير والفقيه عبدالله بن فضل بلحاج وأخذ التصوّف وعلوم القوم المنطوق منها والمفهوم، عن شيخ الأشراف، وقدوة آل عبد مناف الشيخ عبدالرحمن السقاف،، ولازمه ملازمة حسنة نحو عشرين سنة، حتى تخرج به في العلوم والمعارف وشهد بتقدمه فيها الموافق والمخالف، وأقر له بذلك المعادي والمؤالف، وأخذ أيضاً عن أولاد عبدالرحمن السقاف، وعن السيد الجليل ذي الخلق الحسن السيد محمد جمل الليل باحسن، والشيخ الأرْيَبْ الأديب عبدالرحمن بن محمد الخطيب، وذكر في الغرر أنه أخذ عن محمد مولى الدويلة، فاقتضى أنه عاش أكثر من مائة سنة فليتأمل، ومنح المواهب اللدنية والفتوحات القدسية، حتى صار وحيد أقرانه وفارس ميدانه وامام أهل زمانه، وأذن له شيوخه في التدريس، فدرّس في كل علم نفيس، وأظهر ما أخفي منه وانطمس، وأحيا ما كان قد مات واندرس، وتمثلت بين يديه طلبة التحقيق من الطالبين، وذوي الهمم من الراغبين، فأخذ عنه جمع لا يحصون، وتخرج به جماعة كثيرون، منهم أولاد عبدالرحمن بافقيه، القائم بمنصب أبيه وعبدالله النساخ وعلي وعلوي وأحمد. ومنهم محي النفوس الشيخ عبدالله العيدروس، وأخوه السيد الولي الشيخ علي والشيخ محمد بن أحمد بافضل، والعارف بالله تعالى

محمد بن أحمد باجرس، وأما فصاحته فكان كلامه يفوق اللؤلؤ الثمين منثوراً، ويجعل ممدود الثناء عليه مقصوراً، وأما عبادته فكان هو القائم بأعباء هذه الصناعة، والمتدرع بجلباب الطاعة، فكان يقوم قيام داود، ويضيء بنوره حنادس الليالي السود، وكان يكثر قراءة القرآن لا سيما سورة الاخلاص، وربما استغرق فيها حتى تذهب عنه الحواس، وأما زهده فكان لا يرى المال إلا كالهباء المنثور، ولا يجد لذهابه حزنا ولا يحدث له عند طروّه فرح ولا سرور، ولا يرى الدنيا إلا كالظل الزائل، والصبغ الحائل، وأما كرمه فأجمع عليه أهل عصره كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها، وكانت الفقراء والضيفان تأتي اليه من كل حدب، فيعمهم بعطياته التي كالسيل في الانسجام والصبا وأمر زوجته الشريفة بنت حسن ابن الفقيه أحمد أن تتصدق بجميع حليها النفيس، فتصدقت به ورضيت بالله خير أنيس، وجعلت التقوى أحسن جليس، فأحرزت خيري الدنيا والآخرة، وفازت بصفقة رابحة غير خاسره، وأما خلقه فكان ألطف من النسيم، وأبهى سناء من القمر في الليل البهيم، ويتبلج تبلج البرق، وينهل انهلال الودق، ثم سكن وادي عيديد الشهير، وفاح في أرجائه مسكه الأذفر والعبير واتخذه معبدا منعزلا عن الناس فأشرقت به شمسه فالشمس عنده كالنبراس، وبنى فيه مسجداً وداراً ولازمه للطاعة اختياراً، وشمر ذيله للعبادة ولا ينزل إلا للجمعة أو العيادة ثم بنى عنده أصحابه حتى صار قرية معمورة، وبالأنوار والخيرات مغمورة، ومن لاذ بذلك الجناب المأنوس، وألم بذلك الوادي المحروس، أمطر الله عليه سحائب نعمه، وأولاه جميل صنعه وكرمه، ومن تعرض له بسوء عوقب في ساعته، وخسر دنياه وعوقب في آخرته، وكان يتعبد أحياناً في أعلى الوادي. وربما أتاه بعض أصحابه فيرى السيل جارياً في ذلك النادي من غير مطر ولا سحاب فيقول له صاحب الترجمة اشرب واغتسل ولا تخبر به أحدا من الأصحاب[١]. ومدحه الشيخ عبدالرحمن بن علي بقصيدة أولها[٢]:

حليف التقى كنز العلوم مكاشف   إمام حوى أسرار كتب الرقائق

---

(١) في هذا الموضع من الأصل جمل حذفت من هذه الطبعة.

(٢) هذا الأول حذف من هذه الطبعة.

(الناشر)

ولازم غوث الدين شيخ شيوخنا أبا شيخ المشهور بالنور صادق
فلازمه عشرين عاماً بخدمة نهاراً وليلاً ناصحاً وموافق
وواعده في آخر العمر خدمة الهية من ذاقها في الرضا بقى

ولم يزل موزعاً لأوقاته في طاعة الرحمن ومرضاته متمتعاً بتلك الملل والنحل إلى أن دعاه داعي الأجل وانتقل إلى رحمة الله عز وجل، وكان انتقاله سنة اثنتين وستين وثمانمائة وقبر في قبر جده الأعلى محمد بن عبدالرحمن بن علوي في مقبرة زنبل، ورثاه تلميذه شيخ الورى عمر بن عبدالرحمن صاحب الحمراء بقوله:

رعى الله عصراً بالجمال مجملاً وعيشاً خلا من بعدما قد لنا حلا
لقد أظلمت دنيا لنا بعد موته فما خاطر من بعد فرقته سلا
تزحزح ركن الدين وانهدّ بعده ومعجمنا يا حسرة صار مهملا
أئمة علم الدين غابوا فمن لنا بأمثالهم لهفي على سادة الملا
لقد كانت الأكوان تزهو بهم كما بهم تدفع الأسواء والقحط والبلا
فيا دهرنا صب الدموع على الذي به كنت قبل اليوم أرى مفضلا
على بن علي حضرة الجود والسخا إمام الورى الباز المقدم في الملا
جمال الدنا والدين قدوة عصره محمد الحبر الكبير الذي جلا
لرين القلوب المظلمات بوعظه مذيب قلوب العاشقين إذا تلا
عليه سلام الله أيضا ورحمة على عدد الأنفاس والرمل في الفلا

﴿محمد بن علي بن محمد بن علوي ابن الفقيه سعد بن عبدالله بن أحمد بن علوي ابن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط رضي الله عنهم﴾

عرف كسلفه بباسعد المشهور بالولاية في الغور السيد الكبير العلم الشهير عديم المثل والنظير إذا مشى الناس في ضحضاح من العلم خاض هو اللجة، وإذا خبطوا عشواء في العمل سارهو في بياض المحجة سطع في سماء المعارف نوره، وتفتق في رياضها زهره ونوره اشتغل بتحصيل العلم والمعارف حتى استخرج خباياها النفائس، واقتنص من كنائس المعالي كرائمها الأوانس أخذ عن جماعة من العلماء العاملين وأئمة الأكابر العارفين، وتفقه على غير واحد من علماء زبيد، ولاحظته السعادة فكان من بني سَعد هو السعيد، ورحل إلى الإمام الأكمل السيد حاتم بن أحمد الأهدل، فأخذ عنه ولـزم صحبته واغتنم في زمانه السعيد فرصته، واعتنى به السيد حاتم حتى بلغ نهاية الآمال، ورقي إلى أعلا درجات الكمال، وصار في العلوم الشرعيـة بحرا لا يجارىٰ، وبدرا إلا أنه أشرق نهاراً، ثم أقام بموزع واستوطنها ونصب نفسه للنفع فبين مباحث العلوم وفنونها، واجتهـد في طاعـة مولاه، وحصـل له ما لم يكن له على بال ولا تمناه ثم طرقته حالات، ووقعت منه شطحات، ومزق الحجب، وأظهر العجب حتى أتاه شيخه السيد حاتم من المخا إلى موزع وعاناه حتى مَنَّ الله عليه وعافاه، وعطف عليه بالجود وأيده بالثبات في الشهود، ولم يزل على الحال المستطابة إلى أن دعاه داعي الوفاة، فأجابه فانتقل بالوفاة إلى رحمة الله ودفن بمقبرة موزع وعمل على قبره قبة عظيمة ومدحه كثيرون ورثاه آخرون،وأثنى عليه أئمة عارفون منهم شيخه السيد حاتم قال ذر وغيره:

إنه أحد الإمامين اللذين هما كالوزيرين للقطب الغوث

وليس فوق مقامهما إلا مقام القطب الغوث، فقد قال

السيد حاتم في بعض رسائله بعد أن وصفه بصفات
جميلة وهبات جزيلة فهو اليوم قرة
عين الأفراد، ويمين الرجل
المُسمىٰ واحد الآحادِ
رحمه الله تعالى ونفعنا به
آمين

﴿تم الجزء الأوّل من كتاب المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي، ويليه الجزء الثاني أوّله ترجمة سيدي محمد بن علي المشهور بالأستاذ الأعظم رضي الله عن الجميع، وأسكننا وإياهم من الجنان المحل الأعلى الرفيع﴾